**المرأة والحياة الزوجية**

**من منظر الأديان والعصر الحديث**

**أبو الحسن بني صدر**

**أول رئيس إيراني منتخب بعد الثورة الإيرانية**

**المرأة والحياة الزوجية**

**من منظر الأديان والعصر الحديث**

**أبو الحسن بني صدر**

**أول رئيس منتخب لإيران بعد الثورة**

[**المقدمة** 8](#_Toc48457500)

[**الماضي ودوره** 8](#_Toc48457501)

[**حول الكتاب الذي سرق** 8](#_Toc48457502)

[**الماضي بمثابة احتكار يجب كسره** 9](#_Toc48457503)

[**في معنى عصر النهضة** (الرينسانس) 10](#_Toc48457504)

[**تنشيط الماضي ليس الإشادة بالماضي** 11](#_Toc48457505)

[**لو كان الماضي سيئا مائة بالمائة:** 14](#_Toc48457506)

[**المرأة في التوراة وفي أوستا وفي القرآن** 16](#_Toc48457507)

[**أوستا: المرأة رمز الحب وصاحبة عقل تام وسبنتا:** 17](#_Toc48457508)

[**القرآن: المرأة رمز الحب والكوثر:** 21](#_Toc48457509)

[**المصادر والهوامش:** 24](#_Toc48457510)

[**الحب والبناء والحياة أو الهوى والدمار والموت هما أساسان يضفيان للحرية وحقوق المرأة هذا المعنى أو ذاك** 27](#_Toc48457511)

[**الافتقار إلى الحب أو عدم وجود حق يشكل أساس جميع الحريات وحقوق الآخرين:** 28](#_Toc48457512)

[**استحالة نشوء الحب بين المرأة والرجل:** 29](#_Toc48457513)

[**علىى الزوج أن لا يمارس الحب للزوجة وعلى الزوجة أن لا تبدي رغبة جنسية:** 31](#_Toc48457514)

[**المصادر والإيضاحات** 35](#_Toc48457515)

[**من ممارسة الجنس تساوي الموت إلى ممارسة الجنس تساوي الحياة** 36](#_Toc48457516)

[**المرأة في العلاقات بين الحكومة والمسيحية** 37](#_Toc48457517)

[**السلطة والمرأة** 38](#_Toc48457518)

[**إن سمات هذه العلاقة أربعة وهي (11):** 38](#_Toc48457519)

[**2- تحديد دائرة المحظورات حسب توقعات السلطة** 39](#_Toc48457520)

[**3- حالات الرقابة الجنسية والعقلية الكامنة فيها** 40](#_Toc48457521)

[**ما هي السلطة؟** 40](#_Toc48457522)

[**المصادر والإيضاحات:** 44](#_Toc48457523)

[**هل خلق العنف وحب العنف أمران جوهريان بالنسبة للمرأة؟** 45](#_Toc48457524)

[**عبور المعنوية إلى المادية:** 46](#_Toc48457525)

[**وإثر تحليله هذا تصف فرويد المرأة بما يأتي:** 50](#_Toc48457526)

[**نزعة المفعولية:** 50](#_Toc48457527)

[**النارسيسية أو حب الذات:** 51](#_Toc48457528)

[**القواعد الأربع** 58](#_Toc48457529)

[**القاعدة الأولى:** 59](#_Toc48457530)

[**القاعدة الثانية:** 63](#_Toc48457531)

[**القاعدة الثالثة:** 63](#_Toc48457532)

[**القاعدة الرابعة*:*** 65](#_Toc48457533)

[**المصادر والإيضاحات** 67](#_Toc48457534)

[**هل المرأة مثيرة للهستريا وتسبب هستيريا؟ هل شعر المرأة فيه أشعة؟** 68](#_Toc48457535)

[**المجموعة الاستراتيجية الأولى: نشوء الهستيريا فوبيا لجسد المرأة:** 68](#_Toc48457536)

[**المجموعة الاستراتيجية الثانية: عرض موضوع تربية وتعليم الجنس بين الأطفال:** 69](#_Toc48457537)

[**المجموعة الاستراتيجية الثالثة: جعل السلوكيات اجتماعيا في حقل التناسل:** 69](#_Toc48457538)

[**المجموعة الاستراتيجية الرابعة: جعل التمتع الجنسي المضيع موضوعا في الطب النفسي:** 70](#_Toc48457539)

[**المصادر والإيضاحات:** 75](#_Toc48457540)

[**هل المرأة مملوكة للسلطة؟** 76](#_Toc48457541)

[**أساسان اثنان للحرية:** 79](#_Toc48457542)

[**الحب والحرية، الجنس والسلطة:** 80](#_Toc48457543)

[**المصادر والإيضاحات** 82](#_Toc48457544)

[**عدم المساواة المضاعف** 83](#_Toc48457545)

[**إن عدم المساواة الأول هو عدم المساواة بين الإنسان والسلطة:** 83](#_Toc48457546)

[**عدم المساواة الثاني، عدم المساواة بين المرأة والرجل:** 84](#_Toc48457547)

[**منطق التعارضات أو صراع الجنسين:** 85](#_Toc48457548)

[**لأن المرأة هي الضحية الأولى:** 88](#_Toc48457549)

[**المصادر والإيضاحات** 90](#_Toc48457550)

[**المرأة والرجل والطبيعة** 91](#_Toc48457551)

[**المرأة والطبيعة والإنجاب ودور المرأة والرجل:** 92](#_Toc48457552)

[**الغزالي وفرويد:** 93](#_Toc48457553)

[**القرآن وصف المرأة بالحرث ولا بالطبيعة:** 96](#_Toc48457554)

[المصادر والإيضاحات: 98](#_Toc48457555)

[الحجاب‏ 100](#_Toc48457556)

[**انهضي ولا تهربي!** 100](#_Toc48457557)

[**أربعة حلول مجربة:** 104](#_Toc48457558)

[**جعل الجنس اشتراكيا:** 104](#_Toc48457559)

[**الليبرالية الجنسية:** 106](#_Toc48457560)

[المصادر والإيضاحات: 109](#_Toc48457561)

[الحجاب الإسلامي‏ 110](#_Toc48457562)

[**ماذا كان وماذا حصل؟:** 111](#_Toc48457563)

[**ماذا كان الجلباب وماذا صار؟** 113](#_Toc48457564)

[**الجلباب هو وسيلة لحماية المرأة من الأجنبي:** 115](#_Toc48457565)

[**الجلباب ليس حجابا:** 115](#_Toc48457566)

[المصادر والإيضاحات: 119](#_Toc48457567)

[الحل الرابع: الحب بمعنى التآلف في العاطفة والعقيدة 121](#_Toc48457568)

[عبور من التضاد إلى التوحيد: 121](#_Toc48457569)

[أفضلية الفرد على الزوج: 122](#_Toc48457570)

[**نشوء قيمة مطلقة لـ "أنا":** 123](#_Toc48457571)

[الوحدة أفضل من الرضوخ للإكراه والإجبار: 126](#_Toc48457572)

[الحب أقل في العنف والعناء والشهوة ولكن الحب أكثر في المحبة والوفاء: 128](#_Toc48457573)

[الرغبة في المحبة: 130](#_Toc48457574)

[المصادر والإيضاحات: 132](#_Toc48457575)

[الحل الخامس 133](#_Toc48457576)

[مبدأ الموازنة العدمية 133](#_Toc48457577)

[1-الاختلاف في مبدأ دليل التجارب: 133](#_Toc48457578)

[2-الاختلافات في نهج التجربة: 135](#_Toc48457579)

[فعلى ذلك: 135](#_Toc48457580)

[هل على المرأة أن تغطي على زينتها؟ 140](#_Toc48457581)

[المصادر والإيضاحات: 144](#_Toc48457582)

[الزواج والتوزيع الاجتماعي للعمل والإرث 145](#_Toc48457583)

[الزواج 145](#_Toc48457584)

[التوزيع الاجتماعي للعمل: 147](#_Toc48457585)

[لماذا ترث النساء بقدر نصف ما يرثه الرجال؟: (9) 150](#_Toc48457586)

[المصادر والإيضاحات: 152](#_Toc48457587)

[الزوجية في الاستسلام والإسلام 153](#_Toc48457588)

[الإسلام أم الاستسلام؟ 153](#_Toc48457589)

[علاقة الرجل بالمرأة والحب: 164](#_Toc48457590)

[تعدد الزوجات والعدالة: 168](#_Toc48457591)

[العلاقات المالية بين الزوجة والزوج والحرية الإنسانية: 182](#_Toc48457592)

[العلاقات الجنسية في الحياة الزوجية: 188](#_Toc48457593)

[الانتقالة من الاستسلام إلى الإسلام: 193](#_Toc48457594)

[المصادر والإيضاحات: 204](#_Toc48457595)

[الملحق رقم 1 215](#_Toc48457596)

[انتقاد والرد عليه 215](#_Toc48457597)

[رسالة من تويسركان 215](#_Toc48457598)

[على هامش "المرأة والعلاقات الزوجية" 215](#_Toc48457599)

[أ – المرأة والمذاهب: 215](#_Toc48457600)

[2- الزراتشتية: 216](#_Toc48457601)

[3- المسيحية: 217](#_Toc48457602)

[4- المذاهب الشرقية: 218](#_Toc48457603)

[5- المذاهب في قارة أمريكا: 219](#_Toc48457604)

[6- المذاهب في أقيانوسيا: 219](#_Toc48457605)

[الحب والحرية، الجنس والسلطة: 220](#_Toc48457606)

[عدم المساواة المضاعف 221](#_Toc48457607)

[إن عدم المساواة الأول هو عدم المساواة بين الإنسان والسلطة: 221](#_Toc48457608)

[ب – المرأة والفلاسفة 224](#_Toc48457609)

[ج – المرأة والتحليل النفسي: 226](#_Toc48457610)

[والآن لنرى ماذا قال وكتب فرويد عن النارسيسية والمازوخية: 227](#_Toc48457611)

[3- الفرق بين المرأة والرجل: 230](#_Toc48457612)

[الرد على الانتقاد 232](#_Toc48457613)

[مكانة المرأة في القرآن 232](#_Toc48457614)

[حالة المرأة ومكانتها في القرآن 233](#_Toc48457615)

[2- يكتب المنتقد: 236](#_Toc48457616)

[ويتابع المنتقد قائلا: 240](#_Toc48457617)

[المصادر والإيضاحات: 244](#_Toc48457618)

[مكانة المرأة في صدر الإسلام وعهد النبي 245](#_Toc48457619)

[حالة المرأة عند ظهور الإسلام 246](#_Toc48457620)

[النبي وزوجاته 250](#_Toc48457621)

[مذبحة بني قريظة 253](#_Toc48457622)

[وشهد شاهد من أهلها: 257](#_Toc48457623)

[المرأة في نظرية فرويد 258](#_Toc48457624)

[المصادر والإيضاحات**:** 264](#_Toc48457625)

[**الملحق رقم 2** 265](#_Toc48457626)

[**مناظرة حرة متضمنة لدروس** 265](#_Toc48457627)

[**السؤال:** 266](#_Toc48457628)

[**الجواب:** 266](#_Toc48457629)

[**مع التحية،** 266](#_Toc48457630)

[**مذكرة حول المازوخية:** 267](#_Toc48457631)

[**وفي ما يلي رد السيدة إينغريد على الرسالة أعلاه:** 273](#_Toc48457632)

[**رد السيد بني صدر على السيدة أنغريد:** 277](#_Toc48457633)

[**حضرة السيدة أنغريد المحترمة؛** 277](#_Toc48457634)

[**٭عدة إيضاحات هامة للغاية:** 288](#_Toc48457635)

[**الملحق رقم 3** 291](#_Toc48457636)

[**أكثر من ضجيج حول ضرب النساء في القرآن ( من 1 إلى 4):** 291](#_Toc48457637)

[**حوار بين أحمد آل حسين وأبو الحسن بني صدر** 291](#_Toc48457638)

[**المقدمة: تعريف لموضوع النقاش** 291](#_Toc48457639)

[**وفي ما يلي ما كتبته أنا في ما يتعلق بآراء السيد بني صدر:** 295](#_Toc48457640)

[**رد السيد بني صدر:** 297](#_Toc48457641)

[**جواب وسؤال السيد آل حسين:** 299](#_Toc48457642)

[**رد من السيد بني صدر** 304](#_Toc48457643)

[**مناقشة مع التعليقات والإجابات على الأسئلة:** 307](#_Toc48457644)

[**أسئلة من ”أحمد آل‌ حسين“ وتعاليقه** 311](#_Toc48457645)

[**أبعد من الشجار حول ضرب النساء المبرح باليد في القرآن (3): حوار آل حسين وبني صدر** 320](#_Toc48457646)

[**انطباعات من فهم تفسير معنى الآية الـ34 من سورة النساء:** 320](#_Toc48457647)

[**ما فوق الجدل حول ضرب النساء في القرآن (4): حوار بين بني صدر وآل حسين** 339](#_Toc48457648)

[**الملحق رقم 4** 354](#_Toc48457649)

[**أضواء على الجنس في الإسلام** 354](#_Toc48457650)

[**من إعداد؛ حسن رضائي** 354](#_Toc48457651)

[***نظرة إلى الجنس*** 355](#_Toc48457652)

[**كتبه سلافوي جيجك:** 355](#_Toc48457653)

[**الأول: "اتفاق" جنسي:** 355](#_Toc48457654)

[**الثاني: الوحدة الجنسية** 357](#_Toc48457655)

[**الثالث: الإسلام ليس دين العائلة؟** 359](#_Toc48457656)

[**الرابع: الجنة الجنسية:** 360](#_Toc48457657)

[**رد أبو الحسن بني صدر على رؤى سلافوي جيجك:** 361](#_Toc48457658)

**المرأة والحياة الزوجية**

**بدأ تأليف هذا الكتاب في نيسان 1986 وانتهى في آذار (مارس) 1987 وقبل طبعه على هيئة كتاب كان قد نشر على حلقات في جريدة "انقلاب إسلامي در هجرت" (الثورة الإسلامية في المنفى). وحتى هذا الوقت أي 29 آب (أغسطس) الذي تصبح فيه الطبعة الثانية للكتاب في متناول أيديكم أنتم القراء استمرت الدراسة التي أضيفت حصيلتها إلى الكتاب.**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**المقدمة**

**الماضي ودوره**

**حول الكتاب الذي سرق**

 في الأيام التي كانت فيه القوى المضادة للثورة والبائسة في خارج البلاد تمارس الدعاية زيفا وبهتانا بأن بني صدر قد قال: "إن شعر المرأة فيه كهرباء أو أشعة"!! إلخ... قام عملاء نظام الملالي الديكتاتوري بسرقة كتاب في المطبعة وهو بعنوان "المرأة والأسرة على ضوء علم الاجتماع". نعم إنهم خطفوا وسرقوا ذلك الكتاب لأنهم لم يكونوا يريدون أن يعرف عامة الناس المرأة على ضوء علم الاجتماع في ما يتعلق بالعلاقات الشخصية السلطوية وكذلك التحريفات وبل أسوأ منها حالات التزوير والتزييف التي روجوا لها تحت يافطة الإسلام حول شخصية المرأة وفضائلها ومكانتها‘ إلخ وحولوها وكعقيدة دينية إلى عنصر أساسي من البنية الذهنية لشعبنا.

فبذلك وفي خضم الكفاح من أجل الحفاظ على الحرية المكتسبة والدفاع عن فضائل وحقوق الإنسان كانت كل الفرق السلطوية الثلاث تقوم بعمل واحد حيث كانت الثلاث تفرض علي رقابة في جهودي من أجل تحقيق الحرية للمرأة كوني أعتبرها من الشروط الأساسية لخروج المجتمعات المسلمة من حلقة التخلف. علما بأن بقايا نظام الشاه السابق وكذلك الشموليين المتظاهرين باليسارية يؤمنون بنفس التعريف الذي كان يقدمه الشاه عن المرأة وهو: "المرأة يجب أن تكون جميلة ومغرية" وهذا يعني أن المرأة هي رمز الهوى والعنف. أما الشموليون الدينيون فهم أيضا وحسب القناعة التي اكتسبوها من كنسية العصور الوسطى يعتبرون المرأة رمزا للهوى والعنف. فلذلك تكون التوجهات السلطوية وبحكم عبادتها للسلطة ذات إحدى الفكرتين حول المرأة اللتين كانتا موجودتين منذ القدم وهما: المرأة رمز الهوى والعنف. فمن هذا المنطلق قام الداعون إلى عزل هذا الرمز للهوى والعنف بسرقة الكتاب وقام أنصار "سكسوبوليتيك" (الجنس السياسي) وفي على حد تفكيرهم السخيف بقلب الحقيقة حيث أشاعوا أن بني صدر قد قال إن شعر المرأة فيه كهرباء أو أشعة‘ إلخ...

فعلى أي حال إن الكتاب الذي سرقوه كانت دراسة كنا أنا وزوجتي عذراء حسيني قد أنجزناها معا‘ وكان أولئك الذين سرقوا الكتاب قد تصوروا أنه طالما تستمر الحرب مع المعتدي الأجنبي وهناك الحكام المستبدون موجودون في داخل البلاد لن تعود الفرصة تسنح لتجديد الدراسة وتأليف الكتاب ثم هناك انقلاب سيحدث ويعقب إعدامات. إنهم لم يكونوا قد أخطئوا في حساباتهم وتصوراتهم هذه. فإذا كانوا لم ينجحوا حتى الآن في تصفيتي جسديا فإنهم فرضوا رقابة لا تتيح لأحد إمكانية القيام بنشر دراسة كهذه. وها هي الفرصة التي سنحت الآن لنعود وننجز الدراسة أملا في اغتنامها والاستفادة منها لإخراج الماضي من الاحتكار وتطهيره من الانحراف.

**الماضي بمثابة احتكار يجب كسره**

**صديق كتب رأيا له حول ما كتبته أنا بعنوان "الشهادة والحب" وأرسله إلي وهو ما يلي:**

«... كنت أود للغاية لو تراجعت حضرتك عن كلمة "الشهادة" في العنوان أو أحللت محله على سبيل المثال "تطورية النمو" أو "السكون والحركة" أو "رمز الكمال" أو "الامتلاك والصيرورة" أو حتى أحسن من هذه العبارات. ذلك لأن نظام الملالي الديكتاتوري قد شوهت جدا سمعة كلمة "الشهادة".

إني  أشدت مرات عديدة بجرأة وسماجة السيد بني صدر وإصرارها على إعادة المصداقية إلى الإسلام لأن هؤلاء الظلمة لم يبقوا شيئا من الإسلام يمكن الدفاع عنه بسهولة. وفي الوقت نفسه قلت للسيد بني صدر أيضا إن ما يقوله هو أحدث وأكثر عصرية ومقبولية بحيث يغنينا عن الاستناد إلى ما في الأزمنة الماضية البعيدة. أقول من دون مجاملة إني وعندما أقرأ ما يكتبه أرتفع إلى العلى ولكن عندما أقرأ فجأة ما أوردت من أمثلة عن إبراهيم وغيره فأسقط إلى الأسفل. بالنسبة لي يكون السيد بني صدر وأمثاله أكثر تصديقا وملموسية وموضوعية وأحدث بأضعاف مضاعفة من قصة إبراهيم وأمثاله».

فرار معلن من الماضي وکراهیته والنفور منه والرغبة الشديدة في نسيانه وهو القناعة بضرورة غلق سجل الماضي ونبذه‘ أليس كذلك؟

لماذا هكذا؟ منذ قرن ونصف القرن تعرض الدارسون والمثقفون الإيرانيون في العالم الإسلامي كله وبل الدارسون والمثقفون في "العالم الثالث" تعرضوا لخدعة لم يتمكنوا بعد من تخليص أنفسهم منها. فإن "ملكم خان" وآخرين من رواد التجدد اعتبروا من الضروري نبذ الماضي من أجل أخذ الحضارة الغربية مصرين على ذلك بكل قوة ومن مضاعفات هذا الإصرار خلق احتكار للثروة الثقافية أي الماضي بحيث ما إن قال الدارسون الجدد إننا لا نهتم بما كان في الماضي من الجيد أو السيئ حتى استمسك والتزم الدارسون القدامى بذلك الماضي بشدة قائلين إن هذا لنا. فمنذ قرن ونصف القرن يسلك الدارسون المتجددون طريقا معكوسة ونتجت عن ذلك سلسلة هزائم: فلم يتصور ملكم خان والآخرون من دعاة التجدد أن الزمان هو أحد الأدلة على صحة هذه الفكرة التي لها دوام تاريخي وما يكفي من الإتقان. فعلى ذلك إن دوام الإسلام خاصة في المهجر والمغترب يدل على صحته في المبادئ والقواعد الأساسية. إنهم تغافلوا عن قاعدة أن مدة الكذب صفر ومدة الحقيقة لا نهاية لها. إنهم أرادوا أن يستغلوا الذاكرة المرة لشعب عن آلامه ومعاناته الماضية ولكن لم يدروا أنهم إذا كانوا يحاكون الغرب فعليهم أن يفعلوا ما فعلوه رواد التجدد في الغرب.

**في معنى عصر النهضة** (الرينسانس)

     إن عصر النهضة (الرينسانس) هو العودة إلى الماضي وإلى المنبع وإلى تطهير المنبع وإسالة الماء العذب فيه. إن "الأومانيين الغربيين" ليس لم يبدؤوا العمل بإنكار الماضي فحسب وإنما راجعوا الماضي لنقد الحال. إن الأومانية كانت في البداية حركة للمعرفة العلمية للغة ومراجعة النصوص المتبقية لغرض تطهيرها من التحريف والتزوير وتصفية الثقافة الدينية وأمثالها من الغيرية أو الانبهار بالغير والانسلاخ عن الذات. إن تلك الثورات الثقافية التي ومنذ القرنين الثامن والتاسع وخاصة منذ القرن الحادي عشر كونت الحلقات المتسلسلة للتطور الثقافي الغربي لم تحصل إلا نتيجة إعادة التطرق والنظر إلى الماضي. ففي خطوتهم الأولى ألغى الأومانيون احتكار السلطة من قبل الكنيسة وبالتالي جعلوا الماضي الثقافي قابلا للدراسة والنقد‘ ثم وبكشفهم وتعريتهم حالات التحريف والتزييف تمكنوا من إزالة الخدع. وخلاصة القول إنهم قاموا بتنشيط الماضي وتحريكها وتطويرها حتي أصبحت عصور النهضة (الرينسانسات) هي الماضيات المتطورة والمتحركة.

إن تجربة الرنسانس هي تجربة جميع الثورات وكل تطور: إن كل ثورة من الثورات تأتي نتيجة تنشط الماضي: لقد أنجزت محمد الثورة الإسلامية بتنشيطه ثقافة التوحيد أي ثقافة إبراهيم... كما كانت ثورة الدستور في إيران في أوائل القرن العشرين والثورة الإسلامية التأريخية في إيران في نهاية سبعينيات القرن الماضي كانتا كلتاهما نتيجة تنشط الماضي. هذا وأنجزت كل من الثورة الفرنسية الكبرى وثورة أكتوبر في روسيا بعد تنشيط الماضي. فكما لا يمكن تصور رأس المال من دون الإنتاج ويأتي رأس المال نتيجة العمل المتراكم أو المنجز في الماضي والناشط في الحال‘ فهكذا أيضا لا يمكن إنتاج وتحديث وتنمية الثقافة إلا بتنشيط الثقافة التي هي مجموعة من منجزات الماضي. كما ومع الأسف إن الماركسيين في مجتمعاتنا قرؤوا ماركس على المقلوب علما بأن ماركس يعتبر رأس المال العمل المتراكم ويعتبر التطور أمرا دياليكتيكيا (جدليا) ولا يعادي رأس المال وإنما يعادي رأسمالية ويعتبر تنشيط رأس المال أكثر فأكثر شرطا ضروريا للتغيير الأساسي أو تغيير البنى التحتية للمجتمع أي العلاقة ذاتها مع رأس المال إضافة إلى تغييرات فوق البنيوية. إن الماركسيين في "العالم الثالث" ونتيجة انبهارهم الثقافي بالغرب أي رفض الماضي بكامله أحلوا معاداة رأس المال محل معاداة الرأسمالية فبالتالي أصبح الدارسون الذين لهم رؤية "يسارية" أو "يمينية" يعارضون إطلاقا أي تنشيط للماضي.

ومن أسباب هذا الركود الاجتماعي الذي ضحيته الأول هي الدارسون الجدد والمثقفون الجدد إنما هذا الانقطاع المتعنت عن الماضي. فبدلا من أن ننشط الماضي ونجعل النمو ممكنا إما قد انقطعنا عن الماضي وجعلنا أنفسنا عوامل للتخريب أو قد مكثنا في الماضي معلقين الآمال على "ما لدينا" أو على"ما نمتلكه".

إن نظام البهلوي كان ينكر القرون الإسلامية الأربعة عشر وكان يريد تنشيط عناصر من الماضي قبل الإسلام فراح ضحية ذلك. لأنه وعن الجهل قدم تاريخ الشعب المنحدر من 14 قرنا للدارسين القدامى حصرا ولم يتلق درسا من ذلك حتى بعد سقوطه. لأنه وكمثال على ذلك إن عملية قلب الحقيقة هذه في ما يتعلق بأشعة أو تيار كهربائي في شعر المرأة! وهو القول الذي نسبوه إلي أنا زورا وبهتانا بنيت على الخوف من الماضي واعتبار المرأة مظهرا للهوى والموت. إن عملية التزوير والتزييف هذه ليست فقط تنم عن عقليتهم حول المرأة وإنما تدل على الخوف الذي يشعره الدارسون الجدد من الماضي كما يدعو إليه السيد بختيار. إنهم وبعمليات التزوير هذه يريدون الإيحاء والإقناع بأن بني صدر وجميع الذين يعملون على تنشيط الماضي هم ملالي بدون عمائم ويؤيدون الماضي. إن جماعة المثقفين لا تتلقى الدرس من فشلها الذريع ولا تزال وبتعنت يشير إلى جهلها المركب تحاول أن لا يخرج الماضي من حصر وحكر الملالي وتبقى نفسها في الوقت ذاته ضحية وعاملة للتخريب وحاجزا أمام النمو والتطور!!

**تنشيط الماضي ليس الإشادة بالماضي**

إن واقع كون مجتمعاتنا متخلفة وخاضعة لسلطة المتقدمين كان ولا يزال أرضية النفور والتهرب من الماضي. كما إن المتجددين الذين انخدعوا بالعقلية السائدة في الغرب وكانوا يؤيدون الانبهار الثقافي بالغرب كانوا يعتبرون أن الماضي الثقافي ذاته هو الذي يقف وراء التخلف. إن الطريق الذي كان الانبهار يهديهم ويدلهم إليه لم يكن نقد الماضي وتنشيطه وإنما كان إنكار الماضي بكامله سواء من محاسنه ومساوئه لأنهم كانوا يعتبرون أن أخذ الحضارة الغربية لا يمكن إلا بالتعرية عن الماضي الثقافي أي نزع اللباس الثقافي الأهلي‘ إلا أن الطريق الذي سلكوه قادهم في كل مكان إلى الفشل التام‘ بل الأدهى أن الطريق الذي سلكوه أصبح سدا حاجزا أمام التطور المطلوب لمجتمعاتنا وأدى إلى البقاء في الماضي:

أصبح الماضي الأرضية الرئيسة للعراك على كسب السلطة. ففي إيران كانت البهلوية قد اتخذت من الماضي الإيراني السابق للإسلام معتمدا لها وكانت تشيد بذلك الماضي ومقابل ذلك كانت تلك الفئة من رجال الدين التي خاضت ساحة المعركة من أجل السلطة كانت تنكر الماضي الإيراني السابق للإسلام وتعكف على امتداح الماضي "الإسلامي" ولا تزال الفئة المذكورة تقوم الآن أيضا بذلك. أما المثقفون الذين كانوا قد آلوا على أنفسهم إنكار الماضي فلم يكن يمكن لهم إقامة علاقات الارتباط والحوار مع الشارع العام. ولم يكن المستولون على الأسس أو المؤسسات السياسية والدينية والتربوية في المجتمع هم الأشخاص الوحيدين الذين فرضوا الرقابة وإنما كانت ماكنة الرقابة قد نصبت أو زرعت في أذهان وعقول "المثقف" الذي كان ينكر الماضي وبالتالي كانت لغته أجنبية وهي اللغة التي كانت حتى غير قابلة للترجمة. فبالتالي تسبب كل ذلك ليس فقط في أن تفقد مجتمعاتنا وخلال قرن ونصف القرن الفرصة السانحة وإنما أن تتراجع 5 قرون في الأقل إلى الوراء أي أصبحت المسافة الزمنية بينها وبين حالات التقدم والتطور بمدة 5 قرون.

فحاليا ومع أن سلوكنا الطريق الخاطئ أدى إلى تخلف مجتمعاتنا لمدة ما لا يقل عن 5 قرون فمن المفترض أن يكون الوقت قد حان لنحتكم عقلنا ونتساءل: ما العمل؟

لا يوجد هناك طريق أمامنا سواء في الظاهر أو في الباطن إلا أن نرضخ للواقع: نحن تخلفنا. فصيغنا الثقافية وبالتالي عقليتنا وسلوكيتنا كلها متخلفة. فمن أجل النمو علينا أن نغير الصيغ والسلوكيات ولتحقيق ذلك هناك طريق واحد فقط وهو أن علينا أن ننبذ ذلك البقاء في الماضي وامتداح الماضي وهذا البقاء في القناعة السائدة قبل 150 عاما والمضي في إنكار الماضي وعلينا أن نقوم بنقد الماضي لأن النقد ليس امتداحا ولا إنكارا وإنما هو فرز الصحيح عن غير الصحيح وبالتالي هو تغيير الصيغ الذهنية للمجتمع. فعلينا أن نكسر الحصر والحكر ونخرج من العزلة:

مع أن الأومانيين هم الذين أنجزوا العمل الصحيح في غضون 12 قرنا ونحن سلكنا طريقا على عكس طريقهم فوصلنا إلى الطريق المسدود‘ ولكننا لسنا الآن في موقع الأومانيين في القرون الماضية لأننا نعترف أنفسنا بأن مجتمعاتنا متخلفة ومتأخرة بما لا يقل عن 5 قرون. فعلينا أن نهيئ أدوات القفز أي أن ننجز في عمر جيل واحد ما أنجزوه هم خلال 12 قرنا.

إن المجتمع الذي هو متأخر بمدة 5 قرون أي إنه يعيش في الأزمنة الماضية البعيدة وبل يتقهقر إلى الوراء أكثر فأكثر يجب أن يتم جعل المنتجات الفكرية والعناصر الثقافية في متناول يده ليستطيع وبالقفزة الثقافية أن يوصل نفسه إلى العصر الحاضر. فعلى ذلك ليست مهمة المثقف هي الإيمان أو عدم الإيمان بالدين والترويج والدعوة له أو ضده‘ وإنما هناك مهمة أصعب للغاية على عاتقه وهي: إن المثقف وبغض النظر عن كونه يؤمن أو لا يؤمن بذلك: يجب عليه أن يقوم وبكل حياد بالنقد العلمي والتصفية العلمية للماضي أي عليه أن يقوم بفرز الحق عن الباطل في تاريخه الماضي. فعلى سبيل المثال:

إن السبب الآخر لسرقة الكتاب من قبل نظام الملالي الديكتاتوري وقلب الحقيقة من قبل ديكتاتورية المثقفين يكمن في أنه وخلال الثورة وبفضل العمل المثابر بتدوين الفكرة الدليلة للثورة بدأت العقائد الباطلة حول المرأة تفقد سريانها ومصداقيتها في عقول سكان بلادنا نساء ورجالا. إن كلا الجناحين التعسفيين يخافان بشدة من تطورية الماضي في هذا المجال لأنهما يعرفان جيدا أن تغيير البنية الذهنية وبالتالي علاقة المرأة بالرجل من شأنه قيادة المجتمع الإيراني إلى طريق النمو المتسارع وإفقاد الاساطير وحماة الماضي سريانهم ومصداقيتهم.

إن كلا الفريقين يخافان من حرية – ولا فوضوية أو عدم تقيد – المرأة وإنما هدفهم من فرض الرقابة والتزوير هو احتجاز المرأة في الماضي‘ إلا أن النساء وإثر الثورة الإيرانية خلصن أنفسهن من القيود والسلاسل فدخلن الساحة. والأمل أوالتطلع الكبير إلى المستقبل ليس إلا انعتاق النساء ذاته الذي بدأ ويتقدم بفضل الثورة وفكر الثورة والنضال الكبير لنساء البلاد. إذا ما كان التحقيق في الماضي تسبب في أن يدلي التاريخ بالشهادة أي أن يتم فرز الحق عن الباطل وأن يزهق الباطل ويشق الحق طريقه إلى الأمام يوما بعد يوم فلماذا منع ذلك من الاتساع؟ ولماذا منع ذلك من التحقق في كل المجالات؟ ماذا كان الضرر المترتب على التصحيح المختصر للاعتقاد الديني حيال المرأة وفضائلها؟ كل ما حصل لم يكن إلا النفع. لماذا منع أنفسنا من أكمال عملية التصحيح هذه؟ أليست تلك العملية المتمثلة في سرقة الكتاب وهذه العملية المتمثلة في قلب الحقيقة تؤكدان خوف التوجهات التعسفية الثلاثة من النهج الجديد ومن هذه الثورة الثقافية التي تنتج تلك القفزة التي تكون أمرا ضروريا في هذا العصر؟ وهي القفزة التي من دونها لا يمكن نشوء البيئة الثقافية اللازمة لظهور ونمو المثقفين الرواد التقدميين. ففي مجتمعات العالم الخاضع للسلطة لا مكان للمثقف طالما يعيش العزلة عن الماضي‘ فهو في هذه الحالة يشبه سمكا قد سقط خارج الماء. إن مفردة المثقف لا معنى صحيحا لها ولا يجد المثقف بيئة عمل مناسبة له إلا بعد أن يبدأ المثقف بمعرفة الماضي ونقده ويكون ناشطا ومنشطا. فبتنشيط الماضي يكون المجتمع قادرا على القفز الثقافي وإثر هذه القفزة تصبح البيئة متناسبة مع نمو العنصر الجديد المتمثل في المثقف. فعلى ذلك يكون أوجب الأعمال في الوقت الحاضر هو تنشيط الماضي ولا يمكن ذلك إلا بمنهج النقد. إن الإشادة أو الامتداح التام وكذلك الإنكار التام من شأنهما أن يوصلا الأمور إلى الطريق المسدود الذي وصل إليه وبقي فيه اليوم من الاتجاهين المتقابلين كل من الدارسون القدامى والجدد.

# **لو كان الماضي سيئا مائة بالمائة:**

فی الوقت الحاضر نعلم أن نظام خمینی لم یستلم السلطة ليحل المشاکل الاقتصادية بل إنه زاد من هذه المشاكل. كما لم يصل إلى السلطة من أجل تحقيق الاستقلال والحرية بل إنه وبإقامته ديكتاتورية شاملة قد حدد وأغلق كامل الأجواء الثقافية. كما إنه زاد من حالات التبعية حيث أن تغيير دور إيران في أوبك يأتي خير دليل على تبعية إيران المتزايدة. هذا وعندما قد تنزلت قيمة النفط مما كانت عليه حتى قبل الثورة إذن أصبحت مجموعة الدول المنتجة للنفط أكثر تبعية.

وليس ذلك دليلا على كون هذا النظام راعيا للعلم وساعيا للتقدم والرقي لأن ما يكمنه هذا النظام من عداء للعلم لا يخفى على أي إيراني وغير إيراني. فلماذا بقي هذا النظام قائما على السلطة؟ أليست المخاوف من أسباب ذلك؟ أليس أهم المخاوف هو الخوف من أن ينكر وينفي بديل هذا النظام كامل الهوية الثقافية للشعب؟

فبذلك إن إنكار وجود أي خير في الإسلام واعتباره شرا مطلقا قد ترك أثرين في الأقل:

1. الأثر الأول والأساسي هو أنه إذا كان الإسلام سيئا بكامله فإن تطور المجتمع الذي عاش بالإسلام لمدة أربعة عشر قرنا يكون أمرا مستحيلا. أليس الترويج لهذا الرأي غير الصحيح والخطير يدل على أن المجتمع الإيراني لا يقبل النمو؟ فإذا أنت تراجع التاريخ سترى أن الذين كانوا يظنون أن العنصر الإيراني يمكن فساده فهم كانوا يعتبرون الإسلام أيضا الشر المطلق!
2. وكيف يمكن أن يقبل شعب أنه عاش الشر المطلق طيلة القرون الأربعة عشر؟ وكيف يمكن أن لا يساوي عدم قبول ذلك بالذات إنكار العنصر المتجدد من قبل المجتمع؟ أليس هذا هو المأزق الذي تعرض له الدارسون الجدد ولكن الدارسون القدامى الذين يعتبرون الزيادات في غضون هذه القرون الأربعة عشر والانحرافات وحالات التزييف وإلخ... خير موضوع بدلا من إسلام محمد ليسوا الآن في المأزق لكونهم السلطة الحاكمة؟ وقد يتم تساؤل بأنه من الذي وصف الإسلام بأنه شر مطلق؟ الجواب أن كثيرين أولا وحتى الذين لا يصفون الإسلام مباشرة وبصراحة بأنه شر مطلق ثانيا يفعلون كالتالي: لن يصفوا كلامي هذا بأنه جيد إلا أن أنسبه إلى الإسلام.. لن يصفوا هذا بأنه هو الإسلام إلا أن يفعله نظام خميني.. لن يصفوا .. إلخ.

والأهم من كل ذلك أنه وعندما ينكرون الماضي بكامله لا يعلمون أنه وفي هذه الحالة يطرح هناك سؤال: أليس لدى الإسلام حسن ولو واحد؟ وهل أحد من الجماعة الملتزمة مستعدة للاعتراف بهذا الحسن؟ إن هذا الإنكار الذي يتم التعبير عنه بأشكال مختلفة (والشكل الأكثر رواجا هو الامتناع عن الإذعان لمحاسن الإسلام) كما ذكرنا في ما تقدم هو الذي أصبح الحاجز الأكبر أمام تنامي إيران المتسارع.

فنظرا للحقائق المذكورة أؤكد النقاط التالية وأتمنى أنه وبغض النظر عن حالات الموافقة والمعارضة السياسية أن لا يقوم أصحاب الضمير بتفويت الفرصة هذه المرة لحل هذه المشكلة الكبرى. فسبق ذلك أن سنحت الفرصة مرتين إحداهما بعد ثورة الدستور والثانية بعد انقلاب 19 آب (أغسطس) 1953 ولكن تم استغلال هذه الفرصة للإنكار وهذه المرة أيضا بالتعنت. وهذه المرة وفر فساد نظام الملالي الديكتاتوري فرصة يمكن اغتنامها للقضاء على حصر أو حكر الماضي وتحريره وتنشيطه. ولكن القول بأن الإسلام هو الذي قام خميني بتطبيقه أو إن علينا أن نكف عن التحدث عن الإسلام لأن نظام الملالي الديكتاتوري قد شوه سمعة الإسلام‘ ليس فقط لا يفيد وإنما يفوّت الفرصة عنا مرة أخرى. فأقول يا أيها الموالون والمناوئون للإسلام! تعالوا لنعرف الإسلام كما هو ونعرّفه كما هو ونخلصه من أيدي محتكريه. فإذا فقدنا هذه الفرصة فقد لا يمكن لنا التعويض عن تأخرنا وتخلفنا وإلخ... فعلينا تظافر الجهود جماعيا وعلى كل فرد منا وبقدر صلاحياته أن يبذل الجهد لتنشيط الماضي. تعالوا لنكسر الحصر والحكر ونزيل الحدود ونجعل المجتمع مستعدا لدخول القرن الجديد بعدة قفزات ثقافية وهو القرن الذي ثورتنا هي طليعته.

النقطة الأولى: نظرا للحقائق التي تقدم ذكرها فعلى صديقي والآخرين أن يدخلوا مرحلة جديدة من الرفعة والتقدم كما دخلت أنا عندما يتم ذكر قصة إبراهيم لأنه هل هناك عجب وجمال أكثر من أن تمكّن فكرة التوحيد طير عقل إنسان كإبراهيم أن يطير ويرتفع هكذا قبل أربعة أو خمسة آلاف سنة؟

النقطة الثانية: الأهم من المهم أن تعرفوا أنه كان ولا يزال هناك خطان فكريان يتصارعان منذ الأزمنة البعيدة وحتى عهدنا هذا أحدهما قائم على الموازنة الوجودية ويعتبر السلطة هي الأصل. هذه الفكرة أو العقلية تروج لعدم المساواة بما في ذلك عدم المساواة بين المرأة والرجل في الخلق. إنها تعتبر المرأة من سلالة الشيطان ورمزا للهوى والعنف والهدم والموت. أما الخط الثاني فهو قائم على الموازنة العدمية ولا يعتبر السلطة هي الأصل. هذه الفكرة أو العقلية تعتبر المرأة والرجل من جوهر واحد كما تعتبر المرأة كائنة خلقها الله الرحمن وهي رمز للحب والحياة ومعلمة المخاطرة وجعل ما كان يبدو غير ممكن ممكنا. إن الإصرارعلى كون فكرة التوحيد عريقة ومستمرة هو الذي يكفل تطهيرها وتصفيتها من الملوثات وتخليصها من حالات الانسلاخ عن الذات.

النقطة الثالثة: إني استخدمت في تأليف هذا الكتاب أسلوبا جديدا وهو أني جعلت كل قضية من القضايا موضوع مقال لكي يمكن دراسة كل قضية باستقلال أوعلى حدة.

النقطة الرابعة: إن القارئ سوف يقرأ في هذا الكتاب ذات الجزء التحقيقي الذي ورد في القرآن في ما يتعلق بالمرأة والزواج.

# **المرأة في التوراة وفي أوستا وفي القرآن**

 سبق ذلك أن أوردنا خطاب التوراة بخصوص دور المرأة في إفساد آدم وتدنيسه بالذنب. وبما تقتضي الدراسة التطبيقية وفائدة التكرار نورده مرة أخرى:

التوراة: المرأة رمز للهوى والهدم والعدو الحية:

 المرأة مكونة بكاملها من المادة ولا يوجد فيها شيء من الروح الإلهية العاقلة. توجد في الرجل الروح الإلهية العاقلة (1). لهذا السبب تكون سلطة الرجل على المرأة أمرا شرعيا. لأنها قائمة على عدم المساواة الطبيعي بينهما. التوراة تقول بما يلي (2):

* المرأة خلقت في المرحلة الثانية وأصبحت المسئولة عن ذنب آدم كونها هي التي دفعت آدم إلى أكل الفاكهة الممنوعة.
* في المرحلة الثالثة لعنت المرأة حيث قال الله للمرأة: نزيد من معاناتك وهي معاناة الحمل والولادة والمخاض وإذ إن قوة الشهوة ناشطة في المرأة فخاطبها قائلا (3): تصبحين عدوا للحية. فبذلك يتبين أنه ومنذ أن اعتبر التضاد هو الأصل في العقيدة الدينية اعتبرت المرأة رمزا للشهوة والهوى والدمار فيما اعتبر الرجل روح العقل والإبداع والبناء فأصبح الرجل هو الحاكم والمرأة محكومة حكمه.

لقد قرر زراتشت الذي وحسب إحدى الروايات كان تلميذا ومواليا ليهود منفيين في بابل أن يعيد الخلوص السابق للدين إليه (4). ولكن تعليماته قد تعرضت في حد ذاته إلى سلسلة تغيرات. فبدءا من ظهور الإمبراطورية وهجوم إسكندر الذي أحرق "أوستا" (الكتاب المقدس للزراتشتيين) (5) ولكن رجال الدين الزراتشتيين كتبوه من جديد بالاستعانة بذاكرتهم‘ ثم وصول الأشكانيين إلى السلطة إلى أن أصبح الدين الزراتشتي دينا رسميا في الإمبراطورية الساسانية انعكست التغييرات الاجتماعية بما فيها التغييرات في الرؤية حيال المرأة ومواقعها ومكانتها وحقوقها وفضائلها انعكست في كتب أوستا على نطاق واسع. فأصبحت المرأة التي كانت توصف بإلهة الأرض ورمز الحب و"سبنتايا" ومنتجة وبناءة أصبحت شيئا يستورث.

مع ذلك لم تتعرض المرأة لذات الانحطاط الذي انعكس في التوراة. لأنها وفي الوقت نفسه الذي كانت فيه تعتبر شيئا كانت تعتبر العرض أيضا. نحيل دراسة المرأة في أوستا الساساني ومكانتها الواطئة في عهد السلالة الساسانية إلى وقت لاحق. وهنا نعرّف المرأة عن لسان أوستا الذي كان قبل ذلك وطبقا لما كاد أن يبقي منه:

# **أوستا: المرأة رمز الحب وصاحبة عقل تام وسبنتا:**

 من بين أمشاسبندان (الملائك الاثنتا عشرة في دين الزراتشتية) إحداها امرأة وهي سبنتا آرمتي أو سبنتارمد أو الأرض وهي رمز الإعمار والبناء. وآرمتي هي في حد ذاتها تعني "الخدر الكامل". كما إن الأرض التي هي حاملة كل شيء امرأة أيضا. وآرمتي هي إلهة الأرض وبنت أهورامزدا وزوجته. وأول رجل على الأرض وهو كيومرث ولد نتيجة العلاقة الزوجية بين تلك البنت وهذا الإله وهي رمز النزاهة والطهارة. (6)

ويرى زراتشت أن سبندارمت هي أقرب إلى أهورامزدا من ملائك أمشاسبندان الآخرين وهو يجد يد سبندارمت ملتفة حول عنق أهورامزدا ويوجه سؤالا إلى أهورامزدا: من هو هذا المخلوق الذي التصق بك ويوحي بأنك تحبه كثيرا ولا أنت تغمض عينك عنه ولا هو يغمض عينه عنك ولا أنت تسحب يدك منه ولا هو يسحب يده عنك؟ فيجيبه أهورامزدا قائلا: إنها سبندارمت بنتي وربة بيتي وأم الخالق. (7)

 إنها بنت أهورامزدا الشابة الجميلة الرشيقة طويلة البال... ولها قوة تمييز الخير عن الشر وهي موهوبة وهي ستقوم بتعبير أرواح الأخيار من جسر "سينواد" وستقودهم إلى جنة الخلد وستقوم بتحيير أرواح الأشرار في الظلمات. (8)

إن سبنتا آرمتي طيبة كريمة ونزيهة بنظرة مفعمة بالحب وهي مخلوقة أهورامزدا. (9)

إن سبندارمت التي لها نظرة مفعمة بالحب تتحلى بعقل تام أي إنها تواجه كل ما يلحق بها من السوء برضا وارتياح وصبر. إن المخلوقات تأتي منها. إن الأرواح المقدسة خلقت لتطهير الأرض: فبعدما تبسط الشياطين الأنجاس على الأرض تحت جنح الليل تقوم الأرواح المقدسة بتطهيرها منها. (10)

فهكذا إن الكون الذي وبلغة أوستا هو العالم المادي قد خلق نتيجة امتزاج سبنتامينو أو الروح العاقلة الخلاقة التي هي أهورامزدا ذاته مع سبنتاآرمتي التي هي الأرض أو أم الخالق. إن المرأة هي حلقة الارتباط بين الممكن الذي هو الكون وما فوق الممكن (الواجب) الذي هو الروح العاقلة الخلاقة أو الكون الروحي (المعنوي). إن فكرها كامل ونظرتها كلها حب وهي تبقى طيبة طاهرة برغم الشرور والأنجاس (المفاسد) التي يحاول أهريمن (الشيطان) تلويثها بها. أنها كريمة ومبدعة وبناءة.

أما الرجل الأول فهو يولد منها في الأيام الخمسة الأخيرة من شهر اسفند (آخر شهور السنة الإيرانية الاثني عشر والذي يعادل معظم أيامه شهر مارس أو آذار من شهور السنة الميلادية) (11). فبذلك يكون يوم "نوروز" (اليوم الجديد) هو عيد ظهور الإنسان على الأرض. وربيع العالم يرافق ميلاده وهو ربيع الكون. فهكذا قد خلق الكون على الطهارة والفطرة وفي التوحيد. وفي السنوات الثلاثة آلاف الأولى التي يكون فيها الكون روحية أو معنوية لم يكن أهريمن (الشيطان) ومخلوقاته قد بدؤوا بالعمل بعد. في الألف سنة الثانية خلق الكون أو العالم المادي وبات أهريمن والأهريمنيون (الشيطان والأجنة) ناشطين ضد أهورامزدا ومخلوقاته. ليس أهريمن ومخلوقاته في ذات هذا الكون وإنما في خارجه وإن "أنغرامينو" التي هي الروح المخربة خاصة في السنوات الثلاثة آلاف الثانية لا تتوقف ولو لحظة عن تدمير مخلوقات أهورامزدا ومعموراته (13). إلا أن "ماني" (14) وسابقته أي سلطة الإمبراطورية التي كانت قد استخدمت الدين قد نقلا التضاد إلى داخل الكون وهذا العهد هو عهد انحطاط المرأة وبالتالي انحطاط إيران.

هناك علاقة العلة والمعلول بين الموقع الاجتماعي للمرأة وبين إيران واستقلالها وسيادتها: ومع أن التوراة قد أثرت في أوستا مما تسبب في أن يعتقد عامة الناس أن المرأة متآنسة مع التنين أو الثعبان بثلاثة رؤوس ولكن هذا التآنس يتحقق عندما تتواصل المرأة مع الأجنبي فبعد ذلك تكون فاسدة ومتواطئة مع أهريمن (15).

بالنسبة للشعب الذي كان قد لاحظ انحطاط الإمبراطوريات السابقة وقام جيشه وباستغلال انحطاط المرأة بالاستيلاء على بابل التي كانت قد نامت في سكر الهوى حتى تمكن من إنهاء الإمبراطورية المعادية لإيران وسيطرتها على الإيرانيين‘ لا مبرر للاستغراب أن يعتبر المرأة هي الشرف أو العرض أو الوطن الاجتماعي وأن يعتبر انحطاطها مساويا لانحطاط الوطن.

هناك قاعدة اجتماعية لا زالت سارية المفعول منذ أبعد الأزمنة وحتى عصرنا هذا وهي: إن مدى نمو أو انحطاط كل مجتمع من المجتمعات الإنسانية يقاس بمدى ارتفاع مكانة المرأة ومدى نموها في ذلك المجتمع: إن إيران العهد الأسطوري ومنها سلطة ضحاك لألف سنة وإيران نهايات العصر الأخميني والنهج الذي اعتمده إسكندر كما يقال لإخضاع إيران لسلطته إلى الأبد حيث أجبر النساء الإيرانيات على مضاجعة اليونانيين‘ وإيران العهد الساساتي الذي تنزل فيه موقع ومكانة المرأة إلى حد أن تم إلحاق المرأة بالأشياء بحيث كانت القوانين الساسانية تنص على أن الابن يرث أمه‘ إضافة إلى انحطاط إيران الذي بدأ منذ أواخر عهد السلالة الصفوية واستمر حتى الثورة الإيرانية والانحطاط العام للمجتمعات الخاضعة لسلطة وسياسة المستعمرين المعتمدة في هذه المجتمعات والتي كانت ولا تزال قائمة على إفساد النساء‘ وكذلك انحطاط المجتمعات الغربية إلى حد أنه وإثر جعلها المرأة معرضا أو رمزا للجنس والهوى والاستهلاك بات حتى استمرار الأجيال في هذه المجتمعات يتعرض للخطر ويهدد بالتوقف‘ كلها تمثل حقائق تاريخية من الأزمنة الماضية البعيدة وحتى اليوم تشهد على صحة القاعدة المذكورة.

ولهذا السبب وعند الدعاء تعتبر آناهيتا الذي هي إلهة المياه ورمز طهارة المرأة هي المساندة للإيرانيين في تطهير إيران من سلطة الأجنبي‘ (نص الدعاء):

"يا جيش سورا آناهيتا الطيبة الكريمة انصرني ومنّ عليّ لأقتل هيداهاكا هذا العفريت القوي جدا الذي له ثلاثة أعناق وثلاثة رؤوس وست عيون وألف حاسة والذي وجوده مشؤوم للعالم وهو أقوى عاصفة خلقها أنغرامينو لتعصف ضد ذوي الحياة وتدمر عالم الخير حتى أنقذ امرأتين أسيرتين وهما سوان هاوك وأرناوك اللتين لهما أجمل الأجساد النسوية وهما من عجائب العالم في الجمال" (16).

فأجابت آناهيتا هذا الدعاء حتى تحررت إيران إثر انتفاض كاوة الحداد وفريدون. وهذه المرة يحين دور أفراسياب الشرير حيث يقدم ما هو أثمن من الهدايا والأضاحي متضرعا إلى آناهيتا أن تنصره على الآريائيين ولكن آناهيتا لا تقبل منه الأضاحي ولا الهدايا ولا الدعاء (17).

وكان الإيرانيون والعرب والتورانيون يدعون آناهيتا أن ترزقهم بالنصر وفي كل مرة تستجيب دعاء الإيرانيين فقط وترفض إجابة دعاء العرب والتورانيين (18):

وفي المعركة التي دارت بين فريدون وضحاك قامت آناهيتا بنصر فريدون (19): "يا جيش سورا آناهيتا هب لنصري مسرعا. انصرني فورا...".

فهب للنصر جيش سورا آناهيتا على هيئة فتاة جميلة بجسد رشيق وجميل جدا وهي ربطت وشاحا بظهرها طيبة نبيلة بدم صاف... ونزلت سليمة مسرعة على أرض خلقها أهورا وجعلها مقدسا وبيته (20). وقبلت هدايا فريدون ونصرته وجعلته منتصرا على ضحاك.

وفي القتال ضد التورانيين وعند هجومهم على الإيرانيين قدم آشاوزدا هدية إلى إلهة النساء آناهيتا موجها إليها نداء بأن تنصره وآشاوزدا هو أحد من أبناء البشر الخالدين سيقوم بنصر سوشيانت ومرافقته في آخر الزمان. فظهرت آناهيتا على هيئة فتاة جميلة لتنصر الإيرانيين. إنها عبرت الماء وإثر عبورها إياه قامت بإيقافه عن السير ليتمكن الإيرانيون من عبوره والهجوم على العدو والانتصار عليه (21). إن إيران أرض مقدسة أهورائية لا تبقى بدون الناصر في أي وقت (22). إن إيران أرض الدين الحق وأرض الآريائيين. إن آناهيتا تنصر الدين الحق والآريائيين:

لقد قام كاوي ويشتاسبا وعلى ضفة نهر فرزداناوا بتقديم 100 بعير و1000 ثور و10 آلاف خروف هدية لآناهيتا داعيا لها أن تنصره على أتباع الدين الباطل وأن تطهر العالم من الأشرار عباد الشياطين فتقبل آناهيتا هديته وتستجيب دعاءه (23).

وقدم الأخوان "واندارمني" و"آرجت إسبا" هدايا كثيرة لآناهيتا لتنصرهما على "كاوي ويشتاسب" حتى يقتلا الآريائيين بخمسين خمسين ومائة مائة وألف ألف وعشرة آلاف عشرة آلاف و إلخ... ولكن آناهيتا لا تقبل هداياهما ولا تستجيب دعاءهما (24).

وتصبح المرأة عقيمة في حالتين: إحداهما عندما يسيطر الأجنبي على إيران وبذلك يسترها بستار أسود مظلم وهو شيطاني والثانية إثر يرتكب كل من مشيا ومشيانا ذنب إنكار الحق. فيعيش هذان الزوجان في حالة العقم لمدة خمسين سنة حتي... (25)

فبذلك ليست المرأة كائنة مؤمنة فحسب وإنما ترتبط مكانتها بكل إحكام مع مكانة إيران المستقلة وطهارة الدين والصحة والسلامة عند القوم الآريائي. إن ما يلحق بالإنسان إما من صنع القدر وإما يأتي نتيجة العمل. إن الشئون المادية تنبع من قدر الإنسان وإن الشئون الخالدة (المعنوية) تنبع من عمله. إن العلاقة الزوجية تنبع من القدر (26). ولكن هذا القدر هو في حد ذاته رهين عمل الرجل أو بعبارة أخرى إن القدر يتبع التدبير.

فهكذا نرى أن أوستا يعطي للمرأة دورا حاسما في حماية الدين والانتماء إلى إيران والقومية وكذلك وقاية أو حماية الرجل من الضلال. كما إن بقاء إيران كبيت لله ودوامها يعتمد على طهارة المرأة وبقائها على موقع رمز الحب والنمو وحسن دين الإيرانيين واستقلالهم. وهذه هي القاعدة التي تحدثنا عنها في ما تقدم: مادام النساء لم يتحررن ولم يجدن موقعهن كرمز الحب والفنان المبدع ورمز الاستقلال فلن تكون إيران المستقلة العامرة إلا حلما حيث أن إيران المدمرة الخاضعة للسلطة واقع يعرض نفسه في الوقت الحاضر أيضا أمام أعين جيل اليوم.

فعلى أي حال‘ وفي عهد الانحطاط ينسى درب آناهيتا مع إيران ومع الدين الحسن ومع القومية. فإنها تصبح مشابهة لآفروديت بعد أن كانت رمزا وقدوة لطهارة المرأة وكانت تستقي من الحب جمالها المبهر ونورها الساطع. وكانت آفروديت إلهة الجمال والهوى وكانت تمارس الهوى الغادر مع جوبيتر (27). فبذلك وفي عهد الإمبراطوريتين الخصمين المتمثلتين في إيران والروم جاء تمركز السلطة في هاتين الإمبراطوريتين ليعرض المرأة للانحطاط بجعلها رمزا للهوى والدمار والغدر. وهذا الانحطاط أدى إلى انحطاط الإمبراطوريتين.

# **القرآن: المرأة رمز الحب والكوثر:**

      كان التضاد الذي هو أساس السلطة قد أصبح في ظل الإمبراطوريين أساس الدين أيضا. وكانت كل ثنائية تعتبر علاقة التضاد وبدورهما كان المرأة والرجل أيضا يصبحان ضدين كما تقدم. وفي دين إيران الرسمي الذي كان رسالة معكوسة لرسالة زراتشت كانت الأرض تصبح سافلة. ومن الأرض السافلة كانت تنبت ثمار عالية مثلما كان الرجل الذي كان عاليا وكاملا يولد من المرأة السافلة.

اما في ديني اليهود والمسيحية اللذين كانا الدينين الحاكمين المتسلطين ومحورين للسلطة فكانت تسود عقيدة بأن: "الله أخلد الرجل في نوم عميق فنزع إحدى فقراته وصور وخلق منه المرأة" (28). فقد خلقت المرأة من المادة ومن أجل تسديد حاجات الرجل المادية التي هي حاجات سافلة.

ولكن خطاب القرآن في ما يتعلق بخلق المرأة يعكس مبدأ التوحيد: المرأة والرجل هما من جوهر واحد ولا يوجد هناك عدم المساواة بينهما في الخلق. إن زوجة آدم خلقت من نفس آدم ليتكامل الزوج أي المرأة والرجل. لم تخلق المرأة لتسديد حاجات الرجل المادية وليست رمزا للهوى وإنما هي العاملة للطمأنينة ورمز الحب والمودة (29):

"وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ".

  المرأة والرجل متحابان وبعضهما ولي البعض الآخر (30):

"وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ".

 لكل من المرأة والرجل فضل (31): "وَلاَ تَتَمَنَّوْاْ مَا فَضَّلَ اللّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُواْ اللّهَ مِن فَضْلِهِ".

وفي المودة والحب تتكامل فضائلهما مع فضل المجتمع وبعضهما لباس للبعض الآخر (32): "هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ"أي إنهما فضلان يتكاملان. وطهارتهما تتحقق بالعدل والحب الذي هو أساس العلاقة الزوجية بحكم الفطرة. المرأة هي قرة عين الرجل المتقي (33): "وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا".

كما إن المرأة والرجل متساويان في الخلق (34): "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ".

ليست ولادة البنت لا يعتبر دليلا على غضب الله على أي والد ووالدة فحسب (35)‘ وإنما تكون أحيانا دليلا على رحمته التامة (36):

"لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ".

"إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ. فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وِإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ".

 وجعل الله مريم رمزا لطهارة نساء العالمين (37):

"وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ"

 بذلك نرى أن خطاب القرآن هو عكس خطاب التوراة. إن القرآن يحقق ما كان قد حققه أوستا الأول: إنه يصفي رسالة إبراهيم من الشوائب وذلك بفارق أساسي وهو أنه يبدأ عملية تخليص رسالة التوحيد من الغيرية بتصحيحه المبدأ الدليل. إنه يحل التوحيد محل الثنائية ويقضي على الثنائية فما بالك بالتضاد معتمدا على مبدأ التوحيد وبذلك يتمتع كل من المرأة والرجل بالمساواة في الخلق وتتخلص المرأة من الغيرية لتصبح رمزا للحب وأما للأنبياء وماء الحياة والكوثر (38): "إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ".

يقول نخبة المجتمع العربي الذين يئدون بناتهم في ذلك العهد أي عهد الانحطاط العام للإنسانية وعهد انحطاط المرأة في موقعها ومكانتها يقولون وهم يستخفون إله محمد: لنا أبناء ولكن إله محمد له بنات (39) : "أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى. تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى". والقرآن يحذرهم قائلا: "وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ. بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ". (40) ولا ولد لله لا الابن ولا البنت (41) "لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ". ولا فضل لولادة الابن على ولادة البنت لأن كليهما مخلوق الخالق. (42): "لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ".

وهذه المرة يراجعون النبي بأنه أبتر لأنه لا ابن له. فيرد عليهم القرآن قائلا: (43):

" إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ. فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ. إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ".

المرأة هي ماء الحياة أو إكسير الحياة وبها يتحقق خلود الكون. وبذلك يتم تطهير رسالة إبراهيم من الأنجاس وهذا التطهير يمثل أمرا ضروريا لهذا العصر الذي جعلوا فيه إسلام محمد (ص) برمته منسلخا من ذاته ويعتبرون المرأة باسم الإسلام رمزا للهوى والدمار وهو العصر الذي وفي مكان آخر وفي ذروة التحضر يعطون الحرية للمرأة ولكن في إطار التنافس في الاستهلاك والهوى والدمار.

إن دراسة موقع المرأة ومكانتها وحقوقها في مجتمعات اليوم ينبغي أن توضح الأهمية الحاسمة لاتخاذ أحد الانطباعين أساسا أو قاعدة: هل المرأة رمز الحب والبناء أم رمز الهوى والدمار؟.

# **المصادر والهوامش:**

1- من Aristote ؛  La Politique (سياسة أرسطو).

 2- توراة التكوين، خلق المرأة و والطرد من الجنة. الفصل الثاني الآيات 2 إلى 23 والفصل الثالث من الآيات 1 إلى 24

 3- التوراة، الفصل الثالث الآية 16

 4- المجلد الأول لأوستا المترجم باللغة الفرنسية‏

 5- راجعوا الفصلين الأول والثاني من مقدمة المجلد الأول لأوستا المترجمة باللغة الفرنسية وكذلك المجلد الثالث لأوستا.

 6- مجلدات أوستا 12. المجلد الأول الصفحات 125-122

 7- هاوتواداتا أو زواج المحارم، أبانديس. الصفحات 134-125 المجلد الثاني لأوستا باللغة الفرنسية.

 8- ونديدا، فلاجرد 19 الصفحتان 264-263 و الصفحات 270-268 من الكتاب ذاته.‏

 11- يسنا 1، آپانديس الصفحة 38 المجلد اول لأوستا باللغة الفرنسية

 12 و 13- ونديدا 20، الصفحة 41 المجلد 3 لأوستا باللغة الفرنسية. يرى مترجم و محقق أوستا أن تأثير الفكر الأفلاطونى واضح هنا في ما يتعلق بالذهن والمادة.

 14- بناء على المبدأين والأزمنة الثلاثة المانوية إن الظلام والنور هما طبيعتان منفصلتان على الإطلاق. ففي الزمن الماضي يوجد كل من الظلام والنور في مجاله منفصلين بعضهما عن البعض. وفي الزمن الأوسط يغطي الظلام النور ويخترقه وينفذ في داخله. في هذا الزمان نفذ الظلام والنور بعضهما في البعض الآخر فأصبحا متداخلين. وفي الزمن الأخير أو آخر الزمان سيتمكن النور من طرد الظلام.

للاطلاع على التفاصيل راجعوا على سبيل المثال الصفحات 88-80   Mani et la Tradition Manicheenneاثر F. Decret

 15- ونديدا فرجرد 18 وهامشا 59 و 60 في الصفحة 252 من المجلد 2 لأوستا باللغة الفرنسية‏

 16- آبان يشت - يشت 5 الصفحات 375-376 المجلد 2 لأوستا باللغة الفرنسية‏

 17- آبان يشت - يشت 5 الصفحة 377

 18- آبان يشت - يشت 5 الصفحتان 381-380

 19- آبان يشت - الصفحات 383-381

 20- ونديدا 1 فرجرد 1 إلى 15 من المجلد 2 لأوستا باللغة الفرنسية‏

 21- آبان يشت - يشت 5 الصفحة 385

 22- آبان يشت - يشت 5 الصفحتان 396-395

 23- آبان يشت - يشت 5 الصفحة 392

 24- آبان يشت - يشت 5 الصفحة 394

 25- أبانديس - يشت 5 الصفحة 399

 26- إيضاحات ذيل ونديداد 5 الصفحة 44، المجلد 3 لأوستا باللغة الفرنسية‏

 27- آبان يشت - يشت 5 إيضاحات الصفحة 365 من المجلد 2

 28- التوراة باللغة الفرنسية – جنة الأرض - الآية 21

 29- القرآن سورة الروم الآية 21

 30- القرآن سورة التوبة الآية 71

 31- القرآن سورة النساء الآية 32

 32- القرآن سورة البقرة الآية 187

 33- القرآن سورة الفرقان الآية 74

 34- القرآن سورة الحجرات الآية 13

 35- القرآن سورة الشورى الآية 49

 36- القرآن سورة آل عمران الآيات 37-35

 37- القرآن سورة آل عمران الآية 42

 38- القرآن سورة الكوثر الآية 1

 39- القرآن سورة النجم الآيتان 22-21

 40- القرآن سورة التكوير الآيتان 9-8

 41- القرآن سورة الإخلاص الآية 3 و...

 42- القرآن سورة الشورى الآية 49

 43- القرآن سورة الكوثر

# **الحب والبناء والحياة أو الهوى والدمار والموت هما أساسان يضفيان للحرية وحقوق المرأة هذا المعنى أو ذاك**

لماذا لم يكن يجري حتى ذلك الوقت حديث عن المرأة باعتبارها رمزا لهذا أو ذاك؟ لماذا وبدلا عن طرح رأيين: المرأة رمز الحب والبناء وإكسير الحياة أم رمز الهوى والدمار والموت‘ يجرون الحديث عن "حقوق المرأة" والتصرفات اللائقة وغير اللائقة؟ لماذا لم يسبق ذلك أن يقول أحد إن المرأة اعتبرت كذا وكذا رمزا في التوراة وأوستا والقرآن؟

ليس هدفي من طرح هذه الأسئلة أن أوحي بأنه لم يسبقني أحد في ذلك وإنما تهدف هذه الأسئلة إلى لفت الانتباه إلى واقع أن المنبهرين الجدد والقدامى ينظرون إلى المرأة برؤية دورها في السلطة. فعلى ذلك كانوا يعرفونها من منظر هذا النوع من السلطة أو ذاك ومازالوا يعرفونها هكذا. فلهذا السبب إنهم يتحدثون عن المعلول بدلا عن العلة. كما وفي المجتمعات الخاضعة للسلطة حتى عندما يسمح بالحديث يجري الحديث عن صنوف الحريات وحدودها بدلا عن المبدأ الذي تجد به الحرية هذا المعنى أو ذاك.

فبذلك‘ إن الحديث عن الحرية وحقوق المرأة فرع للقضية الرئيسية وهي: من المرأة؟ إذا كانت المرأة رمزا للهوى والدمار والموت‘ أفلا يكون طلب الحرية لها طلب مساحة أكبر أمامها لجرها إلى ممارسة الشهوة والهوى والدمار ونشر بذور الموت؟ ولكن إذا كانت رمزا للحب والبناء والحياة أفليست حريتها في أن تخرج من كونها شيئا جنسيا لتستعيد إنسانيتها بكاملها؟ أوليس مشروع حضارة جديدة مشروعا تتحقق فيه الحرية؟ أوليس معيار تحقق الحرية هو تحقق حرية المرأة؟

وإذ إن القول بأن المرأة هي رمز الشهوة والهوى والدمار والموت قد تسلل من الغرب إلى رقعة الإسلام فمن الجدير وبما يبرره الموقف أن أقدم هنا ملخصا من كتب ثلاثة مفكرين شهيرين في العصر الحديث. كنت أعرف اثنين من هؤلاء الثلاثة بقدر أو آخر وهما كانا سيمون دو بوآر وميشل فوكو. اما الكاتبة الثالثة فهي إليزابت بادنتر. إني رأيت سيمون دوبوآر مرة بالصدفة قبل أن تفارق الحياة وحسب تعبيرها الصحيح قبل أن تنضم إلى التاريخ وتسير على مسار التاريخ. ومن المبرر للغاية أن أعيد إلى الأذهان أنها وجان بول سارتر كانا ركنين للجنة الدفاع عن السجناء السياسيين في إيران وكلاهما قد شاركا وساهما في ثورتنا وكنا في أيام الثورة مع السيد سلامتيان نلتقي بميشل فوكو الذي هو الآخر كان عضوا في اللجنة المستقلة للانتخابات الأفغانية. إنه كان يريد أن يعلم ما هي تلك الفكرة القوية التي تمكنت من تحريك شعب بكامله في حركة أدت إلى أول ثورة في تاريخ الإنسانية شاركت فيها كل أبناء شعب جعلوا الوردة تنتصر على الرصاص؟ إنه وبكل ثبات له كان يدافع عن الثورة الإيرانية. وفي الأيام القليلة التي سبقت وفاته وكان جلادو الديكتاتورية الشاملة يعدمون فيها مئات الأشخاص يوميا وكانوا يحاولون تنديم المدافعين عن الثورة من أعمالهم كان قد قال: إن الثورة الإيرانية ظاهرة كبيرة للعصر وإني مازلت أعتبرها من عجائب التاريخ وأعتقد أنها سوف يزيل هذا الحاجز أيضا أي الاستبداد الجديد عن طريقها.

إن استيعاب جوهر كتب هؤلاء الكتاب الثلاثة مفيد جدا من ناحية الطريقة الذاتية: لقد أصدرت سيمون دوبوآر كتابها بعنوان "الجنس الثاني" على مجلدين في عام 1948. آنذاك كانت هي وسارتر "يشتبكان مع الله" وكانا عاكفين على تلفيق الإكزيستانسيالية بالماركسية. مع ذلك إنها وفي كتابها هذا لا تحاول إنكار المسيحية بشكل مطلق ولا تتجاهلها كأنها لا وجود لها ولا تعتبرها دينا يعج بالعيوب والرذائل بل إنها تعمل على فرز الحق عن الباطل برؤيتها. أما الكاتبان الآخران فهما أيضا تعاملا مع الماضي والدين بنفس الطريقة التي هي الطريقة الصحيحة لتنشيط الماضي وليس العودة إلى الماضي.

وكان من الأجدر أن أبدأ في[ تلخيص هذه الكتب من موضوع السلطة (=القوة) التي تحول المرأة إلى شيء جنسي وتعتبر المرأة رمزا للهوى والدمار والموت. ولكن إذ إن هاتين النظريتين الأساسيتين اللتين إحداهما تعتبر المرأة رمزا للحب والأخرى رمزا للهوى تبدوان جديدتين ويجب أن تتعود عليهما الأذهان فأشرع تناول الموضوع مما إذا كانت المرأة رمزا للحب والبناء والحياة أم رمزا لأمور أخرى...:

# الافتقار إلى الحب أو عدم وجود حق يشكل أساس جميع الحريات وحقوق الآخرين:

لقد كتبت إليزابت بادنتر كتابا يتناول موضوع الافتقار إلى الحب الحقيقي وضرورة اعتباره هو المبدأ وإحلاله محل الصنوف الاصطناعية للحب وهي صنوف الحب التي يختلق السلطة (=القوة) حتى تلعب المرأة الدور الذي يروق تلك السلطة (=القوة). أما عنوان الكتاب فهو: L,amour en plus (مزید من الحب). (1). كتبت بادنتر في هذا الكتاب: إن المجتمع الغربي لا يزال يعاني من شح الحب لأن الحب غائب في العلاقات بين المرأة والرجل.. إن تاريخ العلاقات الزوجية هو تاريخ المعركة الصامتة بين الجنسين وهو التاريخ الذي كان يتم التعبير عنه في سيطرة أحدهما على الآخر فكان من الضروري أن يأتي المسيح لاستخدام خطابه لجر الأمور إلى طريق التغيير.. والمسيح الذي كان يعتمد على مبدأ الحب وهو المبدأ الثوري أعلن أن آمرية الأب ليست مبنية على مصالحه وإنما على مصالح الولد الذي من المفترض أن يبحث عن أصله.. أما المرأة أي أم الولد ليست عبدا له وإنما زوجته.. إن المسيح وبترويجه لعقيدة حب الآخر قد احتوى آمرية كل آمر.. فهو دعم العلاقة الزوجية وبعث الحياة في المساواة بين الزوجين بتحويله الزواج إلى عقد إلي... وكانت رسالة المسيح واضحة: "كان الزوج والزوجة متساويين متكافئين وكانت لهما حقوق وواجبات متكافئة تجاه الأولاد" (2) ولكن الكنيسة قلبت الأمر حيث حرم الفقه الديني المرأة من حقوقها وشطب الحب عن العلاقة الزوجية. إن الفقه المسيحي تخلى عن رسالة المسيح وبني على ثلاثة خطابات أخرى: خطاب أرسطو وخطاب السلطة في تعلمه وعلم الكلام الذي كان يبنى على هذين الخطابين وكان يعتبر كون المرأة سفلى مشيئة الله" (3).

وقبل أن نتابع جهد إليزابت بادنتر نتناول تاريخ تطور العلاقات الجنسية و"الجنس الثاني" لأن مؤلفي الكتابين قد شرحا أسباب كون نشوء الحب بين المرأة والرجل أمرا مستحيلا حسب الفكرة الفلسفة اليونانية:

# **استحالة نشوء الحب بين المرأة والرجل:**

 "كان سقراط يفرق بين حب الروح وحب الجسد. وکان یصف حب الجسد بأنه هوى وعديم القيمة والمصداقية وكان يثمن حب الروح ويعتبره الحب الحقيقي. ولكن ما هو الحب الحقيقي؟ الحب الحقيقي يبحث عن الجمال وهو نفسه البحث عن الجمال وهو حب يخصب الفكر ويتفتح ويثمر في الفكر وهو يبحث عن الجمال بذاته. وهو يقول في "فدر": "إن الحب هو في حقيقته وطبيعته وفي خلوصه الصافي وفي "وحدة الصورة" لا يبقى قيد التعلقات السافلة وإذا ما تعلق بشيء مفضل له أي المحبوب فليس إلا بسبب نور الجمال الذي سطع عليه" (4).

فهكذا يجب التمكن من إقامة العلاقة مع "المحبوب" علاقة الدماغ بالدماغ. وعلى المحبوب أن تكون له روح عاقلة وحرة ونشطة. وبين المرأة والرجل ينشأ حب الجسد ولكن لا ينشأ الحب الحقيقي. لأن المرأة وحسب الطبيعة "ناقصة العقل" ولذلك متمسكة بأهواء الجسد وبالتالي إنها ذات نزعة المفعولية في ممارسة الجنس فيما يكون الرجل فاعلا فيها فلا يوجد فيها نور من الجمال.

"إن اليوناني‘ لا يعتبر المرأة أي هذه السجينة في "عقر الدار" جديرة للحب لأنه لا يجدها متكافئة معه. فعلى ذلك يحب مثله في الجنس متصورا أن لهما أبناء حقيقيون أحرار متعقلون مثل جسده. إن الثقافة جزء من الروح العاقلة لأن الكائن الذي ليس متحليا بالروح العاقلة لا يستوعب الثقافة. نعم يمكن تصور نشوء الحب في صفوف أصحاب الثقافة أو المثقفين. فعلى ذلك إن حب غلام جميل نور من حب الجمال بذاته" (5).

"إن العلاقة الرئيسية التي أقامتها الطبيعة بين المرأة والرجل تتمثل في كون الرجل آمرا للمرأة وهذه الآمرية هي أمر شرعي لأنها تعتمد على عدم المساواة بين طبيعتهما.. وهناك موقع ومكانة لكل من أبناء البشر بدءا من العبد الذي لا يمتلك روحا عاقلا وانتهاءا إلى رب البيت يحدد العلاقة بينهم". (6)

"إن المرأة تجسد المادية والرجل تجسد الصورة أي الفكر والذكاء العاقل. وكان أرسطو يعتقد أن الرجل وعند كون المرأة حبلى يعطي للنطفة الصورة أو الذكاء والعقل وإذ إن عقل المرأة ناقص فلا يمكن للرجل أن يقيم العلاقة معها علاقة الدماغ مع الدماغ ولا يمكن له أن يشاورها ويستمع إلى رأيها. أما المكانة الأخلاقية الوحيدة التي يعترف بها أرسطو للمرأة فهي أن " عليها أن تذلل مشكلة الإطاعة في نفسها". إن أرسطو وبكونه يعتبر الرجل لاعب الدور الأساسي في استمرار الجيل واستمرار وجود الروح المبدعة في الإنسان راح يحرر الرجل من كل قيود التعلق بالمرأة ويجعل علاقة المرأة بالرجل أحادية الجانب بقوله: المرأة مملوك الرجل" (7).

إن المرأة وبالنسبه لزوجها تعتبر مالا في عداد الأموال الأخرى‘ كما لا تختلف مكانتها إطلاقا عن مكانة الولد الذي يعتبر مالا أو مملوكا لأبيه. ووصلت سيطرة الرجل على المرأة إلى أن سمح له بأن يضربها وأن يجوعها وأن يجعلها تحت تصرف رجل آخر ليستمتع بها. ونظرا لهذا الواقع العالمي الشامل أي لهذه المكانة والموقع للمرأة تستعيد الآية القرآنية "الرجال قوامون على النساء" معناها الحقيقي.

على أي حال إن مكانة "الأب – الزوج" كصاحب وقادر مطلق تنبع من جوهر قد جبل عليه الرجل: إنها مخلوقة قد جعل الله روحه العاقلة في ذاتها. فعلى ذلك من "الطبيعي" أن يقوم أكمل المخلوقات بممارسة الحكم على المخلوقات الأخرى وهذا لسببين: الأول لسبب مشابهته لله أي كما "يمارس الله الحكم على المخلوقات" والثاني لسبب تحمله المسؤوليات السياسية والاقتصادية والقضائية وعن طريق مشابهته للشاه مثلما "يمارس الشاه الحكم على الرعايا" (8).

إن نظرية التجسد فتح الطريق أمام رأي أرسطو للتسلل في فقه الكنيسة والسيطرة عليه إلى حد تسبب في نسيان رسالة المسيح وصار الحب بين الزوج والزوجة ملوما وبل ممنوعا.

# **علىى الزوج أن لا يمارس الحب للزوجة وعلى الزوجة أن لا تبدي رغبة جنسية:**

 إن إليزابت بادنتر وبعد أن أوردت في كتابها آيات من التوراة في خلق المرأة والرجل ودور المرأة في ارتكاب الذنب الأولي تعتبر نزعة المفعولية عند المرأة وشح الحب في المجتمعات ثمرة مرة لاعتبار التوراة المرأة رمزا للهوى والشهوة والدمار والموت. إن نزعة الهوى للمرأة تخلق بالضرورة نزعة المفعولية عند المرأة لأن حواء باتت سببا لبؤس آدم لتميزها بقابلية التحرش ولكونها خاضعة لأهوائها الجسدية أو بعبارة أخرى لسبب نقاط ضعفها. فلهذا إنها "ضعيفة" وإن تنشطها يساوي تنشط الهوى والشهوة مما يزيد بحد ذاته من الدمار والموت.

وإذ تبين لقارئنا أن مصطلح "الضعيفة" قد تسللت من الفلسفة الأرسطاطالية إلى ادبيات الدين اليهودي ثم حل محل رسالة المسيح وتحول إلى عقيدة دينية عبر طريقين الأول عبر التوراة المؤغرقة (الميننة) والآخر عبر الفلسفة الأرسطاطالية‘ فعليه أن يتابع بمزيد من الدقة مسار تبلور الفقه المسيحي الذي من المؤكد أنه هو الذي تسلل إلى الفقه الإسلامي وحل محل رسالة محمد رغم الخطاب الصريح للقرآن:

كما وإن بعض أئمة الكنيسة جعلوا صورة المرأة أقبح من ذلك حيث شبهوه بالحية التي كانت تعتبر مظهرا للشيطان الوسواس الخناس‘ كما اعتبروا حواء مظهرا للشر واعتبروا المرأة عبر التقاليد أو بفتوى صادرة عن الكنيسة رمزا للشر والهوى والدمار. وهذا التقليد أزال رسالة المسيح وحل محلها:

واعتبارا من القرن الرابع عشر فصاعدا وتزامنا مع ظهور نظرية الولاية وإقامة الشمولية الدينية (9) تم ملء النصوص الفقهية التي كان يتم تدريسها في المدارس الدينية من أقوال وآراء ضد المرأة. فكان سن أوغوستين يصف المرأة بما يأتي:

"هي الحيوانة التي ليست قوية ولا استقرار لرأيها.. بل هي حاقدة وتربي الشرور وهي مصدر النزاعات والصراعات والخيانات وحالات غياب العدل" (10).

ولأن لا تتمكن المرأة من ارتكاب خطأ يجب عليها أن تكون مطيعة لزوجها حتى في شؤون تدبير المنزل والأمور الخاصة لربة البيت. وهنا لا غموض في كلام بنديكت حيث قال: "إذا أرادت المرأة أن تدبر المنزل وتدير شؤون البيت من دون إذن زوجها فهو ارتكبت ذنبا لأن عليها أن لا تقوم بأي عمل من دون إذن زوجها لأن القانون الإلهي وحق الإنسان ينصان على كون الزوجة خاضعة تماما لوصاية زوجها". وهو يجعل هذه الوصاية التامة مستندة إلى ادعاء: "إن الرجل هو صورة الله وإن المرأة هي صورة الرجل" (11).

ولم يكن هذا الادعاء من المسيح وإنما كان من أرسطو‘ فيرى أرسطو أن المرأة تفتقر إلى روح الله أو الروح العاقلة. هذا الرأي تلبس برداء الدين فتم اعتبار إنكاره مساويا لإنكار الدين وتم اعتبار إنكار الدين ارتدادا. فبعد ذلك كان أرسطو هو الآخر أداة للتبرير لأن الكنيسة وفي وصايتها على المجتمع المسيحي كانت بحاجة إلى من يجسد الشيطان وهو كان المراة فبذلك جاء الاستبداد الشمولي للكنيسة ليكون السبب الثالث وراء انحطاط موقع المرأة ومكانتها. فعندما كان الشاعر الإيراني (فردوسي) ينشد قائلا عن لسان أصحاب السلطة:

"ينبغي أن يتم دفن المرأة والتنينة كلتيهما وينبغي أن يتم تطهير العالم من هاتين غير الطاهرتين". وهذا الادعاء لم يكن من المسيح وإنما كان من أرسطو: فكان أرسطو يرى أن المرأة تفتقر إلى وجود الله أو الروح العاقلة. هذه العقيدة تم إلباسها كسوة الدين واعتبر إنكارها مساويا لإنكار الدين وإنكار الدين اعتبر في حد ذاته ارتدادا. فبعد ذلك كان أرسطو هو الآخر وسيلة للتبرير لأن الكنيسة وفي الوصاية التي كانت تفرضها على المجتمع المسيحي كانت تحتاج إلى الشيطان المتجسد وهو كان المرأة. فبذلك جاءت رغبة الكنيسة في الاستبداد الشامل ونفس هذا الاستبداد ليكونا السبب الثالث الذي وقف وراء انحطاط مكانة المرأة وموقعها. فعندما كان فردوسي ينقل عن أصحاب السلطة قولهم:

"ينبغي أن يتم دفن المرأة والتنينة كلتيهما وينبغي أن يتم تطهير العالم من هاتين غير الطاهرتين" كان يعيد الحديث عن العقيدة ذاتها التي خلقها توحد أساس الدين وأساس السياسة وفرضها باسم الدين.

على أي حال إن الاستبداد الشامل ومنذ أقدم الأزمنة وحتى عصرنا هذا قد اعتبر الجنس واحدا من أفعل الأدوات والطرق وإن كل الأنظمة الشمولية قد فضلت ولا تزال تفضل حتما ولاية القائد والتنظيم والكنيسة والفقيه والحكومة و... على ولاية الوالد والزوج. كما إن الكنيسة وتماشيا مع فرض ولايتها أو وصايتها الاستبدادية لم تكن تعتبر الحب الروحي القائم بين المرأة وزوجها أمرا ممكنا كما كانت تمنع من الحب الجسدي أيضا حتى أصبح المجتمع المسيحي مجتمعا يفتقر إلى الحب وكانت تعتبر أنه نعم يجب أن يكون ويبقى الزوجان صديقين بعضهما للبعض ولكن لا يجب ولا يمكن أن يسود الحب بينهما وأن هذا الحب والعلاقة ناجمان عن ضرورة استمرار وتكثير النسل فعلى ذلك يجب أن لا تتجاوز الصداقة والعلاقة الجنسية حدود الضرورة:

"إن الرجل الذي يمارس الحب لزوجته ولا يلتزم بالمحظورات في العلاقة الجنسية فهو زان (12) وإذا لم تلعب الزوجة دور الميت أي إذا لم تتماوت عند ممارسة الجنس فهي نبهت زوجها بأنها تتجسد الشيطان والساحرة" (13).. إن الرجل الذي يقع في فخ جاذبة المرأة فلا يبقى له إرادة ولا مشروع للعمل ولا مستقبل.. فهو لم يعد يكون مواطنا وإنما جسد بات عبدا لأهوائه ورغباته.. ولم يعد يمكن له أن يحصل في المجتمع على مكانة وموقع. إنه متحير بين العذاب واللذة.. إن المرأة الساحرة جعلت الهوى فيه يتغلب على الواجب.. وجعلت آنا أو لحظة يتغلب على مضي الزمان أي على الحال والمستقبل وجعلت الرجل يقع في فخ "اغتنام لحظات اللذة".

فبذلك يصبح الرجل المسكين الباحث عن امتلاك "الآخر" وهو المرأة يصبح "الآخر" أي المرأة بدلا عن الحفاظ على هويته كرجل.. ويفقد العقل والإرادة والذكاء وقوة البناء والإبداع فيصبح بلا عقل وبلا إرادة وملعبة بيد الهوى ومدمرا أي يصبح مرأة" (14).

أصبح انفصال الروح عن الجسد ودونية الجسد وعلو الروح هو المصدر لهذا الانسلاخ عن الذات الديني: "إن المسيحي هو المنفصل عن الذات فإن انفصال الجسد عن الروح أي انفصال الوجود المادي عن الروح العاقلة يتضمن انعكاسا دائما. فمن الولادة إلى الموت تكون كل لحظات حياة الإنسان انعكاسا لهذا الانفصال. إن الذنب الأول جعل الجسد عدوا للروح. إن أي تعلق وحب للجسد عيب وذنب. فحتى نهاية القرن الثاني عشر كان علماء الدين باستثناء سن أنسلم يعتقدون واحتذاء لسن أغوستين أن الذنب الأول ينتقل وراثيا من جيل إلى جيل. فيكتب سن أغوستين قائلا: إن الالتذاذ الجنسي ذنب... إن الجسد الإنساني الذي يولد نتيجة العلاقة الزوجية هو جسد ملوث بالذنب..." إن اجتماع الزوج والزوجة ولكونه يقترن بالالتذاذ منذ ارتكاب الإنسان الذنب الأول وحتى الآن ينقل الذنب الأول إلى الطفل الذي يولد" (15).

ففي ما يتعلق بذلك نرى أن تأكيد القرآن على أن الوليد يفتح عينه على العالم بريئا وطاهرا وعلى فطرته يأتي بهدف مكافحة هذا الاعتقاد المعادي للتوحيد وللإنسانية. كما إن تأكيد القرآن على الحرية التامة للعلاقات الجنسية بين الزوج والزوجة وبل أكثر منه إن اعتبار القرآن مضاجعة الزوج زوجته عبادة يأتيان بهدف مكافحة هذا النوع من حالات الرقابة الجنسية التي تكاد تكون كل الأديان قد اعتبروا الالتزام بها ضروريا وكفيلا للإيمان. إننا سوف نعود إلى تناول هذا الموضوع الهام عند التحدث عن حالات الرقابة الجنسية. أما هنا فنراجع ونطالع ما ورد في كتاب الكاتبة الفرنسية سيمون دو بوآر بهذا الصدد:

على أي حال "إن جميع أولياء الكنيسة يعتقدون ويؤكدون أن المرأة تجر الإنسان نحو ارتكاب الذنب. وهنا ينبغي أن نورد ما قاله ترتولين: "أيتها المرأة أنت باب بوجه الشيطان‘ إنك أقنعت بارتكاب الذنب من لم يتجرأ الشيطان على الهجوم عليه من الأمام. أنت تسببت في تعرض ابن الله للموت. عليك أن تبقي متشحة بالسواد ومغطاة بالحجاب إلى الأبد" (16).

فهكذا تظل الإنسانية منذ قرون محرومة من حقيقة الوجود. يقوم الرجل باستحقار وازدراء المرأة إذن لا يمكن له أن يكن الحب لها. وكما تقول سيمون دوبوآر إن المرأة تولد إنسانة ولكنها "تصبح المرأة" في ما بعد وهذا يتحقق في ظل البيئة الاجتماعية والثقافية التي تقنعها بالدونية (17).

إن الكاتبتين قامتا بقدر أكثر وميشل فوكو قام بقدر أقل بدراسة التعرض للحرمان بالنسبة للمرأة ومصيرها فيما أن تعرض الرجل للحرمان يأتي بنفس القدر لأن الرجل ليس فقط قد حرم من الحب وإنما بات في الحقيقة سببا للعنف والتدمير نتيجة اعتناقه للسلطة (=القوة) باعتبارها أساسا للرؤية في نفسه و"الشخص الآخر" وهو المرأة. فعلى ذلك يبدي القرآن رأيا على عكس رأي أرسطو ومكاتب الفقه اليهودية والمسيحية حيث يعتبر السلطة (=القوة) سببا في الضياع ويعتبر الرجل سببا في الانحطاط أكثر من المرأة.

على ذلك يكون حق الحب هو الحق الأول الذي هو أساس الحقوق الأخرى ويجب خوض النضال لتحقيقه والحصول عليه وهذا الحق يتحقق بفعل تغيير العقائد الغير صحيحة‘ مثلما أصبح الجهر بالعقيدة الغير صحيحة التي كانت قد حلت محل رسالة المسيح سببا في إعتبار المرأة في حقب تجديد الحياة (الرونسانس) إنسانة لها مكانة مرموقة ويحق لها أن تصبح حبيبة أو تتخذ لها حبيبا وأن يكون ذلك الحق أساسا لحرياتها.

# **المصادر والإيضاحات**

 1- تم نشر هذا الكتاب في الأشهر الأخيرة من عام 1982 في باريس وقد ألفته الكاتبة الفرنسية إليزابت بادنتر Elisabeth Badanter.

 2- الصفحتان 37 و38 من كتاب L,amour en plus (مزید من الحب) من تألیف الیزابت بادنتر

 3- الصفحه 40 من الکتاب المذکور فی السطر الأعلی.‏

 4- ميشل فوكو كتب تاريخ العلاقات الجنسية في ثلاثة مجلدات وفي ما يلي العنوان العام للكتاب واسم ناشره:

 Michel  Foucaul, Histoire de la sexualite  )ed( Gallimart

 5- الصفحة 236 من المجلد الآول لكتاب سيمون دوبوآر deuxieme sexe «الجنس الثاني»

 6- الصفحة40 L,amour en plus من تأليف اليزابت بادنتر

 7- الصفحتان 103 و 104 المجلد الأول كتاب «الجنس الثاني»

 8- الصفحة 41 L,amour en plus من تأليف اليزابت بادنتر

9- كان سن أغوستين هو الذي قام لأول مرة بتدوين نظرية ولاية الفقيه وكان هو معتنقا في البداية لعقائد ماني فعلى ذلك ليس من الغريب كونه قد اعتبر المرأة سببا لارتكاب الذنب وإلخ... يذكر أن فكرة ولاية الفقيه قد تمت مناقشتها في عام 1979 في مجلس الخبراء الإيراني. على سبيل المثال راجعوا كتاب L,inquisition ou la dictature de la foi من تأليف  J. Pigle وكتاب Histoire des idees politique من تأليف F. Chatelet وO. Duhamel

 10- اليزابت بادنتر تنقل عن كتاب سن أغوستين بعنوان Soge de Verger.

 11- اليزابت بادنتر تنقل عن كتاب La somme de peche من تأليف Benedicti.

 12- اليزابت بادنتر تنقل عن كتاب بنديكتي الصفحه 83.

 13- الصفحة 226 من المجلد الأول لكتاب "الجنس الثاني" لمؤلفته سيمون دوبوآر.

 14- الصفحة 227 من كتاب "الجنس الثاني".

 15- الصفحتان 231 و232 من كتاب "الجنس الثاني".

 16- الصفحة 232 من كتاب "الجنس الثاني".‏

 17- موضوع الدراسة في الفصل الرابع من المجلد الأول لكتاب "الجنس الثاني" لمؤلفته سيمون دوبووار.

# **من ممارسة الجنس تساوي الموت إلى ممارسة الجنس تساوي الحياة**

إن "الجنس" باعتباره فكرة أو إيمانا أو سلوكا قد شهد تغييرات طيلة تاريخ الغرب ولكن بقي جوهره: "المرأة" ترادف "الجنس" بفارق أنه وفي هذه المرة لم يعد الجنس يرادف الموت وإنما يرادف الحياة بحتة (1).

لماذا كانت ولاتزال "المرأة" بقيت رمزا للشهوة أو الهوى؟ لكونها لعبت أدوارا متزايدا في العلاقات العامة للقوى، فلهذا السبب بالذات أصبحت حرية الجنس التي كانت توصف في الفلسفة اليونانية بأنها الكف عن ممارسة الجنس (2) تتخذ الآن مفهوما معاكسا. من جانب آخر وبالرغم من تزايد "حرية الجنس" بما أن ممارسة الجنس تعكس علاقات القوى فنشاهد ارتفاع وتيرة فرض الحظر والرقابة على الجنس بشكل لا يوصف بحيث:

* لقد اضمحل الحب وجاء الانبهار بالجنس ليحصر مفهوم الحب في ممارسة الجنس وليس إلا.
* حتى الآن لا تعتبر المرأة كائنا مؤمنا.
* يتم استبيان الجنس بالقوة فيما له دور أكثر من ذي قبل في علاقات القوى بحيث فرض هذا الدور المزيد من الحظر والرقابة على الممارسة الجنسية.

إن استبداد القوة حل محل حرية الإنسان ويهدد حرية المرأة قبل كل شيء فيما حولها إلى شيء جنسي وفي نفس الوقت "القوة العاملة" وحتى أصبح حب الأمومة حبا مفروضا بالإكراه والإجبار (3).

فهكذا لم يتم تغيير المكانة الأساسية للمرأة بفعل تغيير مفهوم الجنس ومرادفتها بـ"الحياة" فحسب بل ونتيجة ذلك تحولت المرأة إلى سلعة جنسية والقوة العاملة وآلة في العلاقات. فما هو الحل؟ في كتاب آخر كتبتها مؤخرا بعنوان "أحدهم هو الآخر" تؤكد (اليزابث بادنتر) أن الفوضى الجنسية قد أضعفت الرغبة الجنسية أيضا وليست الرغبة الجنسية بدأت تتقلص فحسب وانما تعرض استمرارية الأجيال لمشاكل حسب تعبير خبراء الديمغرافية. وبالتالي يصبح الجنس وفي الكلام فقط مرادفا للحياة ولكن في واقع الأمر يساوي الموت. هل يكمن حل المشكلة في إنتاج مكائن لتكثير أبناء البشر؟ وهناك توقع بأن تتخلص النساء في المستقبل القريب من عناء الحمل والانجاب. وكان البشر هو الذي ينتج المكائن حتى اليوم والآن أصبحت المكائن هي التي تنتج البشر!!. فهل يبقى شيئ من إنسانية هذا البشر؟

فما هو الحل لهذه المشكلة؟ أي حل تختاره الحضارة الجامدة التي يعيشها الغرب؟ وطلع نطاق الفكرة براعمه الجديدة. وفي كتابها الجديد ترى (اليزابث بادنتر) أنه يجب نبذ المدلولين السابقين وخلق مفهوم جديد. أوصل المدلولان السابقان الحالة إلى طريق مسدود وهما أنه ما إذا كانت المرأة نقيض الرجل أو تكملته، فالحل هو ان نعترف بما يلي:

1. إن المرأة رمز للحب والبناء
2. إن في كل امرأة رجل وفي كل رجل امرأة
3. بينهما يحكم مبدأ التعاون والتنافس (4).

وتتقرب الكاتبة إلى فكرة التوحيد شيئا فشيئا ومرة أخرى يكشف أن ما قاله القرآن بهذا الصدد كلام صادق والعلم يقود إلى القرآن. يقول القرآن منذ أربعة عشر قرنا(5):

"إن المرأة رمز للحب والحياة" والمرأة من نفس الرجل وهما من بعضهما البعض وعلاقتهما قائمة على الحب والعدالة والمبدأ هو التسابق في العلم والعدالة والتقوى والنمو".

لنتابع التطورات العامة في الفكر والسكوك في الغرب على أساس ما تقدم بتفصيل نسبي:

# **المرأة في العلاقات بين الحكومة والمسيحية**

باتساع نطاق سلطة الحكومة أصبح مدى وصاية الأب والزوج على المرأة أكثر محدودية بينما باتت رقعة وصاية الحكومة عليها أوسع، فكون سلطة الحكومة تحل محل السلطة السابقة بشكل متزايد أنزل مكانة المرأة أكثر فأكثر. في الحقيقة باتت المرأة موضوعا للصراع على السلطة في عقر البيت ولهذا اتخذت دورا حاسما في إطار العلاقات الشخصية للسلطة ولو أنها كانت راضخة للأوامر.

ولهذا كانت النساء والعبيد أول من اعتنقوا المسيحية قبل الرجال "الأحرار". ففي خطاب هذا الدين لم تكن هناك ضوابط وأحكام تتطلب ممارسة الضغط على المرأة ومضايقتها. مع ذلك لم يسمح للنساء بالمشاركة في القداديس (6). فهكذا أصبح البيت ساحة لتبرز فيه سلطة المرأة مقابل سلطة المجتمع حيث كان يحميها أساس الدين. ولكن لم تكن تعترف بالمرأة المؤمنة وهي في إيمانها كانت تابعة لزوجها.

انهارت الإمبراطورية الرومانية وحلت الكنيسة محل السلطة الإمبراطورية ونفذت القوانين الرومانية بدلا من الفقه المسيحي وتعززت ركائز النظام الاقطاعي في البلدان المسيحية فيما كانت المرأة تؤدي دورا حاسما في نقل السلطة وتركيزها. ولكن لم تكن تسمح للمرأة بأن تمتلك أراضي لأنها لم تكن قادرة على الدفاع عنها. فلذلك كانت الملكية تنتقل من عائلة إلى أخرى عن طريق الزواج.

إذ إنه وباستيلاء جهة على السلطة وكون جهة أخرى قد خسرها كان لا بد من نقل حالات الملكية أي الأموال والممتلكات من السلطة المهزومة إلى السلطة المنتصرة فكان هناك كثير من حالات الطلاق والزواج المجدد وكانت الكنيسة قد وجدت طريقة "شرعية" كانت توقع وتؤيد بها هذه الحالات من الطلاق والزواج. وهذه المرة كانت السلطة الاستبدادية للكنيسة تحل محل الحكومة وتصبح المرأة إحدى أهم ركائز السلطة الجديدة. فبالتالي قامت الكنيسة بتوسيع سلطتها ووصايتها على المرأة وذهبت في ذلك إلى أنها لم تكن تفقد سيطرتها على المرأة حتى في فراش الجماع (7).

# **السلطة والمرأة**

كلما كانت الكنيسة تصبح سلطة حاكمة وشاملة تدريجيا كلما جعلت الجنس مرادفا للمعصية والموت أكثر فأكثر(8). وبتطور الكنيسة والعلاقات التي كانت تقيمها مع المجتمع المسيحي باعتبارها السلطة الحاكمة أصحبت حقوق الكنيسة تترجم هذه السلطة وتتخذ تشابهات مع الحقوق الرومانية في رؤيتها حيال المرأة. وبالرغم من التطورات في القوانين إلا انه لم يتغير جوهر علاقات السلطة مع المرأة:

إن أول معيار لمعرفة الهوية هو "الجنس" (9). فبذلك تقام علاقات سلبية بين السلطة والجنس، ولا تقيم السلطة علاقات مع الجنس إلا بالسلبية منها: الإبعاد والمنع والنفي والعزل والإخفاء والستر. ولا تستطيع السلطة تسخير الجنس لخدمتها والتمتع الجنسي إلا بالإنكار. فلذلك تأتي المؤشرات الأولية عن تبلور أية سلطة لتبرز في خطابها وأدبياتها حول الجنس (10).

كلما يقيد الجنس بوضع ضوابط جديدة وتحت مختلف الأغطية منها باسم الدين أو باسم منظمة أو باسم حزب أو باسم عقيدة أو باسم التطور‘ إلخ.... وكلما تحل القيود الجديدة محل القيود السابقة وتتحول الانفصالات والعلاقات كلما تتشكل هناك سلطة. وعندما تتحول حركة إلى مؤسسة أو تتحول منظمة سياسية إلى طائفة سياسية فتبدأ التعديل في "ايديولوجيتها" بتغيير خطابها وتعبيرها عن المرأة.

# **إن سمات هذه العلاقة أربعة وهي (11):**

1. وضع أحكام غامضة وغير واضحة وقابلة للتغيير حول ما هو حلال وما هو حرام.

 يذكر أنه ليست هناك سلطة تتمكن من وضع قوانين واضحة وملموسة دون حاجة إلى تفسيرها. إن الجنس خاضع لنظام قانوني مزدوج: نظام مشروع ونظام غير مشروع أو نظام مسموح ونظام غير مسموح، حيث وحسب الظروف يتبدل مكان الشرعي وغير الشرعي أو المسموح وغير المسموح. فهكذا من مؤشرات تحول الخطاب الديني أو الأيديولوجي إلى الخطاب السلطوي هو ظهور هذا النظام المزدوج الذي تتيح فيه حالات الغموض لأن يجعل الأمر الشرعي أمرا غير شرعي والأمر الغير شرعي أمرا شرعيا عند الحاجة.

من الواضح أن القانون لا يحكم على السلطة، لكون السلطة وبخطابها هي التي تمنح الصلاحية للقانون. فلذلك ليس القانون واضحا ولا ثابتا على الاطلاق. والأهم من كل ذلك أن هناك ما يفوق القانون وهو صلاحية واضع القانون أو الزعيم أو ... وله صلاحية جعل الحلال حراما أو الحرام حلالا وسلطته على الإنسان و"الأعراض" والأموال سلطة مطلقة.

# **2- تحديد دائرة المحظورات حسب توقعات السلطة**

إن ما يبرز في الخطاب العام للسلطة حول الجنس هو النفي والمنع: لا تقترب‘ لا تلمس‘ لا تتمتع أو لا تستمتع‘ لا تتحدث عنه واحتجب وانس نفسك كرغبات للجنس. إن القانون الرئيسي التي تطبقه السلطة هو قانون النفي والمنع وهدفها هو أن ينسى الجنس طبيعته لينسلخ عن ذاته لحساب طبيعة السلطة. إن السلطة تجعل الجنس أمرا غير طبيعي وتحوله إلى أمر من نوعه. فلذلك عندما ترفع سلطة أو عقلية شمولية مكانة المرأة فهي ترقيها جسديا أو جنسيا أي الجسد أو الجنس اللذان نال سلطة ومكانة "سياسية".

وللحصول على غايتها تحشد السلطة صلاحياتها لفرض العقوبات وتقديم الحوافز على أقصى الحد: إذا كنت تريد أن لا تستبعد فلا تنسى أن هناك واقعا واحدا وهو السلطة. والجنس لا يعني شيئا إلا عندما يسدد حاجات السلطة. إن أولوية السلطة أو أفضليتها أمر مطلق. وعليك أن تستمتع بالجنس من خلال إرضاء رغبات السلطة الحاكمة. إن بقاءك وموقعك مرهونان بإطاعتك المطلقة للسلطة.

# **3- حالات الرقابة الجنسية والعقلية الكامنة فيها**

تعتبر حالات المنع والرقابة الجنسية أكبر مشكلة في المجتمعات اليوم. فباتت حالات الرقابة والمنع الجنسية في المجتمعات الغربية أكثر مما في المجتمعات الأخرى فيما تبدو أنه تسودها فوضى"الحريات الجنسية"، وذلك بسبب الدور الذي تلعبها السلطة في جعل المرأة تنسلخ عن ذاتها لحساب الجنس والجنس ينسلخ عن ذاته لحساب السلطة، فمن الأجدر أن نرى عند متابعة الموضوع ما هو التعريف العام الذي يشمل مختلف انواع السلطة سواء من القديمة أو الجديدة منها؟ وهذا التعريف المنقول عن ميشل فوكو ما يأتي (12):

# **ما هي السلطة؟**

إن السلطة لا تعني مجموعة من المؤسسات والأجهزة التي تضمن امتثال المواطنين لحكومة معينة كما لا تعني نوعا من الانقياد الذي وخلافا للعنف له شكل من الاتفاق وأخيرا لا تعني نظاما سلطويا عاما أقامته مجموعة ضد مجموعة أخرى ونظام مؤامرة يكون قد استولى على المجتمع برمته بعد إتساع نطاقه.

فأكثر من أي شيء آخر يجب أن تعتبر السلطة علاقات مختلفة للقوة وهي العلاقات التي عندما تقام في أي مكان تعتبر قائمة على ذاتها وتصبح مكونة لمؤسسة القوة.

أما السلطة فهي الدور الذي يغير هذه العلاقات أو يعززها أو تقلبها رأسا على عقب عن طريق المناضلات والصدامات الدائمة. وحينا أخر تكون السلطة هي المعتمد الذي تجده علاقات القوى هذه في بعضهما البعض وبشكل من الأشكال تؤسس سلسلة أو نظاما، واحيانا بعكس ذلك، تكون هي التناقضات التي تفصل هذه العلاقات. وأخيرا تمثل السلطة استراتيجيات تتجسد فيها هذه العلاقات وتتبلور في الأجهزة الحكومية ووضع القوانين وفي الهيمنة والتفوق الاجتماعي.

تحضر السلطة كل مكان وذلك ليس بسبب سيطرتها على كل شيء في كل مكان وإنما لكونها تنبثق من كل شيء في كل مكان. إن السلطة وفي الصفات الدائمة المتكررة والتلاعب الذاتي ليست إلا نتيجة مجموعة من علاقات القوة وإنها تأتي نتيجة سلسلة تحركات لعلاقات القوى والتي وفي الوقت نفسه تعزز وتقوم كلا من هذه التحركات وبدورها تكرس كلا منها.

فطبقا لهذا الوصف يمكن أن توصف السلطة بما يلي:

إن السلطة ليس ما يكتسب أو ينتزع من يد شخص آخر أو يتم تقسيمها. كما إنها ليس ما يحتفظ به أو يسمح له بأن ينفلت‘ بل السلطة تنبثق من نقاط عديدة وتجري في لعبة العلاقات المتحركة المتحولة وغير المتكافئة:

* ليست علاقات السلطة وبالنسبة للعلاقات الأخرى (العمليات الاقتصادية وعلاقات التعرف والعلاقات الاجتماعية) أمرا خارجيا وإنما أمر ذاتي بالنسبة لها. إن علاقات السلطة تأتي نتيجة مباشرة لحالات عدم المساواة والاختلال في التوازن التي تصيب أنواعا أخرى من العلاقات. إن علاقات القوى وفي حد ذاتها تشكل الظروف الداخلية لهذه الحالات من الاختلال في التوازن ومن الانتقال وعدم المساواة.

إن السلطة تنبثق من الأسفل أي أن السلطويين والرعايا لا يشكلون الزوج الأساسيين المتناقضين وإنما توجد هذه الازدواجية من الأعلى إلى الأسفل وفي كل مكان من المجموعات المنعزلة حتى عمق المجتمع. إن العلاقات متعددة الجوانب وكثيرة الجوانب للقوى التي تتشكل في منظومات الإنتاج والأسر والمجموعات المحدودة والمؤسسات تلعب دورا في ما هي عامل حاسم لتمييز الأسفل من الأعلى والرعايا من المتسلطين... إن حالات السلطة الكبيرة تأتي نتيجة لمجموع هذه الصدامات وحصلية لمجموع علاقات القوى التي يسود شكلها المجتمع من العمق إلى الظاهر.

* مع ذلك إن علاقات القوى أمر إرادي وغير شخصي. يذكر أن السلطة لا تفرض إلا إذا استدعت مقاصد شخصية فمن هذه الناحية تعتبر إراديا ولكنه لا يعني أن فرضها يأتي نتيجة قرار أو انتخاب شخص معين.

لا تحكم الهيئة صاحبة القرار ولا المجموعة الخاصة ولا المجموعات التي تشرف على الأجهزة الحكومة ولا الذين يتخذون القرارات الاقتصادية الهامة على مجموعة من شبكة السلطة الموجودة في المجتمع. ولا تتشكل عقلانية السلطة من حكم عقل شخص واحد أو مجموعة واحدة وإنما تنبثق عقلانية السلطة من مجموعة من الأساليب التي تستخدم في مختلف المستويات وبأكثر أشكال وضوحا وصراحة ويكمل بعضهما البعض مثل حلقات السلسلة.

* إن المقاومة ضد السلطة أمر داخلي وذاتي للسلطة. فهناك مقاومة أينما تكون السلطة. إن المقاومة عن طريق الضرورة أمر داخلي للسلطة. وترغب السلطة في أن تحتجب من المقاومة ولكنها لا تتمكن من التهرب منه، لأنه وبالنسبة للسلطة تمثل أية مقاومة في حد ذاتها أمرا داخليا وخارجيا. وليس أمرا داخليا على الإطلاق لأنه مقاومة ضد السلطة، وليس أمرا خارجيا لأنه يشتبك مع السطة.

إن مختلف نقاط المقاومة تعتبر خصوم السلطة وأهدافها. إنها موجودة في جميع شبكات علاقات السلطة. فلذلك ليس هناك مركز واحد للمقاومة أو روح متمردة وحيدة وإنما هناك كثير من البؤر والمراكز وروح التمرد التي تتخذ صفات مثل "الممكنة" و"الضرورية" و"غير المحتملة" و"العفوية" و"الوحشية" و"العنيفة" وإلخ....

والآن وبعد أن تم إيضاح مفهوم السلطة وسماتها فمن السهل الفهم لماذا لا يمكن للجنس أن ينسلخ عن ذاتها لحساب السلطة دون الرقابة. لأنه ومن دون حالات المنع والرقابة لا يتحول الجنس إلى القوة ولا يمكن استخدامه كالقوة.

إن حالات الرقابة الجنسية التي تفرضها السلطة لها 3 أشكال وهي:

* حالات الرقابة بمثابة الوقاية من ظهور بعض العلاقات والأعمال أو وضع الضوابط لإزالة بعض العلاقات والأعمال؛
* حالات الرقابة بمثابة منع التفكير والتحدث عن الأمور الجنسية؛
* حالات الرقابة بمثابة جعل بعض العلاقات والأعمال الجنسية أمرا ممنوعا.

إن السلطة تخلق الحالة بين ثلاثة أشكال من حالات الرقابة بحيث تجري بينها حالة السببية: يجب عدم التحدث عما هو المحظور حتى يتم إزالته في عالم الواقع. ما ليس له حق الوجود فليس له حق التعبير. فلذلك يجب عدم التفكير والتعبير عن ما يجب أن لا تحدث وإذا حدث فيجب إزالته. فهكذا يتبين أن عقلية السلطة حول الجنس هي عدم الوجود وعدم الحدوث وعدم التعبير (13).

فعلى أساس هذه العقلية عندما لا تفكر ولا تتحدث عما يجب أن لا تحدث فلن يحدث. وعند ما لا تفكر ولا تتحدث عما هو المحظور فهو لن ينفذ. إذن فإن سبب حدوث أمر يجب أن لا يحدث وكذلك ارتكاب عمل محرم ليس إلا التفكير وبالتالي التحدث عنه. ولكن في الوقت نفسه يكون التفكير والتحدث بدورهما من الأمور الذي يجب أن لا تحدث وهما أمران محرمان يجب عدم ارتكابهما.

إن عقلية السلطة فيها تناقض فلذلك تكون كذبة، لأن ما يجب أن لا يوجد لو لم يوجد لما أمكن التعبير عنه، فلذلك إن الأمور التي يجب أن لا توجد فهي أمور موجودة فعلا. وإذا كانت موجودة فيتم التفكير فيها ويتم التحدث عنها. فهكذا إن ما تقدم ذكره من حالات العدم الثلاث المذكورة تستخدم في الحقيقة لتحويل الجنس إلى أداة بيد السلطة:

4- إن السلطة حول الجنس وفي جميع المستويات تمارس بشكل متكافئ وهي أي السلطة من أعلى المستويات إلى أدناها، وفي جميع قراراتها العامة وكذلك في جميع شبكاتها الواسعة والجهاز أو المؤسسة التي تعتمد عليها، على حد سواء، تعمل حول الجنس بشكل منسجم وشامل. إن الجهاز الذي أحدثته السلطة لتحويل الجنس إلى القوة فيه محور من القانون وعجلة من المحظورات وأسنان من حالات الرقابة.

حيث عند ما تعمل فهي تحرك تلك المحور وهذه العجلة والأسنان بالجملة وفي دفعة واحدة.

من الحكومة إلى الأسرة، من الملك إلى الأب، من المحكمة إلى الأحكام والعقوبات الفردية، تكون السلطة الممارسة مماثلة وهي الحقوق ذاتها مع لعبة الشرعي وغير الشرعي والمخالفات والعقوبات.... إن الغاية من فرض السلطة هي الاحتواء وإخضاع الآخرين للأوامر.... وفي آخر المطاف يأتي الامتثال للأوامر ليكون هو نتيجة جميع أشكال السلطة والانقياد والتبعية(14).

والآن وبعد أن تم إيضاح مفهوم السلطة وسماتها ومظاهرها وكيفية استخدامها فمن السهل الفهم لماذا وحسب تعبير سيمون دوبوفار بسبب العلاقة السلبية بين السلطة والجنس تكون حرية المرأة أمرا سلبيا وفارغا(15).

وفي الحقيقة وبظهور الليبرالية وباتخاذ كون الفرد هو الأصل أساسا لكل شيء باتت السلطة وباعتبارها علاقة القوة امرا فرديا أكثر من ذي قبل: لكون السلطة إراديا، ولكونها أصبحت فرديا أكثر مما مضى، باتت المرأة تتمكن أكثر مما في الماضي من أن تقرر مصير جنسها. ولكن إذ إن السلطة أمر غير شخصي فلا تتمكن المرأة على مضض من ممارسة هذه الحرية إلا بشكل سلبي.

لأن تفرد القوة في علاقات القوة قد تسبب في أن ترجح كفة معادلة "المرأة ترادف الجنس والجنس يرادف الموت" لصالح الجنس وليس لصالح المرأة: فباتت المرأة ترادف الجنس والجنس يرادف الحياة. ففي هذه المعادلة، للمرأة صلاحية استخدام الجنس كأداة القوة، وهذا هو معنى "الحرية السلبية" و"الحرية الفارغة".

إن هذا التغيير في المعادلة لم تخدم المرأة وإنما خدم السلطة، لأنه ولجعل الجنس مرادفا للحياة لابد له أن يصبح مرادفا للقوة. ولكن عملية تطور السلطة هي عملية تدمير الإنسان، لكون إحدى سمات السلطة هي التدمير لتتمكن من البناء. فباتت الجنس يرادف الحياة ولكن "حياة السلطة" وبالتالي يرادف موت حرية الإنسان. وهكذا الحل يكمن في إحداث تغيير جذري في المعادلة لصالح المرأة: إن المرأه لا ترادف الجنس.

ولكن التطور العام في المجتمعات الغربية تسبب في ازدياد حالات استخدام السلطات الأربع لا سيما حالات الرقابة الفردية. فبالتالي لا يتم التغيير في المعادلة بتغيير طريقة التفكير فحسب، إذن ما هو الحل؟

# **المصادر والإيضاحات:**

1- الصفحات 98- 680 للمجلد الأول من كتاب Histoire de la sexualite لمؤلفه ميشل فوكو

 2- الصفحات 107-91 من الكتاب‏ ذاته.

 3- الفصل الثالث من كتاب L,amour en plus لمؤلفته اليزابت بادنتر

 4- الفصل الثالث من كتاب  L,un est L,autre لمؤلفته اليزابت بادنتر

 5- نقلنا الآيات التي ترتبط بكون المرأة مظهرا للحب و... إلخ في الفصل السابق.

 6- الصفحات 117-109 من كتاب الجنس الثاني لمؤلفته سيمون دوبوآر

 7- الصفحات 121-117 من الكتاب ذاته.

 8- الصفحات 211-177 للمجلد الأول من كتاب Histoire de la sexualite لمؤلفه ميشل فوكو

 9- الصفحات 105-101 من الكتاب‏ ذاته.

 10- الصفحات 120-107 من الكتاب‏ ذاته.

 11 و 12 - الصفحات 135-121 من الكتاب‏ ذاته.‏

 13- الصفحات 120-111 من الكتاب‏ ذاته.‏

 14- الصفحتان 113-112 من الكتاب‏ ذاته.‏

 15- الصفحتان 264-265 من كتاب الجنس الثاني لمؤلفته سيمون دوبووار

# **هل خلق العنف وحب العنف أمران جوهريان بالنسبة للمرأة؟**

الآن وبعد أن علمنا أن المرأة وعلى مضض تساوي الجنس عندما ينسلخ الجنس عن ذاته لحساب القوة، يجب البحث عن الجواب على تساؤلنا أنه لماذا وبعد ما أصبح الجنس يساوي المرأة من جهة وأصبح يساوي القوة من جهة أخرى ليست المرأة لم تصبح تساوي القوة فحسب بل وحتى أصبحت مساوية لعدم القوة أو بالأحرى مساوية للقوة السلبية.

أي القوة التي تزيل حريتها وتجعلها عاملة لتخريب نفسها ونفس الآخرين ومساوية للموت. لم تصبح المرأة مساوية للقوة لأنه عندما تصبح المرأة مساوية للجنس بينما الجنس يساوي للقوة، فيمكن امتلاكها واستخدامها.

إبان التطور الذي شهده الغرب، من انهيار الامبراطورية الرومانية حتى ظهور المجتمع المسيحي تسيطر عليه الكنيسة ومن الديكتاتورية الشاملة للكنيسة حتى يومنا هذا، قد تطورت الأفكار تجاه المرأة تزامنا مع احداث التطور الاجتماعي.

قبل أن نوسع الجواب على السؤال المذكور ونتابع ما تسبب في خلق الحالة الراهنة للنساء في المجتمع الغربي أثناء أحداث التطور العام في الغرب، نناقش التغيير في أساليب التفكير.

قد تكون في هذا النقاش فائدتان: الأولى، إنه يسهل فهم القسم الثاني من هذا الفصل والثانية إنه يبين للقراء أهمية البحث عن عوامل تؤدي إلى أي تطور اجتماعي في ما يتعلق بفهم الأوضاع الراهنة.

كتبوا وقالوا إن فهم أجزاء من هذا النقاش "صعب". إني أعلم ذلك، فبرغم أني أحاول نقل وجهات نظر الكتاب ومناقشتها بأبسط لغة إلا أنه لا يمكنني أن أكتب أبسط مما أكتب الآن، خشية الابتعاد عن حقيقة وجهات نظر الباحثين.

ففي هذا الفصل، إن القارئ يجد القسم الأول سهلا والقسم الثاني صعبا إلى حد ما، لان القسم الأول يخص التاريخ في ما يناقش القسم الثاني الأسباب خاصة ما يتم نقله عن لسان وقلم فيلسوف مثل فوكو. فآعلق آمالي على جهود القراء تماما.

 إلى الذين يشعرون بالمسئولية وعازمون على إعادة الثورة الإيرانية من الإنحراف إلى مسارها الحقيقي بإرادتهم الراسخة. إلى الذين هم عشاق عازمون على سلوك طريق بمائة عام بين عشية وضحاها واجتياز فجوة التخلف على مدى قرون بقفزة واحدة. فأرجو أن لا يتخلوا عن هذه الدراسة قبل فهمها كاملة.

# **عبور المعنوية إلى المادية:**

منذ ظهور المسيح أصبح وجه المرأة وجها روحيا: إن ما كان الرجل يتمنى أن يجده في المرأة من الجمال والحفاوة والاخلاص لم يكن يعتبر بعد سمات للمرأة بمثابة الشهوة والهوى وإنما كانت سمات المرأة تعتبر سمات لها بمثابة رمز للحب.

وأصبحت المرأة روح البيت والأسرة ومركز الطائفة والقوم والأمة. كما كانت المدينة والوطن يوصفان بالأم لأنهما كانا يربيان المجتمع في حضنهما. ففي التوراة ليست بيت المقدس وبابل قد وصفتا بالأم فحسب وإنما وصفتا بالزوجة أيضا (1).

وتؤسس المسيحية توحد المرأة والرجل، موضحة أن المرأة لا تماثل الرجل إلا أن تنكر جسدها، وهو الجسد الذي يساوي الجنس، لكونه قد تسبب في ارتكابها الذنب الأول، فعندما تنكر جسدها وتصبح أما مثل مريم تصبح ألمع رمز أو مجسد للانتصار.

إن انتصارها يعتبر انتصارا للنخب على الذنوب. إن المرأة التي تعد هكذا من ضمن الرجال المنتصرين هي صورة مقلوبة لحواء وتسحق رأس الحية تحت أقدامها. إنها وسيطة الخير كما كانت حواء وسيطة الشر (2).

وهكذا، تم اتخاذ أول خطوة انحرافية من تعاليم المسيح: تم تعيين الإنكار ليكون ثمنا لمماثلة الرجل. ومن ثم تم اتخاذ الخطوات اللاحقة أيضا...

في عصر النهضة كانت الفلسفة الأفلاطونية التي امتدت من إيطاليا إلى سائر المناطق في أوروبا، تضفي للحب والمرأة طابعا روحيا، أما نحلة الأصالة الإنسانية التي وجدت إثر نفوذ الفكر الإسلامي وتحولت إلى تيار ثقافي واسع النطاق كانت تنوي تصفية التعابير في الإنجيل والتوراة من الشوائب.

وردا على الادعاءات التي أطلقوها أصحاب العقلية السكولاستيكية كان أراسم الذي كان من المصلحين الدينيين ومن رواد حركة مدافعي الأصالة الإنسانية يقول: إن حواء تعني الحياة وآدم يعني الأرض. تم خلق المرأة بعد الرجل فهي أكمل منه‘ خلقت المرأة في الجنة ولكن خلق الرجل فی خارج الجنة‘ وعندما يغوصان في الماء تسبح المرأة فيه ولكن الرجل ينغمس فيه‘ خلقت حواء من ضلع أدم وليس من التراب‘ والحيض يعالج كل أمراض المرأة‘ وكانت حواء جاهلة فيمكن وصف عملها بالخطيئة فقط‘ ولكن عمل آدم كان ينبثق من علمه فهو الذي ارتكب الذنب بالذات (4).

تؤيد سيمون دوبوفوار أحاديث المصلحون الدينيون حيث كانوا يقولون إن الاستبداد الرجال قد حرم النساء من الحرية غير أنه ليس لحرمان النساء من الحرية أي أساس ديني بل مصدر هذا الحرمان هو القوة والقمع.

وفي القرن السابع عشر عادت أوضاع النساء لتتدهور. وكان بسوئه يقول: ليست المرأة إلا جزءا من الرجل وعقلها أيضا ليس إلا جزءا من عقل الرجل. وبرغم ذلك وفي كتابه بعنوان "المرأة العفيفة" يدعو (بوسك) Boscq إلى إصدار الرخصة للنساء بالدراسة (5) لأن النساء كن غير مسموح لهن بالدراسة آنذاك.

وكان الفيلسوف الفرنسي (ديدرو) وهو مؤلف الموسوعة يرى أنه تم وضع القوانين في جميع المجتمعات ضد النساء. وكان (مونتسكيو) يعتقد أن على النساء أن يطعن الرجال ويقول: إن كون المرأة لها السلطة في البيت أمر يخالف الطبيعة والعقل.

في كتابه بعنوان "إميل" يعتبر (روسو) المرأة عاجزة عن التفكير العالي ويصف المرأة العالمة بأنها مصيبة للزوج والأولاد، لأنها تستخف بواجباتها النسوية استنادا إلى دراستها للعلم‘ فيجب إلزام المرأة بالبيت، حتى باستخدام القوة إذا لم تقم بذلك طوعا. إن المرأة مدبرة لشؤون البيت ولا يحق لها أن تتدخل في ما يتعلق بشؤون خارج البيت، ويجب أن تكون حالها في البيت كحال الراهبة في الدير (6).

إبان الثورة الفرنسية، حظيت النساء في الطبقات الوضيعة بالحرية وذهبن في نضالهن لنيل الحرية إلى أن طالبن بإصدار بيان مثل إعلان حقوق الإنسان وبعنوان إعلان حقوق الإنسان للمرأة. ولكن عندما هاجمت النساء مبنى المجلس العام صرخ (شومت) الذي كان المدعي العام بوجههن قائلا: "منذ متى سمح للنساء بأن ينسين زينتهن ويحاكين الرجال؟ لقد قالت الطبيعة للنساء: أيتها المرأة ابقي في بيتك لتعتنين بالأولاد وتقومي بواجبات البيت والأمومة (7).

مع ذلك وإبان الثورة وخلال الفوضى نالت النساء بعضا من الحريات. ولكن عندما تم تنظيم المجتمع وجدن أنفسهن مقيدات من جديد. وعلى هذا الأساس تكون الفكرة المسيطرة حول النساء هي نفس الفكرة اليونانية. وفي بداية القرن التاسع عشر كان "المفكرون الرجعيون" مازالوا يروجون للنظرية القائلة: "إن المرأة خلقت لرحاب الأسرة ولا لتكون عضوة فعالة في المجتمع السياسي كونها عاجزة عن أي نوع من ممارسة الحكم حتى الحكم في شؤون البيت".

وكان بالزاك يقول: للمرأة قدر واحد فقط وهو أن تجعل قلب رجل ينبض. إن المرأة مملوكة يمكن امتلاكها بالعقد. إنها ممتلك يمكن نقله لان حيازته لا يحتاج إلى وثيقة فالحيازة ذاتها دليل على امتلاكها.

فبرغم كل ذلك، وفي القرن التاسع عشر كانت حركة الاصلاح مناسبة لمنح النساء حقوقهن وتحسين أوضاعهن. ولكن (برودن) قطع علاقة الاشتراكية مع الاهتمام بالنساء. إنه كان يقول: على النساء أن يبقين في البيت. وكان يرى النساء دون الرجال متذرعا بأن القدرة الجسدية للمرأة تعادل ثلثين لقدرة الرجل الجسدية كما كان يرى أن المرأة ومن الناحية العقلانية والأخلاقية تبلغ ثلثي الرجل. فلذلك الفارق بينها وبين الرجل هو طرح مضروب 8=2\*2\*2 من 27= 3\*3\*3.

وكان أنغلس يرى أن حرية النساء شريطة مشاركتهن في الإنتاج كعاملات. ولن تتحرر النساء إلا بعد أن تكون واجبات البيت جزءا ضئيلا من ممارساتهن اليومية. إن تحقيقات فوكو وحقائق اليوم تثبت عدم صحة نظرية أنغلس: إن القمع الجنسي في الطبقات الكادحة يتم أكثر بكثير.(8).

منذ بداية القرن التاسع عشر شاركت النساء في الإنتاج وتعرضن لعملية استغلال كانت أكثر إخجالا بكثير من استغلال الرجال (9).

واليوم وفي العقود الأخيرة من القرن العشرين، أضيف عبء الاعالة أيضا إلى تدبير شؤون البيت. ففي الكثير من البلدان ما إن بلغت النساء سن الشباب حتى يشخن ويستنزفن ثم يمتن (10).

حتى الخمسينيات لم يكن للنساء في معظم المجتمعات الغربية حق التصويت. ففي بداية القرن العشرين كان المعارضون لحق النساء في التصويت يستدلون على ما يلي:

إن المرأة محبوبة أكثر مما يمكن السماح لها بالتصويت فالمرأة تفقد جاذبيتها إذا قامت بالتصويت، وهي في حال التصويت تفقد كل شيء وفي الوقت نفسه لا يحصل على شيء. إن المرأة تحكم على الرجل دون حاجة إلى ورقة التصويت. البيت هو مكان المرأة. إن الجدل والحوار السياسي يشوشان أجواء البيت.

وتختلف النساء عن الرجال، إن التصويت واجب وعبء وليس حقا، فلماذا يجب وضع هذا العبء على كواهل النساء؟... في فرنسا نالت النساء حق التصويت في عام 1945.

إن التدقيق في تطور الأفكار يبين القضية الرئيسية والوحيدة لمن يعتبر: كانت الكنيسة تفقد السلطة فيما كانت هناك مراكز جديدة في السلطة تدافع عن تربية وتعليم المرأة وحقوق المرأة وإلخ...

كانت مقاومة الكنيسة شرسة بحيث وفي أي مجال أخر لم تكن للكنيسة مقاومة إلى هذا الحد. ولاتزال تستمر الكنيسة بهذا الالحاح لان كل من يسيطر على المرأة يسيطر على كل شيء لأنه ومن خلال المرأة يسيطر على الأولاد والزوج أيضا (11).

فلذلك كان المعارض والموافق على حد سواء ومازالا ينظران إلى المرأة وحقوقها وواجباتها من منطلق السلطة، بحيث يرى (فرويد) طبيعة المرأة أنها داعية للعنف.

المازوخية والنارسيسية ونزعة المفعولية هي سمات "المرأة الطبيعية" الثلاث:

حسب التحليل النفسي الذي يطبقه (فرويد) فلمعالجة أي مريض نفسي يجب البحث عن أمه، لانها هي المسؤولة الوحيدة عن عقل اللاوعي لولدها، وأحيانا تكون معالجة المريض رهينة معالجة أمه:

لانه لا يمكن معالجة المرض من دون استئصال جذوره. و تجد جذور المرض لدى الأم. فهكذا يتم تكرار التعبير الشائع في القرون الماضية برداء العلم: إن المرأة هي الروح المخربة والمدمرة. لماذا تمثل المرأة الروح المخربة؟

يجب البحث عن الاجابة من خلال النظر في التطور الجنسي للمرأة:

يرى (فرويد) أن عملية التطور التي تحول الطفلة إلى المرأة تتضمن مرحلتين كبيرتين وكل واحدة منهما لها مراحل مهمة.

إن المرحلة الأولى هي مرحلة ثنائية الجنس وهي المرحلة التي يتسم فيها الطفل والطفلة بكلا الجنسين. والمرحلة الثانية هي مرحلة التطور من ثنائية الجنس إلى الجنس النسوي.

في المرحلة الأولى تتضمن تركيبة جنس الطفل نزعة المفعولية فيما تتضمن تركيبة جنس الطفلة النشاطات الرجولية. فلذلك يكون الطفل والطفلة ثنائية الجنس أو ذوي جنسية مزدوجة.

في المرحلة الثانية تشعر المرأة بالعقدة الرجولية وبالحساسية الشديدة تجاه الظلم الذي لحق بها نتيجة حرمانها من الجهاز التناسلي الرجولي. ومن هذا الشعور تنبع عقدة النقص وعقدة الدونية.

هذه العقدة تخلق فيها حالة من العصيان حيث "تغمرها الرغبة الشديدة في امتلاك الجهاز التناسلي الرجولي"، و"عندما تكشف عن تعمم هذه الخصوصية السلبية بين النساء" يتنزل موقع المرأة والأم لديها بحيث تبدوان لديها إنهما حقيرتين. حتى عندما تفقد كل أملها في امتلاك الجهاز التناسلي الرجولي، فإن الرغبة في امتلاكه تبقى في لاوعيها لفترة طويلة.

ومن هنا قد تشهد حياة الفتاة 3 تطورات: التطور الأول هو المنع والامتناع عن ممارسة الجنس الأمر الذي يؤدي إلى ضيق الفرج.

والتطور الثاني هو إصرار الطفلة على اكتساب الرجولية وهي ترفض أن تتخلى عن فكرة امتلاك الجهاز التناسلي الرجولي.

ففي هذه الحالة تصاب "بعقدة الذكورية" وحسب تعبير بنابارت (13) إن هذه الحالة هي حالة من طلب الرجولية. إن التطور الثالث هو الذي فقط يؤدي إلى "النسوية الطبيعية"، ففي هذا التطور تتخلى الفتاة عن رغبتها في امتلاك الجهاز التناسلي الرجولي.

وترى ماري بنابارت أنه وفي هذه الحالة تقر الفتاة بكونها امرأة. أما المرأة الطبيعية والمرأة الحقيقية هي المرأة التي تخلق إثر التطور من نوعه الثالث.

في تحليل المرحلة الثالثة يرى فرويد واتباعه أن:

الفتاة تشهد ثلاثة تحولات نفسية وجنسية بعد أن كشفت أن الجهاز التناسلي الرجولي قد سرقت منها:

1. العداء تجاه الأم
2. التخلى عن الجهاز التناسلي الأنثوي باعتباره أداة للتمتع
3. تقوي نزعة المفعولية فيها ما يقترن بحب الأب.

# **وإثر تحليله هذا تصف فرويد المرأة بما يأتي:**

"يجب الاقرار بأن المرأة وللرغبة القوية فيها في امتلاك الجهاز التناسلي الذكوري ليست ملكة الدعوة للعدالة. وحرصها على القضايا الاجتماعية أقل من حرص الرجال عليها. إن قوة تصعيد الغرائز فيها ضعيفة... إن رجلا في الثلاثين من عمره كائن شاب وغيرمتكامل وله جدارة... ولكن امرأة في الثلاثين من عمرها وعلى عكس الرجل تصاب بالذعر من انجمادها وعدم إمكانية تطورها... كأن التحول نحو الأنوثة قد جفف مواهبها الفردية".

 ترى (هلن دوتش) أن "المرأة الطبيعية" لها ثلاث خصائص وهي: إنها ذات نزعة المفعولية ومازوخية ونارسيسية (14).

# **نزعة المفعولية:**

يقول (هلن دوتش): "إن هذه المعادلة الأساسية أي المرأة=ذات نزعة المفعولية والرجل=الفاعل موجودة في جميع الثقافات والأعراق وبأشكال ودرجات مختلفة".

ولتسهيل فهم موضوع نزعة المفعولية هذا يجب متابعة موضوع نمو "الغرائز الجنسية" في المرأة: فمن جهة تكون القابلية للإثارة الجنسية في الفتيات أقل وأخف ومن جهة أخرى يكون في جهازهن التناسلي "أقل من القابلية" للحصول على الغايات الغريزية ذاتها. فهذا الخلل العضوي يدفعها إلى التخلي عن الاستمتاع ما ليس إلا ترك الفاعلية واعتماد نزعة المفعولية.

 ولفترة طويلة من الزمن، لا يحل الجزء الداخلي من الجهاز التناسلي للمرأة، محل العضو الفعال أي الجزء الخارجي منه. وفي هذه الفترة تتعرض الفتاة وللمرة الثانية إلى العوق. فهي تعاني في المرة الأولى من فقدان العضو الفعال، ولكن الآن يعتمد العضو الداخلي في الواجب الجنسي على فعالية الرجل تماما. فهذه الحالة المتمثلة في عدم الفعالية العفوية يشكل الأساس الفيزيولوجيكي لنزعة المفعولية الأنثوية.

المازوخية:

إن المازوخية تأتي نتيجة نزعة المفعولية للمرأة وهي الخصوصية الأساسية الثانية لـ"المرأة الطبيعية". في البداية، تكون للأطفال سواء من الطفل أو الطفلة، حالة عصبية متماثلة ولكن بعد أن يكبر الأطفال تدريجيا لا يعود يمكن لهم إظهار هذه العصبية بشكل متكافئ أو متماثل.

إن العصبية لدى الطفل تتجه بسهولة إلى خارجه ولكن عصبية الطفلة تتجه إلى داخلها. إن هذه العصبية المقهورة والمتحيزة ضد المرأة نفسها هي المازوخية الأنثوية ذاتها. "الحمد لله على أنها تعدل نتيجة النارسيسية الأنثوية وتظهر للعلن في الشعور بالحاجة إلى تلقي الحب".

وإيضاحا لعملية التطور في المازوخية تقول (هلن دوتش): في المرحلة التي تكره فيها الفتاة أمها تكتشف هي بداخلها رغبة جنسية مفعولية في والدها.

 وتعتبر الفتاة والدها عن اللاوعي خاطبا لها وتتوقع منه أن يمسك بزمام المبادرة، وهنا تتحول عصبية الفتاة إلى المازوخية أو الاستعطاف.

# **النارسيسية أو حب الذات:**

إن النارسية وهي الخصوصية الثالثة لدى "المرأة الطبيعية" تعدل المازوخية. إن حب الذات يظهر في مرحلة من النمو الجنسي للفتاة حيث تحب الطفلة ذاتها.

إن حب الذات هذا يلعب دورين هامين: من جهة يعوض خزي الاحتقار التناسلي ومن جهة أخرى يسيطر على النزعة المازوخية وتمنع المرأة من الانزلاق إلى الغايات الخطرة.

بفضل وجود حب الذات، يقوم ذات المرأة بالدفاع عن نفسه ويحافظ على أمنه. إن هذه المازوخية ضرورية لتمرير المراحل الأساسية في الحياة أي ممارسة الجنس والإنجاب والأمومة أو المراحل التي تلازمها المعاناة.

يرى فرويد وأتباع مدرسته أن الطبيعة قد خلقت المرأة بحيث أن تستمتع فيما تحيط بها المعاناة والآلام والعنف، فلذلك قد جبلت المرأة على العنف وإن العنف والألم عنصران ذاتيان بالنسبة لبيولوجيا المرأة. فإن المرأة التي لا تحب العنف والألم ليست "مرأة طبيعية" (15).

وعلى هذا الأساس، إن العمل الجنسي الذي لا ترافقه عصبية الرجل لا يمتع المرأة. حتى عندما يكره الوعي الذاتي للمرأة العنف الذي يستخدمه الرجل فإن اللاوعي الذي لديها يطلب من الرجل بشدة أكثر أن يستخدم العنف(16).

إذا كانت المرأة حتى ظهور الفرويدية و"عهد العلم" وحسب تعبير التوراة ملعونة وحسب تعاليم الكنيسة تتمكن من التخلص من لعنة الله بإنكار جسدها، ولكن الآن وبموجب التعبير العلمي للفرويد يعتبر هذا التخلص ذاته مرضا نفسيا.

إن المرأة الطبيعية وبإنجابها طفلا وبأمومتها وبالمضاجعة وبجميع نشاطاتها الحيوية تخلق العنف. وليس هي تخلق هذا العنف بصورة الألم والمعاناة فحسب بل تدفع الرجل أيضا إلى أن يخلق القوة والعنف بمختلف اشكالهما.

فلذلك إن المرأة هي الروح المخربة أو المدمرة. إن المرأة التي لا تدفع الرجل إلى استخدام القوة والمرأة التي لا تحب ذاتها والمرأة التي لا تكون ذات نزعة المفعولية فهي مريضة. لأن "المرأة الطبيعية" لها هذه الخصوصيات الثلاث. إن خوض المرأة ساحة السياسة والنشاطات الاجتماعية الأخرى يزيد من نسبة العنف والتخريب في المجتمع (17).

وتكتب اليزابث بادنتر أنه وبرغم إصدار كتاب "الجنس الثاني" بقلم سيمون دوبوفار كانت النساء حتي عام 1980 (18) ضحايا لتعاليم "اسطورة العلم": كانت بيئة حياة المرأة الغربية مليئة بالعنف فيما كانت تتصور بأن سبب تكثيف بيئة العنف هو أن المرأة الغربية تصبح أكثر "طبيعية". ولكن الحقيقة كانت على عكس ذلك تماما. وليست نزعة المفعولية والمازوخية والنارسيسية ذاتية للمرأة وإنما عرضية بالنسبة لها:

ولا تعتبر سيمون دوبوفار نزعة المفعولية والمازوخية والنارسيسية هي الخصوصيات الثلاث لـ"المرأة الطبيعية" وإنما تعتبرها من خصوصيات "المرأة غير الطبيعية" وتقول بأنه إذا كانت هناك نزعة المفعولية والمازوخية والنارسيسية باعتبارها خصوصيات المرأة فإنها أمراض أصيبت بها النساء إثر إعطائهن موقعا اجتماعيا أدنى.

ويجب عدم اعتبار المرض العرضي ما يخص لبيولوجيا المرأة. إن مصدر النارسيسية في المرأة يكمن في حب الذات بمثابة شيء مطلوب. ففي مجتمعاتنا منذ قديم الزمان لحد اليوم تعتبر المرأة التي ليس لها جسد يثير الهوى امرأة سيئة الحظ.

فلذلك تربى الطفلة منذ البداية بحيث تصبح "امرأة"، بعبارة أخرى يفترض عليها أن تنظر في جسدها بنظرة غرامية وتوحي بأنه جميل... وكون المرأة غامضة يأتي نتيجة عدم السلطة الذي هو أمر اجتماعي يدفع المرأة إلى أن تضفي لنفسها شخصية غامضة.

إذا أردنا ان ننتقد نظرية سيمون دوبوفار فلابد أن نقول إنه عندما نعتبر السلطة هي علاقة القوة فمن هذا المنطلق تخفي المرأة أضعاف ما تكشفه أو تقوم بتعريته من الجنس.

إن المزيج "الغامض" للمرأة العريانة والمحجبة بمثابة الجنس، هو الذي يخلق القوة الجنسية التي تستخدمها المرأة. وعلى هذا الأساس لا يأتي غموض المرأة من افتقارها للسلطة.

لأنها كلما تكسب المزيد من السلطة كلما تصبح غامضة أكثر. لأنه وبزيادة السلطة يجب جعل مزيج العرى والتحجب أكثر غموضا حتى يمكن أولا الاحتفاظ بالسلطة وثانيا إخماد العطش لطلب المزيد من السلطة.

فعلى أي حال، عندما ترمي امرأة نفسها في أحضان رجل ترى نفسها كأنها فينوس ملأت العالم بكنز الجمال حيث أن عيني الرجل المادحتين تعكس الجماليات أحسن من المرآة... فعلى ذلك إن تصور النفس امرأة يساوي تصور النفس مطلوبة ومحبوبة.

فلذلك إنها محكوم عليها بأن تهرب إلى جانب أخر. فهي لا تستطيع أن تتأكد من كونها مطلوبة ومحبوبة إلا بأن تنظر إلى مرآة أخرى.

إن هذه التبعية للآخر، تجرها إلى سلطة تمتدحها. إن التوحد مع السلطة أو جعل السلطة أن تتوحد معها، هو الذي يسبب مرض المازوخية. إن العنف الذي تتطلبه المازوخية ليس إلا الشعور بالسلطة وكشف السلطة في النفس (19).

بعد ثلاثين عاما من إصدار كتاب سيمون دوبوفار تصاعدت الحركة المدافعة عن حقوق المرأة بداية في أمريكا ثم في الغرب بأسره.

كانت (كيت ميلت) أول من وجهت الانتقاد وبشكل تفصيلي إلى أفكار (فرويد) حول المرأة قائلة:

من غير الواضح إطلاقا لماذا يفترض أن الطفلة تصاب بعقدة الذكورية وبالتالي بعقدة النقص بعد ما قارنت جهازها التناسلي مع جهاز الطفل التناسلي؟

إن (فرويد) يحل السبب البيولوجي محل السبب الاجتماعي المتمثل في اعتبار المرأة أسفل من الرجل من دون أن يتجشم عناء تقديم دليل على ذلك. فإذا كانت الطفلة وبعد هذه المقارنة تشعر بالنقص ليس إلا بسبب أن المجتمع هو الذي يعتبر الفتى والفتاة على موقعين غير متساويين.

وليست خصوصية المرأة في نزعة المفعولية ثابتة فحسب وإنما أثبتت دراسة سريرية أجريت على 6 آلاف امرأة أن المرأة فعالة جنسيا. وليست المازوخية خاصة لـ"المرأة الطبيعية".

إن المازوخية موجودة ولكنها مرض وليست ما جبلت المرأة عليه بيولوجيا. وإذا كانت المازوخية سمة للنساء أكثر من كونها سمة لغيرهن ليس ذلك إلا لأن النساء هن ضحايا الاغتصاب الجنسي ولا الرجال.

وإنها ليست سمة جوهرية وإنما لها جذور في العلاقات الاجتماعية وفي الثقافة وفي التقاليد وفي الخوف الشديد الذي تشعر به المرأة من كابوس "الاغتصاب" (20).

ولم يبق الفرويديون صامتين تجاه هذه الانتقادات فيقومون بتكرار آراء فرويد باستخدامهم مختلف المصطلحات والعبارات. ولكن لم يتم حل المشكلة بعد، إلا أن التطور المهم الذي حصل هو انكسار "أسطورة العلم".

إن الذين لا يعرفون شيئا عن التطور في التفكير والتعامل مع قضية المرأة، وحتى لا يعرفون ما هو عدم الرضوخ الجنسي أو المازوخية، قد اتخذوا من جهلهم دليلا على هجومهم الباطل على القرآن متذرعين بأن القرآن أمر بضرب المرأة!

والآن عليهم أن يقرؤوا ليعرفوا أن القرآن هو الكتاب الديني الوحيد الذي:

يعتبر المازوخية مرضا ويعتبر المرأة والرجل من طبيعة واحدة وهي فطرة التوحيد ويرى أن طبيعة المرأة خالية من العنف، فلذلك وصف إثارة العنف بأنها مرض اجتماعي.

وبما أنه لا يعتبر المازوخية سمة للمرأة الطبيعية والرجل الطبيعي بل يعتبرها ناجمة عن الإنتاج واستخدام العنف في جميع النشاطات في أي مجتمع، كما إن القرآن وخلافا لرأي فرويد يحدد ويشترط استخدام العنف لتهدئة المازوخية (20):

* إن منهج القرآن قائم على مبدأ التوحيد وعدم القوة. فلذلك يجب تحويل الرؤية المريضة حول المرأة من أن "المرأة تساوي الجنس وتساوي العنف وتساوي الدمار" إلى أن "المرأة تساوي الإنسان وتساوي الحب وتساوي الحياة".

وبذلك ليتم معالجة هذا المرض بتغيير العلاقة غير المتكافئة بين المرأة والرجل ورفع القوة عن هذه العلاقة وإحلال الحب محلها، حتى يتم إنجاز هذه المعالجة التي هي معالجة جذرية كي لا تصبح المازوخية سببا في الإخفاق الجنسي،

وأن لا يتسبب هذا الإخفاق في الكثير من الأزمات، وعندما تكون المرأة مازوخية بشدة في ممارسة الجنس فلابد من استخدام العنف. وهكذا يصبح العنف الضروري والعام الفرويدي والذي يخص لمجموعة المرضى يصبح عنفا استثنائيا ومقيدا ومشروطا.

* وما يثير الاستغراب أكثر هو أن فرويد ومحللي النفس الآخرين يعتبرون استخدام العنف أمرا ضروريا للتمتع الجنسي ويمنحون للرجل الحق في أن يستخدمه حسب مزاجه وبأيه نسبة يراها ضرورية.

ولكن القرآن إذ يعتبر المازوخية مرضا ويعرف أن استخدام العنف من قبل الرجل يؤدي إلى إدمانه وانحرافه نفسيا فلا يوصي باستخدام العنف إلا في مرحلة تشتد فيها المازوخية.

وقد أوكل القرآن الصلاحية لتشخيص مدى العنف المستخدم إلى من له الكفاءة، وفي عصرنا هذا هم أطباء النفس (21).

واليوم وبعد إجراء دراسات عديدة حول المجتمعات الخاضعة للسلطة (22)، قد أصبح واضحا بأن المازوخية مرض تصاب به المرأة والرجل في المجتمعات الخاضعة للسلطة.

وحسبما تصدره المازوخية من توجيهات "الجنسية" فإن المجتمعات الخاضعة للسلطة تثير السلطويين لممارسة العنف والعصبية. ولكن إذا أنزلنا الجنس من الموقع الإلهي فسوف نرى أن العلم يؤكد تعبير القرآن:

إن إنتاج واستخدام العنف أمران جوهريان لعلاقات السلطة. إني وفي نظرية السلطة قد اعتبرت تطورية العنف إحدى حالات تطورية السلطة ووضحت أن علاقة القوى تفقد حقيقتها من دون إنتاج العنف واستهلاكه المتزايدين.

إن المازوخية والنارسيسية ونزعة المفعولية تحت السلطة هي من مضاعفات إنتاج واستهلاك العنف‘ وإن إنتاج العنف واستهلاكه ومضاعفاته لا ينخفض إلا بثورة تنهي علاقات الحاكم والمحكوم وتجعل الحرية أمرا شاملا وحقيقيا.

 فلذلك لن تستطيع أن تغير قبل أن تتغير، وإلا وفي إطار علاقات القوة، ليس "شعر المرأة فيه أشعة أو الكهرباء" فحسب بل وكما قال ميشل فوكو إن جسدها يتسبب في الهستريا فسوف تصاب بهستريا فور أن تلمسها.

**المصادر والإيضاحات:**

 1- الصفحة 247 من المجلد الأول لكتاب Deuxieme sex الجنس الثاني، من تأليف سيمون دوبووار

 2- الصفحات 238-236 من الکتاب ذاته‏

 3- علی سبیل المثال راجعوا:  Histoire de la Pensee europeenneاز  R. Nandrouقسمت سوم Des Humanistes aux Homme de science

 4- الصفحات 128-126، الجنس الثاني، المجلد الأول

 5- الصفحتان 129-128 الجنس الثاني، المجلد الأول‏

 6- الصفحة 312 لكتاب L,amour en Plus لمؤلفته اليزابت بادنتر

 7- الصفحتان 133-132 للمجلد الأول من كتاب الجنس الثاني

 8- صفحات 159-158 Histoire de la sexualite از ميشل فوكو

 9- الصفحتان 134-133 كتاب الجنس الثاني

 10- من كتاب Femmes du tiers monde لمؤلفه  J. Bisilliatو M. Fielou  وقد تم نشر خلاصة هذا الكتاب في صحيفة "انقلاب اسلامي".

 11- الصفحه 339 L,amour en plus

 12- الصفحه 164 Freud, Nouvelles conferences  نقلا عن اليزابت بادنتر في كتابها L,amour en plus

 13- الصفحه 82 Sexualite de la Femme از M. Bonaparte منشورات 110- باريس عام 1977 نقلا عن اليزابت بادنتر في كتابها L,amour en plus

 14- الصفحات 218-154 من المجلد الأول لكتاب La Pszchologie de Femmes از  H. Deutsh منشورات P.U.F نقلا عن اليزابت بادنتر في كتابها L,amour en plus

 15- الصفحات 404-395 من كتاب L,amour en plus

 16- الصفحات 421-419 من الكتاب ذاته‏

 17- الصفحات 205-202   من كتاب Politique du Male لمؤلفه K. Millett نقلا عن اليزابت بادنتر في كتابها L,amour en Plus

 18- الصفحه 420 من كتاب L,amour en Plus لمؤلفته اليزابت بانتر

 19- الصفحات 357-354 من المجلد الثاني لكتاب Deuxieme Sex  من تأليف سيمون دوبووار

 20- الصفحتان 431-430 من كتاب L,amour en Plus لمؤلفته اليزابت بادنتر

 21- الآية 34 من سورة النساء، ونحن سوف نناقش تفاصيل الموضوع في مكانه. إن ما ينبغي قوله هنا في ما يتعلق بهذه الآية هو أن القرآن وفي افتراض موضوع عدم ركون المرأة لممارسة الجنس يستثني أولا السبب الاجتماعي السياسي أي إذا كان عدم الركون لسبب خلافات عائلية وغيرها فهو يقترح حلا آخر ولكن إذا كان السبب هو المازوخية فقط فهو لا يسمح بما هو أكثر من الحد الأقل. سألوا النبي: بأي شيء نضرب المرأة فأجاب بالطين! أو بعبارة أخرى يجب أن يكون العنف قليلا وممتزجا بالمحبة لكي لا يتسبب في انحرافات نفسية ومشاكل.

 22- على سبيل المثال راجعوا كتاب "المغضوبين على الأرض" من تأليف فرانتس فانون ترجمة أبو الحسن بني صدر.

# **القواعد الأربع**

تابعنا نهج تفكير وسلوك الغربيين تجاه قضية المرأة ولاحظنا كيف تم إعادة مصداقية التعبير الديني عن المرأة التي كانت "رمزا للتهديم أو الدمار والموت" من خلال تعبير فرويد "العلمي".

أصبح التهديم والفتك عنصرين جوهريين بالنسبة لبايولوجيا المرأة فيما أصبحت المرأة عنيفة وداعية للعنف حسب طبيعتها. وقد حان الوقت الآن لأن نبحث عن إيضاح عام لذلك التطور في نهج التفكير والسلوك على ضوء القواعد الحاكمة على السلطة بمثابة علاقة القوى.

وفي معرض إيضاح ذلك يقدم فوكو القواعد الأربع. فأحاول تبسيط تعبيره الغامض:

# **القاعدة الأولى:**

القاعدة الأولى تقول بأن السلطة لا توجد من دون المعرفة والعلم. ليس للسلطة إلا شيئان: المعرفة والعلم والتنفيذ. وبرغم ذلك إن المعرفة مستقلة عن السلطة وتكون خارجها.

بينما ليست السلطة مستقلة عن العلم، فالعلم أمر داخلي للسلطة فيما إن السلطة تابعة للعلم. برغم ذلك إن علاقة السلطة بالعلم هي علاقة التناقض. يبدو أن هناك تناقض في هذا الكلام.

ولكن عندما ننظر إلى الأمر بدقة فلا نرى أي تناقض، لأن أية سلطة يرافقها مستوى معين من المعرفة. وإذا تجاوزت المعرفة ذلك الحد فلا تتلاءم والسلطة. فلذلك أية سلطة تعتبر مانعا أمام تطور المعرفة والعلم ونموها خارج حدودها.

إن هذه النظرية جزء من التعبير العام الذي قد وضحته عدة مرات:

وللعمل جزءان وهما المعرفة والتنفيذ، فلا يوجد عمل من دون المعرفة. كما للسياسة والسلطة (بمثابة الحكومة) أيضا جزءان وهما المعرفة والتنفيذ، فلا توجد هناك حقيقة خارجية للحكومة من دون إيديولوجيا.

فلذلك إن الذين يقولون بضرورة الفصل بين الدين والسياسة، في الحقيقة إما لا يعرفون أن السياسة تفقد حقيقتها من دون "الفكرة" أو يريدون إحلال "فكرتهم" محل الدين.

بل وعلى عكس ذلك إن شعار الفصل بين المؤسسة الدينية والمؤسسة السياسية شعار صحيح ومفهوم يجوز الدفاع عنه.

وبالمناسبة أطرح نقاشا جديدا وهو موضوع الكذب. فلهذه المناسبة أو تلك قد وضحت أنه لا يمكن إطلاق الكذب من دون تناقض.

والآن أضيف إلى ذلك أن أية كذبة تكشف أيضا عن الخلفية الفكرية للكذاب ورقعة عمله. في الحقيقة لا يمكن للكذاب أن يختلق الكذبة خارج خلفيته الذهنية والفكرية ورقعة عمله ونشاطه.

على سبيل المثال إن شعار الفصل بين الدين والسياسة كذبة. فلذلك من المفترض أن يكون فيه تناقض وإنه متناقض فعلا. إن للسياسة وفي إي من تعاريفها الثلاثة جزءان بالذات أي المعرفة والتنفيذ.

عندما ليس جزء المعرفة دينا فمن المفترض أن تكون هناك "فكرة" أو عقيدة أو معرفة أخرى وإلا ستصبح السياسة كلمة جوفاء.

وكما ستلاحظون عند مناقشة قاعدة أخرى من القواعد الأربع، فإن كل معرفة تتلاءم مع سلطة معينة وفي تعبير محدد. إذا لم تكن هناك معرفة فلا تتبلور السلطة ولا يمكن التعبير عنها.

وهكذا نرى أن فصل الدين عن السياسة يعتبر امرا لازما ومطلوبا وضروريا من جهة ومن جهة أخرى يصبح أجوف، إلا أن يكون هدف الداعي هو إحلال "فكرة" أو عقيدة أخرى محل ذلك وهو كذلك فعلا.

أما الجديد فهو أن الكذب ليس فقط يوجد فيه تناقض وإنما يكشف الخلفية الذهنية للكذاب ونيته أيضا. ولغرض التمرين نقوم بطرح وحل هذه المسألة:

ما هي الخلفية الذهنية والنية لدى الشخص الذي يطلق شعار "ليكن الدين منفصلا عن السياسة"؟ نعرف من الخارج أن كل من يطلق هذا الشعار يوحي بانه "ليبرالي".

فلذلك وفي النظرة الأولى، يبدو أن متحمسي هذه النظرية هم ليبراليون، ولكن الشعار نفسه ينفي أن من يطلق الشعار هو مدافع عن الليبرالية.

لأن من ميزات الليبرالية هي أنها تعتبر "الفكرة" أي الجزء الأول والأساسي وغير المنفصل للسياسة قابلة للتبديل والاستبدال وتعارض احتكار "الفكرة" وعدم قابليتها للاستبدال.

إنها لا تؤمن بضرورة عدم كون الدين ومع الماركسية أو الاشتراكية جزءا أساسيا في السياسة، كما لا تؤمن حتى بضرورة كون الليبرالية "الفكرة" الاساسية والدائمية والاحتكارية للسياسة.

تقول الليبرالية إن المجتمع هو الذي يحدد وبأفكارها أية "فكرة" أفضل وبانتخاب الأغلبية تسمح لسياسة تتضمن تلك الفكرة بأن تتحقق.

إن هذه الليبرالية ولأول مرة طرحت في القرآن: لكم دينكم ولي دين (1) فبشر عباد الذين يستمعون القول ويتبعون أحسنه (2).

وفي التاريخ كان علي (ع) هو آول رئيس حكومة قام بتطبيق هذا المبدأ، بينما:

لم تقم الليبرالية في الغرب بتطبيق هذا المبدأ الأساسي الذي يعود له بالكامل لا في المجال الاقتصادي ولا في المجال السياسي.

على أي حال عندما تم إطلاق شعار فصل الدين عن ساحة السياسة، فإن من يطلق هذا الشعار لا يريد تحقيق الليبرالية وإنما يريد تحقيق إيديولوجية السلطة.

ولو أطلق نفس الشعار الذي يطلقه الليبراليون الغربيون وهو "فصل الكنيسة عن الحكومة" وقال إن رأي الجمهور هو الذي يقرر أية معرفة وأية فكرة تكون أحد الجزءين للسياسة والحكومة، لكان قد قال كلاما خاليا من الغموض ولكان الكلام يدل على أن قائله ليبرالي.

كان من شآن هذا الكلام إزالة المخاوف الموجودة في المجتمع والمساهمة في اقتراب الصبح المشرق.

إن السؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا قد تحول هذا الشعار الأصح الذي يزيل مخاوف المجتمع من مصير الدين وخطر عودة الديكتاتورية المضادة للدين إلى شعار خاطئ قد لوث منذ قرن مضمون النشاط السياسي في بلادنا وأبقى إيران مكبلة خاضعة لقيود الديكتاتورية؟ ذلك لسببين:

1. كما تظهر تجربة الحكومة الماسونية خلال السنوات الثمانين الماضية، ليست غاية من يطلق هذا الشعار هي اقامة الليبرالية في إيران وإنما الاستيلاء على السلطة.

إنه يعرف إذا اتخذ من حرية انتخاب نوع السياسة التي لا محالة هي حرية انتخاب نوع العقيدة و"الفكرة"، شعارا له فعلى الارجح ستختار أغلبية المجتمع سياسة يكون الدين هو "فكرته" الأساسية.

في الحقيقة وباختياره شعار فصل الدين عن السياسة يريد حرمان الأغلبية من حقها.

1. واضافة إلى ما تقدم من الدليل، إن السبب الثاني والقوي هو أن الدين إندمج مع مؤسسة الدين ووجد أشخاصا يدعون رعايته يقومون باعتبار كل من قال إن مضمون السياسة قد يكون فكرة غير الدين "مرتدا اعتبارا من اليوم" ويبيحون إراقة دمه وذلك من أجل الحفاظ على "احتكارهم".

بينما يعتبر الدين هو اللغة الأصلية، لأن الدين إما هو أحسن الأقوال فإذن يجب عليه أن لا يخاف من الأقوال الأخرى ولا يمنع من التعبير عنها باستخدام القوة أو ليس أحسن الأقوال.

وفي هذه الحالة، تكشف القوة هوية من يستخدمها، أي تكشف للجميع أن فكرته ليست أحسن فكرة. وتنتج القوة عكس ما هو نتيجة مطلوبة: فيتعرض الدين للنفي والإنكار ويتقلص عمره.

فهكذا يكمن الحل في أن يقوم المتدينون الذين لا يريدون أن يصبح الدين متجرا باتخاذ ما يدعو القرآن إليه شعارا لهم.

والذين ليس لهم غاية إلا حرية العقيدة ويريدون أن يتم التعبير عن المعارف بحرية وتعرض للمجتمع السياسات المختلفة ويكون المجتمع هو الذي يختار، وأن ينبذوا الكلام الكاذب المتمثل في فصل الدين عن السياسة والحكومة ثم وبدلا عن ذلك يختاروا شعار فصل المؤسسة الدينية عن المؤسسة الحكومية متخذين من مبدأ قابلية إحلال "الفكرة" (باعتبارها أحد الجزءين وهما السياسة والحكومة) شعارا لهم.

يبدو أنه وهكذا تزول إحدى أهم حالات الغموض ويتم تمهيد الأرضية المشتركة الضرورية لتسييس العلاقات بين القوى السياسية وتحقيق الديمقراطية.

على أية حال يقول الفيلسوف صاحب مدرستنا إن السلطة هي التي تحدد حدود المعرفة. ولفهم كلامه أذكركم بأن العلاقة بين السلطة والمعرفة هي علاقة المستخدم وما يتم استخدامه.

يذكر أن السلطة التي تخضع لاستخدامها من قبل المعرفة لم تعد تكون السلطة. لأنه لابد للسلطة أن تستخدم المعرفة لتصبح السلطة. فلذلك إن كل سلطة تتناسب مع معرفة.

وإذا أرادت المعرفة أن تتجاوز الحدود المتلائمة مع السلطة فتستخدم السلطة الرقابة للحيلولة دون زوالها. بما في ذلك إن معرفة القضايا الجنسية في كل عهد تكون تابعة لشكل السلطة في ذلك العهد.

بعبارة أخرى لا يقع ما من القضايا والعلاقات الجنسية في دائرة المعرفة إلا بقدر ما تسمح السلطة.

في ما يخص نقاشنا إن هذا الكلام من الفيلسوف له أهمية حاسمة، لأنه طالما تكون العلاقات الاجتماعية علاقات السلطة يكون العلم مقيدا بصنوف حالات الرقابة.

وأهم من ذلك، إنه طالما تكون السلطة هي التي تحدد حدود المعرفة ويتسبب تغيير العلاقات بين المعرفة والسلطة في إزالة السلطة، ليست قضايا كقضية التحجب والسفور إلا أكذوبة من الأكاذيب الخطيرة في أيامنا هذه.

لانه عندما تتجاوز المعرفة حدود دائرة السلطة فتزول السلطة. وإذا تقدم السفور إلى أن يتجاوز حدود (الجنس بمثابة السلطة) فيكون قد أزال السلطة.

وإننا نعرف أن علاقات القوى في المجتمعات الغربية أصبحت أمرا فرديا وراحت تصبح أكثر فردية. لذلك وفي الغرب وبرغم انتشار السفور فيه فإن التحجب وبمثابة الحدود التي يجب على المعرفة أن لا تتجاوزها يتم الالتزام به أكثر بكثير.

إن هذا الكلام يبدو غريبا ولكنه حقيقة محددة وملموسة. وبرغم أني سوف أعود إلى هذه الحقيقة المحددة عند مناقشة "قضية التحجب"، ولكن تجنبا من أن يكون الإيضاح ناقصا وغامضا، أضيف أن القضية في الأنظمة اليوم ليست قضية السفور والتحجب، وإنما هي قضية صنوف المزيج بين التعري والتحجب متلائمة مع مختلف أنواع السلطة.

ومن أجل ذلك وباستخدام القوة وأنواع حالات الرقابة، يمنعون من طرح القضية بشكل موضوعي: إن الأساسين أحدهما السلطة والآخر عدم السلطة يستوجبان نوعين من النظام والعلاقات.

إن تحجب الرجل والمرأة وباعتباره ما يمثل العلاقة الاجتماعية تابع لهذين الاساسين. أما القضية التي يجب حلها فهي ما يأتي:

في مشروع حضارة جديدة ليس فيها القوة هي أساس العلاقات‘ فالحجاب كيف يجب أن يكون لكي يتلاءم مع توسيع الحريات؟

# **القاعدة الثانية:**

بموجب القاعدة الثانية إن نوع "توزيع السلطة" إما يبين تكديسها لدى الأقوياء أو يكشف التغيير في تناسب القوى بين الأقوياء والضعفاء.

يذكر أنه إما أصبح الأقوياء أقوى أو أنهم أصبحوا أضعف فيما أصبح الضعفاء أقوى. ولكن ليست مختلف حالات التناسب بين المعرفة والسلطة هي ما يحدد نوع توزيع السلطة، وإنما حالات التناسب هذه هي قوالب تتخذ فيها السلطة شكلا.

إيضاحا لما قاله الفيلسوف أضرب هنا مثلا من عندي: في القرن التاسع عشر كان موضوع جنس الطفل موضوعا في العلاقة المباشرة بين الأب والأم من جهة والمربي والطبيب من جهة أخرى. إن هذه العلاقة قد تغيرت اليوم.

وتحولت إلى العلاقة بين الطفل والوالدين والطبيب النفسي والمعلم وألخ... وحاليا العلاقة الجنسية مع الوالدين هي التي يتم التشكيك فيها اعتمادا على جنس الطفل.

 وبعد مضي قرن جاء تناسب المعرفة والسلطة ليضفي شكلا جديدا للسلطة. وقد دخل الطفل علاقات القوى واتخذت السلطة بمثابة علاقة القوى بين الوالدين والطفل والطبيب النفسي والمربي وإلخ... شكلا جديدا.

# **القاعدة الثالثة:**

عندما وبموجب القاعدة الأولى لا تتحقق السلطة من دون المعرفة وبموجب القاعدة الثانية إن أي تناسب بين المعرفة والسلطة يضفي شكلا معينا للسلطة فسوف تكون القاعدة الثالثة كما يلي:

* لا يمكن أن لا تكون الغاية متناسبة مع الوسيلة أو لا تكون الاستراتيجية غير متلائمة مع التكتيك. إن التكتيكات التي لا يمكن تصورها من دون الاستراتيجية، من جانبها تشترط الاستراتيجية وبشكل مضاعف. سوف نوضح ذلك في ما يأتي:
* إن الوحدة الاجتماعية سواء "صغيرة" أو "كبيرة" منها، لا تتشكل ولا يمكنها ان تعمل من دون استراتيجية عامة.

فلا يمكن لأية استراتيجية أن تسفر عن النتائج المتوخاة إلا أن تكون مستندة إلى علاقات دقيقة تعتمد عليها الاستراتيجية. وإيضاحا للقاعدة الثالثة أضرب الأسرة في ما يأتي مثالا على ذلك:

أن الأسرة هي ركيزة لمختلف الاستراتيجيات مثل ضبط النسل أو التزايد السكاني. مرة أخرى جعل موضوع الجنس موضوعا للطب، هو جعل مختلف أشكال ظهور الرغبة الجنسية وإلخ... موضوعا للطب النفسي.

ولكون أي من هذه الاستراتيجيات تسفر عن نتيجة يجب اتخاذ تكتيكات مناسبة لها. أن التكتيكات التي لا يمكن لها أن لا تكون ملائمة مع الاستراتيجيات، من جانبها تشترط الاستراتيجية بشكل مضاعف.

 يذكر أنه ومن جهة إذا لم تكن التكتيكات مناسبة للاستراتيجية فسوف تنتج الاستراتيجية المناسبة لها لتحل محلها عند تطبيقها. فعلى سبيل المثال إذا كان ضبط النسل هو الإستراتيجية فيجب أن تأتي السياسة السكانية وباعتبارها مجموعة من التدابير لتنسجم مع هذه الغاية.

إن إعطاء الجائزة للعوائل كثيرة الأولاد تكتيك لا يلائم هذه الإستراتيجية. فأنه تدابير إذا تم اتخاذها فسوف تنتج استراتيجية زيادة السكان لتحل محل استراتيجية ضبط النسل.

وإذا فرضت على الوليدة ضريبة بعد اتخاذ استراتيجية ضبط النسل، فإن هذا التكتيك يمنع الاستراتيجية من أن تتغير.

وعلى ضوء هذه القاعدة، يكون ما ناقشنا مؤخرا بشأن دور الكذب في الكشف عن الارضية الذهنية ومنهج الكذاب أكثر وضوحا، لأن الكذب وبمثابة تكتيك يعبر علنا عن استراتيجية متناسبة معه.

وإنه يشترط هذه الاستراتيجية بشكل مضاعف. وفي ما ناقشنا حول فصل الدين عن السياسة، إذا لم يكن غاية القائل هي إقامة الديكتاتورية ضد الدين فإن هذا التكتيك يفرض الاستراتيجية المناسبة له التي هي إقامة الديكتاتورية ضد الدين.

وبعد تنفيذ التكتيك لا يمكن تغيير الاستراتيجية المناسبة له. هل كانت تجربة الـ"بهلوية" في إيران و أتاتورك في تركيا وإلخ... تختلف عن ذلك؟

ولم تقول هذه التجارب إن الديكتاتورية لا يمكن أن تكون ضد الدين وإنما تعمم؟ أليست هذه تجربة الديكتاتورية الدينية؟

ألم تكن الغاية إقامة الديكتاتورية ضد الدين عندما اتخذوا تكتيكات أو "أساليب حزب اللهية"؟ واليوم ألم تصبح الديكتاتورية ضد الدين؟

# **القاعدة الرابعة*:***

بموجب هذه القاعدة تندمج السلطة والمعرفة في الخطاب وتتناسب بعضهما مع البعض. إن تكتيكات الخطاب متعددة الواجبات.

لأنه يجب أن يكون خطاب السلطة غامضا بما يكفي إلى حد أن تكون له قابلية لينسجم مع مختلف الاستراتيجيات.

تقول القواعد الثلاث المذكورة إنه يجب أن يتمكن خطاب السلطة من إحداث تغييرات متتابعة في الإستراتيجيات والتكتيكات. وأية سلطة إن تفقد غموض خطابها وقابلية خطابها للتفسير والتأويل فهي محكوم عليها

بالزوال والانهيار.

لأنه عندما أصبح الخطاب واضحا فتتبين الإستراتيجيات والتكتيكات. وإذا لم تتجاوز السلطة عن حدود تلك الإستراتيجيات والتكتيكات فتصبح تابعة للمعرفة (مجموعة الإستراتيجيات والتكتيكات) ولم تعد تكون السلطة بمثابة السلطوية أو التعسفية.

وفي الوقت الذي تقرؤون فيه هذه القواعد الأربع فتكشفون مدى أهمية الاطلاع عليها لمعرفة أساليب الخدع والمراوغة والتضليل التي يستخدمها أصحاب السلطة وتدركون أهمية دور الخطاب ومدى خطورة كونه غامضا.

وتكشفون مدى كون مساعينا لإيضاح خطاب الثورة وإصرارنا على الولاء بالمواثيق ومبادئ الثورة الإيرانية أو إستراتيجياتها الأربع على حق في الماضي والحال.

إن النظام الديكتاتوري الحالي متزعزع وليس ثابتا، لان الإستراتيجيات الأربع وهي الاستقلال والحرية والتنمية والإسلام قد برزت في الخطاب الواضح للثورة الإيرانية.

فلذلك إن اتخاذ الاستراتيجيات الجديدة والتكتيكات المتناسبة معها أولا جعل النظام مضادة للثورة وثانيا إن المعرفة الشعبية العامة على الإستراتيجيات الأربع والتكتيكات التي استخدمها الشعب بنفسه خلال الثورة لا تتناسب مع السلطة الديكتاتورية ولا تجتمع مع هذه السلطة في خطاب واحد.

لا يمكن للنظام الحالي أن يقوم بعمل ما في أي من المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية إلا أن يشدد عمله هذا الصراع بين الحكومة والشعب.

فسبب كل هذا الحقد الذي يضمره لنا وينفس عنه السلطويون وأصحاب التعسفية ليس إلا لأننا قد قمنا بإزالة الغموض عن خطاب الثورة. وبتفعيلنا الميثاق ومشاركتنا في الاختبارات قد منعنا من أن تصبح معركة "الخطابات" معركة بين خطابات السلطة وأنواع الغموض.

إن كل هذه النزعات التعسفية الثلاث محكوم عليها بالهزيمة، لكون المعرفة العامة أو الضمير العام واعية للإستراتيجيات الأربع والتكتيكات المتناسبة معها بما يكفي حتى تمنع خطاب السلطة هذا أو ذاك من أن تتجاوز دائرة الضمير العامة لتستغل الغموض وكونها غير معروفة (3).

وهكذا يمكن استنتاج قاعدة هامة من القواعد الأربع خاصة القاعدة الأخيرة:

للحيلولة دون إقامة الديكتاتورية في مجتمع، يجب أن تكون معرفة المجتمع أكثر من المعرفة التي يمكن أن تنسجم مع السلطة الديكتاتورية.

وفي أي مجتمع أقامت واستمرت فيه الديكتاتورية يكون هناك عاملا هاما لذلك وهو أن المعرفة المنسجمة مع السلطة تفوق المعرفة العامة.

ولهذا تعارض الأنظمة الديكتاتورية نشر العلم والتوعية في المجتمع. ومن دون استثناء يفضلون الإيديولوجية أو المعرفة المتناسبة مع السلطة على الإطلاق.

أليس لهذا السبب أن القرآن يقول: "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ" ولكن الديكتاتوريين المتشدقين باسم الإسلام يهتفون بشعار: "لا تتبع العلم"؟

على أية حال يرى ميتشل فوكو أنه وعلى أساس هذه القواعد الأربع قد قامت السلطة بمتابعة المجموعات الإستراتيجية الكبيرة الأربع في دائرة العلاقات الجنسية.

# **المصادر والإيضاحات**

 1 و 2- القرآن، سورة الكافرون و سورة الزمر الآية 18

 3- الصفحات 1-121 الهامش رقم‏35 في المجلد الأول من كتاب  Histoire de la sexualite لمؤلفه ميشل فوكو

**هل المرأة مثيرة للهستريا وتسبب هستيريا؟ هل شعر المرأة فيه أشعة؟**

إن الاعتقاد بأن الجنس هو قوة جامحة وغريبة حسب الطبيعة و متمردة للسلطة حسب الضرورة، عار عن الصحة ولا يتلاءم والحقائق. لأن الجنس والعلاقات الجنسية يعتبران نقطة اقتران لأغلبية الأواصر لعلاقات السلطة:

علاقات الرجال مع النساء، علاقات الشباب مع كبار السن، علاقات الوالدين مع الأبناء والأحفاد وأبناء الأحفاد، علاقات المدرسين مع الطلاب، علاقات رجال الدين مع غيرهم، علاقات الحكومة مع المجتمع وعلاقات جماعات اصحاب السلطة مع المجتمع ومع بعضهم البعض.....

وفي علاقات السلطة ليس الجنس أكثر العناصر فقدا للفاعلية بل هو أكثرها فعالية، بحيث أن أنواع استراتيجيات السلطة لا تتفاعل من دون الجنس والعلاقات الجنسية.

فنظرا لهذه الحقيقة، هناك أربع مجموعات من الإستراتيجيات الكبيرة التي تفاعلت منذ القرن الثامن عشر تلاؤما مع مختلف أشكال المعرفة والسلطة. إن هذه المجموعات لم تؤلف في ليلة وضحاها وإنما تفاعلت تدريجيا، وكلما اتسع نطاق سلطتها أصبحت أكثر فعالية وثمارا من ناحية المعرفة بشكل متزايد، بحيث يمكن اعتبار هذه المجموعات الأربع مستقلة بعضها عن البعض بشكل نسبي ووصفها بأن بعضها منفصلة عن الأخرى:

# **المجموعة الاستراتيجية الأولى: نشوء الهستيريا فوبيا لجسد المرأة:**

إن جسد المرأة يعرف ويعترف بأنه ممتلئ بالجنس وعلى هذا الأساس تم تثمين المرأة أو استحقارها. إن هذا الجسد ولكون طبيعته مثيرة للجنس ومعتبرة ذاتية أو جوهرية أصبح موضوعا للدراسة في الطب والطب النفسي والتحليل النفسي وإلخ.. وباعتباره رمزا للجنس تم وضعه في العلاقة العضوية مع المجتمع:

في بيئة الأسرة تعتبر المرأة عنصرا أساسيا بالنسبة لها وعليها كل الواجبات في الأسرة، وطيلة حياتها تنجب الأولاد وعليها أن تتحمل مسئولية حمايتهم من الأخطار التي تهددهم وكذلك من الناحية الأخلاقية. إن المرأة وباعتبارها أمّا وزوجة تعتبر كائنة عصبية تحشن البيئة بالهستيريا. إن هذا الجانب من فوبيا الهستيريا هو أكثر جانب من فوبيا هستيريا المرأة قابلية للرؤية.

# **المجموعة الاستراتيجية الثانية: عرض موضوع تربية وتعليم الجنس بين الأطفال:**

تكرس هذه المجموعة الإستراتيجية على أساس الإيمان بأن الأطفال يمارسون الأعمال الجنسية التي تعتبر أمرا قبيحا وفي نفس الوقت "طبيعيا" أو "غير طبيعي" فيه تهديدات لجسم الأطفال وسيكولوجيتهم وحتى الكبار في السن. ويوصف الأطفال بأنهم كائنات جنسية "بدائية".

فبالتالي يكون على الوالدين والأقرباء والمدربين والأطباء أولا وبعد ما كبر الأطفال إلى حد ما يكون على الأطباء النفسيين ومحللي النفس الاعتناء بهذه البراعم الجنسية الثمينة والخطرة وغير الحصينة والمتعرضة للخطر. ويتبلور كون جنس الأطفال موضوعا للتربية والتعليم في حرب قد نشبت واستمرت منذ قرنين ضد الاستمتاع الجنسي.

تأييدا وإيضاحا لهذه المجموعة الاستراتيجية بإمكان القارئ الإيراني أن يعيد البيئة التي تربى فيها إلى ذاكرته.

وفي البيئات التي تقام العلاقات فيها على أساس القوة البحتة، يعتبر الجنس قوة خطيرة يجب إخضاعها لأشد إجراءات السيطرة والمراقبة. إن العنصر المحوري الذي يضفي الشرعية للحضور الدائم للقوة في علاقات الأسرة هو الجنس وارتكاب الذنب وهما أمر ذاتي بالنسبة له. لذلك في هكذا بيئات يتم تقييم المراهقين والشباب على أساس العلاقات الجنسية. وإذا أقام العلاقات وفقا لقدوة العلاقات الجنسية الموثقة فيعتبر ناجحا وخلافا لذلك يعتبر فاشلا.

# **المجموعة الاستراتيجية الثالثة: جعل السلوكيات اجتماعيا في حقل التناسل:**

أصبح التناسل موضوعا للمناقشة في "السياسة الديمغرافية" فبالتالي اتخذ المجتمع دورا في اتخاذ التدابير:

من الناحية الاقتصادية وحسب الموقع تم سن واستخدام الحوافز والمحظورات: عندما كانت السياسة الديمغرافية تتطلب زيادة عدد السكان فتم استخدام الحوافز الضرائبية (التخفيضات) وانواع المساعدات للعوائل كثيرة الأطفال وإلخ...

وإذا استدعت هذه السياسة احتواء السكان فكانت المحظورات الاقتصادية تحل محل الحوافز. ومن الناحية السياسية تتحمل الزوجة والزوج المسئولية تجاه المجتمع برمته (أي كان يقال لهما عند كثرة عدد السكان: لا تنجبا! وعند قلة عدد السكان: انجبا). ومن الناحية الصحية تم استخدام صنوف الاساليب لمنع الحمل أو بالعكس أصبحت عناصر أخرى للسياسة السكانية.

# **المجموعة الاستراتيجية الرابعة: جعل التمتع الجنسي المضيع موضوعا في الطب النفسي:**

 إن الغريزة الجنسية باعتبارها غريزة حيوية ونفسية مستقلة، انفصلت من الغرائز الأخرى فيما أصبحت جميع الاشكال غير الطبيعية التي قد تعارض هذه الغريزة، موضوعا في المعالجات السريرية والاختبارات. وأعطي لهذه الغرائز دورا عاديا أو غير عادي في سلوك الإنسان. كما وكانت ولا تزال أبدعت واستخدمت فنون خاصة لجعل هذه الغريزة ومن ثم سلوك الإنسان أمرا عاديا.

وطيلة القرن التاسع عشر هناك 4 وجوه تمثل هذه المجموعات الاستراتيجية الاربع:

المرأة الهستيرية ومثيرة لهستيريا، الطفل الذي يستمني، الزوج والزوجة اللذان لا يريدان الإنجاب والشاب الفاسد أخلاقا.

  ويتساءل فوكو: لماذا تم استخدام هذه الاستراتيجيات؟ هل كان هدفها مكافحة الجنس والعلاقات الجنسية؟ هل تم أحداثها لغرض احتواء الجنس والعلاقات الجنسية؟ هل لاختفاء ما يمكن رؤيته من الجنس و"الحجاب"؟ هل لهدف تنفيذ "علم الجنس" ليكون مقبولا ومفيدا؟ فهو بنفسه يجيب ويقول إن كل هذا ليس إلا ذريعة وإن الهدف الرئيسي ليس إلا انتاج الجنس وامتلاك الجنس، لان السلطة ومن دون انتاج الجنس وامتلاك الجنس تكون العرجاء. (1)

يمكن القول بأن العلاقات الجنسية قد أدت إلى تأسيس مؤسسة أو دائرة خاصة بالعلاقات الزوجية في جميع المجتمعات: النظام الأسري ووجوب وتوسيع العلاقات العائلية ونقل الاسم والشهرة والأموال. ولكن في الغرب، منذ أن عجزت العملية الاقتصادية والهيكل السياسي من استغلال العلاقات الزوجية باعتبارها أداة فعالة، فقدت هذه المؤسسة أهميتها لأنها عديمة الفائدة في العملية الاقتصادية والهيكل السياسي من جهة ولكون قيود مفروضة عليها وكذلك كونها تتطلب معرفة معقدة من جهة أخرى.

والمجتمعات الغربية أحدثت منذ القرن الثامن عشر ولحد الآن مؤسسة جديدة لم تقض على الأسرة ولم تحل محلها بالكامل ولكنها قللت من وزن الأسرة. وهذه هي العلاقات الجنسية ذاتها التي لا تلتزم بإجراء عقد القران والزواج والقيود القانونية والاجتماعية المتعلقة به‘ إلخ...

إن هذه العلاقة أيضا وكالعلاقات العائلية، علاقة بين الندين أو بين الزوجين الجنسيين، بمفارقة أن أسلوب العمل يختلف. ويمكن مقارنة هاتين المؤسستين إحداهما مع الأخرى:

تبنى مؤسسة الأسرة على أساس نظام من القوانين يحدد فيه ما هو المسموح وغير المسموح وما هو الحلال والحرام وفيه تعتبر علاقة الزوجين أبديا. بل وعلى عكس ذلك، تبنى المؤسسة الجديدة على أساس فنون تتطور وأشكال تتجدد وتتعلق بالحال والوقت الحاضر. إن هذه الفنون أو فنون السلطة، تعتبر بمثابة علاقات القوى.

إن استمرار النظام الزوجي يتطلب الالتزام بقوانين تضمن بقاء وديمومة هذا النظام. بينما تستلزم "مؤسسة العلاقات الجنسية غير المقيدة" توسيع دائرة سيطرة السلطة على الجنس وتنوع أشكاله أكثر فأكثر.

وإيضاحا لما قاله الفيلسوف: عندما هناك علاقات زوجية بين المرأة والرجل يمنع القانون والأخلاق المشرفان عليها كثيرا من المنافسات الجنسية. ولكن عندما يكون الأساس هو العلاقات الجنسية الحرة، فيفقد الشريك الجنسي على حين غفلة.

لأنه وعندما يكون الأساس هو الجنسية، فتصبح المنافسة الجنسية بدورها ما يحدد مدى العلاقات الجنسية الحرة (غير المقيدة). ففي الحقيقة يبنى الوثاق بين المرأة والرجل في الحياة الزوجية على أساس مكانة وحقوق معينة. ولكن في العلاقات الجنسية الحرة (غير المقيدة) يكون الأساس هو الإغراء الذي يستخدمه الجسد والتهييج الذي يثيره والفتانة التي يثيرها وكيفية الاستمتاعات الجنسية التي يستمتع بها كل من الزوجين.

وأخيرا إن المؤسسة الزوجية وبسبب الدور الذي تلعبها في نقل وتداول الثروات لها صلة وثيقة بالاقتصاد الذي يكون الأساس فيه الاحتفاظ بالثروة وتكاثرها عن طريق الإنتاج. وخلافا لذلك إن الأساس في العلاقات الجنسية الحرة أو غير المقيدة يتشابك مع الاقتصاد الذي يعتمد على الاستهلاك الكثير وذلك على الأغلب عن طريق الجسد الذي ينتج (أي القوة العاملة) والجسد الذي يستهلك.

وخلاصة القول أن المؤسسة الزوجية أحدثت نظاما من خلاله تمكن أعضاء المجتمع من حفظ أشكالها. لذلك كان لها صلة بالحقوق. ولم يكن للزمن أي معنى إلا وأنه كان الفترة الزمنية التي يكبر فيها الأولاد وهم بدورهم يشكلون العائلة. وبعبارة أخرى كان واجب الأسرة هو تجديد نفسها.

فبهذا التجديد كانت أعضاء المجتمع تحتفظ بشكلها وكان المجتمع يستمر في نظامه. ولكن ليس سبب وجود مؤسسة العلاقات الجنسية الحرة أي غير المقيدة تجديد نفسها. إن التكاثر وإعادة البناء وإبداع تفعيل جميع الأعضاء في الجسد من الناحية الجنسية والسيطرة على عدد السكان أمر عام أكثر فأكثر.

وهكذا علينا أن نعترف بأن العلاقات الجنسية الحرة أو غير المقيدة تتزايد أكثر فأكثر‘ ولكن لا يمكن القول إن هذه المؤسسة قد حلت محل العلاقات الزوجية وقد تحل يوما ما محل العلاقات الزوجية. واليوم تلقي هذه المؤسسة بظلالها على العلاقات الزوجية ولكنها لم تقض عليها ولم تغن عنها.

وقد تمكنت هذه المؤسسة من إنجاز آخر أهم بكثير وهو أنها حولت الجنس حتى في عملية تشكيل العائلة إلى محور حاسم، بحيث لم تعد العائلة نسيجا اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا لا يكون الجنس محورا فيها (2).

وفي ظل دراسة فوكو، يمكن لنا أن نرى أن الإستراتيجيات الأربع ناتجة ومعبرة عن التطور العام في مجتمعات تحولت وبشكل تدريجي إلى هيكليات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية متسلطة.

إن تمركز الثروات وإمكانية الإنتاج الضخم في المجتمعات الاستهلاكية قد تسببا في الاستهلاك الضخم مما اضطر الأسرة التي كانت تتناسب مع الحياة الاقتصادية المتقشفة إلى أن تتحول إلى العلاقات الجنسية الحرة لتثير حاجات جديدة لاستهلاك المنتجات الأخرى كلما يظهر استهلاك جديد. ففي هذه الحالة من البديهي أن جسد المرأة لا يعود يمكن أن لا يعتبر هستيريا أو مثيرا للهستريا.

إن التعسفيين مظلمي الفكر الذين نسبوا إليّ زورا وبقلب الحقيقة بأنني قد قلت "إن شعر المرأة فيه أشعة" وبهذه الكذبة التي لفقوها لم يكشفوا عن جهلهم فحسب وإنما كشفوا عن أساس ما في أفكارهم وأذهانهم أيضا:

إنهم لا يعتبرون المرأة مرادفا للجنس فحسب وإنما يساورهم قلق بالغ من أن تعتبر المرأة المسلمة والرجل المسلم أنفسهما إنسانا وأن لا ترضخ المرأة للتحول إلى شيئ واستغلالها في العلاقات الشخصية وغير الشخصية للسلطة. إنهم أصلا لم يكونوا يعادونني شخصيا وإنما كانوا يعادون الحرية الحقيقية للمرأة وتخلص الجنس من سلطة القوة. ولهذا السبب كانوا ومازالوا يقلبون الحقيقة في ما يتعلق بجهودي.

على أي حال، فمن السهل الآن فهم الحقيقة في ما يتعلق بهذه القضية:

عندما تمت ترجمة "هستريا فوبيا جسد المرأة" إلى الفارسية، فأصبح "شعر المرأة فيه أشعة أو كهرباء" و"جسدها ...." وإلخ. أما الحقيقة فهي أنه وفي اجتماع عقد في مبنى التلفزيون الإيراني سألتني سيدة قائلة: ثبت أن شعر المرأة يبعث أشعة تثير مشاعر الرجل بحيث يفقد ثوابه. فأطلب منك أن تخبرني بمدى صحة هذه النظرية؟

نشرت الجمعية الإسلامية في مدينة كيل وبشكل كراسات محاضراتي التي كانت "مؤسسة نشر وتعليم الثورة الإسلامية" (مؤسسة فرانكلين للنشر سابقا) قد جددت نشرها 6 مرات في عامي 1979 و1980 وجاءت الأسئلة والأجوبة بشأن "أشعة في شعر المرأة" في صفحتي 99 و100 من هذا الكتاب.

وكان ملخص جوابي هو أن ما تقتضيه طبيعة المرأة والرجل أن تكون فيهما جاذبية ليتمكنا من ممارسة الزوجية فكبح هذه الجاذبية أو حتى أسوء من ذلك الرقابة أو السيطرة عليها هو خطأ بالذات: إن العمل الصحيح هو الاحتفاظ بها في طبيعته والحيلولة دون تلفها في القوة.

إن تصريحاتي هذه التي اطلقتها رفضا للرقابة الجنسية من أجل تخليص الأذهان من المعتقدات الخاطئة وخدمة لنيل الحرية الحقيقية للمرأة وبالتالي للمرأة والرجل سويا ولكن تحولت تصريحاتي في الأذهان المضللة والتعسفية إلى القول بأن: "شعر المرأة فيه كهرباء أو (أشعة) إذن ...."، يا للجهل ويا للأخلاق الفاسدة!

على أي حال، كما يقول فوكو إن الزمن في العلاقات الجنسية غير المقيدة قصير أي إنه حال ولحظة. إنه نفس الكلام الذي أوردته في كتاب "الشهادة": إن زمن السلطة صفر وزمن عدم السلطة لا نهاية له. عندما ينسلخ الجنس عن ذاته لحساب السلطة، يصل زمن العلاقة الجنسية باعتبارها علاقة القوى إلى الحال أو اللحظة أو الصفر. ففي هذه الحالة يظهر الحب الذي لا يتجلى عنه الحقيقة من دون زمن يساوي اللانهاية. فهكذا ووفقا لتوقعات وحاجات السلطة قد حولت التطورات الاجتماعية مجتمعات اليوم إلى مقابر الحب. عندما يحل الهوى محل الحب فلا يمكن ألا تنظر إلى المرأة كـ"جسد مشحون بالجنس".

بشكل عام هناك خلافات استراتيجية بين انطباعين الأول على أساس السلطة والثاني على أساس عدم السلطة وهي:

 أولا: على أساس عدم السلطة

1. المرأة رمز للحب
2. المرأة حرة
3. المساواة من ناحية النشاطات الجنسية والإنسانية
4. المرأة مبدعة وخالقة لمصدر الحياة
5. العلاقات الزوجية على أساس الحب والعقيدة
6. العلاقات الزوجية الناتجة عن الاقتصاد الانتاجي والتقشف
7. حرية الجنس من العلاقات الشخصية والجماعية للسلطة
8. حقوق المرأة تنبثق عن انسانيتها

ثانيا: على أساس السلطة

1. المرأة رمز للهوى بجسد مشحون بالجنس
2. المرأة مملوك للسلطة
3. عدم المساواة من الناحية الجنسية: الرجل فاعل والمرأة مفعولة وأخرى من حالات عدم المساواة بين المرأة والرجل
4. المرأة ناقصة عقليا وهدامة ومصدر للموت
5. العلاقات الزوجية والجنسية الحرة أي غير المقيدة على أساس الهوى وتوازن القوى
6. العلاقات الزوجية والجنسية الحرة أو غير المقيدة على أساس اقتصاد يكون فيه الإنسان والقوة العاملة ببعد واحد (الاستهلاك الضخم)
7. الانسلاخ الجنسي عن الذات وتحويل الجنس إلى أحد العناصر المحورية في العلاقات الشخصية والجماعية للسلطة
8. حقوق المرأة منبثقة عن موقعها في علاقات القوى.

إن جدول المقارنة هذا مع دراسة دور المرأة بمثابة الجنس في الاستبداد الشامل هو موضوع مناقشة منفصلة.

# **المصادر والإيضاحات:**

 1- الصفحات 146-136 من المجلد الأول لكتاب Histoire de la sexualite تأليف ميشل فوكو

 2- الصفحات 151-146 من الكتاب ذاته.‏

**هل المرأة مملوكة للسلطة؟**

للمرأة في ِإيران اليوم وفي الأنظمة الشمولية الأخرى كما في المجتمعات الرأسمالية المتقدمة و"العالم الثالث" حالة وموقع ومكانة بحيث لم يعد يمكن اعتبار وصف وتحليل وضع وموقع ومكانة المرأة في النظام النازي تحقيقا تاريخيا بل يجب اعتبار تسليط الضوء على الواقع الحقيقي اليوم حقيقة مستمرة بالرغم من كل ما يقال:

**النازية: المرأة مملوكة للسلطة:**

يرى فوكو أنه ومنذ أواسط القرن التاسع عشر أصبح موضوع الدم قضية ساخنة وأعطى لنموذج أو نوع من السلطة السياسية كان يمارس من خلال العلاقة الجنسية والجنس أهمية تاريخية. وقدم التمييز العنصري في حلته الجديدة (ممتدحة للحكومة ومعتمدة على علم الحياة) نظرية شاملة في هذا المجال:

إن السياسة الجماعية (تكثير العنصر المتفوق) والسياسات المتعلقة بالعائلة والسياسات المتعلقة بالعلاقات الزوجية والتعليم والتربية وفرض التسلسل الهرمي على المجتمع وكذلك الملكية اعتبرت تدخل الحكومة المستمر والشامل في تدريب الجسم أمرا ضروريا وذلك من أجل تربية الجسد من ناحية السلوك الجنسية والصحة وتمرير الشئون اليومية للأفراد ومن أجل تطهير وتصفية الدم وانتصار العنصر المتفوق في رسالته العالمية.

لا شك في أن النازية هي الأكثر سذاجة وفي الوقت نفسه هي الأكثر خداعا بتوفيقها بين النظريتين وهما النظرية العنصرية المعتمدة على الدم ونظرية سلطة الحكومة أي السلطة التي من المفترض أن تكون شاملة.

وصنفت النازية المجتمع على أساس العنصر أو العرق حيث أصبح المجتمع هرما احتلت فيه الحكومة رأس الهرم بمثابة غاية لها وبسلطتها الشاملة. وكانت الفئات اللاحقة وبالتبعية التامة لسلطة الحكومة وبتناسب نقاء دمها تحصل على السلطة والحقوق. وكان هذا التصنيف الفئوي يتلازم مع أمرين:

1. قتل وإبادة أفراد الأعراق الأدنى و
2. ضرورة قيام العنصر الأفضل بالإيثار والتضحية و"الاستشهاد" للحيلولة دون فساد البشرية في حال وصول الأعراق الأدنى إلى السلطة (1).

إذا أحللنا "نقاء الدين" محل "نقاء الدم" فسوف نرى أن نظام الملالي ليس إلا تكرارا للشمولية النازية تماما. بينما وفي كتابه بعنوان "كفاحي" اعتبر هتلر الحرب حتى طمس الفساد عن العالم امرا ضروريا وخميني أيضا وبقلبه معني القرآن اعتبر الحرب ضروريا حتى طمس الفتنة عن العالم. إن التشابه بين سلوك النظامين في ما يتعلق بالمرأة أكثر دهشة:

تشير سيمون دوبوفار إلى هذا التشابه في مجتمعات الأسبرطة والفاشية الإيطالية والنازية الألمانية قائلة (2): في هذه الأنظمة إن المرأة لا تمتلكها الفرد وإنما هي مملوكة للحكومة. وللمرأة بُعد واحد فقط وهو الإنجاب وتكثير النسل وإدامته. ومن الناحية الجنسية عليها أن تكون مفعولة وخاضعة للسيطرة. إن واجب المرأة ليس إلا تهدئة الرجل جنسيا.

وفي كتابها الجديد بعنوان "أحدهم هو الآخر" تشرح (اليزابث بادنتر) موقع ومكانة المرأة في ايدئولوجية النازية كالتالي (3):

في إيديولوجية النازية ليست المرأة إلا حيوانا مخصصا للإنجاب وتكثير النسل وينحصر عالم المرأة في بيئة الأسرة، بينما يكون عالم الرجل الذي هو مهندس البيئة غير المتناهية عالما لا نهاية له وخالدا. وتذكرنا (ريتا تالمن) بأنه وفي كتاب هتلر بعنوان (كفاحي) لا توجد كلمة "المرأة" (Frau) إطلاقا، وبدلا منها تم استخدام المصطلح القديمي المهين وهو "ضعيفة" (Weib).

ذكرت (غيدا ديل) أحد دعاة الاشتراكية القومية أن الطبيعة قد حددت البيئة للعمل النسوي وهو الأمومة على عكس أجواء العمل الذكوري التي يكون فيها الرجل ذا العقل وهذه الأجواء متمثلة في الحكومة والمجتمع. واستنادا منهم إلى هذا الانطباع من بيئة عمل المرأة لم يكن النازيون يعترفون بحق المرأة في الحكم ولم يكونوا يوكلون إليها مناصب رفيعة.

وكان الواجب المقدس للمرأة هو أن تكرس جسدها للحمل وزيادة العنصر الأفضل. إنهم أسسوا مؤسسة يوجينا لتحسين النسل وإنتاج "بويضة النخبة" وحاولوا إقناع النساء الألمانيات بأن إنجاب "العنصر المقاتل" ونيل الشرف بأن يستشهد أبناؤها من أجل ألمان الكبرى يخلقان لها قيمة سامية.

كلما أصبحت الحرب أكثر فتكا كلما زاد الإغراء بتكاثر الجيل المقاتل ولكون عدد الرجال قليلا كانوا يعطون للرجال النخبة ذوي بويضة المقاتل نساء عدة. إنهم أسسوا معسكرا يستوعب 400000 امرأة، كان عليهن أن يكن حبليات من "بويضة المقاتل" وينجبن "أبناء مقاتلين" بشكل متلاحق.

عندما نقارن هذا السلوك مع سلوك الديكتاتورية الدينية الحاكمة في إيران فنتفاجأ في النظرة الأولى بمدي مشابهتهما المدهشة: "لسيادة الولي الفقيه سلطة مطلقة على أرواحكم وأموالكم وأعراضكم" (تصريحات آية الله جنتي حول صلاحيات ولاية الفقيه)، وهو نفس نظرية "الحكومة تمتلك المرأة" (الحكومة بمثابة غاية وهدف المجتمع). واقتصار الأمومة على الإنجاب وتربية الأولاد إلى مرحلة الرشد وتكريسهم لـ"النظام" وتضحيتهم لـ"نيل" الشهادة و.. إلخ. إنها تشابهات مدهشة بين النازية والديكتاتورية الدينية.

هناك عنصر مشترك في الديكتاتوريتين وهو السلطة الشاملة. إن النازية كانت نفس طريقة التفكير الكهنوتية التي حكمت المجتمعات الأوروبية برداء الديكتاتورية الدينية طيلة قرون وهي التي كانت تتسلح بفنون جديدة (4). إن ديكتاتورية الملالي الشاملة لها أيضا عقلية الكنيسة ذاتها التي كانت تعتقد بولاية البابا الشاملة على العالم المسيحي وغير المسيحي.

وهكذا تظهر المشابهات الأساسية بين هاتين العقليتين. وبالتالي تؤكد عقلية وسلوك هاتين الديكتاتوريتين الشاملتين حول المرأة أنه وبالتماشي مع التحول من الحرية في المرحلة الأولى للثورة إلى الاستبداد الشامل، قد تغيرت عقلية وسلوك الحكومة تجاه المرأة. ويؤكد هذا الأمر الواقع صحة المبدأ القائل بأن التكتيكات تنتج الاستراتيجيات المناسبة لها لتحل محلها.

إن تكتيكات الديكتاتورية الدينية تتلائم مع الديكتاتورية الشاملة فأحلت لا محالة هذه الديكتاتورية محلها. وفي أعقاب استقرار هذه الديكتاتورية لم تنبع الفكرة والسلوك من الإسلام، حتى إن الحكام المستبدين الذين يشكلون اليوم جبهة النساء "سيئات الحجاب"، لم تكن لديهم هذه الفكرة والسلوك. بعبارة أخرى يجب التركيز على عنصر السلطة الشاملة كمصدر للفساد الشامل.

وعلى ضوء ما تم إيضاحه في ما تقدم عندما ننظر إلى جدول المقارنة نرى أن الاستراتيجيات الثماني تم التعبير عنها بأعنف البيانات وأكثرها صراحة وهو بيان السلطة الشاملة. إن المسافة من الشيء الجنسي إلى الإنسان هي المسافة ذاتها من الديكتاتورية الشاملة إلى الحرية الشاملة:

# **أساسان اثنان للحرية:**

إن السيد (سلامي) أول سفير للثورة الإيرانية في روما أرسل لي كتاب (رب الكعبتين) الذي كتبه الدكتور (صاحب الزماني) عن (سوروكين) وأفكاره. وفي هذا الكتاب نقل عن (سوروكين) قوله إن هناك ثلاثة أنواع من العلاقة: 1- الرومانسية والعاطفية، 2- الحقوقية والاصطناعية، 3- العلاقة بين السيد والعبد (5). ويرى أن العلاقة الجنسية الحرة أو غير المقيدة ليست علاقة رومانسية وعاطفية بقدر ما هو علاقة بين السيد والعبد وعلاقة حقوقية واصطناعية.

يرى (سوروكين) أن الحضارة الغربية تعاني من تناقض أساسي، حيث تستخف الإنسان بينما تمدحه (7). إن السيد (سلامي) قد لاحظ توافقا في الاتجاه بين أفكار (سوروكين) وأفكاري وإنه محق في ذلك. ومن هذه التوافقات هي التوافق حول أساس العلاقات. فمن وجهة نظري هناك ثلاثة أسس في العلاقات:

1. عدم القوة، أو الحب فبالتالي التوحيد: على هذا الأساس تكون العلاقات عاطفية وودية ورومانسية تدريجيا أكثر مما يكون علاقات حقوقية واصطناعية وهي العلاقات التي تسوده الماديات.
2. القوة أو التوازن الوجودي وبالتالي التضاد: على هذا الأساس يتم تفريغ العلاقات من جوهرها العاطفي والودي فتتحول تدريجيا من الحقوقية والاصطناعية إلى العلاقات بين الحاكم والمحكوم.
3. التوفيق بين القوة وعدم القوة: على هذا الأساس تكون العلاقات عاطفية- حقوقية والعلاقات بين الحاكم والمحكوم، ولكن تتحول تدريجيا إلى علاقات السلطة.

وحسب تعبير (سوروكين) في الثقافة المادية لا يفسح المجال إلا بقليل لعلاقات مبنية على الحب. ومن هنا يمكن الفهم بسهولة لماذا (اليزابث بادنتر) قلقة من النظرية التي تعتبر العلاقة بين المرأة والرجل علاقة التكامل. سوف أتناول هذا الموضوع بالتفصيل لاحقا. ولكن في الوقت الحاضر ما يهمني هو قلق (بادنتر) مما له علاقة بهذا الشأن. إنها تتساءل: ما هو أساس هذا التكامل؟ هل نعتبر المرأة والرجل أنهما عنصران نقيضان متكاملان أو نعتبرهما ندين متماثلين متكاملين (8)؟

إنه سؤال أساسي في موضعه. إذا افترض أن أساس الحرية والمساواة وتناظر المرأة هو توازن الوجود أو تناقض الجنس، فتقتصر حدود هذه الحرية إلى التنافس بل الصراع الجنسي. وإذا افترض أن أساس الحرية والمساواة والتناظر هو الموازنة العدمية أو عدم القوة أو التوحيد، فتتحقق حرية الجنس ويجد الإكمال المتبادل أو التكامل مفهوما آخر ومرجوا: إن العلاقة بين المرأة والرجل تتطلب الحب.

وبهذا الإيضاح تتبين نظرية (سوروكين): في الثقافة المادية إن أساس العلاقات غالبا ما هو القوة فيما تتجاهل البيئة المعنوية التي هي بيئة لا نهاية لها إطلاقا. وفي البعد المادي الذي هو نقطة في اللانهاية، فيما يفترض أن تسودها الديمقراطية، تسمح لأبناء الإنسان بإقامة علاقات على أساس اختبار القوة يوميا فقط. إن جوهر الاستخفاف الكبير الذي يفرض على إنسان هو ليس إلا الضياع في كسب القوة واستخدامها يوميا.

      وفي الديكتاتورية الشاملة التي فيها أساس العلاقات هو القوة المكشوفة، والعلاقات هي علاقات السلطة، تتحول أية مساواة إلى عدم المساواة ويصبح الإنسان أداة لتطور السلطة. إن هذه الديكتاتورية لابد من أن تضع عدم المساواة أساسا وإلا تصبح هي نفسها عديمة الاساس وتنهدم، فلذلك تصبح المرأة غير مساوية للرجل وضعيفة. ومن البديهي أن تيارين يستمران بشكل متباين أحدهما نمو السلطة والثاني استخفاف الإنسان، إلى أن يصبح الإنسان شيئا بل الأقل منه شأنا.

ولكن حتى عندما تطبق الحرية مثلما تعرّفها الليبرالية، أي إتاحة الإمكانية للجميع لاختبار القوة، تعتبر المرأة متساوية مع الرجل في إمكانية اختبار القوة فقط ولكن في الواقع الملموس، لا تحصل على هذه الإمكانية بكاملها ويتضاعف عدم تساويها مع الرجل:

# **الحب والحرية، الجنس والسلطة:**

حسب تعبير فوكو هناك شكلان من العلاقات الجنسية "الحرة" و"العلاقة الزوجية". وفي الغرب يصبح المضمونان لهذين الشكلين متساويين تدريجيا لان الجنس يصبح مدارا بشكل تدريجي (نفس الإيضاح المذكور سابقا بشأن تطور العلاقات عندما تعبر عن التناقض: عملية تحول العلاقات من الحقوقية والاصطناعية إلى العلاقات بين الحاكم والمحكوم)، إنه تحول يوضح حسب (سوروكين) الأزمة الأساسية في الثقافة الغربية (9).

هكذا إن العلاقات الجنسية "الحرة" نفسها تعني إزالة الحرية. وتحل السلطة محل الحرية. وتصبح "السلطة الجنسية" محتوى لـ"العلاقات الجنسية" الحرة أو غير المقيدة. ولا يفسح اختبار القوة المادية مجالا للمنافسة في ممارسة الحب. فلذلك يصرخ (سوروكين) قائلا: أيها الغرب إلى أين تذهب؟ إن نهاية هذا الطريق هي المقبرة‘ المقبرة المظلمة للحب والإنسان.

عندما يصبح السلطة أساسا للعلاقات فيأتي دور قواعد السلطة وخواصها. يفرغون العلاقات من المحبة والحب فهنا تصبح المرأة على مضض وبجسد مشحون بالجنس والهيستريا وشعر فيه أشعة وإلخ.... تصبح رمزا للهوى.

عندما يحل الجنس محل الحب وأصبح بمثابة السلطة مدارا في العلاقات فتصبح المرأة مملوكة للسلطة. وتستخف المرأة. وتدريجيا تصبح أقل إنسانا وأكثر "أداة للجنس". وهذا هو تناقض أساسي تعاني منه الثقافة المادية الغربية وتنبثق أزمة هذه الثقافة من هذا التناقض. ويكمن حل هذا التناقض في ظهور العهد الثالث أو عهد الثقافة الشاملة.

لماذا تصبح المرأة مملوكة للسلطة؟ ذكرت في مستهل النقاش ما تجيب النازية على هذا السؤال. وهنا وعلى أساس أربع قواعد ناقشتها ونقلتها عن فوكو، أريد أن أوضح لماذا إنه جواب عام:

أترك ما وضحه (سوروكين) وأكتفي بأن أوكد أن وجهة نظره عن استخفاف الإنسان في الثقافة المادية الغربية تندمج ما يستنتج على أساس قواعد فوكو: على أساس القاعدة الثالثة إن التكتيكات تنتج الإستراتيجيات المناسبة لها لتحل محلها.

فلذلك، عندما يصبح الجنس أداة سوف ينتج الهدف المناسب له أي السلطة لتحل محله. محل ماذا ومن؟ لتحل السلطة؟ ألا يمكن افتراض أن السلطة ذاتها أداة بيد الإنسان؟ وإذا أمكن افتراضه فلماذا يقول (سوروكين) إن الإنسان يستخف؟ فالجواب هو:

إن السلطة تحل محل الحرية وتسخر الإنسان. لأن: السلطة تصبح الأساس في العلاقة. وبذلك إن أهمية الإنسان تقدر بسلطة يتملكها. وعلى أساس القاعدتين الأولى والرابعة لا تثمن المعرفة إلا أن تتناسب مع تطور السلطة ونموها.

وعلى أساس القاعدة الثانية إن السلطة وفي مسار تطورها، تفصل المادية عن المعنوية تدريجيا وتجعلها متضادا معها. إن عملية تحول الثقافة المادية التي يوضحها (سوروكين) إنها هي نفس التحول من اتحاد المادية مع المعنوية إلى تضاد المادية مع المعنوية أو إنكار المعنوية. وفي مسار عملية الإنكار هذه، تصبح الإنسان أداة بالتدريج. لأنه وفي الحالة المادية للسلطة فقط يجبر ويحكم الإنسان بمنافسة دائمة ومستنزفة فهو لا يعود يعتبر شيئا إذا لم يمتلك القوة.

عند ما يصبح الإنسان لاشيء في حالة عدم امتلاكه القوة وتشكل القوة إنسانيته كلها، فأيهما يصبح الهدف وأيهما الوسيلة بين الإنسان والقوة؟ الجواب على هذا السؤال واضح وهو: إن الإنسان يصبح الوسيلة. فلهذا السبب يفرض على المرأة ظلم مضاعف: ويكون هناك عدم مساواة مضاعف بين المرأة والرجل خاصة في العلاقات. وتقام علاقة غير متساوية بين السلطة والإنسان لصالح السلطة. ويكون الأساس بين أبناء الإنسان وخاصة بين المرأة والرجل عدم المساواة الثاني. وعدم المساواة المضاعف هذا هو موضوع نقاش آخر.

# **المصادر والإيضاحات**

 1- الصفحات 198-196، كتاب Histoire de la sexualite لميشل فوكو

 2- الصفحتان 216-217 من المجلد الأول لكتاب Deuxieme sexe لسيمون دوبوار

 3- الصفحات 189-183 autre un est L, L, اليزابت بادنتر

1. الصفحات 73-66 La Question Nazie اثر P. Aycoberry
2. الدكتور ناصرالدين صاحب‏ الزمانى: إله الكعبتين – تعامل مع بيت ريم الكساندرويتش سوروكين الصفحة 77
3. إله الكعبتين الصفحة 80
4. إله الكعبتين الصفحة 146
5. راجعوا الفصل الثاني، منطق الأضداد أو حرب الأجناس، الصفحات 189-149 من كتاب autre un est L, L, لمؤلفته اليزابت بادنتر
6. إله الكعبتين - الصفحات 156-138

**عدم المساواة المضاعف**

في علاقات السلطة، وعلى أساس ثلاثة اعتبارات، تعتبر (اليزابث بادنتر) المرأة شيئا جنسيا: 1- إنها من أدوات ارتقاء الرجل في سلم المكانة الاجتماعية و2- إنها أداة لتسليته و3- إنها رحم يمتلكه الرجل.

# **إن عدم المساواة الأول هو عدم المساواة بين الإنسان والسلطة:**

عرفنا أن الوسيلة أو التكتيك تُحل الهدف أو الإستراتيجية المناسبة لها محل الهدف المطلوب لها. عندما تصبح القوة أساس العلاقات، يتصور أن كسب القوة هو وسيلة للحصول على المكانة. ويقتنع الإنسان بأنه يصبح كائنا ناجحا وسعيدا بحصوله على القوة الاقتصادية للمال ورأس المال والأرض وإلخ....) أو حصوله على القوة السياسية (المنصب والموقع وإلخ ....).

ولكنه يجهل أن الوسيلة تُحل الهدف المناسب لها محلها تدريجيا: تُحل السلطة محل الإنسان. إن الأزمة الثقافية المتفاقمة في أيامنا هذه، هي إحلال السلطة محل الإنسان ذاته وتسارع اتساع نطاقها. كان في البداية السباق بين الدول. والآن حل السباق بين القوى الظالمة محله وهو السباق الذي قد أفلت زمام الأمور من أيدي الدول وقد سلب إرادتها. وفي هذا السباق الوحشي، سخرت السلطة المجتمع البشري بأسره ليخدمها واتخذته عبدا لها.

لم يعد يكون الإنسان هو الذي يحدد السلطة كما ونوعا، بل السلطة هي التي تحدد حياة الإنسان كما ونوعا:

* ليس الإنسان هو الذي ينظم نشاطات رأس المال في المستوى العالمي وفي إطار الحال والمستقبل بل رأس المال هو بالذات يعطي الأولوية المطلقة لنمو نفسه ويحدد مساره.
* ليس الإنسان هو الذي يحدد مدى القوى التعسفية، بل القوى التعسفية هي التي تحدد مستوى نموها وتفرضه على الإنسان. هناك الحديث عن نزع السلاح يوميا ولكن وبدلا منه يتم سلب الإرادة عن الإنسان بينما تتطور الأسلحة كما ونوعا.
* هناك يجري الحديث عن ضرورة مساعدة "البلدان الجنوبية"، ولكن تتزايد فجوة عدم التساوي بين الحاكم والمحكوم. إن هذا الأمر يعتبر أحد تداعيات نمو السلطة. أليس مفهوم السلطة يظهر عندما تكون لطرف قوة بينما الطرف الآخر يفتقر لها؟ إذن يكون عدم المساواة أمرا ذاتيا بالنسبة للعلاقات التي تعتمد على القوة وكلما تنمو السلطة كلما يتسع نطاق عدم المساواة أكثر فأكثر.

وهكذا يكون عدم المساواة فيها جذريا وإنه عدم المساواة بين الإنسان والسلطة. ومن الأزل حتى اليوم حدا جميع التجارب إلى نتيجه واحدة فقط: أي شخص بحث عن السلطة سخرته السلطة. إن الفاكهة التي أكلها آدم ولا يزال يأكلها أبناء آدم، هي فاكهة السلطة. وكل من يأكل هذه الفاكهة يصبح عبدا للسلطة بدلا من أن يمتلك السلطة. كما هو الحال بالنسبة للعبودية التي يكون الأساس فيها هو عدم المساواة بين العبيد.

# **عدم المساواة الثاني، عدم المساواة بين المرأة والرجل:**

إن عدم المساواة الثاني ينبثق من أن نوع مشاركة المرأة والرجل في إنتاج القوة ليس على السواء. كما تم شرحه في ما تقدم (هل المرأة تملكها السلطة؟)، إن المرأة وفي تقسيم الواجبات بمبادرة من السلطة تكون على مضض أداة للتمتع الجنسي وكذلك من أدوات ارتقاء الرجل في سلم المكانة الاجتماعية ورحم يمتلكه الرجل – بمثابة خادمة للسلطة.

ونعرف أن الغرب كان ولا يزال يدعي أنه يقوم بإزالة عدم المساواة بين الرجل والمرأة. إلا أن الحقائق تدل على أن حالات عدم المساواة تزداد يوما بعد يوم.

* هناك في الغرب الرأسمالي كما هو الحال في الشرق الشيوعي، وبعد فترة على مستوى التعليم العالي كان يفترض بأن يتم تقليص حالات عدم المساواة بين المرأة والرجل ولكن قد ازداد عدم المساواة. بحيث تكون ومن الآن المشكلة في المجتمعات فوق الصناعية القادمة هي مشكلة الارتباط والتبادل بين كائنين ستكون فيهما كيفيات مختلفة تماما. وهناك سؤال يفرض نفسه وهو "أليست النازية هي التي ستتحقق في المجتمعات فوق الصناعية؟ هل هناك ما ستنجزه المرأة سوى الإنجاب وتحقيق الرغبة الجنسية لدى الرجل والقيام بالأعمال اليدوية؟

تطرح (اليزابث بادنتر) فرضية أن تكون للرجل أيضا إمكانية الانجاب (1). إذا فقدت المرأة كون الانجاب مقتصرا عليها فسوف تتنزل مكانتها أكثر فأكثر، لانه وبغض النظر عن مجال العلم:

1. في المجال السياسي أيضا سوف تلعب دورا أقل أهمية يوما بعد يوم. لأن ما يحدث بعد الأزمة الراهنة، سوف يعرقل العمل السياسي أكثر مما مضى وستشتد المنافسة التي ستكون النساء عاجزات عنها أكثر فأكثر بسبب عدم المساواة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا.
2. في الوقت الحاضر إن عدد النساء العاطلات عن العمل في صفوف العاطلين الفنيين أكثر من الرجال العاطلين عن العمل وسوف يزداد عدد العاطلات. هذا يعني أن النساء هن أول الضحايا في التطور العلمي والفني. حتى بوضع التعليمات لا يمكن تغيير "الجبرية العلمية والفنية". إن الفنون الجديدة تحتاج "القوة العاملة أكثر خبرة" فيما تشكل الرجال هذه "القوة العاملة أكثر خبرة".
3. إن حالات عدم المساواة المذكورة أعلاه قد تسببت وسوف تتسبب في أن تعرض المرأة جنسيتها أكثر فأكثر لتلافي جانب من حالات عدم المساواة. فبذلك تصبح المرأة بذاتها هي السبب في "هسترية" جسدها وهذا الأمر الواقع الذي أصبح موضوع النقاش المذكور، يثير في نفس الوقت سؤالا: لماذا لا يحق للمرأة أن تقوم وباستخدامها القوة الجنسية بإجبار الرجل على أن يعوض حالات عدم مساواتها؟ لماذا لا يحق للنساء أن يهتممن بجنسيتها أكثر من ذي قبل لكي تتلافى حالات عدم المساواة بإنتاج صنوف الفتانة الجنسية وإثارة الحاجات الجنسية؟ لماذا لا يحق للنساء أن يحللن المحل الحالي للرجال حتى في علاقات القوى؟

# **منطق التعارضات أو صراع الجنسين:**

ترى (اليزابث بادنتر) أن صراع الجنس قد أدى وسوف يؤدي إلى عدم مساواة المرأة مع الرجل وهذا أمر لا يطاق. وتوضح التكامل بدءا بنقل أسطورة (2) وهي: في البداية كانت الإنسانية زوجا متلاصقا وكاملا وكان هذا الزوج أجمل مجموعة يمكن تصورها جميل وقوي بحيث حسد عليه الآلهة فقاموا بتقسيمه على نصفين. ومنذ ذلك الحين، أبى هذان النصفان أحدهما المرأة والآخر الرجل إلا أن يصل بعضهما إلى البعض ويندمج بعضهما في البعض الآخر.

فهكذا كان التكامل في البداية يعتمد على مساواة المرأة مع الرجل. ولكن حل تدريجيا عدم المساواة بل التناقض محل المساواة والتشابه. فأصبح الجنسان متضادين وأخذ التكامل على أساس سلطة الرجال معنى آخر (3):

وأسست الأساطير وصنوف الأنظمة الفلسفية على أساس التضاد بين الرجل والمرأة وفي إطار هذا التضاد أصبح الرجل هو الأعلى والمرأة هي السفلى.

كان الفكر الفلسفي والطبي في اليونان القديمة ومن رموزه أرسطو وأبقراط والآخرون يعتبر أن التوازن العالمي وسلامة جسم الإنسان يأتيان نتيجة الامتزاج المتناسق بين الأضداد. وكان المفروض أن لا يكون للعقل والطب غاية إلا إعادة ترتيب التوازن "الطبيعي" الذي كان يزول بسبب حالات الإفراط من قبل هذا الضد أو ذاك... وكان أرسطو والآخرون في عهده يعتقدون بأن الحر والجفاف من الأمور الايجابية والبرودة والرطوبة من الأمور السلبية فيكون الحر والجفاف خيرا والبرد والرطوبة شرا. وكان التكامل بين البرد والحر وكذلك بين الجفاف والرطوبة كالتكامل بين المتضادين أحدهما الرجل والآخر المرأة: كما هو الحال بالنسبة للجسد حيث يجب أن يغلب الحر والجفاف وفي العلاقة الزوجية أيضا يجب ان يغلب الرجل.

وفي القرن الثامن عشر، عندما اعترفوا بنفوذ أكثر للمجتمع على طبيعة الإنسان، قرروا أن يكون الأساس في التربية والتعليم هو التكامل بين المرأة والرجل على القاعدة الموضوعة القائلة بأن المرأة نقيض الرجل. ويقول روسو إن على التربية والتعليم أن يمنعا حصول الشذوذ في الخصائص الطبيعية للمرأة. ولتصبح المرأة زوجة وأم طبيعية ولو بالإكراه، فعليها أن تتربى بحيث تتعلم "التبعية الطبيعية للمرأة" أي ترضخ لأهواء الزوج مفعولة أو مستسلمة (4).

وبما أنه وطيلة قرون كانت فكرة وعمل المرأة والرجل خاضعين لاصالة التضاد، فلم يبق مجال في فكرة وعمل المرأة والرجل اليوم للاهتمام بالمشابهات والمشتركات. وطيلة قرون كان اهتمام النساء بالتفكير يتسبب في أن تفتقد المرأة قيمتها. وفي أيامنا هذه قد ظهر حتى تبرير علمي لمنع النساء من التعليم والتفكير:

وفي توصيف المرأة المثقفة توصل (هلن دوتش) القسوة إلى حدها الأقصى حيث تكتب قائلة:

"إن هكذا نساء يمثلن فكرة عقيمة وشخصية عاجزة" (5). وأية محاولة للتخلص من التضاد "الطبيعي" كانت ولا تزال تتسبب في الرضوخ للاستخفاف والاتهام بالجنون.

إن الحب على أساس السلطة ليس إلا تلافي الحرمان. بعبارة أخرى، هناك للسلطة أيضا الجذب والدفع‘ إلا أن الجذب يتحقق بالتبعية والدفع يتحقق بالتخريب. فلذلك هناك ثلاث خصوصيات للقوى الجنسية بين المرأة والرجل:

1. العداء المتقابل و2- الاستمتاع و3- الضياع في الغيرية.

إن هذه الخصوصيات الثلاث تبين العلاقة الجنسية بين المرأة والرجل طيلة القرون الوسطى وفي ثقافة المسلمين وفي المجتمعات الأفريقية وبشكل عام في مجتمعات يسيطر فيها الرجال. لا توجد هناك ظروف لظهور إمكانية المحبة والحب لتربط المرأة بالرجل على أساس الثقة والاحترام المتبادل. إن الحب يتطلب أن يكون هناك مفهوم آخر للجنس. إن الحب يتطلب أن تتغير البيئة الاجتماعية ويصبح الاحترام المتبادل هو الأساس للعلاقة بين المرأة والرجل (6).

في علاقة القوى مع الرجل، ليست المرأة قادرة على تبديل الجنس إلى القوة وبإنتاجها صنوف الجاذبيات الجنسية والإبداعات الجنسية ليست قادرة على تبديل عدم المساواة إلى المساواة. لأنه وحسب قول (سيمون دوبوار) و(اليزابث بادنتر) و(فوكو):

إن جعل المرأة لتساوي الجنس يأتي نتيجة الفكرة القديمة الجديدة التي تعتبر المرأة رمزا للتخريب والموت. فهناك في الإيديولوجيات السلطوية تكون القيم قيما ذكورية تجسد النظام المبدع والقوى المبدعة فيما تكون القيم المضادة قيما نسوية تعبر عن الانحطاط والدمار في الخوف والفوضى (7).

إن النساء يشبهن بالطبيعة إلا أنه يجب توخي الحذر دوما من أن لا يثرن ولا يخلقن الفوضى في الثقافة التي هي من إنجازات الرجل. وفي مكان آخر وفي إيديولوجيات سلطة الرجال، يكون الرجال أقرب إلى الطبيعة الجيدة وإلي الفطرة، بينما تكون النساء هن اللواتي قد خلقن "الكارثة الثقافية" بإجبارهن آدم على أكل الفاكهة الممنوعة. إن ظهور الثقافة هي العقوبة بالذات لارتكاب الخطيئة الأولى (8).

وفي أي من الحالتين، قد تم إخراج النساء من القسم الجيد للإنسانية وتم اعتبارهن مستحقات للتعامل الذي يتم تطبيقه بحقهن. فمن جهة يتم اعتبارهن ما يشابه الحيوان ومن هذا المنطلق يعتبرن ما دون الإنسان ومن جهة أخرى يوصفن بأنهن جزء شيطاني من الإنسانية. ويتم الترويج للقناعة بأنهن عدو يجب تجنبه (9). وهكذا تصبح علاقة التكامل علاقة التبعية أحادية الجانب وعلاقة الحاكم والمحكوم وعلاقة الإنسان بما دون الإنسان. وبالرغم من هذه العلاقة، فإن الفكرة القائلة بأن المرأة وبإثارتها صراع الجنسين قادرة على تبديل عدم المساواة بالمساواة، ليست إلا خدعة توحى للمرأة التي هي الضحية الأولى لهذه الخدعة.

# **لأن المرأة هي الضحية الأولى:**

لأنه وعلى أساس القاعدة إن القوة توصل الإنسان إلى ما هو عكس غايته المطلوبة. لأن القوة هي وسيلة تنتج هدفا مناسبا لها ليحل محلها. إن تجربة الغرب تؤيد صحة هذه القاعدة: إن المرأة ليست لا تستفيد من عملية الإنتاج واستخدام القوة الجنسية فحسب وإنما تصبح ضحية لها أيضا. وبرغم ذلك هناك أدلة دامغة أيضا أهمها ما يأتي:

* لا تتمكن كل النساء إعادة الجنس بالقوة وتستفيد منها في العلاقة مع الرجل. تتمكن النساء الشابات والجميلات من ذلك. فلذلك إن أحد أهم نتائج استخدام الجنس هي تقليص العمر الجنسي للنساء. إن فترة الإنتاج واستخدام الجنس في المجتمعات تتقلص أكثر فأكثر. قبل كل ذلك وفي المجتمعات الغربية أصبحت اليوم مشكلة كون العمر "الجنسي" للنساء إحدى أكبر المشاكل الاجتماعية. فماذا سيكون مستقبل النساء؟
* فراحت تعقّد موضوع عدم المساواة. لان تزايد حالات عدم المساواة المذكورة أعلاه أي عدم المساواة بين النساء الشابات والعجائز والنساء الجميلات والجذابة والنساء القبيحات الفاقدة من الجاذبة الجنسية وإلخ... فيما أن حالات عدم المساواة هذه راحت تشدد أجواء العنف. لأن:
* يضاف إلى التضاد المذكور في ما تقدم نقلا عن (اليزابث بادنتر) التضاد بين "الأقلية" دون الجاذبة مع "الأغلبية" الجذابة وتجعل المرأة رمزا للشيطان وعاملا للتدمير أكثر مما يعتقد الآن. فبالتالي:
* هذه المرة عندما تكون النساء هن اللاتي يقمن بصيد الرجال باستخدامهن سلاح الجنس ويثار التنافس بينهن لجذب الرجال، فيصبح موقعهن غير متساو أكثر في العلاقة مع الرجال. فطالما لم يكن مدار العلاقة هو الجنس فقط، كان الرجل هو الذي يركض وراء المرأة وهو الذي كان عليه أن يكسب قلب المرأة ويجعلها "ملتزمة" بالعلاقة معه. ولكن عندما انقلب الأمر يتخلص الرجل من الكثير من الالتزامات ويجد موقعا مسيطرا أكثر: إلا أن الرجل والمرأة كلاهما يفقدان جوهرة الحب. إن الجنس يسيطر على جميع جوانب الحياة وإلخ...
* بين المرأة والرجل تتقلص العلاقة بين الأدمغة أكثر فأكثر وإن العلاقة بين الأجساد تضر القوى العقلانية للمرأة أكثر من ذي قبل. كما إنها تقف وراء الاستنزاف المبكر للجسد أيضا.
* إن "العلاقات الجنسية الحرة" تنتج الجبر الجنسي لتحل محل الحرية الجنسية. لانه وبغض النظر عن توحد الحرية مع الحب والاجبار مع القوة، فعندما يكون الأساس هو الإنتاج واستخدام القوة الجنسية فليس للجذب والانجذاب معنى إلا التسليم والاستسلام. ومن هو ضحية هذه القوة؟ المرأة أم الرجل؟ كلاهما ولكن المرأة أكثر.
* ومن تداعيات هذه القوة الجنسية أولا هو تغيير مكان وموقع المرأة تجاه الطبيعة والثقافة وثانيا ازدياد حالات الرقابة الجنسية بمختلف صنوفها وثالثا ابتعاد المرأة عن الحب واقترابها من الهوى والعنف والتدمير أكثر فأكثر.
* وتدمر القوة الجنسية تدريجيا أيضا وتخلق مشكلة إصابة المجتمع بالعقم وانحطاط القوى العقلانية والجسمانية (10).

وإذ إن للقضايا الخاصة بالمرأة والطبيعة والثقافة وحالات الرقابة الجنسية والحجاب في المجتمعات الإسلامية أهمية تامة، فسوف أناقشها في فصول أخرى من هذا الكتاب.

# **المصادر والإيضاحات**

 1- الصفحة 142 من كتاب L, un est L, autre ، لإليزابت بادنتر

 2- الفصل الثالث من الكتاب ذاته‘ الصفحات 301-247

 3- الصفحات 150-140

 4- الصفحة 151 من الكتاب ذاته‏

 5- الصفحتان 160 و 161 من الكتاب ذاته‏

 6- الصحفتان 165 و 166 من الكتاب ذاته‏

 7- الصفحة 185 من الكتاب ذاته‏‏

 8- الصفحه 186 من الكتاب ذاته‏

 9- الصفحات 190-187 من الكتاب ذاته‏

 10- إن انحسار الطاقة الجنسية وظهور عدم الرغبة الجنسية وضرورة الحب أمور تناولتها إليزابت بادنتر في هذا الكتاب. سوف نعود إلى هذه الموضوعات لنتناولها برؤيتنا.

# **المرأة والرجل والطبيعة**

كانت الفلسفة اليونانية تعتقد بالصورة والمادة وكانت تشبه الرجل بالصورة وتعتبر انه مخلوق الله ويجسد الخير ولكنها كانت تعتبر المرأة مخلوق الشيطان ورمزا للشر وأنها تساوي المادة (1). إن أرسطو الذي لم يكن يجد طريقا لإزالة أنوثة المرأة حاول أن يجعلها عديمة القيمة فقال: "إن المادة تتسبب في نشوء الهيولاء ناهيك عن كونها غير قابلة للتصور من دون قابليتها للفساد والموت. وصريح القول أن المنشأ الأمي للهيولاء هو المادة‘ أما الهيولاء فهي عبارة عن كل مولود ليس من جنس والده. فبذلك تكون المرأة هيولاء لكونها لا تماثل الوالد أي الرجل: "المرأة هي رجل ناقص في الخلق أو مشوه"(2).

وإذ تعتبر الثقافة حصيلة انتصار الإنسان على الطبيعة ومازال كثيرون يصفونها بذلك كان ومازال يتم هناك تشبيه المرأة بالطبيعة بهدف وصفها بأنها رمز للفساد والموت. في هذه الأيام بدأت الطبيعة تحصل على قيمتها في الغرب شيئا فشيئا ولكن يجب سلوك طريق طويل حتي تخلص العقلية من تضاد المادة والروح وتضاد الطبيعة وماوراء الطبيعة. فعلى على أي حال واستنادا إلى استحقار الطبيعة من قبل العقلية الغربية. إن أتباع الغرب القدامى والجدد عبروا ويعبرون عن آرائهم حول خطاب القرآن:

هل المرأة في خطاب القرآن تماثل الطبيعة ذات النزعة المفعولية والدونية؟:

ترى إليزابت بادنتر أنه وليس في الغرب فقط وإنما في جميع الثقافات تكون المرأة ملحقة بالطبيعة والمادة. وتكتب قائلة: في قديم الزمان أجاب قانون مانو الذي أصبح ثابتا جدا في الهند أجاب على سؤال: أيهما أفضل هل البذر أو الأرض؟ بأن البذر هو الأفضل. فبالتالي أكد القانون المذكور أفضلية الرجل على المرأة بالعبارة التالية:

"المرأة تماثل المزرعة والرجل يماثل البذر... فإذا تم مقارنة قوة خصوبة الرجل مع قوة خصوبة المرأة فيجب اعتبار الرجل أفضل لأنه وفي كل الحيوانات يكون الجنس المذكر أفضل جيلا بعد جيل" (3).

"القرآن يقيم نفس التشابه بين المرأة والمزرعة (الحرث) حيث أن المرأة وبمثابة الأرض لا عمل لها إلا أنها تأخذ بذر الرجل وتحتفظ به. فدورها دور تابع وفرعي بخلاف الرجل الذي هو خالق ومولد لأن الله منحه القدرة على خلق الجيل. فلهذا السبب يوصي النبي بأن تتفوق الرجل على المرأة لأن "سلطة الرجل أمر ضروري بسبب ملكية الأب لحصيلة خصوبة المرأة وهي الأولاد" (4).

يؤكد كونت دو جاردن أنه وفي قانون المسلمين تكون المرأة في خدمة امتداد الجيل من الأب إلى الابن و

"من التقاليد والعادات الثابتة في مجتمعات الحوض المتوسط التي بنيت على أساس سلطوية الأب أن تمت مصادرة قوة المرأة للإبداع لحساب الرجل" (5).

وكانت مجتمعات الحوض المتوسط مجتمعات نمت فيها التثنية والتضاد أي المادة والصورة وازدواجية الطبيعة والثقافة والمرأة والرجل و... حيث ظهرت وتربت فيها هذه الحالات من الازدواجية العدائية. ولم تسلم من هذه التثنية والتضاد أيه من رسائل التوحيد لا في اليهودية ولا في المسيحية ولا في الإسلام. ولا يزال وبعد مضي كل هذه المدة من الزمن يأتي كاتب باحث ليسمح لنفسه بأن ينظر في آية قرآنية بالصورة التي كانت في ذهنه للطبيعة والبذر ليدعي أن القرآن يقول ما كان يقوله الماضون بدءا من قانون مانو وانتهاء إلى فلسفة أرسطو وأفلاطون في اليونان. ولو أرادت السيدة بادنتر أن تعلم ما هو رؤية القرآن في الطبيعة حيث يفصل الحرث (المزرعة) عن الأرض ويعطي دورا شاملا للأم في ولادة الطفل ولماذا يشبه المرأة بالحرث (المزرعة) لاندهشت لتحررت عقليتها وأنصفت في القرآن لتؤكد أن القرآن لا يزال متقدما وفي الصف الأمامي:

# **المرأة والطبيعة والإنجاب ودور المرأة والرجل:**

**إن القرآن وفي ما يتعلق بالخصوبة لا يعطي الدور الأول للبذر وإنما يعطيه للحرث (المزرعة). كما وفي خصوبة الإنسان أيضا يعتبر الأم ذات الدور الأول. ألا يولد عيسى من دون بذر أب؟ (6) ألا يعني ذلك أن دور المرأة شامل؟ ألا يقول القرآن أن احترموا الأمهات أكثر من غيرهن لأن الأمهات هن اللاتي يربين الأولاد في أرحامهن ثم يولدهن؟ (7). ألا يعتبر القرآن المرأة هي الكوثر ورمز الحياة؟ ألا يشبه القرآن الجنة بالطبيعة الخضراء والنضرة؟ ألا يعتبر القرآن الطبيعة والفطرة شيئا واحدا؟ (8) وألا يكلف الإنسان بخدمة الطبيعة؟ (9).**

**يجب عدم النظر في القرآن بالمفهوم المستقى من الفلسفة اليونانية عن المادة والصورة والتي تعيد الطبيعة إليهما ويجب عدم اعتبار عادات مجتمعات الحوض المتوسط عاكسة للعقيدة التي يبينها القرآن. إن القرآن يعتبر الإنسان مخلوقا من الطین الذي يتضمن كل عناصر وأسباب الحياة وشروطها (10). إن تشبيه المرأة بالحرث قد تم من ناحية العلاقة الجنسية ويتضمن مدلولين هامين للغاية:**

* **المدلول الأول هو الذي تقدم ذكره وهو تفضيل الأم أو تقديمها في خلق النطفة وولادة الطفل.**
* **والمدلول الثاني في العلاقة الجنسية إعطاء الدور النشط الشامل للمرأة:**

# **الغزالي وفرويد:**

**إن الغزالي الذي كان يعيش في القرن الحادي عشر الميلادي كان يعتبر المرأة نشطا من الناحية الجنسية وهو لم يكن يعلم أنه ستأتي إليزابت بادنتر يوما لتقوم في العقود الأخيرة من القرن العشرين بتفسير ما قاله أرسطو أو بنقل تفسير المفسرين المنبهرين بأرسطو حيث تكتب قائلة إن سبب أفضلية الرجل على المرأة يكمن في كون الرجل مالكا للولد!! فيما كان الغزالي يعلم أنه لا يمتلك الوالد ولا الوالدة ولدهما ولهذا السبب كان يفسر الآية القرآنية بشكل أصح حيث يكتب قائلا: إن المرأة نشطة جنسيا وإن حراسة عفاف المرأة من مهام الرجل وهذه الحراسة تمكن بالإرضاء الجنسي للمرأة. والغزالي أيضا يبدي رأيه بالاستناد إلى الآية القرآنية ذاتها التي تستند إليها إليزابت بادنتر إلا أن الغزالي يفسر الآية بالحراسة ولكن إليزابت بادنتر يفسرها بالسلطة (11)؟!.. إن الغزالي الذي وحسب سوروكين يربط القلب والعقل والدين أي الكيانات الثلاثة العرفانية والفلسفية والدينية بعضها بالبعض حتى يحصل على معرفة شاملة (12)‘ لا تنظر إلى القرآن برؤية فلسفية يونانية وبرؤية أعراف وعادات الشعوب القاطنة في مجتمعات الحوض المتوسط. ومع أنه يعتبر المرأة أسفل من الرجل ولكنه لا يفسر آية "الرجال قوامون على النساء" بأن الرجال متسلطون على رقاب النساء خاصة لأن المرأة تماثل الطبيعة السافلة ودورها هو نقل النسب من الأب إلى الابن. بل وعلى عكس ذلك يعتبر المرأة نشطة جنسيا ويرى أن على كل من المرأة والرجل أن يمتع الآخر جنسيا وبالتساوي (13). الواقع أن الرجال وإثر القناعة بأن النساء هن ذات نزعة المفعولية جنسيا وخلقن من أجل متعة الرجل يكفون عن النشاط مباشرة بعد الإنزال وإذ إن المرأة تتأخر في الوصول إلى ذروة النشوة الجنسية فعندما يتوقف الرجل عن النشاط الجنسي فهي تشعر بحرمان جنسي شديد بدلا عن النشوة الجنسية. ويرى الغزالي وأعتقد أنه صائب في رأيه هذا أن هذا الحرمان ذاته يمثل واحدا من أسباب المشاكل أو العاهات الاجتماعية.**

**ولكن لماذا اعتبر ويعتبر المسلمون بمختلف طوائفهم أن المرأة خاضعة لسيطرة الرجل؟ هل أخذوا هذه القناعة من القرآن؟ ألم يفسروا الآية القرآنية بمفهوم ينسجم مع علاقة القوى الموجودة في المجتمعات المسلمة وغير المسلمة؟ لاتضاح الرد على هذه الأسئلة نبدأ بتفسير الآية:**

**" الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ"**

**من ترجمات وتفاسير القرآن درست الست التي في متناول يدي فرأيت أن مهدي إلهي قمشه اي مترجم ومفسر إيراني للقرآن قد فسر العبارة القرآنية "الرجال قوامون على النساء" بأن الرجال مسيطرون على النساء ولهم حق حمايتهن". أما مير محمد كريم نجل الحاج مير جعفر العلوي الحسيني الموسوي وكذلك الحاج عبد المجيد صادق نوبري فسرا في ترجمتهما وتفسيرهما الآية المذكورة بأن "الرجال يحق لهم الوصاية والرعاية على جميع أمور النساء ومعاقبتهن". وجاء في كتاب "تفسير نمونه" (التفسير المثالي للقرآن) من التأليف المشترك لمجموعة من الكتاب بإشراف ناصر مكارم شيرازي) أن الآية تعتبر "الرجال رعاة أو أولياء وخداما للنساء". وكتب الشيخ حمزة أبوبكر في ترجمة القرآن إلى الفرنسية عند ترجمته للآية: "الرجال آمرون للنساء". وترجم بلاشر إلى أن "الرجال لهم حق إصدار الأوامر للنساء" وقام محمد حميد الله بترجمة الآية المذكورة في ترجمته للقرآن إلى الفرنسية بأن "الرجال هم مدراء النساء". فبذلك قامت كل هذه الترجمات بتجويز ما يبدأ من الوصاية بافتراض المرأة "ضعيفة" وينتهي إلى كون الرجل آمرا للمرأة وما يبدأ من السيطرة الشاملة للرجل على المرأة وينتهي إلى كونه مديرا للمرأة. هذه الترجمات والتفاسير وبرغم كل ما تتضمنه من فروق كبيرة قد تأثرت من الحكم العالمي الشامل لعامة الناس وبقبول مبدأ التضاد ومن دون الاهتمام بمبدأ التوحيد وبأمرين واقعين اجتماعيين أحدهما الاستغلال الاقتصادي للنساء والآخر استغلالهن جنسيا. هذه الآية جعلت الأمرين محظورين للرجال أي ليست الرجال حسب الآية لا يجوز لهم أن يستغلوا النساء اقتصاديا فحسب (في عصرنا يعاني ثلثا سكان العالم الثالث من الجوع المزمن كما يقوم 40 بالمائة من النساء في أميركا اللاتينية والشرق الأقصى بتكفل نفقات العائلة) (15) وإنما عليهم أن يدفعوا النفقة للنساء أيضا‘ كما ليس الرجال لا يجوز لهم استغلال النساء جنسيا بأسلوب شنيع لا يزال شائعا اليوم أكثر مما مضى فحسب وإنما كما يقول الغزالي يجب عليهم أن يمتعهن جنسيا أيضا. أما من حالات فضل الرجل على المرأة ما يكمن في أن عليه أن يحميها في ما يتعلق بالأمرين الأساسيين المذكورين. كما هناك حالات فضل للنساء على الرجال: فضل الأمومة وفضل القيادة في الحب وأدائهن دور الحرث (المزرعة) البيئية في التمتع الجنسي‘ و... ودور الإبداع والخلق وجعل المستحيل ممكنا ودور القيادة إلى الجنة. فإن النساء اللواتي تعتبرهن المذاهب اليهودية والمسيحية قادة الرجال نحو الانحطاط والجحيم وذلك نتيجة انسلاخ هذه المذاهب عن الذات الديني‘ يصبحن في الإسلام قادة الرجال نحو الجنة كما تدخل النساء الجنة أمام النبي (16). إن المرأة والرجل من نفس واحدة وهما متساويان في الخلق وحسب مبدأ التوحيد يقوم أساس علاقتهما على الحب والعدل والتعامل والتعاون. وفي هذا التعاون وعلى أساس المساواة والحب يؤدي كل منهما دور المكمل للآخر وهو الدور الذي لا يمكن لشخص غيرهما أن يؤديه. هنا يطرح سؤال وهو لماذا لم يقل القرآن إن النساء قوامات على الرجال؟ لأنه ومنذ ما قبل الإسلام وحتى اليوم لم تقم النساء باستغلال الرجال اقتصاديا وجنسيا. ففي علاقة القوى كانت سلطة الرجال هي الأساس وكان الرجال في كل المجتمعات يستخدمون سلطتهم على النساء في تضييع النساء وبالتالي تضييع أنفسهم وأولادهم. فلذلك تغير هذه الآية تغييرا جذريا للعلاقة بين المرأة والرجل باتجاه حرية المرأة وقيام العلاقة بين المرأة والرجل على أساس الحب والمودة. ومع أسف شديد قد تقهقر الفقه إلى الوراء قياسا بالغزالي بعد مضي 9 قرون وقد تأثر مما تقوم عليه الفلسفة اليونانية من ثنائية وتضاد أكثر مئات المرات من تأثره بالغزالي. فقد استقى الفقه اعتبار التمتع الجنسي دنيئا أو سافلا من المسيحية المتأثرة باليونان وقد تخلى قبل مجيء فرويد عن السنة التي كان الناس ملتزمون بها ألى عصر الغزالي ليصبح فرويديا أكثر من فرويد ويقيم عقليته على أساس الوصاية الشاملة والسلطة التامة للرجل على المرأة حتى أدخل المجتمعات الإسلامية بهذا الانحراف والشذوذ في ظلمة صنوف الضياع والفساد وأنزل كرامة المرأة والرجل والصغير والكبير ليحول سبيل الرشد إلى متاهة الغي والرجعية والتخلف.**

**إن ملاحظة ما الترجمات للعبارة القرآنية "قوامون على النساء" توضح للمتعقلين والمعتبرين أن سلطة الرجل على المرأة قد تخففت تدريجيا وعلى مر الزمن حتى تنزلت في عصرنا إلى المديرية (الإدارة). كلمة واحدة وكل هذه الفروق والاختلافات في ترجمتها وتفسيرها؟! ومع كل ذلك وكما أشير إليه في ما تقدم‘ يشترك المترجمون والمفسرون في الغفلة عن الأمرين العالميين الشاملين والمستمرين المذكورين وفي أخذهم بمبدأ التضاد. ورغم الإيضاح الذي ورد أعلاه لا يزال يحق للقارئ أن يسأل لماذا وفي ما يتعلق بالأمرين العالميين الشاملين المستمرين أي الاستغلال الاقتصادي والاستغلال الجنسي اعتبر القرآن الرجل قواما على المرأة ولماذا اعتبر المرأة حرثا (مزرعة) للرجل في العلاقة الجنسية والولادة؟**

# **القرآن وصف المرأة بالحرث ولا بالطبيعة:**

**لقد تم الرد على السؤال في ما تقدم: كما ورد في الآية إن المرأة هي المسؤولة عن الحفاظ على كرامتها واستقلالها من مختلف الجوانب إلا أنها ليس فقط تحظر على الرجال استغلال النساء وإنما تكلفهم بالحماية وهذا ما لا يمكن للعقل إلا أن تفعله لأنه لا يمكن الطلب من المرأة أن تصحح خطأ الرجل. لكن إضافة إلى ذلك وحسب تعبير الغزالي (17) إن القرآن حمل المسؤولية على الرجل في التمتيع الجنسي التام للمرأة أيضا وعلى المرأة في التمتيع الجنسي للرجل. نعم "الرجال قوامون على النساء" وبهذه الصفة هم مسؤولون في العلاقة الجنسية عن إكمال تمتيع المرأة لأنه ومن أهم أسباب العاهات الجنسية هو "عقدة عدم التمتع" أو الحرمان الجنسي. وعندما نمعن النظر في الموضوع نلاحظ أن التعليم والتربية غير الصحيحين باتا من الأسباب الهامة للحرمان الجنسي. فإن الرجال وإثر القناعة بأن المرأة تشبه بالأرض وهي ذات النزعة المفعولية جنسيا يعتبرونها أداة لتمتعهم الجنسي التام ولا يعترفون بأي مسؤولية أو واجب عليهم مما أدى في المجتمعات والأكثر في المجتمعات المتخلفة إلى الحرمان الشامل للمرأة وكون حرمانه الجنسي قد بات من أهم أسباب عدم ازدهار طاقاتها وعدم نموها.**

**إن هذه القناعة غير الصحيحة التي اتخذت طابعا دينيا وقد رسبت بشدة طيلة القرون في الأدمغة والعقول قد تسببت في التربية الجنسية غير الصحيحة للرجل والمرأة وبوجه خاص المرأة: "على المرأة أن تكون في العلاقة الجنسية غير نشطة وعليها أن تجعل نفسها تابعة لتحركات الرجل. إن تعليم وتربية النساء يأتيان على عكس التعليم أو الإرشاد القرآني الذي شبه النساء بالحرث (المزرعة).**

**في الحقيقة وكما اعتقدت إليزابت بادنتر عن طريق القياس إن القرآن لا يشبه المرأة بالأرض وإنما يشبهها بالمزرعة التي هي بيئة الخصوبة ليتم فيها تربية وتنمية البذر كما يقول سعدي شاعر إيراني شهير: "يشتغل الغيم والريح والقمر والشمس والفلك كلها لتأكل أنت الخبز". فهكذا إذا شبهنا مني الرجل خطأ بالبذر فلا يوجد بحوزته إلا عاملا واحدا فيما أن بقية العوامل تكون بحوزة المرأة ومع أن هذا "البذر" أيضا نشط. ولكنه وفي نشاطه تابع لنشاط عناصر أخرى توجد لدى المرأة. أما القرآن فهو قام بتصحيح آخر في القناعة العامة غير الصحيحة وهو أن البذر الذي يختصب ينشأ هو الآخر في رحم الأم. واليوم نحن نعلم أن الحيوانات المنوية للرجل تتنشط في العلاقة ببويضة المرأة وتنشطها. وكما يقول طالقاني في كتاب تفسيره للقرآن: "إن الرجال هم وسيلة للحرث والإنتاج وليسوا الحرث" (18). وليس أن المرأة لديها الأسباب في الخصوبة فقط وإنما لديها الدور البيئي أيضا وبل حتى في العلاقة الجنسية لا يكتمل التمتع الجنسي إلا بأن تستوعب المرأة الرجل مثل مزرعة (الحرث). فهكذا ليست فقط لا توجد لدى المرأة نزعة المفعولية جنسيا وإنما كون العلاقة الجنسية ناقصة أو تامة يعتمد على نشاط المرأة. فبذلك نلاحظ أن البيان القرآني في الإكمال المتبادل لا يزال أكمل من أي بيان آخر": إن المرأة والرجل لا يصبحان مكملين بعضهما البعض من ناحية النقائص ولا يتكون الكمال من مجموع النقائص بل إنهما يكملان بعضهما البعض (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ) لسبب فضائلهما وعلى أساس الحب والعدل. إذن يكون المعنى الأول لآية " نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ" (19) أنه يجب في العلاقة الجنسية إلغاء كل حالات الرقابة الجنسية أو الحظر والتقييد الجنسي. مع ذلك لا يزال يبقى سؤال لماذا يقول القرآن خطابا للرجال: " نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ" لأن هناك أمر عالمي شامل ومستمر آخر وهو أنه ونتيجة تعليم خاطئ وتربية خاطئة يتم تقييس مدى عفاف المرأة بتقييداتها الجنسية الذاتية عند علاقتها الجنسية مع زوجها. ومن مضاعفات حالات الرقابة والتقييد هذه هي أن الرجال وفي المجتمعات التي ينتشر فيها اتخاذ "العشيقة" يتوقعون السخاء الجنسي من عشيقاتهم فقط ولا من زوجاتهم. وفي المجتمعات التي تلعب "المومسات" دور العشيقات يتوقع الرجال منهن فقط أن يبدين الرغبة الجنسية ويؤدين الدور النشط في العلاقة الجنسية الأمر الذي حدا برقعة الزوجية إلى أن تصبح بيئة التقييدات الجنسية وبالتالي الحرمان الجنسي. لا يمكن إحصاء مضاعفات هذه التقييدات وحالات الحرمان الناتجة عنها. سوف نناقش مشكلة هذه التقييدات والحجاب في فصل آخر. ولكن نتناول هنا أن هذه القناعة والسلوك الجنسي تتسم بقدرة ليس فقط جعلت الخطاب القرآني عاجزا عن تغييرها وإنما ذاتها قد غيرت معناها. وليس سبب قلب المعنى هذا إلا السلطة (=القوة) التي اتخذت من الجنس أداة لعملها: ففي المجتمعات الإسلامية اتبع "الفقه" طلبات السلطة (=القوة) ليكون سببا للحرمان الشديد الذي تسبب في خمول مجتمعاتنا وتوجهها نحو المخدرات (من المعتقدات المخدرة إلى المواد المخدرة) حتى توقف نموها. فيجب إقامة ثورة ثقافية ليعود أساس الفكر والعمل من التضاد إلى التوحيد وتستعيد النساء والرجال الحرية الجنسية ويتخلص الأزواج رجالا ونساء وبالاعتماد على الحب من حالات الحرمان الجنسي ويحصلا على الحيوية وقوة النمو. يجب على جهاز التعليم والتربية الجديد أن يعلم الأبناء أنه وفي العلاقة الجنسية ليست النساء يؤدين الدور النشط فحسب وإنما عليهن ومثل الحرث (المزرعة) أن يمارسن نشاطا شاملا وأن تعلم الفتيات بأنه وفي العلاقة الجنسية والخصوبة يجب عليهن أن يكن مثل الحرث (المزرعة) ليلعبن دورا نشطا في جميع الجوانب حتى يتم في رقعة الزوجية إلغاء كل التقييدات والمحظورات الجنسية وتحقيق الحرية الجنسية التامة.**

# المصادر والإيضاحات:

**1- صص 122-118 L, un est L, autre از Elisabeth Badinter**

**2- صص 126-125 ذات المصدر.**

**3- قوانين مانو، الكتاب التاسع الآيات 37-33 و 44 و نقلا عن اليزابت بادنتر في صص 126 و 127 ذات المصدر.**

**4و 5- صص 78 و 103 كتاب Maternite et patriarcat au Magreb  از  Lacost-DujardinCamille نقلا عن اليزابت بادنتر في الصحفة 127 كتاب L, un est L, autre**

**6- القرآن، سوره الأنبياء الآية 91 و...**

**7- القرآن، سورة لقمان الآية 14**

**8- هناك كثير من الآيات في وصف الجنة ومنها للمراجعة الآيات 15 و 126 و 195 من سورة آل عمران والآية 35 من سورة رعد والآية 15من سورة محمد والآيات 33 - 35 من سورة يس والآية 12من سورة الحديد و الآية 22 من سورة المجادلة والآية 12 من سورة الصف وسورة الغاشية و... إلخ.**

**9- القرآن، سورة هود الآيه 61**

**10- القرآن، سورة الحجر الآية 26**

**11- صص 88-84  Le livre des bons usages من تأليف الغزالي ترجم إلى الفرنسية على يد L. Bercherو G. H. Bousquet عام 1953 باريس**

**12- صص 72-62 كتاب "خداوند دو كعبه" (إله الكعبتين) لمؤلفه الدكتور ناصرالدين صاحب الزمانى‏**

**13- راجعوا الدراسة التفصيلية حول آراء الغزالي وفرويد 30-14 كتاب Sex. Ideologie. Islam من تأليف  F. Mernissi ترجم من الإنجليزية إلى الفرنسية على يد  D. Brouerو A. N. Peletier**

**14- القرآن، سورة النساء الآية 34**

**15- الصفحات 19 و51-40 و66-54 و... من كتاب Femmes du Tiers-Monde و  Paris 3891 Jeanne Bisillatانتشارات Fieloux**

**16- الصفحة 68 من كتاب Le livrers des bons usages en matiere de mariage**

**17- الصفحة 86 من الكتاب ذاته‏**

**18- ص 135 من كتاب "برتوي از قرآن" (ضوء من القرآن) بالفارسية، ج 2 من تأليف سيد محمود طالقانى‏**

**19- القرآن، سورة البقرة الآية 223**

# الحجاب‏

**أوضحت في مناقشة القواعد الأربع أنه طالما تكون العلاقات الاجتماعية هي علاقات السلطة (=القوة) يكون الحجاب والسفور من الأكاذيب الكبرى لعصرنا والعصور السابقة كما كانت كذلك في الماضي لأنه عندما تساوي العلاقات الجنسية علاقات السلطة (=القوة) فتقوم هذه العلاقات على قاعدة الإثارة من جهة و"عدم الركون" من جهة أخرى وهي قاعدة: انهضي ولا تهربي!**

# **انهضي ولا تهربي!**

**قال شاعر إيراني عند وصفه فن إغراء الحبيبة: "بعين يحدق النظر قائلا انهضي وبعين آخر يغري قائلة: لا تهربي!. هذا الفن أي فن إغراء الحبيبة هو فن عالمي شامل وهذا الفن بني على أساس إيجاد تركيبة مناسبة من المعروف والمجهول والعاري والمحجب: إن فن الإغراء هو تعريف ما هو قابل للتعريف وعرض ما هو قابل للعرض وهو التغطية على حدق النظر المعروف بحجاب المجهول وتصعيب وتوعير طريق الوصل به على العاشق وزيادة هلعه. لو لا حدق النظر وكان السفور التام جائزا لرأى العاشق ظاهر المعشوق وباطنه وما يعلنه ويخفيه ليعرفة معرفة تامة‘ و إلا أين كان بإمكان المعشوق أن يأسر العاشق لقوته على الإغراء وبواسطة وهق حدق النظر؟**

**فعلى ذلك طالما تكون السلطة (=القوة) هي قاعدة الحب تساوي الهوى ويصبح كل من الحجاب والسفور كذبا. الواقع أنه وفي المجتمعات هناك تركيبات مختلفة من العاري والمحجب. وحتى في جزيرة العراة لا يوجد من هو يكون عاريا بالكامل. هذه التركيبات تتغير أشكالها حسب تناسب التغييرات في كم ونوع علاقات السلطة (=القوة). وإذا جعلت العلاقات الجديدة للسلطة من الضروري أن تكون هناك تركيبة من اعتراء البدن واكتساء النفس والفكر فلن تنجح دوريات قوى الأمن في مواجهتها حتى لو كان عددها بمائة أضعاف. فلذلك يرى جورج موردويك أنه وفي المجتمعات البشرية قد تبلور احتواء الغريزة الجنسية على شكلين واليوم أيضا يتبلور على شكلين (1):**

**"إن المجتمعات ومن ناحية احتواء الغريزة الجنسية تنقسم إلى مجموعتين: المجموعة الأولى هي مجتمعات أصبح فيها الالتزام بالقواعد والمحظورات الجنسية إجباريا عبر دفعها إلى الداخل وذلك خلال جعل الجنس اجتماعيا. والمجموعة الثانية هي مجتمعات أصبح فيها الالتزام بالمحظورات واجبا عبر حالات الوقاية الخارجية. إن المجتمعات الغربية هي من المجموعة الأولى فيما أن المجتمعات التي يلتزم فيها بالحجاب هي من المجموعة الثانية التي هي مجتمعات لم يمكن فيها جعل المحظورات الجنسية أمرا داخليا".**

**فهكذا إذا كنا لا نريد أن نبقى قيد المراوغة والرياء ونريد أن نجهر بالحق فلا توجد هناك لا محجبة ولا سافرة! بل هناك وفي كل مكان وبالتناسب مع كم ونوع علاقات السلطة (=القوة) إنما يتم هناك إقامة ما هو جائز وما هو محظور ويتم إقامة وإلغاء القيود (التقييدات) وحالات الرقابة بموجب القوانين والأعراف والعادات والإجبارات الاجتماعية الأخرى خاصة "الموذة". وهذه الحالات من الجائز والمحظور وهذه التقييدات وإلغاء القيود كانت ولا تزال وستكون في كل المجتمعات متغيرة باستمرار. ومن أسباب ذلك أن تحويل الجنس إلى السلطة (=القوة) واستخدامها لا يمكن إلا بالتركيب المناسب وقابلية التغيير من المحجب إلى العاري. ويمكن بـ "انهضي ولا تهربي". إن طبيعة السلطة (=القوة) تتطلب التنوع وقبول التغيير. فعلى ذلك لا يمكن لتركيب المحجب والسافر وبالتالي ضوابط الحجاب أن يكونا ثابتين وخير دليل وشاهد على ذلك هو تاريخ الحجاب في المجتمعات الإسلامية وتحول الواجبات والمحرمات وحدود الحجاب وليس إلا!..**

**في الحقيقة ليست المرأة والرجل هما الوحيدان اللذان يستفيدان من الأمور الجائزة وغير الجائزة ومن المحظورات التي جعلت داخلية ولم تجعل داخلية ومن مختلف التقييدات وحالات الرقابة في العلاقات الجنسية بينهما‘ وإنما تستفيد منها المجموعات التي تنشأ لتركيز وتكديس السلطة (=القوة) لديها والأكثر من كلها الحكومة أيضا. ولهذا السبب يقوم نظام الملالي الديكتاتوري ولمكافحة "السفور ونقص التحجب" بتسيير صنوف الدوريات وتشريع وتنفيذ صنوف العقوبات وأخيرا قام بإنشاء معسكر لاحتجاز السافرات وناقصات التحجب ولكن الملالي لم يتخذوا لا بعد الثورة أي بعد وصولهم إلى السلطة ولا قبل الثورة حيث كانوا يقودون المشاعر والمعاريف الدينية للمواطنين خطوة واحدة لتنمية القوى العقلانية للنساء وقدراتهن وطاقاتهن الأخرى. كما لا توجد في أي من أجهزة هذا النظام ومؤسساته حتى امرأة واحدة مثقفة توكل إليها منصب أو مسؤولية. وواقع أن تشديد الضغوط لجعل "الحجاب الإسلامي" إجباريا بات مقترنا لانتشار الفساد الجنسي والبغاء بل وإن انتشار الفساد والبغاء استبق في هذا التسارع يؤكد واقع أن السلطة (=القوة) وخاصة الديكتاتورية الشاملة هي التي وبسبب استخدامها الجنس خاصة بشكل يومي تقف وراء انتشار حالات الفساد الجنسي والبغاء.**

**ويمكن لنا أن نشاهد بوضوح في أعمال نظام الملالي الديكتاتوري مثلما كان في أعمال الكنيسة في العصور الوسطى الالتزام بكل من القواعد الأربع للسلطة (=القوة):**

* **حسب القاعدة الأولى إن المعرفة التي اعتادت عليها السلطة الشاملة الحالية تعتبر المرأة ضعيفة وشيئا جنسيا‘ كما تتصور أن المرأة ضعيفة من ناحية القوى الفكرية وقوية من ناحية العواطف فعلى ذلك تعمل على تربية وتنمية عواطف المرأة معتمدة في ذلك على تعويد النساء على العنف. فبذلك يكون تعليم وتربية المرأة بمعنى تربية وتنمية "طاقة" التطابق مع السلطة (=القوة) والإسهام في تشديد أجواء العنف سواء في رقعة الزوجية أو في رقعة علاقات الحكومة مع الشعب: "المرأة مملوكة للسلطة"!! ونظرا لأنه إذا حصلت النساء على معرفة وعلم أكثر من المعرفة المنسجمة مع الديكتاتورية الرجعية للملالي فسوف يمثلن خطرا كبيرا يهدد هذه الديكتاتورية فيعتمد النظام أصلا تقييد الدراسة للنساء ومنعها في بعض الحالات.**

**حسب القاعدة الثانية إن توزيع السلطة على الحكومة والشعب وعلى الفئة الحاكمة وفئات الشعب الأخرى يتطلب أن لا تكون أية قوة في متناول يد المرأة مباشرة إلا القوة الجنسية وأن لا تعمل في كل المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية مباشرة وبالاستدلال. إن السماح لوجود علاقة مباشرة إن السماح بوجود علاقة مباشرة للمرأة مع الجنس يهدف إلى أن يبرروا احتواء الجنس والمراقبة الجنسية لیلا ونهارا وبالاستناد إلى "مخاطر عجيبة وغريبة وهائلة ومرعبة و... إلخ" التي تترتب للمجتمع على استخدام المرأة "الناقص عقلها" جنسها وإلا تكون استخدام هذه القوة أيضا بيد ممثلي السلطة (=القوة): إن كل نشاطات النساء الاجتماعية أصبحت وتصبح غير مباشرة.**

* **تؤكد القاعدة الثالثة أن الأسلوب أو المنهج أو التقنية يجعل وبشكل مضاعف الهدف أو الإستراتيجية مشروطا: عندما يكون الواجب الأهم للحكومة هو احتواء الجنس وتنظيم العلاقات الجنسية (التنظيم الذي يترجم حاجات الديكتاتورية الشاملة للتغيير وقبول التنوع) فلم يعد الهدف يمكن أن تكون السلامة الجنسية والتقوى و... إلخ. وإنما يكون الإنتاج والاستهلاك الكثيف للجنس والإدمان على الجنس هو الهدف. فلذلك حتى لو كان لنظام الملالي الديكتاتوري قصد وهدف سليم عديم الغش لعاد واستخدم كما لا تزال يستخدم فعلا أساليب ليحل بها محله هدفا متناسبا مع النظام كما أحله فعلا وكانت وتكون النتيجة: أن إيران تحقق الكفاية الذاتية من ناحية الجنس.**

**إن الفرق الوحيد الذي حصل في الإنتاج والاستهلاك الكثيف للجنس بين النظامين الملكي والديني الديكتاتوريين هو الفرق في تركيبي الجنس العاري والمحجب, هل سبب هذا الفرق يعود إلى أن مجتمعنا وكما قال جورج موردك عالم اجتماع اأمريكي لم يتمكن من جعل المحظورات الجنسية أمرا داخليا؟**

**الإجابة هي: عندما أصبح التقييم والانتقاد في دين ما حقا وواجبا وعندما تم الاعتماد على مبدأ عدم الرقابة و... إلخ وعندما تم إلغاء أصالة السلطة (=القوة) فلم يعد يمكن جعل الحجاب داخليا إلا بصعوبة! على ذلك إن أمر الأنظمة الديكتاتورية في مجتمعاتنا صعب ولابد لهم أن يضيفوا باستمرار مثل المدمنين على المخدرات إلى حجم القوة (= وسيلة العنف) التي يستخدمونها. ونظام الشاه وصل إلى الطريق المسدود في هذا المجال أيضا لأنه وعلى "نمط الغرب" كان يستخدم الجنس لتثبيت وترسيخ سلطته وكان يدعي أنه يعارض الحجاب فقط. إنه كان يعارض الحجاب بقدر ما لم يكن يتمكن من جعله داخليا على "نمط الغرب". فأدى ذلك إلى ما أدى إليه: فوضى تامة وأزمة جنسية واجتماعية ودينية وسياسية وثقافية واقتصادية شديدة كان النظام نفسه يثيرها ولكن لم يكن يجد حلا لها وبل كانت تتفاقم.**

**أما نظام الملالي الديكتاتوري فهو اعتمد نمط (نهج) الكنيسة في العصور الوسطى. فبالتالي تسبب في نشوء نفس الفساد الذي كانت الكنيسة قد أنشأته في عهد الديكتاتورية الدينية الشاملة وهو الفساد الذي لم يتفشى في الغرب حتى اليوم.**

* **وعلى أساس القاعدة الرابعة إن أدبيات (خطاب) السلطة الديكتاتورية حول المرأة والجنس والعلاقات الجنسية والزوجية و... إلخ غامضة حتى العظم. لا توجد هناك أية ضابطة وقاعدة وقانون واضح وثابت: في عهد الثورة وعد السيد خميني بأن النساء في إيران سيكن حرائر في اختيار الملبس. ولكن بعد ما وصل إلى السلطة ومنذ أن جلس على عرش الحكم وحتى اليوم يتم هناك كل يوم جعل الجنس غولا أكثر هولا يكمن فيه خطر أكبر! ولاحتواء الغول ودرء الخطر الذي يتوقع منه يعطى للحجاب ترتيبات جديدة ويتم إخضاع العلاقة بين المرأة والرجل وحتى المحادثة في ما بينهما لضوابط وقرارات جديدة. فبالتالي ليست المشكلة لا يوجد لها حل فحسب وإنما تصبح أكثر تعقدا أيضا وذلك ليس بسبب أن نظام الملالي الديكتاتوري عاجز عن تشريع وسن الضوابط والقواعد والقوانين الواضحة وإنما يأتي بسبب أن إقرار الضوابط والقواعد والقوانين الواضحة لا تقيد المرأة والرجل بقدر ما تقيد السلطة الحاكمة ولا يمكن للسلطة الشاملة أن تتحمل القيود. فعلى ذلك ليس غريبا أن نظام الملالي الديكتاتوري لا يتحدث عن العفاف والتقوى الجنسية بقدر ما يتحدث عن الحجاب. وفي كل مرة ينطق فيها أحد المتحدثين باسم هذا النظام الديكتاتوري بكلمة "الحجاب" و"ناقص الحجاب" يتفوه بسلسلة طويلة من ألفاظ التهديد والتوعد وذلك لأن نظام الملالي الديكتاتوري يحتاج إلى الجنس لترسيخ ورفع جدار الخوف والرعب ولاحتواء محسوم للمجتمع ولو لم يكن الأمر كذلك لكف عن نهجه المخالف للإسلام بعد ملاحظته تفشي الفساد والبغاء. إن هذا النظام يعرف أن فكره وأداءه يعارضان الإسلام فلا يكف عنهما لأنه بات حاليا ألعوبة بيد السلطة (=القوة). وهذا الحل أيضا انتهى إلى الطريق المسدود مثلما انتهى إليه الحل الذي اعتمده نظام الشاه الديكتاتوري. فالحق أن الحل لا يمكن إيجاده إلا في الحرية:**

# **أربعة حلول مجربة:**

**في المجتمعات الغربية وفي المجتمعات الإسلامية وفي المجتمعات الأخرى تم إيجاد أربعة حلول مجربة لتنظيم العلاقة الجنسية:**

1. **الحل الذي تم تجريبه ولكن فشل في ظل صنوف الأنظمة الديكتاتورية في الماضي والحال بما فيها الأنظمة الملكية والدينية؛**
2. **جعل الجنس اشتراكيا؛**
3. **الليبرالية الجنسية و**
4. **الحرية الجنسية التامة في العلاقة الزوجية والإمساك عن العلاقة الجنسية في خارجها مع الحرية التامة في علاقة الدماغ بالدماغ داخل وخارد العلاقة الزوجية:**

# **جعل الجنس اشتراكيا:**

**إن تجربة إلغاء العائلة وألغاء "ملكية الجنس" قد مورست مرات عديدة. وقد مارستها جماعات خلال العقود الأخيرة أيضا في المجتمعات الغربية ولكنها فشلت. فهكذا ومنذ أن كان أفلاطون يبنى مدينته الفاضلة وحتى عصرنا هذا ليست هذه التجربة لم تحل المشكلة فحسب وإنما زادت الطين بلة لتتزايد المشاكل حيث أن كل فشل بات أكبر من الفشل السابق. لماذا؟ لأن التناقض يكمن في الحل ذاته. هذا الحل يحمل في طياته ليس تناقضا واحدا وإنما عدة تناقضات. فعلى ذلك من الكذب:**

* **إن هذا الحل وحسب الباحثين عنه يلغي الملكية الفردية للجنس ليقيم ملكيته الجماعية. إذن لا يتم إلغاء الملكية إلا أن مؤيدي هذه الاشتراكية لا يعلمون أن الحرية الجنسية وكما تقول إليزابت بادنتر رهينة الفردية (2). لا يمكن جعل ملكية الجنس جماعية لأنه:**
* **لا بد من جعل أذواق كل أفراد المجتمع موحدة في تقييم الجمال والبريق الجنسي وكذلك القدرة والرغبة الجنسيتان للأفراد. ونعلم أن ذلك لا يمكن حتى بتوحيد الأفكار أيضا. فمن أجل توحيد أبناء البشر في كل شيء لابد من أقامة نظام ديكتاتوري مطلق شامل وهذا النظام الديكتاتوري وبافتراض إمكانية تحقيق ذلك لا يتمكن من تحقيق هذا الهدف إلا بتحويل المجتمع إلى مقبرة. فلذلك إذ إن الجمال والبريق الجنسي والرغبة الجنسية أمور فردية لا يمكن جعلها اشتراكية فلا يمكن جعل إنتاج واستهلاك الجنس أمرين اشتراكيين.**
* **إن جعل الجنس اشتراكيا لا يمكن من دون التغاضي عن الحب. وعند ما يزول الحب فتصبح العلاقات لا محالة علاقات القوة (= وسيلة العنف). ولكن الاشتراكية تستلزم إلغاء علاقة القوة (= وسيلة العنف). لأنه إذا تم الاعتماد في العلاقات على مبدأ القوة (= وسيلة العنف) فسوف يقوم من هو أقوى بامتلاك كل من هو أجمل وأكثر بريقا. وهنا يحق للقارئ أن يسأل أليس في هذا الاستدلال تناقض؟ فمن جهة يقال إن الحب هو علاقة بدون قوة وكذلك يقال إن الاشتراكية تستلزم عدم وجود القوة (= وسيلة العنف) ومن جهة أخرى يدعى أن الاشتراكية لا تمكن من دون التغاضي عن الحب وتكذيبه. الواقع أن الحب لا يقبل التمييز فما بالك بالازدواجية وتعدد الحب وتعليق الهوى كل لحظة بهذا الشخص أو ذاك. على ذلك تمكن الاشتراكية بين امرأة ورجل ولكن لا تمكن بين نساء ورجال. فهكذا يكمن التناقض ليس في هذا الوصف والتحليل وإنما في فكر وعمل مؤيدي اشتراكية الجنس لأن الاشتراك من دون قوة يعني حب القوة (= وسيلة العنف) والاشتراك فيها وهذا يساوي عدم وجود الحب. كيف يمكن الاشتراك من دون قوة مع وجود الاختلافات والفروق المذكورة والاختلافات والفروق في السن (الشيخوخة والشباب) وفي الجمال والقدرات العقلانية والجسدية و... إلخ؟**
* **على ذلك تصل هكذا مجتمعات اشتراكية وبعد مدة إلى عكس الهدف ثم قد تلاشت وزالت نتيجة نشوء أقسى المظالم وبالتالي تشديد المحظورات والتقييدات الجنسية وأخيرا نشوء "الطبقات". ربما تكون الفائدة الكبرى لهذه التجارب أن الإنسان توصل بالتجربة إلى القناعة بأن أكثر الأنظمة الطبقية ظلما هو نظام يجعل الجنس هي الضابطة للكون سافلا وعاليا من الناحية الاجتماعية. أما النتيجة الأخرى التي تمضخت عنها هذه التجربة فهي أن الحب أو الاشتراك والتوحيد الكاملين بين المرأة والرجل هو في حد ذاته سبب كبير لانخفاض مدى القوة (= وسيلة العنف) في العلاقات الاجتماعية.**

# **الليبرالية الجنسية:**

**إن تاريخ العلاقات الجنسية في الغرب والنتائج الحاصلة عن الليبرالية الجنسية نقلت عن كل من فوكو وبادنتر وسيمون دوبوآر وآخرين حيث ناقشوا الموضوع. وستتم مرة أخرى مناقشتها عند مناقشة موضوع الإجبارات الجنسية وحل الهوى محل الحب وضعف هذا الهوى الجنسي. فلذلك نكتفي هنا بحل ذلك في الليبرالية:**

**في البداية يجب القول إن هذا الحل وبالمقارنة مع الحل في هذه الديكتاتورية وتلك هو من دون شك حل أكثر نجاحا وله فضائل لا يمكن إنكارها. من البديهي لولا هذه الفضائل فيه لما أصبحت قدوة. ففي الغرب لم يسيروا صنوف "الدوريات" لينزعوا الحجاب أو غطاء الرأس قسرا من رؤوس النساء أو يضعنه قسرا على رؤوسهن وإنما يجري ذلك في إيران الراضخة لحكم "النظام الإسلامي" الذي قد سير دوريات كلفها بمراقبة النساء لكي لا يكشفوا حجابهن ولم يكتف بها وبل أنشأ معسكرا لـ "السافرات وناقصات الحجاب". إن جمهورية الملالي الديكتاتورية تعتبر المرأة شيطانا جنسيا يجب مراقبتها ليلا ونهارا!. إن هذا النظام لم يقدم قدوة أخرى لا قبل الثورة ولا بعد الثورة. ولا شك في أنها لو قدمت قدوة ومثالا يحتذى به لما كانت بحاجة لصنوف الدوريات والمعسكرات.**

**أما سبب فضيلة أحدهما على الآخر يكمن في كون الليبرالية تعتمد على أصالة الفرد وليست الحقوق والحريات الفردية فيها تعتمد على الجنس فحسب وإنما تتلخص فيه. كما وفي المنافسة الجنسية يأتي للرتبة العلمية والفضائل الفنية وصنوف الإبداعات في هذا المجال أو ذاك دور حاسم. على ذلك إن النساء وبفضل كفاحهن المستمر واستخدامهن الحريات قد رفعن ويرفعن شخصيتهن ومكانتهن. فلذلك إذا لم يكن هناك أكثر من مثالين أحدهما المرأة في صنوف الديكتاتوريات الدينية والمذهبية وغيرها والآخر المرأة في الليبرالية. من المؤكد أن المثال الثاني هو الفائز. لا تأثير لشتى أنواع المضايقات والتقييدات والأعمال القمعية والتعسفية كلما تم تشديدها إلا وأنها يقصر ويقلص من مدة فوز الحل الغربي ويوسع رقعتها أكثر فأكثر.**

**يمكن السؤال إذا كان الأمر كذلك فلماذا كانوا يفرضون هذا الحل بقوة على المجتمعات المستعمرة وشبه المستعمرة؟ وقد وردت الإجابة على هذا السؤال في ما تقدم. الواقع أن مهمة ربيبي الاستعمار والأنظمة الراضخة للسلطة لم تكن رفع مكانة المرأة وترقيتها وإنما كانت استخدام الجنس في العلاقات بين السلطوي والخاضع للسلطة. وكما يقول فانون (3) إنهم كانوا يريدون وبالاستيلاء الثقافي على المرأة أن يجعلوا سيطرتهم على هذه المجتمعات أبديةٌ‘ وإلا إن مقارنة مواقع وحقوق النساء في الغرب معها في المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية وبأي مدى كونها تتم بشكل غير منصف لا يمكن لها أن تؤدي إلى تأكيد أن مواقع وحقوق النساء في الغرب أكثر بكثير.**

**مع ذلك‘ إن الغرب هو نفسه يعاني من الأزمة الثقافية. ومعنى الأزمة أن الحل السابق يحتاج إلى الإكمال أو التغيير. وبذلك إن الليبرالية الجنسية إذ تبنى كما يقول سوروكين على المادية تجعل النساء ضحايا السلطة (=القوة) خلال اشتداد وتسارع حالات عدم المساواة وتكدس وتكاثر الثروة (رأس المال) والسلطة (= القوة). ومن المؤشرات على اشتداد الأزمة هو تكاثر الحجابات الباطنية (الداخلية) والتقييدات الجنسية:**

1. **لم يعد وضع الحلال والحرام بكاملها بيد الكنيسة. لم يزل النظام القيمي الحقوقي الثنائي أو المزدوج وإنما بات متعدد الأطراف‘ لأن السلطات التي تسن القوانين والقواعد والأعراف والتقاليد والموذات للجنس وتنظيم العلاقات الجنسية باتت أكثر تعددا كما باتت مدة سريان هذه القوانين و... إلخ أقصر: فإن الكنيسة لا تزال تواصل إصدار الفتاوى وأما المسيحيين المتدينين وبتناسب الأوضاع والظروف وتغير الأغلبية فيغيرون القوانين أو يسنون قوانين جديدة. إن الحكومات تسن ألانظمة الداخلية التنفيذية للقوانين الموضوعة لتنفذ بها القوانين. وفي غالب الأحيان هناك تعارض بين قانون الكنيسة وفتواها وهذا التعارض ليس وحيدا: فإن السلطات الفنية وعن طريق السينما والتأليفات الأدبية تبيح المحظورات الجنسية أو تحدث فيها تغييرات. وأحيانا تكون قوة الإجبار في القواعد أو القوانين التي تسنها هذه السلطات أو تلغيها تفوق القانون والفتوى بأضعاف. بغض النظر عن ذلك إن الفئات الاجتماعية ولتعيين حدود انفصالها وتميزها عن الفئات الأخرى وكذلك الأحزاب و... إلخ وأطباء النفس و... إلخ‘ تقوم بإنشاء وإلغاء القواعد والضوابط التي يجب الالتزام بها في العلاقات الجنسية مما أدى إلى كون النظام القيمي الحقوقي متعدد الأطراف وحافلا بالتناقض.**
2. **فور أن يفقد "موذة جنسية" تأثيرها فلابد وعلى مضض أن يتم إبداع موذة جديدة وإشاعتها فبالتالي وحسب الذوق المتلون وصانع المتلون للسلطة يتغير نوع المحظورات وقيودها وحدودها بفواصل زمنية قصيرة جدا: فما كان يبدو أمس واجبا لكون الأكثر "جنسيا" قد تصبح اليوم حراما. كما قد تتضيق أو قد تتوسع مساحة دائرة المسموحات أيضا. فالتغييرات في الملبس من "ماكسي جوب" إلى "ميني جوب" ومنهما إلى الملبس "الكلاسيكي" (التقليدي) ومنه إلى "الحديث" ليست هي التغييرات الوحيدة التي تحصل على فواصل زمنية قصيرة في تركيبة كون الجسد عاريا ومغطيا (محجبا) بل إن إبداع وعرض مختلف أساليب وفنون التدلل الجنسي أصبحا اليوم موضوع الاختصاص أو من الأمور التخصصية أكثر من أي وقت مضى. ففي الأساليب والفنون الخاصة لزيادة البريق الجنسي ورفع القدرة على التحفيز الجنسي يتم الالتزام بمبدأ ثابت وهو ضرورة المسموحات والمحظورات وإمكانية تغييرها. ففي الحقيقة إن تجريب صنوف التركيبات بين العاري والمغطى يهدف إلى رفع مستوى البريق الجنسي وزيادة القدرة على التحفيز الجنسي إلى أقصى الحد مما يتطلب تغيير الفنون والحجابات الداخلية وكذلك يجعل التقييدات الجنسية أمرا ضروريا.**
3. **إن نوعية التقييدات الجنسية قد أصبحت مختلفة تماما مع ما كان في الماضي: ففي العصر الحاضر إذ إن الزواج لم يعد حاجزا قويا أمام التمتع من الشخص الآخر وباتت "العلاقات الجنسية الحرة" شائعة بشكل متزايد وتبنی هذه العلاقات على التنافس ويروق لها زمن الحال. إن الحفاظ على الموقع بحاجة إلى النضال الجنسي وغير الجنسي ليلا ونهارا. أما الانتصار في هذا النضال فيمكن بالحفاظ على القوة الجنسية وغيرها وزيادتها. لهذا السبب يتزايد استخدام أدوات الرقابة عصرا بعد عصر. فتصبح المرأة "هذه الكائنة المجهولة" مجهولة أكثر مما مضى وهي كلما تتعرى وتعرض جسدها كلما تغطي على باطنها (داخل نفسها). وقد وصل الأمر إلى أن أزمة تزايد استخدام العنف في العلاقات الجنسية وتحول هذه العلاقات إلى علاقات "ميكانيكية" راحت تتزايد وتشتد وتؤدي إلى استنزاف الجسد والنفس. وكان الناس يظنون أنه وبإزالة الظنون في قضية الحب يصبح الهوى نارا متقدا وخالدا وهذا الظن هو الذي خاب لأنه وحسبما تقول إليزابت بادنتر (3) باتت المجتمعات الغربية اليوم تواجه مشكلة خمود نار الهوى الجنسي. أما العاهة الاجتماعية الكبرى فهي أن نار الهوى تتحول إلى نار العنف ويأتي تطور هذه النار ليجعل الأخطار أكثر تنوعا ومتكابرة في كل لحظة.**
4. **إن الاحتواء والإطاعة اللذين هما ضرورة علاقات القوة (= وسيلة العنف) وكذلك مضاعفة وتزايد عدم المساواة بحق المرأة مما يحولها إلى "الجنس الثاني" ودون الإنسان يقود المرأة إلى البحث عن صنوف أساليب المقاومة والبحث عن الامتياز والتفوق. فبالتالي باتت المرأة تحتاج إلى حجاب داخلي آخر يصفونه بـ "آلية التعتويض": إن المرأة وفي التضاد مع الرجل تضطر إلى اللجوء إلى مجموعة أعمال تعوض عن ضعف مواقعها. وقد لوحظ عند مناقشة عدم المساواة بشكل مضاعف أن المرأة هي الضحية الأولى في هذا التحدي.**

**فعلى ذلك يجب إيجاد طريق آخر. وقد فتحت إليزابت بادنتر باب نقاش في ما يتعلق بهذا الطريق الآخر. وفي موضوعين لاحقين للنقاش سيتم أولا مقايسة وتقييم الحجاب في القرآن ثم الحل المقترح من قبل بادنتر بالتجربة الرابعة أي الحرية الجنسية التامة في العلاقة الزوجية والإمساك الجنسي في خارجها مع حرية العمل في علاقة الدماغ بالدماغ‘ في داخل وخارج العلاقة الزوجية.**

# المصادر والإيضاحات:

**1- ص 273 (New York:  Mac Millan & Co Free Press)  Social StructureGeorge Peter Murdock, نقلا عن فاطمة مرنيسى في الجنس، الإيديولوجيا، الإسلام.**

**2- إن فانون وفي معرفة ثورة برؤية علم الاجتماع يصف ويحلل هزيمة الاستعمار الفرنسي بأنها هزيمة في الاستيلاء الثقافي على المرأة الجزائرية. وفي الوقت نفسه يوضح أنه كيف كشفت هذه المرأة حجابها عندما اقتضت الثورة ذلك.**

**3- الفصل الثالث لكتاب L, un est L, autre الذي سنناقشه لاحقا.**

# الحجاب الإسلامي‏

**لم تكن هناك قضية تسمى بالحجاب بمضمونه وشكله الحاليين إلى ما قبل عصر الاستعمار ومحاولة المستعمرين للاستيلاء الثقافي على المجتمعات المسلمة (الإسلامية) الخاضعة لسيطرتهم. إن الاستعمار الثقافي الذي تعاني ثقافتنا نحن الإيرانيين أيضا من جرحه المتدرن هو الذي اصطنع هذه القضية. ولكن سبب نجاح الاستعمار في تحويل هذه القضية إلى إحدى أهم القضايا في مجتمعاتنا يكمن في أن المرأة في مجتمعاتنا كانت تعتبر كائنة دون الإنسان. كان الحجاب هو رمز الاستسلام التام للمرأة للقوة ووكلاء وعملاء و... إلخ ثقافة السلطة (=القوة) ولا يزال الأمر كذلك. الواقع أن نسبة الترابط بين مسيرة انحطاط مجتمعاتنا المسلمة ومسيرة انحطاط مكانة المرأة وموقعها تبلغ مائة بالمائة. إذن علينا أن لا نلقي الذنب كله على عاتق الاستعمار. لنقبل أنه وحسب القاعدة يمثل عمل الشيطان امتدادا لعمل الإنسان. إن التطور والتحول من الحرية إلى الاستبداد المطلق في المجتمعات المسلمة (الإسلامية) هو السبب الذي يقف وراء تحول عوامل استقلال وحرية المرأة إلى عوامل تبعيتها للسلطة (=القوة) وعبوديتها. فقبل أن تخضع مجتمعاتنا لسيطرة القوى الحديثة كانت المرأة قد خضعت لعبودية السلطة (=القوة). عندما كانت مجتمعاتنا المسلمة تقيم حركات تحرر للحصول على الاستقلال ليست أنها كانت تنسى فقط درس محمد (ص) الذي هو أن نمو المجتمع يبدأ بنمو المرأة ولذلك إن الحرية والاستقلال يبدآن من حرية واستقلال المرأة وإنما ونتيجة الظن بأن الاستعمار قد حرم الرجال من السلطة كانوا يقيمون سلطة ذكورية عنيفة باسم الإسلام محاولين إعادة إحكام كل من سلاسل العبودية والتبعية قد مزقته المرأة وهم لم يعلموا أنهم انخدعوا بشيطان السلطوية وأنهم بجعلهم المرأة تتقهقر إلى الوراء يجعلون وبأيديهم المجتمعات المسلمة (الإسلامية) تتقهقر إلى الوراء ويجددون الاستعمار القديم على هيئة الاستعمار الجديد. ومن سوء الحظ كانت القوى الاستعمارية كات ولا تزال تستخدم الانسلاخ عن الذات الديني: كان نظام بهلوي (نظام الشاه) "داعيا للتجدد" وكان ينزع الغطاء عن رؤوس النساء بقوة القمع باسم مكافحة "الخرافات الدينية"‘ وكان نظام خميني وباسم معاداة الانبهار بالغرب ومن أجل "تطبيق الإسلام" يضع الغطاء بقوة على رؤوس النساء!! كلا النظامين الديكتاتوريين قد جعلا انسلاخ النساء عن ذاتهن الثقافي أمرا ثنائيا وحيراهن بين الثقافة الوطنية والمحلية ولكن المخصاة وبين الثقافة الأجنبية ولكن غير المستأنسة. كانت تجربة محمد (ص) تجربة ثورة ثقافية لغرض التخليص من ثقافة القوة (= وسيلة العنف) ولكنها كانت تجربة منسية. إن بيان خميني الصادر عنه في باريس قبيل انتصار الثورة الإيرانية كان يبشر بأنه وبعد انتصار الثورة سيتم تطبيق تلك التجربة من جديد وسوف يتم توفير العوامل لنمو النساء في الحرية ليمكن ويتحقق نمو المجتمع في الحرية والاستقلال. ولكن الديكتاتورية الشاملة التي أعقبت إقامة حكمه قامت وبدلا عن ذلك بمتابعة التجارب القديمة والجديدة للكنيسة والفاشية...**

# **ماذا كان وماذا حصل؟:**

**إن الحجاب الذي أصبح هكذا واحدا من أهم قضايا عصرنا وفي مجتمعاتنا خاصة في المجتمع الإيراني يطرح استنادا إلى آية قرآنية. فقبل مراجعة الآية ولإزالة الشوائب أقوم بإيضاح أمر وواقع مستمر وعالمي شامل:**

**من الأزمنة البعيدة وحتى اليوم سواء في العصر الذي كانت فيه المرأة في عداد الأموال أو في ما بعده كانت السلطة (=القوة) في كل المجتمعات تعتبر المرأة والجنس شيئا واحدا وعائدا إليها. إن سلوك السلطة (=القوة) هو نفس سلوك قابيل كما ورد في القرآن. على ذلك ومن الشرق الأقصى ألى الغرب الأقصى وجدت وتوجد واستخدمت وتستخدم صنوف الأساليب والمناهج لإبعاد النساء خاصة النساء الجميلات عن أنظار ومتناول أيدي أصحاب السلطة (=القوة) وعملائهم. فيجب عدم التصور أن الغرب لم يعد اليوم بحاجة إلى هذه الأساليب والمناهج. فمازالت العصابات الكبرى والأكثر في الغرب تقوم بخطف الفتيات المراهقات والجميلات وبيعهن في القارات الخمس. إن مدراء "صناعة البغاء" وإنتاج وتوزيع المخدرات والجماعات عبر الوطنية المنتجة لصنوف المنتوجات الجنسية (من الأفلام والألبومات والكتب والمجلات و... إلخ) وكذلك المستحوذون على السلطات السياسية والاقتصادية هم صيادو النساء بحيث أنه ما إن تنسى قصص مثل قصة "انتحار" مارلين مونرو حتى تتردد الألسنة قصة أخرى...**

**ولكن هذه الأساليب لم تؤثر ولم تفعل شيئا‘ لأن الخداع الثقافي قد منع من الانتباه إلى واقع أن كل هذه الأساليب والمناهج تعتمد أساسا على فكرة أصالة القوة (= وسيلة العنف). وإذ إن القناعة العامة هي أن المرأة تفتقر إلى القوة ولا تقدر على الدفاع عن نفسها فإن الأساليب والمناهج هي دفاعية. فعلى المرأة أن تخفي نفسها في غطاء و خلف الجدران الرفيعة وعلى الرجل أن يراقب لكي لا يقوم بصاحب قوة بكشف حجاب المرأة ولا يتسلل سارق أعراض إلى داخل "الدار" أو "الغرفة". فيكون معيار الكون امرأة هو عدم القدرة على الدفاع عن الذات ومعيار الكون رجلا هو القدرة على الدفاع عن المرأة! فلا تزال المرأة في المجتمعات الغربية تقع في غرام رجل يدافع عنه. إن واحدا وربما من أهم مبادئ الفن والأدب هو بناء الحب على كون المرأة تعبد السلطة (=القوة). فعلى ذلك قد تحولت النساء إلى فريسة يتعارك الرجال لأجل خطفهن ولكن من جهتم يصطادون على أيدي النساء!.**

**فيجب رسم خطة جديدة حضارية يحل فيها مبدأ آخر محل مبدأ القوة (= وسيلة العنف) وأن تقبل العامة حقا: وذلك المبدأ هو مبدأ الموازنة العدمية وهذا الحق هو استقلال المرأة في العمل. فليست المرأة يحق لها أن تكون قادرة على الدفاع عن حريتها وشخصيتها فحسب وإنما يكون هذا الدفاع أساسا لحريتها. على الرجل أن يدافع عن الحق. فإن افتراض الكون امرأة مساويا للعجز المطلق والاستدلال به لعملية الدفاع ليس دفاعا ولا رجولية أو مروءة. إن الاعتداء على الحق هو استحقار للمرأة وهو أنانية. على المرأة أن تتدرب منذ طفولتها على أساليب الدفاع عن نفسها تجاه صاحب القوة (= وسيلة العنف) ويتحقق ذلك بتخلصها من القناعة بأصالة القوة (= وسيلة العنف) لأن عليها أن تتعلم أنه وفي حوزة حكم القوة (= وسيلة العنف) لا يمكن الحصول على الحب. فلابد من الخروج منها حتى يمكن إيجاد الحب. إن المرأة وبالخروج من هذه الحوزة تصبح رائدة لتطبيق خطة حضارية جديدة كان النبي الكريم قد جربها. إن الحجاب الإسلامي هو غلق الطريق هذا أمام القوة (= وسيلة العنف) ويجب ذلك على المرأة والرجل كليهما.**

**المرأة تجد القدرة في الاستقلال:**

**إن ذلك المبدأ الذي حولوه إلى ضده وذلك المبدأ الدليل الذي أكد القرآن في كل مرة أن دور المرأة يعتمد عليه هو أن المرأة يجب عليها أن لا ترضخ أبدأ للقوة بل يجب أن يتم تزويدها بكل الوسائل الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية لكي تتخلص من نزعة الرضوخ للسلطة (=القوة) وتدافع بكل استقلال عن نفسها وعن مجتمعها تجاه نزعة التغلب والاعتداء التي تتسم بها السلطة (=القوة).**

**لهذا السبب بالذات أنه:**

* **ومن الناحية الاقتصادية إن وجوب النفقة على الزوج وحق المرأة في الإرث من دون وضع كلفة مالية عليها ووفاة الزوج و... إلخ أمور توفر وسائل الاستقلال المالي للمرأة.**
* **ومن الناحية الاجتماعية إن منع الزوج وكل شخص آخر من الاستغلال الجنسي للمرأة وتفويض أهم وسيلة حقوقية إلى المرأة وهي صلاحية الزواج يمكنها من اتخاذ القرار بالاستقلال في مستقبلها وظروفه. ومع أننا سوف نناقش هذا الموضوع في مكانه ولكن هنا أذكر بالمناسبة أن كثيرين يتساءلون لماذا أعطي الإسلام حق الطلاق للرجل ولكنهم يتناسون أنه وبخلاف الأديان الأخرى والأنظمة الحقوقية الأخرى (1) التي تعطي صلاحية مبادرة الزواج للكنيسة أو الحكومة يعطي الإسلام صلاحية مبادرة الزواج للمرأة.**
* **ومن الناحية الثقافية إن مكافحة السلطوية وإبطال التصور أن المرأة والجنس هما شيئان وحيدان والاعتراف بحق المرأة في اختيار العقيدة والقناعة وفرض دراسة العلم على المرأة والرجل والتشديد الأكثر على ضرورة تعليم وتربية المرأة تمثل الشروط الرئيسية لنمو المرأة فكريا وتحقق استقلالها الحقيقي.**
* **ومن الناحية السياسية إن تخليص المرأة من الضوابط والإلزامات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وبها تخليص المرأة من أداء دور الرابط في العلاقات الشخصية للسلطة (=القوة) (2)‘ والعمل على شطب دور الجنس في العلاقات الاجتماعية للسلطة (=القوة) قد خلص المرأة من العبودية ومن العائدية إلى السلطة (=القوة).**

**فبعد إيضاح ذلك الأمر الواقع وفهرسة هذه الوسائل قد حان الوقت لأن نتناول الآية القرآنية. في هذه الآية يكون المبدأ الدليل هو عدم الاستسلام للقوة وتعتمد الآية على تفويض حق الدفاع عن المرأة إلى المرأة نفسها في الدرجة الأولى:**

# **ماذا كان الجلباب وماذا صار؟**

**كانت النساء يتعرضن للأذى ولخبر هجوم الأعداء وسوء التشهير من قبل المنافقين الذين في قلوبهم مرض (3) وكانت أساليب بصنوف مختلفة وعلى أساس السلطة الذكورية تقترح للدفاع ع النساء. وأخيرا عينت الآيتان التاليتان الأسلوب أو النهج (4):**

**"يا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا \* لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا".**

**هكذا ليس الجلباب لمنع الكشف عن قلة أو كثرة البريق الجنسي للمرأة أو مدى شيبها وشبابها وجمالها وقبحها‘ لا‘ ليس ذلك من أجل منع الكشف والمعرفة وإنما يأتي من أجل كشف ومعرفة المرأة. لماذا وبماذا الكشف والمعرفة؟ وإجابة لهذا السؤال علينا أولا أن نرى ما هو الجلباب وأي غطاء هو؟ وهل الجلباب كان هو الحجاب أم لا؟**

**على أی نوع من اللباس كان يطلق الجلباب؟ یجیب قاموس لسان العرب لابن منظور (5) على سؤالنا هذا كالتالي:**

**«والجِلْبابُ القَمِيصُ والجِلْبابُ ثوب أَوسَعُ من الخِمار دون الرِّداءِ تُغَطِّي به المرأَةُ رأْسَها وصَدْرَها وقيل هو ثوب واسِع دون المِلْحَفةِ تَلْبَسه المرأَةُ...».**

**فعرف ماذا كان الجلباب من الملابس في ذلك العصر فحاليا نرى ما هو قصد القرآن من "أن يعرفن"؟ بماذا يعرفن؟ الردود كلها واحدة. وهنا أقدم ردود ثلاثة تفاسير توجد في متناول يدي:**

* **يعتبر فخر الدين الرازي في تفسيره أن المقصود من "أن يعرفن" هو التميز من ناحيتي الحرية والعبودية (6).**
* **يعتبر قرطبي في تفسيره أن الآية تقصد "الحرائر حتى لا يختلطن الإماء فإذا عرفن لم يقابلن بأذى (3) من المعارضة مراقبة لرتبة الحرية فتنقطع الأطماع عنهن... وكان عمر إذا رأى أمة قد تقنعت ضربها بالدرة محافظة على زي الحرائر" قائلا: "إن الأوصاف الثلاثة لشيء واحد... وهم شيء واحد يعني أنهم قد جمعوا هذه الأشياء..." (7).**
* **ويقول ابن كثير في تفسيره: " قَوْله " ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ " أَيْ إِذَا فَعَلْنَ ذَلِكَ عَرَفَهُنَّ أَنَّهُنَّ حَرَائِر لَسْنَ بِإِمَاءٍ وَلَا عَوَاهِر قَالَ السُّدِّيّ فِي قَوْله تَعَالَى " يَا أَيّهَا النَّبِيّ قُلْ لِأَزْوَاجِك وَبَنَاتِك وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبهنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ " قَالَ كَانَ نَاس مِنْ فُسَّاق أَهْل الْمَدِينَة يَخْرُجُونَ بِاللَّيْلِ حِين يَخْتَلِط الظَّلَّام إِلَى طُرُق الْمَدِينَة فَيَعْرِضُونَ لِلنِّسَاءِ وَكَانَتْ مَسَاكِن أَهْل الْمَدِينَة ضَيِّقَة فَإِذَا كَانَ اللَّيْل خَرَجَ النِّسَاء إِلَى الطُّرُق يَقْضِينَ حَاجَتهنَّ فَكَانَ أُولَئِكَ الْفُسَّاق يَبْتَغُونَ ذَلِكَ مِنْهُنَّ فَإِذَا رَأَوْا الْمَرْأَة عَلَيْهَا جِلْبَاب قَالُوا هَذِهِ حُرَّة فَكَفُّوا عَنْهَا فَإِذَا رَأَوْا الْمَرْأَة لَيْسَ عَلَيْهَا جِلْبَاب قَالُوا هَذِهِ أَمَة فَوَثَبُوا عَلَيْهَا وَقَالَ مُجَاهِد يَتَجَلَّيْنَ فَيُعْلَم أَنَّهُنَّ حَرَائِر فَلَا يَتَعَرَّض لَهُنَّ فَاسِق بِأَذًى وَلَا رِيبَة" (8).**

**وجاء في القرآن المترجم من قبل نوبري: "في صدر الإسلام كانت النساء من الإماء والحرائر يرتدين نوعا واحدا من اللباس يغطي رؤوسهن وكن يضعن غطاء صغيرا على رؤوسهن يقال له الخمار ويلففن كل اجسادهن بلباس من القماش"(9).**

**لقد تم الحصول على الردود فحاليا لنوضح موضوعين مهمين آخرين:**

**الجلباب هو وسيلة لحماية المرأة من الأجنبي:**

**إن الآية تعرف بصراحة ثلاث فئات (أو فئة واحدة بثلاثة وجوه) من المعارضين والأعداء. فهكذا كان الجلباب تدبيرا سياسيا يهدف إلى حماية النساء من أذى الأجانب أي غير أهل الدين ومن أذى الأعداء وكان أداة للدفاع عن حريتهن وشخصيتهن وليس أداة لإضعافهن واستحقارهن. كان أداة للدفاع عن الحرية وليس أداة لجعل عبودية المرأة أبدية. هذا النهج ومنذ آنذاك وحتى عصرنا هذا قد تم اعتماده في العديد من اعتداءات السلطويين وبكل نجاح. وفي عصرنا هذا أفشلت المرأة المسلمة وبهذا النهج محاولات القوى الاستعمارية الغربية للاستيلاء الثقافي على مجتمعاتنا. ربما لم يكن فانون يعلم أن النهج الذي كانت النساء المسلمات الجزائريات يعتمدنه نهج كن قد تعلمنه من القرآن وكذلك كان التجربة الناجحة للعصور. ولكنه قد شرح في دراسته نجاح هذا النهج بالتفصيل. وإذا تم اعتبار القياس صحيحا فيمكن القول وبضم صوتنا إلى صوت رجل حر مثل شارلي شابلين (في تقديم النصيحة لبنته) بأن شيمة الحرية لدى المرأة هي أن لا تكشف المرأة حتى ظفر إبهام قدمها ليتمتع به شخص ثري أو قوي. من المؤكد أنه لا يجوز الاتخاذ من السفور أداة لقمع المرأة. منذ أن باتت أداة الحرية رمزا للقدرة والتبعية الشاملة للمرأة وتحولت إلى "حجاب للضعيفات" نسيت الشعوب المسلمة شيمة الحرية والعزة وتعودت على الذل والهوان متناسية أن نمو المجتمع الإسلامي وعولمة الإسلام قد أمكنا بنمو النساء في الحرية والاستقلال. وحولت الشعوب المسلمة رمز الحرية المذكور إلى شعار لذل وهوان المرأة حتى اتخذت اليوم من المرأة كلها ألعوبة: حيث تقوم هذه الشعوب يوما بنزع الحجاب من رأس المرأة بقوة ويوما آخر تجعل الحجاب إجباريا لأن مجتمعاتنا صارت تتسارع على مسار نمو التخلف عن النمو!.**

# **الجلباب ليس حجابا:**

**هناك كثيرون من أهل التفسير والفقه يعتبرون الجلباب حجابا يجب أن يغطي جسد المرأة من قمة الرأس إلى أخمص القدم. ولكن بسبب معنى الكلمة وكذلك بسبب كونه أداة لتمييز الحرة عن الأمة إضافة لكونه أداة دفاعية للمرأة تجاه الأجنبي المعتدي والأهم من كل ذلك بسبب إدراك كيفية عمل النساء المسلمات لم يكن الجلباب حجابا. فهنا ومن بين كثير من الأمثلة ولسبب أهمية الموضوع دينيا وتاريخيا ننقل هنا عن كتاب "السيرة النبوية" لابن هشام جانبا من قصة بقاء عائشة في الصحراء وحيدة بما في ذلك لحظة مواجهتها لشاب عربي يدعى صفوان:**

**"قالت عائشة: فتلففت بجلبابي ، ثم اضطجعت في مكاني ، وعرفت أن لو قد افتقدت لرجع إلي . قالت : فوالله إني لمضطجعة إذ مر بي صفوان بن المعطل السلمي ، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته ، فلم يبت مع الناس ، فرأى سوادي ، فأقبل حتى وقف علي، وقد كان يراني قبل أن يضرب علينا الحجاب ، فلما رآني قال : إنا لله وإنا إليه راجعون‘ ظعينة رسول الله - صلى الله عليه وسلم" (10) .**

**فبذلك لم يكن الجلباب حجابا يهدف إلى أن لا تعرف به المرأة. إن العائشة التي كانت هي نفسها من النساء اللواتي يرغبن في "ارتداء الحجاب" (11)‘ عرفت صفوان كما عرفها صفوان وهذا يعني أنهما كانا يريان بعضهما البعض قبل ذلك أيضا. فعلى ذلك عندما قام محترفو التشهير بتوجيه تهمة باطلة لعائشة لم يأخذ أحد عليها أنه لماذا لم تكن ترتدي الحجاب؟ حتى عرفها صفوان وعرفت هي صفوان؟ وقد شرحت في "الشهادة" أرضية توجيه التهمة إلى عائشة وسببه. ولكني هنا أشير إليها مذكرا بأن القرآن وفي مقام تطهير عائشة لا يستند إلى ارتدائها الحجاب أو عدم ارتدائها إياه أي إلى تحجبها أو عدم تحجبها عندذاك (مع أن عائشة تؤكد أنها كانت محجبة عندذاك) وإنما يستند ويستدل لاعتبار المرأة بأن لها عقيدة ويؤكد للمجتمع أن سبب كونه يصدق هذه التهمة أنه لا يعتبر المرأة كائنة ذات عقيدة وهو قد سلب منها هذا الحق الكبير, ولهذا السبب وفي عصرنا وإثر دراسات الباحثين قام أشخاص مثل "مطهري" و"مودودي" بتخفيف حدود الحجاب حيث استثنوا "الوجه والكفين" بأن كونهما مكشوفين أمر جائز دائما أو عند اقتضاء الضرورة (12).**

**ولكن من المعروف أن عمر هو الذي قرر الحجاب (13). فقبله وكما يقول بلوتارك‘ كان يجب على النساء في إيران أن يتحجبن حتى في بيوتهن (14). وفي المجتمع الإسلامي كانت العديد من النساء الشهيرات سافرات ولم يكن أحد يعتبر عملهن عملا يخالف العفاف أو أسوأ من ذلك أي البغاء ولم تكن قد تقررت أية عقوبة لـ "سوء التحجب" (أو نقص التحجب) و"عدم التحجب" (أو السفور). في ما يلي أنقل مثالين عن كتاب "الأغاني" لأبي الفرج الإصفهاني لهما أهمية ودلالة لكونهما يمثلان توجهين إسلاميين كبيرين (15):**

* **لم تكن سكينة من أحفاد علي تتحجب في القرن الأول الهجري وهي كانت تجالس الرجال وتتحادث معهم في المجالس وكانت تضع شروطا للزواج ومنها حقها في محادثة الرجال! إنها كانت هي التي تقيم مجالس أدبية وفنية وكذلك علمية قبل قرون من النساء الأوربيات. وكانت تشتهر بالجمال والذكاء والفكاهة. وهي التي أبدعت تصفيف الشعر ونشرته كـ "موذة" اتبعها حتى الرجال بحيث أن الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز اعتبر عمل أولئك الرجل إفراطا فأمر بحلق شعرهم وجلدهم.**
* **وامتنعت عائشة بنت طلحة التي كانت من أحفاد أبو بكر من ناحية الأم هي الأخرى عن ارتداء الحجاب ولم تكن ترى منعا من عرض جمالها! وحتى كانت تقول: "فضلني الله القدير على الآخرين بالجمال.. أريد أن يرى الناس هذا الجمال ليعترفوا بفضيلتي".**
* **ولم تكن هذه الأمثلة أمورا استثنائية أبدا: فيشرح جرجي زيدان في كتابه "تاريخ التمدن الإسلامي" تطور الحجاب في التاريخ قائلا: "إن الحجاب فقد معناه الأول تدريجيا فصار وسيلة لدونية المرأة بالنسبة للرجل كما صار وسيلة للتميز الطبقي (16). وفي القرن التاسع قامت النساء في البلدان الإسلامية بثورة: رفضت ملايين النساء من الطبقات الكادحة ارتداء الحجاب (17). كما وبغض النظر عن كتب أسفار كلها مثل كتب أسفار ناصر خسرو وابن بطوطة وشاردن إن ملاحظة ألبسة القرويات والقجريات تكفي أن نعلم أن "الحجاب" ظاهرة في المدن وتحوله إلى مشكلة صار ذريعة بأيدي الأنظمة الديكتاتورية في الماضي والحال. وإلا:**

**"المرأة حرة في ملبسها مع الالتزام بالمعايير":**

**"النساء حرائر في اختيار نشاطهن ومصيرهن وكذلك لباسهن مع الالتزام بالمعايير".**

**كان يقول حقيقة قد تقدم شرحه. لو لا كذلك ومع وجود النص‘ لما كان هناك مبرر للاجتهاد. لو كان كلامه معارضا للقرآن وإذ إن التعبير عن الحق واجب من الواجبات الشرعية لقام أحد من علماء الدين في إيران وبل أحد من آلاف علماء الإسلام برفع صوته بالانتقاد والاحتجاج‘ فيما لم يسمع صوت ولو بالتمتام يعترض على ذلك!**

**إن كلامه يومذاك كان حقا وتوجيها قرآنيا بعينه. ولكن عمله اليوم الذي ينافي ويناقض كلامه يوم أمس عمل يناقض الإسلام ولا هدف منه إلا إقامة نظام ديكتاتوري شمولي. وهذا النظام الديكتاتوري الشمولي هو الذي اصطنع ويصطنع من ذلك الجلباب هذا "الحجاب". فكما تقدم شرحه إن الجلباب كان يهدف إلى الوقوف بوجه القوة (= وسيلة العنف) فإن إجبار المرأة على ارتداء الحجاب بقوة العصا وإنشاء معسكرات لناقصات الحجاب والسافرات ليس فقط عملا غير إسلامي وإنما عمل ضد الإسلام أيضا.**

**مع ذلك إن حرية واستقلال المرأة يتطلبان منها أن لا تكون مساوية للجنس. سوف نهتم بدراسة هذا الموضوع في مكانه.**

# المصادر والإيضاحات:

1. **فی المسيحية يكون الإيجاب (الموافقة الرئيسية على الزواج) مع الكنيسة. والقبول الأول أو الموافقة الأولى من حق الرجل والقبول الثاني من حق المرأة. وإثر الثورة الفرنسية أمكن الزواج غير الكنيسي أيضا. في هذا النوع من الزواج حل ممثل الحكومة أو رئيس البلدية محل الكنيسة ومع أن القوانين الجديدة – وعلى سبيل المثال القانون المدني الفرنسي – تنص على الزواج بتراضي المرأة والرجل إلا أن رئيس البلدية يحصل على القبول أولا من الرجل ثم من المرأة. راجعوا الفصل الثالث للقانون المدني الفرنسي (صص 83-88) باب الزواج civilCoce. ولكن في الإسلام يكون الإيجاب أي القبول الأول (المبادرة بالموافقة على الزواج) والموافقة الرئيسية من حق المرأة والقبول الثاني أي قبول المبادرة من حق الرجل وليس الإيجاب أي الموافقة الرئيسية أو المبادرة والقبول الأول بيد رجال الدين ولا بيد الحكومة. سوف أعيد تناول هذا الموضوع المهم في مبحث حقوق المرأة.**
2. **ولكي لا تنشئ العوائل نسيجا عنكبوتيا اجتماعيا من العلاقات الشخصية للسلطة (القوة) وبذلك لكي لا تستحوذ على الحكم الثابت ولا تخصي المجتمع فقد خلص القرآن الزواج أو العلاقة الزوجية من كل القيود والضوابط والإلزامات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. وبخلاف الرأي الذي نشره وينشره صناع التاريخ وفقهاء مدرسة إسكولاستيك لم تكن زواجات النبي تهدف إلى الحصول على السلطة وإقامتها وتوسيعها. ولو لا كذلك وعندما أرادت زوجات النبي وحسب تقليد زوجات الزعماء والرؤساء أن يلعبن دور معاقد أو روابط في علاقات السلطة لما طلب القرآن منهن أن يخترن واحدا من اثنين أي إما نبذ الحرص على السلطة وتنفيذ التزامات ذلك وأما الطلاق (راجعوا الآيات القرآنية من 28 إلى 34 من سورة الأحزاب).**
3. **مع أن هناك إجماع على شأن نزول الآية إلا أنه و في مسيرة التاريخ ينسى هذا النهج السياسي ومبرره. خاصة أن الآية الثانية التي تنص على سبب إنشاء هذا النهج يتم فصلها عن "آية الحجاب" لتضيع تماما علاقها معه!! فبالتالي تنسى المجتمعات الإسلامية أن سبب نموها السريع كان في البداية يعود إلى نمو النساء في الاستقلال. على أي حال إن كل التفاسير الأربعة التي راجعتها تجمع على شأن نزول الآية. والآية الثانية تبين شأن النزول.**
4. **القرآن‘ سورة الأحزاب‘ الآية 59 و60.**
5. **لسان العرب لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الانصاري (711-63 ه. ق) طبع مصر.**

**6- التفسير الكبير لمحمد الرازى فخرالدين بن العلامة ضياء الدين عمر، الجزء 25، ص 231، باللغة العربية - طبع مصر.**

**7- تفسير القرطبى لأبى عبدالله محمد بن احمد الأنصارى القرطبى، ص ص 5325 و5326، بالعربية، طبع مصر.**

**8- تفسير ابن كثير، لأبى الفداء إسماعيل بن كثير القرشى الدمشقى المتوفى سنة 774، ه. ق، الجزء الخامس ص ص 517-511، بالعربية، طبع مصر.**

**9- القرآن للجميع، ترجمة الحاج عبد المجيد صادق نوبرى ج 2، ص 418**

**10- السيرة النبوية لابن هشام، ج 2، ص 298، بالعربية، طبع مصر**

**11- الحجاب لأبوالأعلى المودوى، طبع بيروت، ص 298**

**12- عنوان كلا الكتابين "الحجاب". الكتاب الذي ألفة مطهري هو باللغة الفارسية وطبع في طهران‘ أما الكتاب الذي ألفه أبو الأعلى المودودي فهو باللغة العربية وطبع في بيروت. آراء كليهما متقاربة جدا وبعضها متشابهة تماما.**

**13- ص 50  Abdelwahab Bouhiba, La sexualite en نقلا عن البخاري.**

**14- نقلا عن حسن بير في كتاب إيران العتيقة ص 914.**

**15- كتاب الأغانى لابي الفرج اصفهانى است بالعربية طبع في 20 مجلدا. نقلت المثالين نقلا عن الكتاب الشهري الذي نشره جون أفريك في يناير عام 1984 حول «الحب في البلدان الإسلامية»، باللغة الفرنسية (صص 52-49).**

**16-  Histoire de la civilisation نقلا عن الكتاب الشهري جون أفريك، ص 52**

**17- ص 73 كتاب علي المظاهرى بعنوان: "الحياة اليومية للمسلمين في العصور الوسطى" ترجم من الفرنسية.**

**18 – هذا الرأي هو الذي أبداه السيد خميني عدة مرات بما فيها ضمن "رسالة إلى الشعب ليلة يوم الاستفتاء الشعبي العام لتعيين النظام السياسي للدولة" أي في 31 آذار (مارس) عام 1979 وقبل ذلك في المقابلة التي أجرتها صحيفة غاردين يوم 1 تشرين الثاني (نوفمبر) عام 1978.**

# الحل الرابع: الحب بمعنى التآلف في العاطفة والعقيدة

**عند مناقشة الحل الرابع‘ ينبغي في بادئ الأمر أن أراجع الفصل الثاني من الباب الثالث من كتاب "الواحد هو الآخر" لمؤلفته إليزابت بادنتر وفيما يلي أنقل خلاصة للفصل المذكور:**

# عبور من التضاد إلى التوحيد:

**إن الكشف عن تشابه المرأة والرجل جنسيا يترك آثارا هامة على ميولنا. فتعود جدلية التضاد لتفقد مدلولها وأساسها. لأن الغرابة والرفض والتحدي تزول... إن التدبير و المبدأ اللذين يصبحان الآن دليلا للعلاقة الزوجية هو مبدأ "إما الكل أو لا شيء". إن النساء والرجال ولأمل تحقيق الوحدة التامة بدلا عن الرضوخ للتصالح في زواج مستمر يفضلون أن يجربوا المجرب مرات عديدة. إن معظم الإيجابات (الاجتماعية والاقتصادية والدينية) التي كانت تضمن قوام ودوام العلاقة الزوجية قد زالت اليوم. وحاليا يكون القلب هو الوحيد الذي يحكم الحياة المشتركة للمرأة والرجل. كما وبخلاف عصر كلاسين الذي كان له ضمير متشدد حيال الحب وكان يرفض بناء العلاقة الزوجية على هذه القاعدة التي كان يعتبرها هشة‘ إن عصرنا يعطي الأولوية والتقدم المطلق للهوى الذي هو أكثر الميول أو النزعات هشاشة. ففي العلاقة الزوجية ومثلما في الأمور الأخرى يكون هذا "الهوى" و"الحالات العصبية" هي التي تحكم مصيرنا أخيرا: نحب فنتحول ولكن لم نعد نحب فهلم جرا...**

**إن توالي الأهواء أو الرغبات لم تعد مؤشرة على خفة حالات حبنا. والدليل على ذلك إننا نعمل على إكمال الوحدة. هذه الحالات من الوصل والفصل هي ضرورة التجربة. إن الوحدة التي نعمل على تحقيقها هي أكثر بكثير توقعا من الوحدة التي كان الماضون (القدامى) يبحثون عنها. لهذا السبب ومن أجل تحقيقها نكلف أنفسنا كل هذا العناء لحالات الوصل والفصل. وقد تقدم نوع الوصل وعمقه وشدته على الإيجابات الأخرى. على ذلك إن اللامبالاة وحالات النقص أو التمتع تقضي على الوحدة وتجعل الزوجية في منحدر الطلاق والافتراق. فعندما لا توجد الوحدة في الزوجية فلماذا يفترض بالازدواجية؟ لذلك عندما لم تعد القلوب تتحدث بعضها مع البعض ويسود الصمت أجواء الزوجية فتنفك وشائج الزوجية لسبب فقدها دافع وجودها حيث يصبح كل من الجانبين لا يغفر ذنب الآخر وبالتالي يصبح كل منهما أجنبيا بالنسبة للآخر داخل البيت الأمر الذي يصبح حائلا أو حاجزا بين الزوجين... فبذلك علينا أن نصبح قادرين على حل المشاكل الثلاث التالية:**

1. **تأنيس حب الذات مع حب الآخر.**
2. **تحقيق التوافق بين الرغبة في الحرية وبين الوحدة الشاملة والحصينة مع الآخر.**
3. **جعل التثنية (وجود الذكورية في المرأة ووجود الأنوثة في الرجل) في كل منهما ثنائية الزوجية التي تجعل من الضروري التنسيق الدائم للتطورات المتبادلة بين الزوجين.**

**إن مواجهة هذه المشاكل الثلاث عملية محفوفة بأخطار كثيرة لأن هناك حاجة للحب أكثر من أي وقت مضى.**

# أفضلية الفرد على الزوج:

**في العهد الماضي كان الزوج (المرأة والرجل بعد الزواج) هو الذي يمثل الخلية الأساسية للمجتمع وكانت هذه الخلية مكونة من نصفين لم يكن كل منهما يكمن في ضميره إلا أن يؤدي ما عليه من "حصة الواجبات". ولكل من النصفين كانت الزوجية قيمة سامية ومشيئة الله وتقديره, كما كان كل منهما قد قبل اجتماعيا وحتى نفسيا بأن كلا منهما ناقص دون الآخر. فكان الرجل الأعزب أمام يتعرض للاستحقار والازدراء وإما يلقى عليه اللوم دوما فكان على أي حال يعتبر كائنا ناقصا أو غير منجز.**

**أما التوجه العصري فهو لم يعد يعتبر الزوجية مشيئة الله وتقديره وإنما يعتبرها خلية مكونة من شخصين لم يعودا يعتبران أنفسهما نصفين ناقصين يكونان خلية كاملة وإنما هما يعتبران الخلية الموحدة توحيدا بين جزءين مستقلين. فاليوم لم يعد يقبل أن يقوم كل من الزوجين بتضحية أصغر جزء من شخصيته من أجل العلاقة الزوجية‘ بل إن إقامة أهمية بالغة مفرطة لـ "أنا" وكذلك الفردية المناضلة هما حاجزان قويان أمام الحياة الزوجية كما نريدها أن تكون. والواقع أن أهدافنا قد تغيرت حيث لم نعد مستعدين لدفع أي ثمن مقابل أن نبقى بجانب زوجنا أو زوجتنا.**

# **نشوء قيمة مطلقة لـ "أنا":**

**إن الكشف عن طبيعتنا ذات الجنسين قد تسبب في تزايد توقعاتنا وطلباتنا حيث أصبحنا نطلب كل شيء والجميع لأنفسنا لأننا نعتبر أنفسنا وفي حد ذاتنا كلا له شمولية. هناك شعور فينا بأننا قدوة تمثل الإنسانية جمعاء ونحن خليفة الكلية والشمولية الإلهية. إننا نريد لأنفسنا الكمال والكفاية الذاتية. إن مشاهدة الآخر في النفس لا تبقي سببا لفراغ الصبر والهلع والإسراع في البحث عنه. بل الآن أصبح للآخر ثمن يجب أن لا يتم الدفع أكثر منه. ولا يراد الآخر إلا أن يخصب وجودنا فإذا طلب هو منا أن نرضخ للنقص من أجله فهو يتعرض للطرد.**

**إن هذا الطلب الخالي من سابقة العمومية (الكلية) والشمولية يجعل الضمير الناقص متألما مضنيا. لهذا السبب يعتزم غالبية الأزواج غير المثمرين أن يضعوا حدا للفشل في تحقيق الشمولية التي هي خصوصية الإنسان. لم يعد الرضوخ للضرورة عملا قيما ولم يعد هذا العصر عصرا تحكم فيه فلسفة العسر والرياضة (التقشف)...**

**فإذا كان سبب هذا الفشل هو الآخر فنحن نتركه. فإن تربية "أنا" في النفس لأجدر وأحسن من تضييع وجه من وجوه شخصية النفس. إذا كنا لا ندري ما العمل ليحبونا على حقيقتنا فنحن وتعويضا عن ذلك مستعدون دائما لأن نحب نفسنا بشدة (إمعان حب الذات).**

**لقد أصبح "أنا" نا هو أغلى خصوصية لنا لأن له قيمة الجمال والقيمة الاقتصادية وكذلك القيمة الأخلاقية في آن واحد. في الماضي كان التحدث عن النفس والاعتماد على ذلك كأساس لوجود الشخص مؤشرين عن "التربية السيئة" وجديرين باللائمة! فكان الماضون أو القدامى مضطرين لإبداء الشعور بأنهم يفضلون الآخر على أنفسهم. لكن الجيل الجديد أصبح ينبذ هذا الدأب والخلق وهكذا حالات الرياء والتظاهر. إن هوى هذا الجيل ليس استغلال الآخرين وإنما تخصيب شخصيته إلى حد الكمال. إن الغايات قد تغيرت من الأساس. لم يعد هناك أحد إلا وهو يفكر في بالغ الاستمتاع من ساعات حياته واستخدام كل كفاءاته وإمكانياته. إن ترك بعض الكفاءات والإمكانيات التي بحوزة الشخص دون الاستفادة منها يعتبر ذنبا لا يغفر ضمن هذه الرأسمالية الجديدة التي يكون رأس المال فيها هو "أنا". إن الآباء والأمهات الواعين الملمين بمسؤولياتهم يبذلون جهدا دؤوبا لكسب التجربة في تربية أولادهم ولا يطمئن بالهم إلا بذلك... كما إن الوالدين لديهما هاجس أن يقضي أولادهم أوقات فراغهم دون تعلم أو استفادة. هؤلاء "يستثمرون" في "أنا" أولادهم أكثر من "أنا" أنفسهم.**

**إن استثمار"أنا" قد بنى طريقة جديدة في العمل: غرام الذات. "اعرف ذات نفسك" و"اعشق نفسك" هما شرطان مسبقان لغلاء "أنا". لم يعد العصر هو عصر التظاهر الزائف بحالات الحجب والحياء والتواضع. وإذ إن حالات عدم الكفاءة وعدم حبك وإتقان الأمور يعتبر من ذنوبي أنا "المكبل الموثوق" البائس فإن الاستماع لكلامي والنظر فيه وشرحه لغرض تحقيق القدرة على تحريره يعتبران واجبا.**

**لقد بات "أنا" موضوع المسلك والثقافة‘ لأن كل التوقعات تكون منه وكل الأنظار تتوجه إليه وتركز عليه. فيقتنع العقل أن "أنا" هذا قادر أكثر من أي شخص آخر وأي سبب على إعطائنا متعة السعادة والفخر وربما الخلود. فعلى ذلك أصبحنا نطمح ببالغ الطموح أن نصنع من "أنا" فعلا فريدا يثير غبطة وإعجاب عامة الناس. فإن ليبوفتسكي على حق حيث يقول (1):**

**"في عصرنا يظهر (أنا) الأقوى على هيئة إيجابات اشتهار ونجاح إن لم نحصل عليه سيتعرض (أنا) لنقد قاس".**

**اليوم لا يوجد هنا بؤس يساوي البؤس الناتج عن فشل "أنا" وفقده قيمته. ذاك الفشل وهذا الفقدان للقيمة ينتجان ردود فعل يائسة ومنها الانتحار وإدمان المخدرات. إن عدم حب الذات أمر مميت. لا يطلبون من التحليل النفسي إلا أن يعلّمنا كيف نتحمل أنفسنا.**

**إن لـ "أنا" قيمة أخلاقية‘ لأن غرام الذات قد أصبح أمرا أخلاقيا. ولم تعد الأخلاق تفضل ظروف علاقة "أنا" مع الآخر بل هي تفضل ظروف علاقة "أنا" مع "أنا" نفسي. إن الأخلاق تأمرني بأن أحب نفسي و"أن أقوم بتنمية نفسي وأجعلها مزدهرة" و"أن أستمتع". إن "أنا" أصبح اليوم هدف الأخلاق بعد أن كان هدفها الشخص الآخر.**

**إن القيمة المطلقة التي أقيمت لـ "أنا" مرفقة بقبول القيمة النسبية للآخر. إن الحب الكبير بمعنى الدفع إلى الاستسلام والاستسلام والكسب والحصول هو حب كله هوى وحقد وعناء وهو لم يعد الحب العائد إلى عصرنا هذا الذي يدان فيه الحقد والحسد وأصبح الزهد مؤشرا على السيطرة على النفس ومضادا أو مهدئا للعناء. اليوم إن الأزواج الذين يفترق بعضهم عن البعض طلاقا يبقون "أصدقاء"...**

**إن هذه الأخلاق التي اتخذ من "أنا" محورا لعملها قد وضعت الأخلاق المسيحية – الكانتية في طريق الزوال. إن المودة التي هي أساس الأخلاق المسيحية – الكانتية لم تعد اليوم تنسجم مع فرديتنا أو أنانيتنا المناضلة. فنتيجة تحول تنمية النفس إلى واجب (أي "أنا" أولا و"أنا" دائما) لقد بات الإيثار يتضمن مدلولا سلبيا وبات يعني هدم النفس. لم يعد يمكن لنا أن نقبل المودة إلا أن تفيد أهداف "أنا" أو تفيد جمال وكبرياء "أنا". إن تفضيل الآخر بات اليوم مستنقعا نحن مستعدون لولوجه أقل من أي وقت مضى.**

**كل هذه الأمور تؤثر مباشرة في أسلوب حبنا. إن الحب الذي كان فيه تسديد حاجات الآخر يعتمد على الإيثار وغض الطرف عن حاجات النفس وعلى تضحية النفس وهو الحب الذي كان يعتبر لأمد طويل مثالا على الحب الحقيقي‘ لم يعد هو حب عصرنا لا في العلاقة الزوجية ولا في العلاقة بين الأم والولد. ففي الماضي كانت الأمومة تعرف بالتضحية والإيثار. لطاعة أمر الله (احبلين واملئين أرض الله). كانت المرأة في الماضي تنجب من أجل جعل الرجل (زوجها) ذا نسل في المستقبل ومن أجل القيام بإنجاز واجبها كمرأة. كان طير البجع رمزا للأم المثالي لأنه يقدم أمعاءه وأحشاءه غذاء لأفراخه حسب الأساطير القديمة. وكان الجميع قد اقتنعوا بأن الأم يجب عليها التضحية بالنفس والنفيس وأن تبذل حتى حياتها لسعادة ولدها. فيما لم يعد اليوم هذا المفهوم أو المدلول للأمومة مقبولا لدى مجتمعاتنا التي بات فيها الإنجاب يهدف إلى إرضاء الشهوة أو الرغبة الشخصية قبل كل شيئ آخر. أصبحنا نكره إجهاض الولد بسبب رغبة الآخر فقط وليس رغبتنا أنفسنا حيث أصبحنا لا نريد الإنجاب. وأكثر من ذلك يعود سبب كرهنا للإجهاض إلى أننا نريد الإنجاب بهدف بقاء النسل أو ضروريات اجتماعية اقتصادية. إننا ننجب لإرضاء "أنا" وتخصيبه قبل الآخرين. إن الشرف يوجب أن نقول: إن رغبتنا في الإنجاب تأتي انطلاقا من أننا نريد كل شيء من أجل أنفسنا ونعيش أو نمارس غرام أنفسنا أي أصبحنا نعشق أنفسنا. وهذان الشعوران كفيلان لبقاء النسل أحسن من أي شعور آخر وعقيدة أو قناعة أخرى والتزام آخر. إننا ننتج الولد لننتج أنفسنا من "أنت" لكي نعجب أنفسنا في هذا الآخر الذي هو جزء من أنفسنا. إذا كانت كل أمرأة في الغرب تنجب ولدين بالنسبة المتوسطة فسبب ذلك يعود إلى أننا نريد إعادة توليد أنفسنا في الجنسين الذكوري والأنوثي...**

**... إن الحب أحادي الجانب والخاص للأمومة ليس حب عصرنا هذا: إن الأمهات والأولاد يقولون إننا نقدم ونهدي حبنا لك "أنت" شريط أن تقدم وتهدي أنت لنا بدورك حصة كافية من حبك. "يا حبذا الحب (المحبة) يكون ثنائي الجانب" كما يقول الشاعر الإيراني.**

**وفي العلاقات الزوجية أيضا ليس حب هذا العصر هو الحب الذي يغض أحد الجانبين الطرف عن حاجاته ويتحمل صنوف الحرمان استرضاء للجانب الآخر ليس حب هذا العصر. خاصة أن الآخر بما في ذلك الولد ليس جزءا من جسد ونفس الشخص. فقد باتت المودة محدودة قيد كونها ثنائية. لقد أصبحنا نقوم بتقييم وتقييس الأرباح والأضرار بدقة بالغة سواء عن الوعي أو عن اللاوعي. إن شرط استمرار العلاقة الزوجية هو العطاء مقابل الأخذ.**

**إن الحب المثالي الذي نتيجته الأولى هي حمايتنا من الوحدة صار اليوم يعتبر بحثا عن التحادث والتفاهم الدائمين اللذين ينبعان من احترام الآخر وإبداء المحبة له ويتم التعبير عنهما في حسن العناية بها. إن الاحترام والتحادث يستلزمان مساواة العاشقين (جانبي الحب)‘ فبدون مراعاة ثنائية الاحترام والمحبة لا يمكن نشوء الحب ولا يدوم الزواج. إني أحبك بقدر ما أحب نفسي شريط أن تحبني أنت أيضا بقدر ما تحب نفسك وتثبت لي أنك تحبني بنفس القدر. وبذلك يأتي الإيثار وبعد أن بات ثنائية الجانب ليزيل الشعور بالإيثار.**

**إن القاعدة التالية قد جربت بنجاح أكثر من أي وقت مضى في الحياة الخصوصية للزوجين: يجب على الزوجين أن يقدما في حياتهما المشتركة أدلة ملموسة لإثبات الحب الحاصل في ما بينهما فيما يتقاضى كل منهما أجورا ويتولى كل منهما جزءا من نفقات العائلة وذلك أكثر مما كان في الماضي. وتلك الأدلة الملموسة هي حركات وأعمال يبدو أنها قليلة الأهمية ولكنها تمثل جوهر الحياة. على المرأة أن تبدي بالرجل الاهتمام المماثل للذي يبديه الرجل حيال المرأة وذلك تعويضا عن اهتمام الرجل بالمرأة. إنهما يحتسبان مدى الاهتمام المتبادل في ما بينهما بحساب الجمع والتفاضل حتى إن أكدا أنهما لا يقومان بعملية الحساب هذه. ويقول البعض إن هذا الانطباع من الحب وعملية احتساب حالات الأخذ والعطاء عملية سافلة مثيرة للاشمئزاز. ولكن لا! إن الحب يتم التعبير عنه في الأدلة والمؤشرات ولا يدوم إذا لم يرق إلى الكون ثنائي الجانب. فإذا كنا لا نريد أن يبدأ الحب بالزوال فعلينا أن نظل نطهر الزوجية من أدناس طلب كل شيء للنفس فقط.**

# الوحدة أفضل من الرضوخ للإكراه والإجبار:

**منذ 15 عاما ولحد الآن يؤدي واحد من كل زواجين إلى الطلاق في الشرق والغرب‘ في أميركا وأوربا الغربية والشرقية. وفي كل هذه البلدان تكون النساء في أغلب الأحيان هم اللاتي يبادرن بطلب الطلاق. الحصيلة تشير إلى أن ما تتحمله وتشعر به النساء من نقائص وسلبيات الزوجية ومضايقاتها أكثر مرارة. فعلى سبيل المثال مع أن أشغال النساء المهنية أخف من أشغال الرجال ولكن أوقات فراغهن في الأسبوع أقل من أوقات فراغ الرجال بثماني ساعات ونصف الساعة. كما إن عمل الرجل في البيت ينتصف بعد الزواج ولكن عمل المرأة في البيت يتضاعف. ومازال الوضع على الحالة التي قد شرحها دوركيم حيث يقول (2):**

**"لابد من القبول بأن مجتمع الزوجية مضر وهدام للغاية بالنسبة للنساء ولكنه مفيد للرجال حتى إن لا يتم الإنجاب".**

**هذه الحالات من عدم المساواة هي التي تشعر بها النساء بمرارة أكثر يوما بعد يوم.**

**فعلى ذلك عندما تحصل النساء على مزيد من الاستقلال الاقتصادي فيرين أن الطلاق يفيدهم حيث أن الطلاق والافتراق في هذه الحالة يكونان بمثابة تخفيف أعبائهن الجسدية والنفسية وبصيص أمل بالنسبة لهن. نعم‘ لا تزال أعباء العيش المهني والعائلي تبقى على عاتقهن ولكنهن يتخلصن من عبء أزواجهن اللذين باتوا أجانب بالنسبة لهن. خاصة أن النساء يكاد يطمئن بالهم بأن المحكمة توكل إليهن حضانة الأطفال الذين يأتون بمثابة علاج لآلامهن الناجمة عن بقائهن وحيدات.**

**وبغض النظر عن أن يكون هناك ولد أو لا يكون فإن الطلاق يعني بالنسبة لهن الأمل في تحقيق السعادة بعقد قران الألفة والمحبة مع شخص آخر. لذلك إن بقاء المرأة المطلقة وحيدة لمدة محددة ومؤقتة وهي وحدة نسبية أفضل من العيش المشترك مع الآخر الذي بات أجنبيا. إن الأخلاق الجديدة تعتبر مواصلة الزوجية في هذه الحالة مكروهة ومقيتة بشدة بسبب "الاضطرار في الأمور". فعندما أصبح القلب لم يعد يريد ولم يعد يحب فالعيش المشترك في هذه الحالة ليس إلا الرياء والتظاهر. إن الزوجية الإجبارية تعتبر وفي الوقت نفسه انحطاطا أخلاقيا وعاهة عاطفية خطيرة.**

**هناك ثلاثة مواضيع وهي الحرية ووجود احتمالات وإمكانيات عديدة للحصول على الشمول بالإضافة إلى فقدان العاطفة بجوانبها الطيبة والسيئة وهي المواضيع التي تفسر تغيير السلوك هذا...**

**في سبعينيات القرن الماضي قام العديد من المدافعين عن حقوق المرأة بامتداح الوحدة... فكسر أولين لوجارك أسطورة "الحب الكبير" وكتب قائلا إن هذا الحب ليس في الحقيقة إلا جزءا من الكفاح الدائم يقوم فيه كل من الجانبين بخداع الآخر فيمتلك الأقوى من هو أضعف. وأضاف يقول:**

**"عندما كنت أكتب حول ضرورة تقسيم الأعمال بين الزوج والزوجة... كنت أظن أن ذلك كفيل بزوال علاقات السلطة (=القوة)... ولكني كنت خاطئا. ففي البيئة الزوجية تكون خوض النضال ضد البعض ضياع في منازعة يومية وهي منازعة لا انتصار ولا منتصر فيها وإنما لابد من استئنافها دائما وصرف كل الإيرادات المالية لها حتى لا يبقى من إيرادات العيش شيء يمكن به القيام بعمل آخر... ليس تقسيم العمل هذا إصلاحا أساسيا وإنما خدعة مثل انخداع العمال عندما يتصورون أنهم يناضلون من أجل إصلاح العلاقات بين العامل ورب العمل وتحسين بيئة المعمل!".**

**ومع أن الوحدة مفضلة على التعايش مع الأجنبي إلا أن الوحدة أو العيش وحيدا (بالمفرد) تخلق العناء. ولمكافحة هذه الوحدة التي هي أسوأ حالات الانسلاخ عن الذات نتعلم أن نعيش لأنفسنا ونقوم بتنمية وتخصيب "أنا". ولا شك في أن حبنا الشديد لذاتنا وطوباويتنا للوصول إلى الكمال المطلوب وتمتعنا بمختلف الإمكانيات بحثا عن هذا الكمال أمور تساعدنا تماما على هذا الدرب... وهناك البعض مثل جيري روبين يقولون (4):**

**"تعالوا لنغض الطرف عن الحب لكي نحب أنفسنا بما يكفي حتى لا نحتاج إلى الآخر للحصول على السعادة".**

**ويرى ج. ليبووسكي في بحثه هذا مؤشر مرض فقدان العاطفة واللامبالاة وذلك بكل حب وعلى حساب الاستقلال. إن غرام الذات هو سبب عدم الاستقرار لأن (5):**

**"إن هذا الحب يجعل الحياة روتينية فاقدة المستقبل كما يخلق تخيلا فارغا وبدون غاية قد تعرض لدوار غرام الذات. إن الشخص الذي هو سجين غرام الذات هذا يبقى وحيدا معزولا لا ملاذ له محروما من أي معتمد سياسي وأخلاقي وديني رفيع أمام موت "أنا" نفسه (نفسي)".**

**ولعدم الكون قيد السجن في معتقل غرام الذات لابد من اعتبار البحث عن الاستقلال ليس عدم التمكن من تحقيق الارتباط مع الآخر وإنما الامتناع عن دفع أي ثمن من أجله. إن ذا جنسيتنا ليس كاملا. كما إن شموليتنا لن تكتمل أبدا. إن تعلم العيش في الوحدة هو الحصول على القوة وليس الهدف. إن هذه القوة تتيح الإمكانية لكلا الجنسين أي للمرأة والرجل أن يوصلا توقع الاتحاد والتآلف في علاقات الزوجية إلى ذروته وأن يتحد الزوجان مثل شاملين وأن يحترم كل منهما في هذا الاتحاد حرية الآخر.**

# الحب أقل في العنف والعناء والشهوة ولكن الحب أكثر في المحبة والوفاء:

**إن الحب من نوع حب القدر (6)‘ والحب الذي كله رغبة واستعداد للمعاناة وحتى الموت من أجل الحبيب‘ والحب الذي كله مزيج من المحبت والحقد والهوى والعناء ووحشة عدم الوفاء ليس هو الحب المطلوب في عصرنا هذا أي بداية القرن الحادي والعشرين. اليوم إن كل من يتعرض لدوار الحب يحترس من أن لا يقيد ويحبس نتائجها وآثارها الخطرة على "أنا" نفسه. فهو إذا رأى أن آلام هذا الحب أكثر من لذائذها فيتخلى عنه...**

**إن ألسنة نيران الهوى والشهوة وعناء الحب بدأت تخمد. كما لم تعد الأجساد أيضا تثير نيران الشهوة الحادة (6). ففي أخلاق عصرنا لا مبرر لتقييم الألم والعناء. نحن نساء ورجالا نحلم إلى ما هو غير أعمال الإيذاء والإزعاج. حتى إن أردنا ذلك فلم نعد قادرين عليه‘ لأنه لم تعد توجد الظروف الاجتماعية والنفسية للحب الذي يتلخص في الألم والعناء والشهوة.**

**إن الاختبارات والموانع والحواجز والمحظورات هي الظروف التي يعيشها الحب في الألم والعنف والهوى. إلا أن هذا النوع من الحب هو مشيئة أخلاقية واجتماعية خالدة موحدة لا يمكن تجزئتها. إن ثمن مخالفة إلزاماتها حتى في الخيال هو الموت أو ما يعادله... اليوم الذي يكشف فيه حتى المحارم أسرار علاقاتهم الجنسية أمام عدسات التلفزيون فلم تعد تبقى قداسة للزواج لكون الوفاءات تتوالى. إن الصبر والتحمل أمام حرية سلوك الآخر قد حرم مثل هذه الحالات من الحب من الطاقة المفجرة لقدراتها. فعندما تم الاقتناع بأن الهوى لم يعد مخالفة للقانون وإنما أمر خارق العادة فحينئذ أصيب هذا الهوى بمكروه لا تحمد عقباه. هذا الهوى عندما تحرر من قيد الحظر والمنع فقد جوهر وجوده وقدرته. واليوم بالكاد يمكن نشوء هذا الهوى أو إنه يزول ما إن يبدأ بالنمو. لأن الفرصة قصيرة جدا لأن ينمو وينضج هذا الهوى ثم يحقق التمتع. إن علاقتنا بالزمان أو الوقت قد تغيرت لسببين: الأول لأن المرأة لم تعد "بعيدة المنال" ولم تعد هي تطلب من عاشقها (مغرمها) أن يسير في المدن السبع للحب بتعبير الشاعر الإيراني للوصول إليه. ثم ولسبب أن مقياس المدة لم يعد هو للمجتمع وإنما للفرد فقد تغيرت المقدمات والمقارنات والمبادئ (الأسس):**

**"فبدلا من التوالي المنطقي للرغبات وإعداد المجتمع جدولا زمنيا موحدا لها‘ أصبح كل فرد اليوم يقوم بإعداد وتغيير الجدول الزمني لأهوائه ورغباته بحيث أن كلا من الأزواج يمكن له استبدال أهوائه ورغباته بالأخرى وبالتوالي كما يمكن له تبطئة وتيرتها أو تسريعها ويخلص مراحل تاريخه من أية حكمية المجتمع لأن أي شخص غير الزوجين لا يتدخل في تنسيق وتنظيم لحظات العمر التي يقضيانها معا" (7).**

**ولم يعد هناك وقت للتعارف في ما بينهما. وما إن ترى امرأة ورجل بعضهما الآخر حتى يشعران انجذاب بعضهما للبعض وهما يتضاجعان من دون أن ينتظرا ليريا ما إذا كانا يحبان بعضهما البعض أم لا وماإذا كانا يعيشان معا أم لا. ومع أنهما يصرفان الوقت ليريا هل يمكن لهما العيش معا أم لا؟ ولكنهما لا يؤجلان التضاجع إلى أن يتأكدا من نتيجة ذلك أي أن يتبين الجواب على السؤال المذكور!.**

**مع ذلك‘ هناك تغيير هام قد بدأ للحصول: إن الهوى القلبي بدأ يستبق ويتقدم على الرغبة الجسدية. في الماضي كانت تحتسب علاقة الجسد بالجسد مما كان دليلا في حد ذاته على علاقة القلب بالقلب. ولكن الآن لا تنشأ علاقة بين الأجساد ما لم تتآلف القلوب. إن عدم وجود سر قلبي هو الذي يقود علاقاتنا الغرامية حيث نفتح باب قلبنا على مصراعيه أمام الآخر بحثا عن الزوج أو الزوجة. فعندما تنطفئ نار الحب الذي هو الاستسلام والدفع إلى الاستسلام والتملك والمملوكية تشتعل نار الحب الحقيقي الذي لم يعد هو الرغبة في التملك والمملوكية والاستسلام والدفع إلى الاستسلام.**

# الرغبة في المحبة:

**كان القدامى يفصلون الحب المترادف مع المحبة عن الحب المترادف مع الهوى. كان الأول علاقات الأخوة التي لم يكن فيها محل لممارسة الجنس. والثاني كان علاقات كلها ممارسة الجنس... إن فرانسيسكو البروني عالم الاجتماع استخدم في دراسته للعلاقات بين المرأة والرجل في مجتمعاتنا رأي القدامى قائلا: (8)**

**إن الحب الذي يترادف مع الهوى هو الالتذاذ والتمتع ولكنه عناء في الوقت نفسه. مقابل ذلك إن الحب الذي يترادف مع المحبة والمودة يكره العناء... إن الصديقين يريدان العيش معا لغرض أن يكونا سعيدين وإذا لم يحصلا على السعادة فيفترقان... إن الحب الذي يترادف مع الهوى ليس بالضرورة شعورا ثنائيا وإحدى خصوصياته هي أنه يبحث عن الكون ثنائيا. أما الحب الذي يترادف مع المودة فهو على عكس ذلك حيث يكون ثنائيا دائما... فالمودة خالية من الحقد".**

**هناك مؤشرات كثيرة تدل على أن العلاقات الغرامية التي نحن نبحث عنها تتبع معظمها لقدوة حب أو غرام تترادف مع الحنان أو المحبة والمودة. فتعالوا لننبذ الحب المترادف مع الهوى وننبذ تملك البعض الآخر وننبذ التناحر والتغطية على حقيقة التعاملات كالأجنبي بالتظاهر بحالات الاتحاد والتلاحم المزورة والمفتعلة وننبذ حالات عدم الثقة لنأخذ ونفضل الخلوص وإلغاء الرقابة والتقييد بالإضافة إلى التحادث بالشفافية عن هوى القلب وحكم العقل ونأخذ ونفضل الثقة. إننا وعندما تزول خصوصية التثنية نفترق عن الزوج أو الزوجة لأننا لم نعد نقدر على الانتظار لمدة طويلة في حب أحادي الجانب والبارد والمتجمد... إننا نتجمع لأننا نجد أنفسنا متشابهين ونريد أن ننظر إلى الواقع برؤية متماثلة. إن العاشق والمعشوق يستقبلان العيش بالترافق والتضامن... ويتقاسمان الرزق. إن تقاسم الرزق كان يطلق في البداية على جمعيات التضامن التي كان ينشئها العمال. وكان متقاسم الرزق يطلق على الذي يكون قد عقد معاهدة التضامن. اليوم يكون تقاسم الرزق مع أحد بمعنى مشاركته في المشاعر والغايات...**

**فاليوم قلما يكون هناك شخص ينوي السيطرة على الآخر وامتلاكه. إننا وفي غالب الأحيان نعمل على أن نحب ويحبونا وأن ندعم ونحمي وأن نكون مدعومين محميين وأن نهدئ بال الآخرين وهم يهدؤون بالنا وأن ندرك الآخر ويدركنا الآخر وأن نعفو ونعفى... إن قدوة الحب اليوم وأكثر من أي وقت مضى هو الحب بين الأم والولد الذي هو حب يكون التخلص بكامله والإيثار والتضحية بكامله وخال من النزاعات... ومع أننا لا نعمل على استخدامه فنعتبر حريتنا شرطا أساسا للتوحد مع الآخر. فبدون الحرية تصبح الجنة جحيما وتتحول المحبة إلى الحقد. إن "أنا" لا يقبل الحرية إلا بالتوحد مع الآخر. إنه يريد ذلك الآخر الذي يشاركه في ازدهاره العاطفي والعقلاني. إن العلاقة المفروضة ما إن تنشأ حتى تنفك.**

**ولأن الزوجية تدوم لا يكفي أن نكون ولدا محبوبا. علينا أن نتعلم سر الأمومة أيضا. إذا كنا نريد أن نتلقى كل المحبة فعلينا أن نقدم كل محبتنا. إن تفردنا المفرطة يحول دون هذه التضحية وهذا الإيثار. إننا نريد أن يحبونا بكل حب ولكن هل نعلم كيف نحب الآخر من أجله هو نفسه؟ إن عرفان الحق له حدود وكذلك حنان الأمومة أيضا مع أنه مطلوب للغاية. الحل يكمن في محادثات تهدف إلى إرضاء "أنا" دوما. فإذا شعر "أنا" هذا نفسه متروكا وغير مفهوم ومنسلخا عن الذات فتنفصم عرى الحب.**

**إن قضاء الحياة كلها مع حب واحد وفي حب واحد لا يزال امتيازا يتمتع به أشخاص قلائل فقط. ولكن لا دليل هناك إطلاقا على أن يتقلص عدد هذه الحالات من الحب من الآن فصاعدا... إننا تجاوزنا عهد سلطة المنطق القديم للتضاد والذي يجلب الحقد والحرب. ففي العصر الجديد إذا لم نجد دفء التحاب مع الآخر فنقتنع ونرضي بدفئ الوحدة الفاتر. فلم يعد يبقى مكان للزواجات المحفوفة بالتضاد (9).**

**كان هذا خلاصة فصل من كتاب "الواحد هو الآخر" حول الحل الرابع. ويبقى الانتقاد للقسم الثاني من هذا المبحث. مع ذلك ألفت انتباه أهل التعقل والاعتبار والإنصاف إلى موضوع مهم وهو أنه لا يوجد حل قائم على التضاد, إن الحل يمكن إيجاده بتحويل أساس التثنية إلى التوحيد. إن اجتذاب الأجساد بعضها البعض كان يوصف وباسم العقل المتفوق الغربي بأنه الحب الحقيقي وذلك قبل تفاقم الأزمة الثقافية في الغرب ليعلوا أنينه ونحيبه هكذا. إن البهلوية في بلدنا ومدارس التبعية الأخرى كانت تعتبر أن الحل يكمن في سلوك الطريق الذي شقه الغرب أمام أقدام الإنسانية. وكانوا يروجون بأن حل "مشكلة المرأة" يكمن في تحرير جسد المرأة. ولكن الغرب هذا أصبح اليوم ينبذ حل الأمس لأنه يؤدي إلى خطر انقراض الجيل وزوال الوفاء والصفاء والخلوص والمودة والمحبة وإضاعة الحب. علاوة على كل ذلك إن الإدمان على الجنس قد أضعف الرغبة الجنسية أكثر فأكثر ليجعل "أنا" الإنسان الغربي وحيدا لا ملاذ له أمام موته. فهذا الغرب أصبح يحرر نفسه من قيد عبادة التضاد ويتجه نحو التوحيد بحثا عن الحل! ولكننا نتخلى عما نمتلكه حتي...!**

# المصادر والإيضاحات:

1. هذا المصدر والمصادر الأخرى نقلت كلها عن كتاب "الواحد هو الآخر" لمؤلفته إليزابت بادنتر. ص 81 من كتاب  L, etre du vide من تأليف  G. Lipovetsky منشورات Gallimard

 2- الصفحة 201 كتاب Le suicide من تأليف E. Durhakaim منشورات PUF

 3- الصفحة 22 Un lit a soi لمؤلفه E. Le Garrec منشورات Le seuil

 4- نقلا عن ج. ليبوتسكى‏.

 5- الصفحة 69 من كتاب L, etre du vide

 6- Phedre كتبه راسين الكاتب الفرنسي في عام  1677. راسين هو كاتب العصر الكلاسيكي في الغرب وكان الحب في ذلك العصر يعني حب الآخر والتضحية من أجل الآخر.

 7- الصفحة 100 من كتاب Concubisme Concubin  كتبهS. Chalvon  Demersay

 8- الصفحة 14 و 43 من كتاب L, Amitie كتبه F. Alberoni منشورات R-Ansay

 9- خلاصة الفصل الثاني من الباب الثالث، الصفحات 337-305 L, Un est L, Autre

# الحل الخامس

# مبدأ الموازنة العدمية

**لقد نقلت في ما تقدم كلام إليزابت بادنتر حول التطور الكبير من الهوى إلى الحب. فكلامه بأنه يجب اعتبار المرأة والرجل مجموعتين وفي العلاقة بينهما يجب اتخاذ القلب والعقل دليلين للجسد هو التعليم القرآني بعينه باختلافات في مبدأ الدليل والأساليب أو المناهج:**

1. الاختلاف في مبدأ دليل التجارب:

**إن العقلية الغربية لا تزال تعتبر مجموعتي المرأة والرجل قوتين لابد لهما أن يختبر ويجد بعضهما البعض عن طريق حالات الوصل والفصل المتكررة. إن الاختبارات تتكرر حتى تتوافق امرأة ورجل بعضهما مع البعض الآخر! إن أساس هذه الاختبارات علاقات القوى ولهذا السبب ومن مائة تجربة لا تؤدي ولو واحدة إلى نتيجة مطلوبة تماما. إن المرأة والرجل مازالا يتطابقان ويتماسكان في الجسد! قبل أن يتطابقان ويتماسكان في القلب والعقل. إن الغرب لا يزال يسلك الطريق وتقدم فيه ولكنه لم يصل إلى التوحيد التام. إنه لا يزال يتحدث عن توحيد القوى. نعم إن توحيد القوى ممكن ولكنه ليس الحب كما لا يدوم.**

**إن بادنتر يكرر كلام الإمام علي بن أبي طالب (ع) وهو الكلام الذي جعله الأومانيون (محبو الإنسان) أساسا لعملهم منذ خمسة قرون وحتى الآن: "إن جهاز خلق الكون لم يرسل إلى العالم منتجا أغرب من الإنسان!" و"العالم الكبير يكمن في الوجود الإنساني الصغير" و"اعرف نفسك حتى..." وهو يكرر كلام القرآن بأن الإنسان خليفة الله (1) المتصف بالصفات الإلهية حيث أن الله "خلق" الإنسان "في أحسن تقويم" (2) وهو بارك نفسه بخلق هذا الإنسان (3). هذا الإنسان ليس له إلا "ما سعى" (4) و"لا تكلف إلا نفسك" غير أن هذا الإنسان لا يمكن له أن يصل إلى الحب باحتساب الربح والخسارة. ففي الحقيقة هناك تناقض في كلام بادنتر: عندما يقوم كائنان بمحاسبة ربحهما وخسارتهما في علاقة البعض بالبعض الآخر سواء عن الوعي أو اللاوعي فهما قبلا مسبقا بأنهما ليسا مجموعتين بل هما ناقصان محتاجان يريدان التعويض عن نقصهما بالمقايضة. هذا التناقض هو الذي يكمن فيه جذر الأزمة الاجتماعية – الثقافية في الغرب. الواقع أن العلم يتقدم بوتيرة متسارعة تماما ويجد في كل وقت دليلا جديدا على كون الإنسان كائنا شاملا. ولكن مجمل العقائد المسيحية - المادية التي تعتمد على التباين وبل التضاد لا تزال باقية على حالها. أما نتيجة ذلك التقدم للعلم وهذا البقاء للعقائد غير العلمية على حالها و هذه الرجعية والتخلف في الفكر والثقافة فهي التناقض الكبير المتمثل في ما يأتي: في الغرب الذي بدأ في العلم يتجاوز مبدأ التضاد باعتباره أساس الكون لا يزال الحب يساوي على أقصى الحد فعلا ورد فعل على أساس علاقات القوى‘ أي إنه أمر مادي لا غداة له. وهو ليس الحب بعد وإنما الطموح للوصول إلى السلطة ولذلك إن زمنه صفر.**

**على الغرب أن يتخذ خطوة كبرى أخرى: العلم يقول إن أساس الكون هو التوحيد. فاعتبارا من اليوم الذي تتآلف الثقافة الغربية مع هذا الأساس ويعتمد عليه كقاعدة لها سوف يجد الإنسان الغربي مفقوده وهو الحب. فهكذا يتبين أن الخلايا العقلية لرأي بادنتر كالتالي: 1- لقد ولى عصر التضاد و2- الإنسان مجموعة يجب عليه أن يبحث في نفسه عن عناصر وأسباب النمو و3- يجب (وبدأ يتحقق) في العلاقة بين المرأة والرجل أن تتقدم علاقة القلب والعقل على علاقة الجسد بالجسد وأن تقودها (وبدأت تقودها) و4- الغربيون وجدوا القدوات المثالية الطوباوية ليوم أمس منتقصة تماما فتخلوا عنها ثم أصبحوا يبحثون عن الحب عبر الاختبار وهو حب كامل. إلا أن الابتلاء والاختبار الذي هو نهج من إبداع القرآن وهو أكثر المناهج ربحا وأقلها خسارة لا يمكن إنجازه من دون المبدأ الدليل. فليس فقط يجب القيام بالاختبار وفق المبدأ الدليل بل يجب أن تتبع المناهج أيضا مبادئ على مراحل حتى تتحقق النتيجة. لأن النهج هو الوسيلة وهو يبين في نفسه المبدأ الدليل أو أرضية الفكر والعقيدة وكذلك الأهداف الحقيقية لمن يقوم بالاختبار. فعندما تكون السلطة (=القوة) هي المبدأ الدليل ويكون طلب الغير للتمتع وأمثاله هو الهدف الحقيقي فتصبح المناهج لا محالة متناسبة مع ذلك المبدأ وهذا الهدف. والنتيجة هي هذا التشرد الذي يعاني منه الإنسان الغربي نساء ورجالا وهو الذي يتعلق في كل لحظة بآخر بحثا عن "إما الجميع وإما لا شيء" وأخيرا يصبح مستنزفا وكئيبا ويئسا حتى يفضل فراش الوحدة على الزوجية المكرهة! فيجب أن تكون الموازنة العدمية هي المبدأ الدليل للابتلاء والاختبار ويكون هدفها هو الحب حتى تنشأ حضارة أخرى ويوجد الحب الذي هو وكجوهرة مضيئة لليالي وضالة قد أثار العالم كله للبحث عن نفسه وحتى يغرق هذا الحب كل العالم في النور.**

**إن مبدأ الموازنة الوجودية الذي هو المبدأ الدليل لتجارب النساء والرجال يجب أن يتغير. تصدق بادنتر حيث تقول إنه يجب عدم اعتبار المرأة والرجل متضادين أو ناقصين يكمل بعضهما الآخر لأن الضدين لا يقدران على التصالح والناقصين لا يكملان بعضهما البعض. إن الزوجية القائمة على التضاد لا تربي إلا الأضداد وإن الزوجية القائمة على نقص الزوجين تصبح مجمع النقائص أو نقصا أكبر في حد ذاتها. ولكنها وفي إنكار التضاد لا تذهب إلى أن تنكره باعتباره أساسا للعلاقات وإنما تعتبر أن الأساس هو التوحيد. ولكنها تعتبر التوحيد موازنة القوى!. إن التوحيد هو الموازنة العدمية والموازنة العدمية هي تبشر بعدم القوة (= وسيلة العنف) والعلاقة القائمة بعدم القوة (= وسيلة العنف). وعلى أساس هذا المبدأ الدليل تكون التجربة الأخرى هي النهج فيتم الوصول إلى الهدف المطلوب.**

1. الاختلافات في نهج التجربة:

**تقول إليزابت بادنتر إن على المرأة والرجل الغربيين أن يتمكنا من حل ثلاث مشاكل: 1- التناسب بين حب الذات وحب الآخر و2- التوفيق بين الرغبة في الحرية والاتحاد الشامل القويم الحصين مع الآخر و3- التطبيق الدائم لذي جنسية النفس مع ذي جنسية الزوج أو الزوجة. إنها تقارن بين النوعين من الحب: الأول هو الحب الذي يكون الدليل والشاهد عليه هو التضحية بجزء من شخصية النفس وإذا اقتضى الأمر بكلها من أجل الآخر. والثاني هو الحب الذي ليس فيه أي من الزوجين مستعدا للتضحية بأي جزء من شخصيته من أجل الآخر وهو يفضل الحب من النوع الثاني. ولكن ليس أي منهما هو الحب. لأن الحب ليس صفقة ليدفع أحد ثمنا مقابله أو لا يدفع كما ليس اتحادا يقتضي التخريب حتى يقوم كل من المحب والحبيب بالتضحية بجزء من شخصيته من أجل الآخر. إن الحب هو التوحيد وكذلك النمو والاستكمال في التوحيد.**

# فعلى ذلك:

**أ – إن اختبار الحب يجب أن يتم على أساس مبدأ الموازنة العدمية. أما الالتزام بهذا المبدأ في هذا الاختبار الأكبر للحياة يقتضي:**

**ب- أنه وقبل تماسك الأجساد وإرضاء هوى الكون امرأة ورجلا يجب التعارف على الأقل في العقيدة والحب. تبشر بادنتر بأن هذا التطور بدأ بالحصول.**

**ج- يجب أن لا تكون الاختبارات متزامنة ومتعددة. إن النساء والرجال الذين لهم هوى الحب بكل ضجيج ورنين لا يقومون بالاختبار وإنما يقومون بممارسة الهوى.**

**د- يجب نبذ الأرباح والخسائر والاعتبارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي تصبح أساس ودوافع العلاقات الزوجية وهي التي مكونة البيئة الاجتماعية للاختبار.**

**ه- بعد أن تم الوصل على أساس الموازنة العدمية فيجب على من يؤمن بهذا المبدأ الدليل أن لا يتقدم أبدا في الفصل والانفصال والافتراق. الحب ليس رد فعل. إذن يجب على المحب (العاشق) أن لا يرضخ للقوة وأن لا يتعسف ويستخدم القوة (= وسيلة العنف) وبل عليه أن يبقى راسخا ورصينا على عقيدته وحبه حتى يسلك الآخر إما طريق الافتراق أو متاهة القوة (= وسيلة العنف) التي هي الرجعية والبحث عن التثنية أو الازدواجية و... إلخ لخوض طريق الحب. على المجموعة التي تعتبر نفسها "خليفة الله في عموميته وشموليته" أن يتعامل مثلما يتعامل الله: يبقى نفسه ويبقي جميع طرق الحب مفتوحة. إن الذي لا يعرف الحب لا يمكن له إيجاد هذه السبل. إنه أصبح عاشقا (محبا) فخاض طريق الحب.**

**هذا هو الاختلاف الأساسي الذي يفصل الاختبار على أساس الموازنة العدمية عن الاختبار على أساس الموازنة الوجودية. إن نتيجة النهج الثاني أي الاختبار على أساس الموازنة الوجودية هي هذا الإدمان الجنسي المدمر وهذا الإدمان المتزايد على المخدرات وحالات الانتحار المتزايدة هذه وهذه الهشاشة لأساس الزوجية وهذا الضعف الجنسي وهذه الجدية لخطر انقطاع النسل وهذه وهذه و... إلخ وأخيرا إضاعة الحب هذا. أما نتيجة النهج الأول أي الاختبار على أساس الموازنة العدمية فهي إيجاد الحب وإضاعة غير الصالح وإيجاد الحبيب. فعلى ذلك يجب في الحب وخاصة في الحب تطبيق عشرة دروس للانتصار أكررها كفهرس نظرا لفائدة التكرار:**

1. **لا تعتبر غير نفسك مكلفا. على العاشق أو المحب أن لا يكون له رد فعل آخر في ممارسة الحب. عليه أن يكون راسخا وصامدا في العقيدة وعفويا أو تلقائيا في التعبير عن الحب. إن قول "أبد لي المحبة لأبدي لك المحبة" ليس إلا فقدان زمام المبادرة والرضوخ لدور التابع لمتغير هوى الآخر. فبذلك يتم فقد الحب. إن نور الحنان والمحبة يسطع من حب الشمس والحب. على العاشق أن يكون شمس الحب وليس قمره. إن بادنتر تصدق حيث تقول: يجب كون الحنان والمحبة ثنائيا. ولكنها خاطئة عندما تظن أنه يجب استخدام الميزان دوما لإبقاء كل محبة مرهونة بحنان أو رأفة. إن محبة العاشق عفوية وعندما تجعل المحبتان العفويتان نورين لهما متداخلين فهما يخلقان التلألؤ الباهر لنور الحب. إن العاشق يحب ويحن بسبب حبه. إن إبداءه المحبة والحنان إذا بات رد فعل فيصبح مصطنعا ويفقد العاشق استقلاله. يجب إبداء المحبة. فإن أهل التوحيد يبحثون عن الصديق حتى في العدو.**
2. **على العاشق أن يبذل الجهد دوما لنموه ‘ أي أن ينمي طاقاته المختلفة ويعلم أنه ومن دون النمو تزبل وردة الحب ما إن أصبحت برعما. إن المرأة التي لا تنمو قد نفرت الرجل الذي يحبها. كما إن الرجل الذي لا ينمو فهو قد اقتنع بابتذال الأمور الطبيعية وهو قد نسي نهج الكون عاشقا وقد نفر الحبيبة. على كل شخص أن يعتمد في النمو على نفسه. لا يمكن للآخر أن ينمو بدلا عنه كما لا يمكن له أن يكون عصا يده. على العاشق أن يكون هو العمل كله ويعد أسباب الأمل في نفسه.**
3. **على العاشق وعند سيره من مدينة إلى مدينة للحب وعند اجتيازه مدن الحب السبع أن يتخذ من العقيدة والحب خارطة للطريق وأن لا يفترق عنهما ولو من أجل الحبيب وأن يعلم أنه إذا غض الطرف عن المبدأ وقلل من قدر العقيدة فسيكون قد فقد الحب أيضا وكذلك قد أضاع الحبيب والحب.**
4. **يجب اعتبار الخطأ والهفوة قابلا للتعويض عنه وعلى الزوجين أن يتعاونا من الصميم في التعويض عنه. على كل منهما أن لا يعتبر قدرات الآخر ضعفا. عليهما أن لا يغطيا على أخطائهما وحالات ضعفهما ولا يتجاهلاها ولا يعتبراها مطلقة بل يتعاونا ويتعاضدا لتحويل الضعف إلى القدرة.**
5. **عليهما أن يوفيا بكل عهد يقطع بينهما لأن الحب هو العهد وإذا تم نكث العهد فقد فشل الحب أو حصل فيه شرخ.**
6. **يجب عدم الاستسلام والرضوخ للشك والخوف عندما يساوراننا ليس فقط في ما يتعلق بحب الآخر لنا وإنما وبل الأكثر في ما يتعلق بحبنا للآخر. يجب مكافحة الشك والخوف دوما حيال حبنا للآخر وحب الآخر لنا. إن النوعين من الحب أحدهما حب الرجل للمرأة والآخر حب المرأة للرجل هما نوران لحب واحد. أن شك وخوف أحدهما يضعفان ويعكران نور حبه للآخر وبالتالي يضعفان ويعكران نور حب الآخر له أيضا. فعلى كل منهما أن يعتبر نفسه مسؤولة ليمنع من استيلاء الشك والخوف على قلب وعقل الآخر لأن تخلص القلب والعقل من الشك والخوف يؤدي إلى استمرار الأمل والحب حتى إذا نكث الآخر العهد. إن العاشق الصادق الشجاع لم يخسر إطلاقا بل ربح تماما وعاش في الحب تماما. فهو أخيرا سيجد حبيبه الجدير بالحب لأن العالم ومنذ خلقه وحتى الآن لم ير أي عاشق يموت وهو وحيد كما لم ير العالم أي تعسفي أو هاو للقوة (= وسيلة العنف) وأي ناكر جميل يموت وحيدا.**
7. **إن الحق هو ميزان الحب أو ميزانه. على كل من العاشق وحبيبه أن يقتنعا بالحق وأن يتخذا دوما في العلاقة الزوجية من الحق أساسا للعلاقة بينهما وأن لا يتنازلا عن الحق حتى من أجل بعضهما البعض لأنه إن تجاوزنا الحق من أجل الآخر فاتخذنا من هوى الآخر ميزانا وليس من الحق وبذلك نكون قد قتلنا الحب. فيجب أن يكون الحق ولا "أنا" هو ميزان الحب والفرق بين هذين الميزانين كبير: إذا عفا أو لم يعف شخص من أجل "أنا" ه أو "أنا" حبيبه فحبه يصبح واحدا من النوعين المذكورين للحب اللذين شرحتهما إليزابت بادنتر. إن تفضيل النوع الثاني للحب على النوع الأول لا يفيد ولا جدوى له لأنه وفي النوع الثاني للحب والذي ليس إلا صفقات أو مقايضات بين "أنا" ين يؤدي الأمر أخيرا إلى النزاع والصراع فيزول الحب لأنه وفي هذا النوع من الحب يكون هوى "أنا" وليس الحق هو الميزان. فإذا أصبح الحق هو الميزان فالركون للحق يؤدي إلى انحلال ومعالجة أي صراع يحدث. إن الحق هو ميزان الحب وبهذه الصفة يمنع الحق من تحول الموازنة العدمية إلى الموازنة الوجودية أو بعبارة أخرى يحمي الحق أساس الحب أو قاعدته من الفساد.**
8. **قبل تسليم الأجساد للتجاذب ليس فقط يجب أن ينشأ التعارف في العقيدة والحب وإنما يجب أن يتضح الأفق المستقبلي أيضا بقدر ما يمكن. ففي التجربة التي تشرحها إليزابت بادنتر يتم إقحام المستقبل في الأمر بتأخير كبير وفي غالب الأحيان لا يقحم المستقبل في الأمر أبدا. لأنه وإثر التذاذ وتمتع الأجساد بعضها من البعض يتم التخلي عن التجربة ويتم على مر الزمن اتخاذ التبعية لأهواء الجسد كالمبدأ ويصبح زمن الحال أمرا مطلقا ويخرج الاختبار الهادف إلى إيجاد العاشق أو الحبيب والوصول إلى الحب من دائرة الخيال.**
9. **ليست ساحة الحب ساحة التضحي والزوال أو الانمحاء وو... إلخ. وليست ساحة الحب ساحة تقيد الحريات وإنما هي ساحة قابلة للاتساع للنمو والحريات. فعلى ذلك يجب مضاجعة روحين وجسدين عاشقين وحبيبين متحررين من كل اعتبار ومنع ومن دون أي تقييد ومراقبة. إن الحرية ليست منافية للتوحد الشامل وبل عينه وذاته. إن الحب للذات والحب للآخر هما حب واحد. إن التطابق الدائم لذي جنسية الرجل أو ذي جنسية المرأة يتحقق بين بعضهما البعض في نمو الجاذبتين أو معه‘ إحداهما تجاذب القلبين والعقلين والأخرى تجاذب الجسدين إلا أن نمو هاتين الجاذبتين فهو يشترط بأن يكون التشاور أساسا للتآلف والمشاطرة رأيا في ما بينهما. إن الأمر بأن لا تتشاور مع المرأة كان أمرا أصدره أرسطو وأخذته ونفذته الكنيسة وليس أمرا إسلاميا. فتؤكد التوراة أن آدم أكل فاكهة الشجرة الممنوعة بخدعة من حواء‘ ولكن القرآن يؤكد أن آدم أكل وآكل الفاكهة الممنوعة من دون أن يشاور أو يسأل لا من أغواه ولا زوجته ولا الله سبحانه وتعالى (6). كانت خديجة نصف النبوة وتخلص النبي من الخوف والشك و... إلخ بدفء حضنها.**
10. **يجب عدم اتخاذ القوة (= وسيلة العنف) خميرة ووسيلة. وفي كل الأحوال وقبل كل عمل يجب البحث عن حل كل مشكلة في المشكلة نفسها. يجب التأكد أولا من أننا لا نضمر نية لإلحاق الضرر للآخر ولم نتخذ من القوة (= وسيلة العنف) خميرة للوسائل التي نستخدمها لتحقيق الغاية والنية لأن الوسيلة تترجم الهدف كونها تبرز أصل الفكر ومبدأه الدليل وهدف مستخدمها. إن إخلاء المبدأ الدليل وأرضية الفكر والعمل والأدوات التي نستخدمها من القوة يمكن بالعلم. فعلى ذلك إن نمو الطاقات يمكن بالتعليم والتربية والتزكية. إن البحث العلمي وبه وباستمرار‘ تصفية الفكر والعمل يمثل القاعدة العاشرة من قواعد النجاح في الحب.**

**كما ويجب أن تتناسب البيئة الاجتماعية مع الاختبار الناجح للحب وهذا يمكن بالأمرين: 1- أن لا يعرض المشاركون في الاختبار جنسهم أمام المرأى والرغبة و2- أن يفقد الجنس دوره في العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية باعتباره مظهرا من مظاهر القوة (= وسيلة العنف):**

**الجنس ليس القوة (= وسيلة العنف) ويجب أن لا ينسلخ في الذات في القوة (= وسيلة العنف):**

**إن بادنتر تبشر بأن تطورا بدأ يحصل في الغرب: حتى الآن تكون الأجساد هي التي تحكم القلوب ولكن من الآن فصاعدا سوف تكون القلوب هي التي تحكم الأجساد. فبذلك إن الفكرة بأن نشوء وقوام الحب يشترطان في الدرجة الأولى بأن تتآلف القلوب والعقول بعضها مع البعض بدأت تتحول إلى قناعة عالمية شاملة. فإذ بدأ الأمر يحصل هكذا فنقول: في قديم الأيام كان الناس يعتبرون تعليم وتربية النساء عملا مضرا ولم تكن النساء يمتلكن في ما يتعلق بالرجال إلا جمال الجسد وفنون الغرام والغنج والموقع العائلي والثروة وو... إلخ. فإذا تقرر أن تتعارف القلوب والأدمغة قبل تعارف الأجساد فالعمل الأكثر ضرورية هو تصديق الأدمغة والقلوب. فما لم تثمر الأدمغة والقلوب بوافر الثمار فلا تقام العلاقة بين الأدمغة فما بالك بأن يحكم الدماغ علاقة الجسد بالجسد.**

**إضافة إلى ذلك عندما تكون الأجساد هي التي تقيم العلاقة أولا فكيف يمكن للأدمغة أن تجد فرصة للتحادث ناهيك عن التقدم على علاقة الأجساد والتسلط عليها؟ فطالما يكون الجنس من الأسباب الحاسمة للعلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وطالما يكون الجنس من العناصر المكونة للسلطة الشخصية والجماعية وطالما يكون الجنس هو القوة (= وسيلة العنف) التي لها وجود نشط في كل الساحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية فستستمر الأزمة وبل ستشتد وتتفاقم. لأنه ومن جهة ونتيجة نموه العلمي والعقلي يكشف الإنسان واقع أن أشد وأقبح إهانة للأنسان وخاصة للمرأة هي أن يدعى جسده قبل عقله وقلبه للتعارف ومن جهة أخرى أن الواقع "الاجتماعي" الذي هو علاقات القوى نفسه يبقي النساء والرجال في متاهة الانبهار بالجنس.**

**فسواء قبل الزواج أو بعده وسواء قبل "العلاقات الجنسية الحرة" أو بعدها‘ يفرض الجنس وباعتباره القوة (= وسيلة العنف) تنافسا قاسيا وحالات متكاثرة لعدم المساواة. فهل فكرنا في أن جمال وقبح الجسد أمر نسبي ومحدود؟. إن الأجملين قلائل وعهد جمالهم يخص عهد الشباب القصير ولكن حالات جمال الحب والفكر لا حدود لها؟ هل هذا التفكير قد قادنا إلى حقيقة أن طريقة معالجة هذه الحالات من عدم المساواة والتي ضيعت حياة أناس كثيرين طيلة عهود مديدة قد تقدمت وهي كون المودة تسود القلوب والعقول؟ فإذا كان العلاج يكمن في ذلك فما هي الحيلة غير إعادة الجنس الى طبيعته؟ وإعادة الجنس إلى طبيعته يمكن بالثلاثة التالية:**

1. **الزواج على أساس العقيدة والحب‘**
2. **الحرية الجنسية التامة في علاقات الزوجية والإمساك الجنسي خارج هذه العلاقات و**
3. **اعتبار المرأة إنسانة كاملة. إعطاء الأولوية المحسومة للنمو من أجل جعل تقدم علاقة العقول والقلوب على علاقة الأجساد أمرا ممكنا إضافة إلى الحرية التامة للمرأة والرجل في علاقات الدماغ بالدماغ داخل الزوجية وخارجها.**

# هل على المرأة أن تغطي على زينتها؟

**في العصر الحديث وعند تبرير الحجاب رأى بعض الكتاب المسلمين أن الحل يكمن في أن يعتبروا الرجال ولا النساء ضعفاء وأن يكتبوا أن الحجاب وجب على النساء منعا للرجال من الوقوع في فخ جاذبية النساء! ومن هذه الأقوال أنقل ما قاله قاسم الأمين:**

**"لِم لَم يؤمر الرجال بالتبرقع وستر وجوههم عن النساء إذا خافوا الفتنة عليهن؟ هل اعتبرت عزيمة الرجل أضعف من عزيمة المرأة واعتبر الرجل أعجز من المرأة عن ضبط نفسه والتحكم فى هواه، واعتبرت المرأة أقوى منه فى كل ذلك حتى أبيح للرجال أن يكشفوا عن وجوههم لأعين النساء مهما كان لهم من الحسن والجمال، ومنع النساء من كشف وجوههن لأعين الرجال منعا مطلقا خوفا أن ينفلت زمام هوى النفس من سلطة عقل الرجل فيسقط في الفتنة بأية امرأة تعرضت له مهما بلغت من قبح الصورة وبشاعة الخلق؟ وإن إيجابيات الحجاب تكشف لنا أن النساء أكثر قدرة من الرجال على السيطرة على دوافعهن الجنسية " (7).**

**فهكذا كنا ولحد الآن نعتبر المرأة ضعيفة احتذاء بأرسطو وكنا نعتبر أحكام اللباس النسوي الصادرة عن الكنيسة قبل عهد الرونسانس هي الأحكام الإسلامية للباس النسوي. فمن الآن فصاعدا يجب أن نعتبر الرجل ضعيفا لأن عالم اليوم أصبح عالما يمتدح المرأة! والحق أنه وبالبقاء في هذا الدور الباطل لا يمكن التوصل إلى حل. فإذا كان الحجاب قد تقرر للنساء لسبب ضعف الرجال فلماذا من المفترض أن يطلب الإسلام من النساء أن يعوضن عن ضعف الرجال أو أن يدفعن ثمن ضعف الرجال؟.**

**لماذا يفترض أن يطلب الإسلام من النساء التعويض عن ضعف الرجال؟ وعندما اعتبر الحجاب وسيلة لدفاعنا نحن أبناء البشر تجاه الفتنة والأهواء والشهوات الجنسية والضعف فما الفرق بين أن نعتبر الرجل ضعيفا أم المرأة؟ هل يصبح زواج المرأة القوية والرجل الضعيف أفضل من الزواجات التي كانت شائعة حتى اليوم؟**

**إن المبادئ المتسلطة على فكرنا وعملنا هي التي يجب تغييرها. ونحن قد تخلينا منذ 14 قرنا عن المبادئ والمضامين القرآنية وتمسكنا بظاهر لا يتناسب إطلاقا مع تلك المبادئ والمضامين. ولم نتخلص بعد من القشرية والتمسك بالظواهر التقليدية. نعم طبعا إن كل ظاهر وشكل يبين مبدأ ومضمونا. وعندما أصبحت القوة (= وسيلة العنف) هي المبدأ والمضمون فيتم التعبير عنها في هذا الشكل أو ذاك. لذلك وفي الماضي كانت المرأة تعتبر ضعيفة وناقصة وكان الرجل يعتبر قويا وكاملا وكانت الأشكال بما فيها شكل اللباس تعبر عن هذا المبدأ. فحاليا إذا اعتبرنا الرجل ضعيفا وناقصا والمرأة قوية وكاملة فلم نغير المبدأ والمضمون. والمبدأ هو علاقة القوى ذاتها ونحن لم نغير إلا مكاني الضعيف والقوي! فعلينا أن نجدد النقاش في كمية ونوعية الظاهر والشكل فتدعو مجموعة منا إلى الاهتمام بـ "مقتضيات العصر الجديد" وتعتبر مجموعة أخرى أشكال العصور الماضية مقدسة على الإطلاق وغير قابلة للتحقيق أو التنفيذ بقدر أو ذاك. فعلينا أن نجد المبدأين الإسلاميين ذاتهما ونجعلهما سائدين وساريين وهما المبدآن اللذان قد نسيناهما منذ السنوات الأولى فعلينا أن نتخلى عن عبادة الأشكال وأن نرضخ لواقع بديهي وهو أن الالتزام بالمبدأين يمكن باعتبار كون الظاهر والشكل قابلا للتطور لأن التطور هو قانون تتبعه المجتمعات. عندما يتطور المجتمع العالمي لا يمكن إلا القيام بواحد من العملين: يجب إبقاء المبدأ وجعل الشكل تابعا للتطور والنمو أو القيام بالعمل ذاته الذي كانت تقوم به الكنيسة في العصور الوسطى ونحن قمنا ونقوم به محاكاة لها وما عملنا ونعمل هو ذبح المبادئ وحل مذهب الأشكال محلها! أما المبدآن فهما:**

1. **يجب أن تعتمد علاقة المرأة بالرجل في الزواج على العقيدة والحب و**
2. **یجب الاعتماد في خارج الزوجية على الإمساك الجنسي وأن يفقد الجنس دوره في علاقات القوى باعتباره عنصرا من العناصر المكونة للسلطة.**

**وهذان المبدآن لا يسودان فكرنا وعملنا إلا بأن نعتبر كلا من المرأة والرجل كائنا مستقلا ومسؤولا وبالتالي حرا وقابلا للنمو.**

**إن المرأة وبعد أن أصبحت مستقلة ومسؤولة تتجنب عرضها كجنس ويجب أن تتجنبه لأنه وعلاوة على المضاعفات الأخرى تقوم المرأة وبعرضها كجنس بجعل الحب مستحيلا وتحرم نفسها من جوهر وأساس الكون وهو الحب, في الحقيقة وكما تم تقدم شرحه يجب ومن أجل نشوء الحب أن تثمر القلوب والأدمغة ويتآنس المرأة والرجل متحررين من ضغط القوة (= وسيلة العنف) ومنها بوجه خاص القوة (= وسيلة العنف) الجنسية. إن نمو الإنسان ودوام الحب مازالا يتطلبان أن يحل السلام الجنسي محل التنافس وبل الحرب الجنسية في المجتمعات وتتحرر المرأة من اللامساواة المضاعفة وتتخلص النساء والرجال من صنوف اللامساواة في أنواع الجمال وجاذبيات الجسد. هذه هي المبادئ الدليلة للإسلام وليس معنى أن النساء يجب عليهن أن لا يبدين زينتهن إلا أنه يجب عليهن أن لا يعرضن أنفسهن في الجنس. كما وبدورهم يجب على الرجال أن لا ينظروا إلى النساء باعتبارهن الجنس ولا يعرضوا أنفسهم في الجنس (8). كل ما يقولونه غير ذلك ليس إلا جعل الشكل والظاهر مطلقا لغر ض القضاء على المبدأ والمضمون عن الوعي أو عن اللاوعي. هذا العمل ليس مخالفة وبل معاداة الإسلام. من البديهي أن كل مجتمع وعلى مسار تطوره يغير مفهوم الزينة أو المعايير والعلائم والمظاهر الجنسية. فعلى ذلك لا يجب ولا يمكن جعل الأشكال السابقة للزينة مطلقة والبقاء فيها. إن مجتمعاتنا الإسلامية قد نسيت المبدأين المذكورين وجعلت أجواء علاقة المرأة بالرجل جنسية بشدة تزمتا شديدا للحفاظ على الأشكال السابقة. إن هذه المجتمعات جعلت المصيبة أعظم وهي أن نساء مجتمعاتنا يتم اعتبارهن الجنس مثل نساء المجتمعات المسيحية بفارق أن نساء المجتمعات المسيحية ونتيجة نضالاتهن والنمو العام لهذه المجتمعات قد حصلن على حق النمو وإثر النمو حصلن على حقوق ولكن نساءنا مازلن قد بقين الجنس.**

**إن الآيتين القرآنيتين تبينان بوضوح تام الهدف الكبير للإسلام وهو أن تتم إزالة الجنس بمثابة القوة (= وسيلة العنف) من العلاقات الاجتماعية وبذلك وبقرارات أو بإجراءات أخرى أن تصبح المجتمعات مجتمعات توحيدية حرة مسؤولة وفرحة وتقدمية ومواعيد وأكثر من ذلك مزارع للحب.**

**فعلى ذلك يحق للعجائز اللواتي لا يعتبرن حسب الطبيعة ذوات جاذبية جنسية أن لا يرتدين اللباس ولكن يجب عليهن وكذلك على الشابات أن يخفين زينتهن إلا ما ظهر منها. إن كون حتى العجائز اللواتي فقدن رغبتهن الجنسية يحق لهم أن ينزعن ألبستهن ولكن يجب عليهن أن يخفين زينتهن يدل على أن القرآن قرر كسر شوكة الجنس وتخليص الإنسان من عبودية الجنس كما قرر كسر شوكة هذا الإله الزائف الذي اصطنعته يد السلطة (=القوة) وهو أداة لها وقرر إغلاق الطريق أمام الأهواء والفتن وفتح وتوسيع الصراط المستقيم للحب والمحبة والوفاء أكثر فأكثر.**

**فيقول القرآن حول العجائز (9):**

**"وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ".**

**ويقول حول إخفاء الزينة (10):**

**"وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"**

**فهكذا ومن أجل تخلص المجتمعات من ضغط القوة (= وسيلة العنف) الجنسية يجب ارتداء لباس يمكن النساء والرجال داخل وخارج الزوجية من النظر بعضهما إلى البعض باعتبار كل منهما إنسانا وأن يكونوا قادرين على إقامة علاقة الدماغ بالدماغ وأن ينتجوا المودة وينشروا البناء بدلا عن إنتاج العنف ونشر الدمار. مع كل ذلك وقبل الاهتمام بالزينة يجب تغيير الأفكار. فإذا نظر كل من المرأة والرجل بعضهما إلى البعض بأنه إنسان واتخذا من الموازنة العدمية أساسا للعلاقات بينهما ألا يتخلصان من فكرة وجوب تملك بعضهما البعض؟. عندما أصبح كل من المرأة والرجل عاشقا وعاشا في الحب فلم يعد ينظر كل منهما إلى الغير بنظرة الجنس كما صدق الشاعر الإيراني سعدي الشيرازي حيث قال إن الحبيب يصبح كبيرا بالحب وهو لا يظهر في مرآة الغير الصغيرة.**

**إن الكلام الصادق لسعدي يتكرر بعد قرون بقلم إليزابت بادنتر حيث تقول: "الحجاب الحقيقي هو الحب". مع ذلك لا يزال لابد للتفكير الغربي أن تحصل تغييرات فيها حتى يصل مجددا إلى التوحيد بمعنى الموازنة العدمية ويصحح المناهج من الأساس في اختبار الحب. لقد أثبتت التجربة نجاح هذا الحل وهو سيبقى حلا أمثل في المستقبل أكثر من الأمس واليوم فالعلم والتجربة يقودان إلى الإسلام.**

# المصادر والإيضاحات:

**1- القرآن سورة البقرة الآية 30**

**2- القرآن سورة التين الآية 4**

**3- القرآن سورة المؤمنون الآية 14**

**4- القرآن سورة النجم الآية 39**

**5- القرآن سورة النساء الآية 84**

**6- القرآن سورة طه الآيات من 115 إلى 122**

**7- الصفحة 65 من كتاب The liberation of the woman لمؤلفه Kacem Amin نقلا عن islamsex ideologieاز F. Mernissi**

**8- القرآن سورة‏ النور الآية 30 و سورة معارج الآيتان 29 و 30 و...**

**9- القرآن سورة النور الآية 60**

**10- القرآن سورة النور الآية 31**

# الزواج والتوزيع الاجتماعي للعمل والإرث

**ليس الزواج والإرث والتوزيع الاجتماعي للعمل هي القضايا الوحيدة التي يكون جانبها الحقوقي موضوع النقاش ولكنها أهم تلك القضايا. لهذا السبب أكتفي بمناقشة هذه القضايا الثلاث ومن الجانب الحقوقي أكثر من الجوانب الأخرى:**

# الزواج

**سبق لي أن أشرت إلى أن الإيجاب (المبادرة بالموافقة) في الزواج هو من حق المرأة وقبول المبادرة هو من حق الرجل. هذا الأساس الحقوقي يوافق رأي الإسلام العام حول أساس الأسرة باعتبارها أساسا متخلصا من العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية للسلطة (=القوة). وكما أوضحت في كتابي بعنوان "الأسرة في إيران برؤية علم الاجتماع" وكذلك في كتابي بعنوان "المرأة في كتاب شاهنامه (للشاعر الإيراني الفردوسي)"(1) إن الزواج هو الذي يكوّن ويبلور نسائج الشبكة العنكبوتية لعلاقات السلطة (=القوة) في المجتمعات. فمادامت هذه العلاقات هي التي تحدد مكانة المرأة وموقعها الاجتماعي لا يمكن للمرأة أن تحصل على الحرية وتصبح سببا للتطور الاجتماعي المطلوب.**

**في علاقات السلطة (=القوة) لا يمكن للمرأة أن تختار ولذلك ليس الإيجاب (المبادرة بالموافقة على الزواج) من حقها إطلاقا وهي لا تختار وإنما يتم اختيارها ويجب عليها أن تقول"نعم". ومع أن الإسلام اعتبر الإيجاب (المبادرة بالموافقة على الزواج) من حق المرأة ولكن في الفعل أو الواقع الملموس يكون "أولياؤها" هم الذين يستحوذون على هذا الحق أو يعتبرون الإيجاب (المبادرة بالموافقة على الزواج) من حقهم وهم الذين يمارسون هذا الحق. وبدوره قد وقّع "الفقه التقليدي" على هذا التقليد غير الإسلامي على أساس مبدأ "أن المرأة ضعيفة".**

**ومن الواضح أنه إذا أرادت المرأة أن تمارس حقها في الإيجاب (المبادرة بالموافقة على الزواج) فلابد لها من أن تتمكن من الاختيار ولكن من الغرائب أن "الفقه التقليدي" قد أخذ بعين الاعتبار كل الشروط والتسهيلات لصالح الرجل ولكنه قلما تحدث عن أنه كيف يمكن ويجب للمرأة أن تختار زوجها؟!.**

**ويكفي أن يتصور القارئ في ذهنه مجتمعا ليست فيه الثروة والسلطة السياسية والموقع الاجتماعي والثقافي (2) هي المعيار والمقياس للزواج وتختار المرأة الرجل المطلوب لديها متحررة من هذه القيود كما يختار الرجل المرأة الحبيبة له. ففي هذه الحالة ألا تتمزق الشبكة العنكبوتية للعلاقات الشخصية للسلطة (=القوة)؟.**

**لنتصور مجتمعا يكون فيه التحاب والعقيدة أو القناعة المشتركة أساس الزواج‘ ففي هذا المجتمع تتقارب المرأة والرجل ليصبح بعضهما لباسا للبعض الآخر (3) ويصبح كل من المرأة والرجل وليا للآخر (4). ألا يصبح هكذا مجتمع مجتمع التوحيد والمودة والنمو ومركز تفتح وتفجر الطاقات؟.**

**ولتحقيق هذا المجتمع فعلاوة على تغيير الأفكار حول المرأة يجب حقوقيا منح المرأة حق الإيجاب (المبادرة بالموافقة على الزواج) ليمكن لها وبصفتها إنسانة مسؤولة وبالتالي مستقلة وحرة أن تختار نوع العيش المطلوب لديها. لا تزال نساء مجتمعنا ونساء المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية محرومات من هذا الحق ولن يحظين بهذا الحق إلا في اليوم الذي ينشأ فيه تطور حاسم في العلاقات الاجتماعية والأفكار. أما في مجتمعاتنا فتحرير الإسلام من التأثر بالفسلفة اليونانية هو الإجراء الأساسي الذي يكفل خلق هذا التطور الكبير.**

**وإذ تبين أن الإيجاب (المبادرة بالموافقة على الزواج) هو من حق المرأة وهذا الحق يستلزم كونها تحظى بإمكانيات اختيار الزوج وحقها في تحديد شروط الزواج فيتضح أن نوع العيش المشترك والطلاق أيضا يجب أن يتم تحديدهما خلال عقد الزواج وبموافقة من الجانبين.**

**وفي هذا الموضوع أيضا يكون الحل في الإسلام أكثر جميع الحلول تناسبا مع الزوجية القائمة على الحب والقناعة لأن الزوجة والزوج يحق لهما أن يحددا شروط عيشهما المشترك وإذا لم يمكن ذلك فيحددا ترتيب الطلاق. يجب نبذ العادة الشائعة وتسجيل الشروط في ورقة عقد الزواج. ففي الأنظمة الحقوقية لم يتحقق بعد حق الزوجين في تحديد طريقة الطلاق بكاملها فبالتالي تسود هناك حالات عديدة من تردي الأوضاع.**

**عندما قررت المرأة والرجل بحرية أن الطلاق من حق الرجل أو المرأة أو القاضي أو مجلس وجهاء الأسرتين (5) ليس فقط تحل المشاكل الحقوقية التي تطرأ في ظل جميع الأنظمة الحقوقية وإنما يترسخ أساس الأسرة ويتخلص كل من المرأة والرجل وهربا من صنوف القيود والسلاسل وصنوف المشاعر السيئة والشعور بالأسر وفقدان الهواية وو... إلخ التي تسبب في الكثير من العاهات الاجتماعية وبل تأمن الزوجية من أضرار العلاقات الشخصية للسلطة (=القوة)..**

**ولكن الفائدة الأهم لهذا الترتيب هي تحقق الحرية في علاقات الزوجة والزوج حيث يمتلئ البيت بالحب فلا يبقى مكان لمجيئ القوة (= وسيلة العنف) ووصولها إلى السلطة. عندما تحققت الحرية في علاقات الزوجية يتخلص المجتمع من سيطرة القوة (= وسيلة العنف) فيميل نحو التوحيد.**

**وإذا ما كنا نرى أن هذا الحل الواضح لم يترجم إلى الفعل الملموس فهذا من ذنب السلطة الاستبدادية وتأثر وانبهار "المتشدقين بالإسلام" بالفلسفة اليونانية وهذا التأثر باليونان أكثر بكثير في قضية التوزيع الاجتماعي للعمل:**

# التوزيع الاجتماعي للعمل:

**نعلم أن النساء ينجبن الطفل ويربينه ويعلمنه ويمارسن هذا العمل الكبير في عهد شبابهن. إن ممارسة هذا العمل تمنعهن من الأعمال غير المنسجمة مع ذلك العمل الكبير. فعلى ذلك هناك عدم المساواة من هذا الجانب بين الرجل والمرأة وهو أن مدة وإمكانية عمل الرجل أكثر ومقابل ذلك أن الرجل محروم من الأمومة.**

**نعلم أنه وفي عالم اليوم تنجب الأمهات ما معدله 3 أو 4 أولاد ويربينهم ويعلمنهم. إذا افترضنا أن المدة اللازمة لهذا العمل تبلغ 10 سنوات فيتبين لنا أن النساء ومن هذا الجانب لهن أمكانية العمل أقل من الرجال بما معدله 10 سنوات.**

**نعلم أن مشكلة البطالة هي مشكلة كل العصور. كان يظن أن التقدم الفني والإنتاج والاستهلاك الضخمين ينتج العمل لجميع الرجال والنساء مما يمكن النساء من الحصول على الاستقلال من كل جانب و... إلخ. إلا أن النمو التقني أضاف نوعا جديدا من البطالة إلى الصنوف السابقة للبطالة ومن المؤكد أن "البطالة التقنية" ستزداد في السنوات المقبلة. والنساء هن الضحايا الأولى لهذا النوع من البطالة. فليست النساء لم يحصلن على الاستقلال المطلوب فحسب وإنما فقدن كل صنوف الاستقلال أيضا وفي الدرجة الأولى استقلالهن الجنسي. وإذا بقي هذا الوضع على حاله الراهنة فسوف تشتد حالات حرمان النساء‘ لأن:**

**نعلم أن النساء مصابات بتخلف مزمن في مجال العلوم خاصة العلم السياسي والنشاط السياسي. فإن النساء لا يعتبرن لا في المجتمعات الصناعية ولا في المجتمعات غير الصناعية ناشطات وصاحبات عقيدة ورأي وو... إلخ. فإن إجبارهن على نوع من العمل والذي تحول إلى عمل قسري وبل بالأحرى بطالة قسرية قد منعهن وحرمهن من الأمومة بحيث أنه وحتى الآونة الأخيرة خصوصا في المجتمعات "المتقدمة" كان الاشتغال بعمل البيت وتربية الولد يعتبر عملا تافها وبل ملوما. فبالتالي تزايد كون المجتمعات الصناعية ثنائية القطب يوما بعد يوم حتى ازدادت فيها العاهات الاجتماعية أو حالات تدهور الأوضاع في المجتمع حيث أن ما يتراوح بين 10 و20 بالمائة من هذه المجتمعات مصابون بإدمان الكحول والمخدرات والمخالفات والجرائم وو... إلخ. وإلى هذه العاهات التوسعية قد أضيفت البطالة أيضا.**

**وعندما اجتمعت وتجتمع هذه الأسباب مع السبب المتمثل في التهرب من الأمومة قد تسببت وتتسبب في وقوع الخطر الكبير المتمثل في شيخوخة المجتمعات الغربية وانحطاطها وبل اضمحلالها. لذلك أصبحت المجتمعات الغربية تعود تهتم بالأمومة.**

**إن الواقعيات المذكورة والأزمات والبطالة والعاهات الاجتماعية وحط قيمة الإنسان خاصة المرأة وو... إلخ مشاكل لا حل لها إلا بإحداث تغييرات جذرية في "التوزيع الاجتماعي للعمل". إن الحلول التي استخدمتها التوجهات السياسية في المجتمعات الصناعية سواء أكانت شيوعية أم رأسمالية لم تعالج مشكلة الأزمات. فلابد لهذه المجتمعات أن تضع حدا آجلا أم عاجلا للسيطرة المطلقة للسلطة ورأس المال ولابد لها أن تحل الإنسانية محل الرأسمالية أو السلطوية. فبالتالي:**

* **أن يصبح "الإنجاب" أفضل الأعمال ويعتبر تعليم الطفل وتربيته في عداد القيم السامية‘**
* **أن يعتبر العمل في دائرة الزوجية قيمة‘**
* **أن تعطى الأولوية المطلقة لتعليم وتربية النساء (6).**

**أما الأهم منهما فهو أن تتغير تركيبة أعمال النساء والرجال خاصة النساء: ففي الوقت الحاضر لا تشارك الأغلبية العظمى للنساء والرجال إلا النخب في عملية التقييم والقيادة وكذلك في العمل العلمي والفني. أما الدين والإيديولوجيا فهما بدورهما باتا بيد المرجع الديني والعقل المدبر أو المرشد الأعلى!.**

**ولخفض العاهات وحالات تردي الأوضاع لابد من إصلاح نوعية "الإنتاج". فعلى ذلك ونظرا لـ "عمل الأمومة" يجب ترقية نوعية الأم. وإذ لابد للنساء أن يقضين ما لا يقل عن عشر سنوات من حياتهن في الحمل ورعاية الأولاد فهناك نوعان من الأعمال أكثر تناسبا مع الأمومة أحدهما النقد والقيادة والآخر هو الأعمال العلمية والفنية. فبذلك يجب القيام بتوسيع وتطوير التعليم والتربية لكي يتم التغيير الجذري لتركيبة أعمال النساء.**

**وبذلك ليست نوعية الأجيال الجديدة تتغير أساسا فحسب وليست المرأة تحصل على حق حقيقي في الحرية والمسؤولية والعلم والتقنية والفن والقيادة فحسب وإنما تخمد عواصف الأزمات المتفاقمة في هذا العصر.**

**ولكن هذا العمل لا يمكن تحقيقه إلا أن يتم تحقيق استقلال المرأة ماليا. فإذا كانت المرأة تقضي جزءا من مدة عملها في تربية الأطفال وتحسين وضع الزوجية فيجب دفع مكافأة مادية لها مقابل ذلك. وهذه المكافأة المادية لها جزءان:**

1. **على الرجل أن يتكفل النفقة أو أن يدفع كلفة البيت.**
2. **يجب دفع المكافأة للمرأة إزاء عمل الأمومة وتدبير المنزل أو إشراكها في دخل الزوج. كما يجب أن تتمتع المرأة بمختلف التأمينات.**

**إن القرآن ينص بصراحة على وجوب دفع النفقة على الرجل (7). أما حق المرأة في مطالبة المكافأة مقابل عملها في البيت وحق رضاعة الطفل فلا سجال ولا جدال فيه. إلا أنه وعلى أرض الواقع يرى أن النساء وبعد عيشهن مع أزواجهن مدى الحياة لا يتقاضين مكافأة ولا يحصل لهن حق في دخل وثروة حصل عليهما الأزواج بتعاون منهن معهم ليلا ونهارا!.**

**لغرض رفع الظلم عن المرأة طرحت سؤالا فقهيا (8) وهو أنه إذا لم تقل المرأة إنها تعمل بالمجان في العلاقات الزوجية والأمومة فهل تصبح شريكة في الدخل والمال الذي تحصل عليه العائلة أم لا؟**

**إني طرحت هذا السؤال في عهد النظام الإيراني السابق فأجاب السيد خميني آنذاك على هذا السؤال بالإيجاب أي قال نعم. ولكن اليوم قد تغير العهد. مع ذلك لا ظن بأن يمكن حل المشاكل إلا بهذه الطريقة.**

**فإذا تم إقرار هذين الجزءين أي النفقة والمكافأة المادية والتأمينات حسب قانون وقاعدة وإذا أصبحت المرأة كما هي ذاتها أي رمز الحب والحياة وإذا كانت الأزمات قد جعلت الجميع ليعرفوا أن حرمان المرأة من الكون صاحب القناعة والعقيدة والعلم ومن المشاركة في الولاية (الوصاية والحكم والقيادة) هو جذر (أصل) الأزمات وإذا تم الاعتماد كأساس على الخطاب القرآني بذات الخلوص والصراحة اللذين يتسم بهما أي إذا اعتبر كل من المرأة والرجل بعضهما وليا للآخر ومنح للنساء ليس فقط حق الولاية والوصاية وإنما حق الأولوية فيه أيضا وإذا خصصت النساء أوقات فراغهم ليس لإنتاج السلع والخدمات المكتبية وإنما للمجالات العلمية والفنية وبوجه خاص للسياسة وقيادة المجتمع وللتعليم والتربية والعمل والتجربة وإذا تغير ترتيب عمل الرجال أيضا لصالح زيادة الكمية والنوعية لهذا النوعين من العمل فسوف تخرج مجتمعاتنا من الأزمة كما ستصبح أجواء المجتمع الروحية صافية لا تتناهى وسيصبح المجتمع مركزا لتربية الإنسان بطريقة أخرى وليس مجزرا للإنسانية وطاقاتها.**

**مع ذلك لا تزال هناك مشكلة مالية أخرى وهي مشكلة "الإرث" وهي ليست في الحقيقة مشكلة وإنما جعلتها الأذهان المتزمتة والمتعصبة وراعية التعصب مشكلة و"إمارة" وبل دليلا دامغا على أن الإسلام يعتبر قيمة المرأة مساوية لنصف قيمة الرجل!!.**

# لماذا ترث النساء بقدر نصف ما يرثه الرجال؟: (9)

**الواقع أنه ليس فقط لا ترث النساء نصف ما يرثه الرجال وإنما منحت امتيازات أيضا في الإرث للنساء. ففي الحقيقة إن المرأة ترث بقدر أكثر من نصف ما يرثه الرجل. لأنه وفي ما يتعلق بالرجل يكون حقه مقابل واجبه ولكن في ما يتعلق بالمرأة لم يقرر واجب عليها مقابل حقها في الإرث. لنوضح أنه وكما تقدم شرحه ليس فقط على الرجل أن يتحمل نفقة الزوجة والأولاد وإنما عليه أن يدفع الراتب لزوجته مقابل عملها أو أن يشركها في مدخوله. فالواقع أن حصة الرجل من الإرث تعود له ولزوجته وأولاده أي عائلة واحدة ويجب أن تصرف لدفع نفقاتها فيما أن حصة المرأة من الإرث تعود إليها فقط ولا تدفع المرأة أية نفقة.**

**عندما كنت أوضح هذا في حديث لي سأل شخص إذا كان الأمر كذلك فلماذا قرر الإسلام حصة المرأة أكثر من حصة الرجل؟ هذه المرة يأتي الاحتجاج على عدم المساواة لصالح المرأة!**

**ولكن عندما تؤخذ بنظر الاعتبار قضايا الموضوع والإيضاحات حولها يتبين أنه لم يمنح امتياز غير مبرر للنساء‘ لأنه وبغض النظر عن ضرورة التوزيع الاجتماعي للعمل فإن إمكانية العمل للمرأة أقل منها للرجل بنسبة ما يتراوح بين 10 سنوات و15 سنة وإن صرف هذه المدة الطويلة في تعليم وتربية الأولاد يتطلب التعويض عنها.**

**ومن التعويضات هو الحصة ذاتها التي يتم تخصيصها من الإرث خاصة أن التطور الحقيقي للعلاقات الاجتماعية أمر طويل الأمد. فلابد من ترسيخ قواعد الاستقلال المالي للمرأة لتتمكن من اختيار الزوج بمزيد من الاستقلال. أما الطريق الأفضل لتحرير الزوجية من قيد عبء الأسباب الاقتصادية فهو منح مزيد من الاستقلال المالي للمرأة.**

**إذا أمعنا النظر في أحوال المجتمعات الإنسانية من الأزمنة البعيدة الماضية وحتى عصرنا هذا فنرى أن قضية الثروة والإرث ليست إلا قضية أقلية صغيرة. فكم ملايين من مليارات أبناء البشر على الأرض يمتلكون الثروة؟ إن مشكلة هؤلاء الميليارات من أبناء البشر هي عدم توفر إمكانية العمل (فرص العمل) والدراسة والإعاشة والنمو المادي والروحي. في هذه المجتمعات راحت النساء ضحايا التجربة الاقتصادية الجديدة وهي أن الاقتصاد المتسلط وفي تطوره العالمي قد حوّل النساء خاصة نساء العالم الثالث إلى "القوة العاملة". وهذه القوة العاملة لا بد لها أن تتحمل عبء الإعاشة أيضا.**

**فهكذا أحدثوا نوعين من المرأة:**

* **في العالم الخاضع للسلطة باتت أعمار النساء قصيرة وهن ما إن يبلغن سن الشيخوخة حتى يمتن تحت العبء القاسي للعمل والإعاشة.**
* **في المجتمعات الصناعية باتت مدة شباب النساء قصيرة لأنه وإضافة إلى عنصر الاستنزاف هناك تناقس شديد في كسب موقع "الجاذبية الجنسية" مما جعل مدة الشباب قصيرة.**

**فعلى ذلك إن تخليص المرأة من النوع الجديد للأسر هو أكثر تطورات عصرنا ضرورية.**

# المصادر والإيضاحات:

1. **راجعوا العددين 21 و22 لمجلة "مكتب مبارز" (المدرسة المناضلة)**
2. **القرآن، سورة النور الآية 32 و...**
3. **القرآن، سورة النور الآية 26**
4. **القرآن، سورة التوبة الآية 71**
5. **القرآن، سورة النساء الآية 35**
6. **في إسلام محمد (ص) قد تم التشديد على هذا التقدم أو الأولوية بكل تأكيد ولكن الأمر مقلوب رأسا على عقب في "الإسلام الشائع"!**
7. **القرآن، سورة النساء الآية 34**
8. **راجعوا الأعداد من 17 إلى 19 لمجلة "مكتب مبارز" (المدرسة المناضلة).**
9. **القرآن، سورة النساء - الآيتان 11 و 176**

# الزوجية في الاستسلام والإسلام

# الإسلام أم الاستسلام؟

**إن أدبيات الديكتاتورية الدينية تقيم علاقة القوى بين الإنسان والله. ومنذ أن جعلوا التثنية الأحادية المحور هي المضمون الرئيس للتوحيد وأحلو الجبر محل الاختيار والحرية أحلوا اعتناق الاستسلام محل اعتناق الإسلام. وطيلة القرون وفي جانب العقيدة الدينية اعتنقت المجتمعات الخاضعة لسلطة الديكتاتورية فكرة "التسليم" ونفسانياته بقدر ما صار الاستسلام في كل أبعاد الحياة مترجما للثنائية الأحادية المحور وقاعدة للعلاقات وضابطة للأفكار والأقوال والأعمال حتى تم اعتماد الإطاعة كالمبدأ.**

**وفي الجانب الاجتماعي وعلى أساس التثنية الأحادية المحور وفكرة وروح الاستسلام أو نفسانياته يجب على المرأة أن تستسلم للرجل في البيت وعلى الأولاد أن يستسلموا لسلطة الأب. أما في الأسرة فعلى الجميع أن يستسلموا لسلطتها العليا وبذلك يصبح كل من البيت والأسرة خلية الأساس للديكتاتورية الشاملة بدلا من أن يكون مركزا للحب ويتم إيقاع العلاقات فيه على أساس مبدأ المشاركة.**

**وفي الجانب الاقتصادي تقرر القاعدة القرآنية أنه "واللّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ" و"وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ" أي هناك كثيرون من الناس يتخذون من فائض الحاجة أداة للتسلط على الآخرين (1). وعلى أساس مبدأ التثنية الأحادية المحور ذاته وطبقا لنفسانيات الاستسلام فإن الأغلبية العظمى للكادحين يعتبرون الاستسلام لسطلة رأس المال هو قدر الخلق الذي لا يمكن تحديه!**

**وفي الجانب السياسي يتم اعتبار الاستسلام التام لـ "ولي الأمر" وإطاعته وإطاعة وكلائه إطاعة مطلقة تنفيذا لتعاليم الدين. كما يتم اعتبار المشاركة في شؤون المجتمع خروجا على أمر الله. ويكون من مهمة جميع مؤسسات المجتمع أن تربي الأفراد والفئات على الفكرة الاستسلامية والسلوك الاستسلامي ليتواطئوا مع المؤسسة السياسية في تصفية الأفراد والفئات الذين يمتنعون عن الاستسلام.**

**وفي الجانب الثقافي إذ يتربى الناس على نفسانيات الاستسلام فيصبحون متكيفين في الفكر والقول والعمل. فمنذ أن حل الاستسلام محل الإسلام صارت المجتمعات المسلمة ذوات نفسانية الاستسلام أمام القوة (= العنف) وباتت محاكية في حقلي العلم والثقافة: فمنذ العصر الأموي الذي أخذ فيه الأمويون ولإقامة نظامهم الديكتاتوري بالتثنية اليونانية والجبر وحتى اليوم كان المفكرون المسلمون ومازالوا عاكفين على تطبيق وتكييف الإسلام في حقول العرفان والفلسفة والعلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية مع الفلسفة والعلوم الطبيعية والاجتماعية الحديثة في كل عصر. ولم يتمكن تكرار التجربة طيلة القرون بدوره من إخراج المجتمعات المسلمة من المتاهة. في الحقيقة لو أدى تطبيق الدين مع الآراء إلى النمو لافترض أن يكون المسلمون هم أرقى المجتمعات وأكثرها تطورا. فلماذا ليسوا كذلك؟ ولماذا تسقط الأنظمة الديكتاتورية في المجتمعات الأخرى ولكنها لا تزال قائمة على حالها في المجتمعات الإسلامية؟ أما السبب فهو يكمن في فكرة ونفسانية الاستسلام.**

**إن الانسلاخ عن الذات قد وصل إلى حد يعتبر فيه كل مسلم أن الاستسلام هو أمر بديهي إلى حيث لا يتصور إطلاقا أنه قد خرج من فطرته الحرة. إذا تأملت في أحوال أولئك الذين يتخلون عن الدين قائلين: "تحررنا من الدين والمذهب" فسوف ترى أنهم لم يتخلصوا بعد من فكرة الاستسلام وسلوكيته:**

**وفي جانب علاقة الإنسان مع نفسها’ إن أبرز مؤشر على الاستسلام هو الخوف من التفكير ومن الإبداع والخلق. على ذلك’ إن الذين يخرجون من الإسلام ومثلا يعتنقون الماركسية يسلمون أنفسهم في الحقيقة لتلك العقيدة والمنظمة. أين يمكن كشف مفكر في صفوف مثل هؤلاء الماركسيين؟! كما إن المرأة والرجل اللذين يخرجان من الأعراف والعادات الدينية ويعتنقان الفكر الغربي على سبيل المثال فهما يطبقان أنفسهما معه. ففي العالم الإسلامي تجري عبارات من النوع التالي على ألسنة وأقلام المثقفين ومنوري الفكر أكثر من العوالم الأخرى: "يجب الكون إفرنجيا (غربيا) حتى العظم" و"يجب أخذ كل شيء من الإفرنجي (الغربي) حتى الإفرنجي" (الإفرنجي كان يطلق أيضا على الأمراض الجنسية)! و"عند أخذ الحضارة الغربية يجب الامتناع عن أي إبداع بل يجب انتحال صفة الغربي بكاملها" و...إلخ.**

**ولهذا السبب يتم إنشاء منظمات سياسية بأخذها "إيديولوجية جديدة" وبـ "أسلوب جديد" ولكنها تتحول أخيرا إلى طائفة. إنهم يقومون في الحقيقة وبتكييف الفكر الدليل "المأخوذة" مع الاستسلام فتتحول المنظمة إلى رأس يتوقع من الأعضاء إطاعة مطلقة وقاعدة ليست قادرة على عمل غير الإطاعة. فيكون عدم الإطاعة "جريمة كبرى"!. ولهذا السبب يحاول أغلبية الأشخاص في المجتمعات الإسلامية وبعد أن تسنح لهم الفرصة للعيش في الحرية أن يخضعوا الآخرين لإرادتهم فور أن يشعروا أنفسهم "أحرارا"’ والمرأة المسيطرة على زوجها هي التي تعتبر امرأة حرة. هناك باحث قارن النفسانية الفردية والجماعية للإيرانيين مع ما منها في المجتمعات الغربية فاكتشف وعلى سبيل المثال أن المواطن الألماني لا يستخدم القوة إلا عند خوفه ولكن المواطن الإيراني لا يستخدم القوة إلا عند ما يشعر نفسه "أقوى" وما إن يفقد موقعه القوي المتسلط حتى يستسلم أمام القوة. في الحقيقة إن العيش لقرون عديدة تحت وطأة الأنظمة الديكتاتورية والتعود التاريخي على نفسانية الاستسلام قد دفع الناس والفئات في المجتمعات الإسلامية إلى أن لا يعرفوا أكثر من موقعين وهما: موقع المستكبر وموقع المستضعف. فعندما يخرجون من أحد الموقعين يتبوأون الموقع الآخر (2).**

**أنظروا إلى الحالة المزرية للطبيعة في البلدان الإسلامية فهي تؤشر على تاريخ الاستسلام في هذه المجتمعات. كانت معظمها أراضي خضراء معمورة ولكنها تحولت إلى صحاري قفرة. إن علاقة أبناء البشر مع الطبيعة تعكس علاقة الشعوب بعضها مع البعض الآخر كما وفي داخل المجتمع تعكس علاقة الحكومة مع الشعب والعلاقة بين الأفراد والعلاقة بين فئات وشرائح المجتمع وكذلك تعكس نوعية التفكير والنفسانية الجماعية والفردية. أما وعلى مستوى العالم فنرى أن نفسانية المتسلط ونفسانية الخاضع للسلطة والعلاقات بينهما وعلاقة الإنسان مع السلطة (=القوة) باتت هي السبب لتلوث البيئة وضياع الطبيعة.**

**فمن هذا المنطلق يعتبر القرآن مكافحة عبادة الشخصية الجهاد الأكبر كما يعتبر أن الحرية تساوي الفكر والقول والعمل الخالي من الإكراه (3) ولكي يمكن للإنسان أن يحصل على الفكر والقول والعمل الخالي من الإكراه فعليه أن يتخلى عن المبدأ الدليل والفكر ونهج العمل أو السلوك العائد للاستسلام. إن الاستسلام هو التسليم أمام القوة (= العنف) ولكن الإسلام هو رحب الصدر وابتغاء السلام لله وبه يتم التخلي عن علاقة القوى وبهذا السلام يتحرر الإنسان ليصبح فكره واسعا غير متناه. فهكذا يتبين أنه إذا ما أسمى الله دين التوحيد بالإسلام أي دين السلام فذلك لأن السير من الاستسلام إلى الإسلام هو في الحقيقة سير من رقعة السلطة (=القوة) إلى رقعة الحرية. إلا أن هذا السير يمكن بالخروج من علاقات القوى. إن الله مطلق وإن مخلوقاته لا يمكن لهم أن يتحرروا من علاقات القوى في ما بينهم إلا بالعلاقة معه. لأن المخلوقات لكل منهم حد فبالتي تكون العلاقة المباشرة في ما بينهم هي علاقة الحدود أو علاقة القوى فيكون المبدأ الدليل لا محالة هو التثنية وليس التوحيد. فعلى وذلك إن التخلص من علاقات القوى يساوي التصالح والسلم أو الإسلام والإسلام هو استعادة السلم بسبيل الله والتخلي عن التثنية واتخاذ التوحيد هو المبدأ الدليل. فمن دون الإسلام يحرم الإنسان من ينبوع الحياة والحب والعلم والسرور والحرية والنمو فيما يتعرض بالاستسلام للحقد والظلم (4). ففي هذه الحالة من البديهي أن قواه وطاقاته تستخدم في فرض الظلم والرضوخ للظلم والتحدي والتدمير.**

**فهكذا’ إن العمل على التخلص من الفكر الاستسلامي والنهج أو أسلوب التعامل الاستسلامي يجد الأولوية المحسومة. ولهذا السبب يكون القرآن كله طرق ومناهج مكافحة الاستسلام. فإن سورة الصافات تفهرس جهود الأنبياء للقضاء على الاستسلام وتبين بوضوح الفروق بين الإسلام والاستسلام في المبادئ الدليلة والطرق والمناهج (5).**

**إن التوحيد هو المبدأ الدليل في الإسلام فيما إن الشرك (التثنيات والتثليثات) هو المبدأ الدليل في الاستسلام. ففي الإسلام يكون العدل هو المبدأ الدليل ولكن في الاستسلام يكون الظلم (فرض الظلم والرضوخ للظلم) هو المبدأ الدليل. في الإسلام يعتمد على المشاركة في القيادة والشورى في الأمور كمبدأ ولكن في الاستسلام يعتمد على الإطاعة كمبدأ. في الإسلام يعتمد على القانون والحرية كمبدأ ولكن في الاستسلام يعتمد على القوة (= العنف) والخروج على القانون كمبدأ. في الإسلام لا نهاية لمدة الفكر والقول والعمل ولكن في الاستسلام كلما تزداد سلطة القوة (= العنف) كلما تقصر مدة الفكر والعمل وكلما يكون الفكر أكثر عقما. في الاستسلام لا يمكن أخذ حتى المستقبل بنظر الاعتبار في التفكير وفي العمل فما بالك بأخذ يوم المعاد. لأنه لا توجد فيه رقعة أو أرضية للحرية حتى يمكن التفكير. فعلى ذلك إنه وفي الاستسلام يعتبر جميع الناس صغارا ولا يعتبرون أصحاب رأي. ومقابل ذلك يساوي الإسلام إغلاق رقعة القوة (= العنف) وتوسيع رقعة الحرية. ففي هذه الرقعة يمكن للفكر أن يتسم بالإبداع والخصوبة. ولكن في رقعة السلطة (=القوة) يكون التفكير مستحيلا. ولهذا السبب قال الله تعالى: "لا إكراه في الدين". إذا فإن الإسلام هو الفكر والقول والعمل الخالي من الإكراه. ولكن هل يمكن أن يكون الفكر الخالي من الإكراه أمرا غير الإبداع؟ وهل يمكن أن يكون القول والعمل الخاليان من الإكراه غير تحويل وليد الفكر إلى القول والعمل؟. إن الاستسلام قائم على أساس السلطوية أو القوة (= العنف)’ ففيه هل يمكن أن يكون الفكر إلا اللعب بالقوة وتلقين هذه الصورة أو تلك بقوة وهل يمكن أن يكون القول إلا إلباس الحق لباس الباطل وتكذيب القول الصدق وهل يمكن أن يكون العمل إلا التدمير والتخريب؟**

**في الإسلام تكون الروح هي روح الأمل والسرور والنشاط وتوسيع رقعة العيش الحر أكثر فأكثر. ولكن في الاستسلام تكون الروح هي روح اليأس والحزن والتخاذل للجميع. إن أوضح فرق بين الإسلام والاستسلام هو أن الإنسان وعندما يتخلص شيئا فشيئا من الاستسلام ويقترب إلى الإسلام يصبح فكره وقوله وعمله عفويا. أما المؤشر على عفوية الفكر والقول والعمل فهو الخلو من الإكراه والمؤشر على الخلو من الإكراه هو كون الفكر مبدعا وبيان ذلك في قول الإنسان وتحققه في عمله. إن العفوية هي سمة الفكر والقول والعمل الحر والعيش في الفطرة. عندما يتخلص نفس الإنسان وجسده من الإكراه فهو يصبح على الحالة الفطرية. وفي هذه الحالة يكون الفكر عفويا أي متخلصا من الإكراه وهو قادر على الخصوبة والإثمار ليكون القول والعمل هما وليدين للفكر وهذا هو معنى أن الله خلق الكون على فطرته (فطرة الله التي فطر الناس عليها). إن ما يعمل الله يترجم الفطرة والإنسان يكون خليفة الله عندما يكون في فطرته. فعلى سبيل المثال تم في سورة الروم المقارنة بين الفكر والقول والعمل عندما يتم كل منها على أساس الفطرة وبين الفكر والقول والعمل عندما يتم كل منها بخلاف الفطرة (6). ولهذا السبب يؤكد الله تبارك وتعالى في الآية التالية أن الإسلام هو دين الفطرة (7):**

**"فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ".**

**وليس الزواج يهدف إلى الخروج من الفطرة وإنما يهدف إلى العيش في الفطرة. وعلى وفق الفطرة أسس الله العلاقة بين المرأة والرجل على المودة: "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً" (8) وقرر أنه حتى إن كرهتم زوجاتكم فعاملوها بالبر والمعروف: "وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا" (9).**

**فعندما يصر إلى هذا الحد على أنه يجب أن تكون علاقة الزوجية مترجمة للفطرة والحب وخالية من الإكراه’ فلماذا قال: «الرجال قوامون على النساء»؟**

**وفي ما بعد كلما كانت الفلسفة اليونانية تسيطر تدريجيا على عقول المسلمين كلما كان يتغير تفسير الآية المذكورة. فكان فلاسفة اليونان يعتبرون المرأة كائنة دون الإنسان يجب عليها أن تطيع الرجل إطاعة مطلقة. لهذا كان المسلمون يفسرون الآية بأن "الرجال مسيطرون على النساء". أما الفقه واتباعا للفلسفة اليونانية فكان يترجم الاستسلام ويقنع بأن على المرأة أن تطيع الرجال على الإطلاق وكان يعتبر "النشوز" أي نوع من التمرد وكان يعتبر من حق الرجل أن يؤدبها كيفما شاء. ولكي تبقى المرأة مطيعة ولا تنحرف كانت كتب الأخلاق وخلافا للحديث النبوي الصريح بأن "طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" تقنع الناس بأن تعليم الكتابة للمرأة يتسبب في انحرافها وانحراف الرجل (10).**

**وكان التطور في المجتمعات الأوربية يحل التثنية الثنائية المحور محل الثنائية الأحادية المحور وكانت المرأة تجد موقعا ومكانة تناسبها. ففي المجتمعات الإسلامية كانت موجة الحداثة تدفع بعض فقهاء الدين ومفسري القرآن إلى أن ينظروا إلى الدين على أساس الأفكار الحديثة العصرية. هؤلاء لم يتحرروا من الاستسلام بل ساروا مسار التقليد المتمثل في "تبعية الدين للعلم". فلهذا السبب فسروا "قوامون" بمعنى "الكفيل والخادم" وإذ لم يتمكنوا من التخلص من الاستسلام نصبوا الرجل رئيسا والمرأة "مساعدة" له! ولكن من هو المرؤوس؟!. في ما يلي أنقل واحدا من أحدث النماذج (11):**

**"الرجال كفلاء وخدام للنساء". ولإيضاح هذه العبارة يجب ملاحظة أن العائلة هي وحدة اجتماعية صغيرة لابد لها من قائد وكفيل واحد مثل مجتمع كبير لأنه لا معنى للقيادة والكفالة الجماعية بولاية مشتركة من المرأة والرجل. إذٌا فلابد للرجل أو المرأة أن يكون واحد منهما رئيسا للعائلة وأن يكون الآخر مساعدا له يعمل تحت إشرافه. والقرآن ينص بهذا الصدد على أنه يجب إيكال منصب الكفالة للرجل (هنا يجب عدم الوقوع في خطأ الانطباع بأن هذا التعبير يقصد الاستبداد والظلم والتعدي’ لا بل يقصد القيادة الواحدة المنظمة بأخذ المسؤوليات والمشاورات اللازمة بنظر الاعتبار).**

**هناك موضوع واضح في عصرنا الحديث أكثر من أي وقت مضى وهو أنه: إذا تولى وفد (يضم ولو شخصين فقط) مهمة فبالتأكيد لابد من أن يكون أحدهما "رئيسا" والآخر "مساعده أو عضو في الوفد"’ وإلا سوف تسود الفوضى مهمتهما. إن كفالة الرجل للعائلة هي الأخرى تأتي من هذا النوع بالذات.**

**وهذا الموقع يأتي بسبب وجود خصائص في الرجل ومنها ترجح قوة التفكير فيه على قوة العاطفة والأحاسيس (على عكس المرأة التي تحظى بقوة عاطفية وافرة أكثر فأكثر) وكذلك كون الرجل يمتلك هيكلا وقوة جسدية أكثر وأقوى. فبالأولى يمكن له التفكير والتخطيط وبالثانية يمكن له الدفاع عن حرمة عائلته وحرم بيته.**

**وعند ما يأتي دور تفسير "النشوز" يفسرونه بـ "العتو والتمرد" ويكتبون قائلين:**

**"تعني الآية أنكم قدموا النصحية والموعظة للنساء اللواتي تخشون عتوهن وتمردهن" فبذلك وقبل كل شيء يجب تقديم نصائح ودية لأولئك اللواتي يتجاوزن حدود النظام العائلي ويجب شرح النتائج السيئة المترتبة على هكذا أعمال لكي يمكن هدايتهن وتأكيد مسؤوليتهن لهن.**

**...**

**وإذا تجاوز التمرد والتملص من الواجبات والمسؤوليات وواصلن سلوك طريق الخروج على القانون بخطوات التعنت والتشدد ولم تفد النصائح ولا فصل الفراش ولا المقاطعة ولم يبق حل إلا "المعاملة بالتشدد" وكانت الحيلة قد اقتصرت على العنف والمعاملة المتشددة’ فهنا قد سمح للرجال بأن يدفعوهن إلى أداء واجباتهن عن طريق "معاقبتهن جسديا".**

**وإذا قيل إن مثل هذا التمرد والتجاوز قد يقوم به الرجال أيضا فهل ستشمل مثل هذه العقوبات الرجال أيضا؟ فنرد على هذا السؤال بما يأتي: نعم يتم معاقبة الرجال أيضا مثل النساء تماما في حال مخالفتهم وتجاوزهم الواجبات وحتى المعاقبة الجسدية. ولكن إذ إن هذا العمل خارج عن قدرة النساء فمن واجب حاكم الشرع أن يؤكد للرجال المخالفين واجباتهم بطرق مختلفة حتى بطريقة التعزير (العقوبة الجسدية).**

**أما القرآن فقد طرح موضوع "نشوز" الرجل في الآية 128 من سورة النساء حيث تقول: "وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلاَ جُنَاْحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ". ولكن نرى هنا كيف فسروها (12):**

**"وإذا خشيت امرأة عتو وتمرد زوجها أو إعراضه فلا مانع لهما في أن يتصالحا...".**

**وجاء في العديد من تفاسير القرآن وكتب الحديث حول شأن نزول الآية أن رافع بن خديج كان له زوجتان إحداهما مسنة والأخرى شابة. فطلق زوجته المسنة نتيجة خلافات ثم راجعها وقال لها: إذا أنت شئت فأتصالح معك ولكن إذا فضلت أنا زوجتي الأخرى عليك فعليك أن تصبري وإذا شئت أنت فأصبر أنا لتنقضي العدة لنفترق. فقبلت المرأة الخيار الأول فتصالحا. فنزلت الآية الشريفة التي بينت الحكم في ذلك.**

**... ولكن القرآن قد أشار في الآية المذكورة إلى موضوع نشوز الرجل وقيل في تفسير الآية: "عندما شعرت امرأة بأن زوجها يقصد التمرد والعتو والإعراض فلا مانع لها في أن تتنازل عن بعض حقوقها حرصا على حماية حرم الزوجية".**

**...**

**ثم ولتأكيد الموضوع يقول: "والصلح خير". هذه العبارة القصيرة والدالة مع أنها قد جاءت في الآية المذكورة حول الخلافات العائلية’ ولكن من البديهي أنها تبين قانونا عاما وكليا واجتماعيا وهو أن مبدأ الأساس في كل مكان هو السلام والصفاء والمودة".**

**فبذلك عندما يتم تفسير النشوز بـ "أي عتو وتمرد" فيظهر التناقض بين البيان الإلهي وتفسير المفسرين’ لأنه إذا خيف من نشوز المرأة فيحق للرجل أن يذهب إلى معاقبتها جسديا ولكن إذا خيف من نشوز الرجل فينبغي أن تتصالح المرأة معه وبل تتنازل عن بعض حقوقها! إن مفسري كتاب "تفسير نمونه" (التفسير المثالي) إذ أرادوا أن يقيموا المساواة فكتبوا إذا نشز الرجل فيعاقبه حاكم الشرع. إنهم باتوا غافلين عن أمرين: أحدهما تناقض تفسيرهم للآيتين القرآنيتين والآخر وهو الأهم تفسير القرآن على وفق الاعتماد على السلطة (=القوة) كمبدأ: في نظام الاستسلام هناك سلم قيادي للسلطة. إذن يجب على المرأة أن تطيع الرجل وعلى الرجل أن يطيع الحاكم’ والقوة هنا هي الكفيلة لهذا السلم القيادي وهذه الإطاعة.**

**هل يعلم الذين يستندون إلى نهج العمل في "العصر الحديث" أن الرجال في "عصرنا الحديث" هذا يتركون النساء على حالهن ويذهبون أكثر من أي عصر أو وقت مضى؟ وهل يعلمون أنه وفي "عصرنا الحديث" يتطور النظام العائلي نحو "الشورى والمشاركة في القيادة والولاية في ما بين الرجل والمرأة" وفي التشريعات الجديد بدأت علاقة الرئيس بالمرؤوس تحل محل علاقة التعاون والمشاركة في إدارة شؤون العائلة؟ هل سأل كتّاب التفسير أنفسهم إذا لم يمكن حتى في العائلة التي تقوم على أساس المودة والحب إقامة "الشورى" التي يعتبرها القرآن حجر الأساس لنظام ديمقراطي قائم على مبدأ المشاركة في المجتمعات الكبيرة فهم يعرّفون القرآن بأنه كتاب يتضمن أمورا تأتي من صنع الخيال أو يضطرون وكما اضطروا في تفسير الآيتين المذكورتين إلى أن يقعوا في التناقض ليظهروا كأن القرآن يتضمن العديد من التناقضات!؟ وألا يعتبر القرآن في موضوع الزوجية أن العدالة هي المبدأ؟ وهل "الحكم" بأنه: عندما يأتي النشوز من المرأة فيحق للرجل أن يضربها ولكن عندما يأتي النشوز من الرجل فعلى المرأة أن تتنازل عن بعض حقوقها وتتصالح’ هل هذا الحكم يتطابق مع العدالة؟ ألا يعني هذا "الحكم" إنه وهذه المرة أيضا يكون الرجل هو الذي يحق له أن يتعسف وتكون المرأة هي التي عليها أن تستسلم أمام القوة (= العنف) والتعسف؟ هل هذا التفسير يتطابق أو ينسجم مع الإسلام أم مع الاستسلام؟ لماذا لم ير كتّاب التفسير هذا التناقض الواضح؟ لأنهم لو فسروا النشوز بأنه عدم الرضوخ للرغبة الجنسية للزوج أو الزوجة لانهارت كل مختلقاتهم الفقهية القائمة على مبدأ التثنية الأحادية المحور والموافقة للفكرة الاستسلامية والسلوك الاستسلامي. إن الذين لم يقيدهم نظام الاستسلام لم يغمضوا عيونهم على الآية القرآنية بل رأوا أن النشوز أو التمرد الجنسي لا يجد أرضية للتحقق إلا في فراش المضاجعة ولا تفيد الأساليب والسبل المقترحة إلا عند النشوز أو التمرد الجنسي. ففي حالات النشوز أو التمرد الآخرى تتسبب هذه الأساليب في سير الحالة من السيئ إلى الأسوأ. فعلى سبيل المثال إذا كانت المرأة تكره الرجل فمن شأن هذه الأساليب زيادة الكراهية. سوف أعود أتطرق إلى هذا الموضوع في الكتاب بعد تناولي العديد من الموضوعات.**

**ليست هذه التناقضات هي التناقضات الوحيدة: إذا كان معنى "قوامون" هو الرعاية والكفالة وكانت القوة (= العنف) هي العلاج النهائي لـ "النشوز"’ فتناقض هاتان الآيتان عديدا من الآيات الأخرى وتتضاربان معها بما فيها مع الآيات التالية ومن خطبة النبي: "وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ" (13) "وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (14) والمسلمون "أمرهم شورى بينهم" (15) "ولا إكراه في الدين" (16). و"أُوصِيكُم بالنِّساءِ خَيراً ، فَإِنَّما هُنَّ عَوَارٍ عِندَكُم ، لا يَملُكْنَ لأَنفُسِهِنَّ شَيئاً ، وإنَّما أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأمَانَةِ الله، وَاستَحلَلْتُم فُروجَهُنَّ بِكتَابِ الله، وَلَكُم عَلَيهنَّ حَقٌّ ، وَلَهُنَّ عَليكُم حَقٌّ"’ "وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا" (17) و"إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ" (الآية 13 من سورة الحجرات). كما تتضاربان مع كل الآيات التي تكلف الرجل بواجبات وتمنعه من التعسف.**

**على أي حال قاموا طيلة قرون وطبقا للاستسلام بفرض إطاعة الرجل على المرأة ومنحوا السلطة للرجل في الزواج والطلاق. إن المجتمعات المسلمة صارت عقيمة بالاستسلام حتى باتت أحوال المجتمعات الإسلامية على ما نراه اليوم. في الحقيقة إن المجتمعات لا تثمر ولا تتوجه نحو النمو من دون تحرر المرأة ونموها. الحل يكمن في أن ننتقل من الاستسلام إلى الإسلام لنتحرر. فهنا لننظر إلى التوجيه القرآني القائم على التوحيد:**

**إذا تم التشاور بين المرأة والرجل على وفق الفضائل في ما بينهما؟:**

**يقول القرآن (18):**

**"وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ"**

**فعلى ذلك يجب أن تكون العلاقة في الزوجية بين المرأة والرجل علاقة زيادة البر. وحتى في الطلاق يجب أن لا ينسيا الفضل بينهما. في الحقيقة على جميع الناس أن يقيموا العلاقة في ما بينهم على أساس فضائلهم. على أي حال’ ولكي تقام العلاقة بين الزوجين على أساس الفضائل في ما بينهما فلابد لكل منهما أن يعلم أنه (19):**

**"وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ".**

**كما ويقول: "وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ" (20) و"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا" و"وَاللّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا" (21)’ "هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ" و"وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ" و"وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً" (22) و"لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا"’ (23) و"فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً" و"وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا" (24)’ أي إن الله خلق المخلوقات أزواجا وخلق المرأة والرجل من نفس واحدة وجعل العائلة مركزا للحب ويقرر أنه يجب أن تكون الزوجية خالية من الإكراه ومشحونة بالمودة وعلى المرأة والرجل أن يتعاملا على مبدأ العدالة. فهكذا يتبين أن الزوجية يجب أن تترجم التوحيد وتتيح لكل من المرأة والرجل فرصة إنضاج فضائل كل منهما وبعضهما البعض.**

**وكما قرأتم في كتابي هذا فعلاوة على فضائل كل من الزوجين هناك فضائل خاصة للنساء (25) منها: الأمومة وتعليم الحب ومزرعة (حرث) الحياة والفن. وفضائل خاصة للرجال منها:**

1. **فضل الأبوة**
2. **فضل العمل في مرحلة إنتاج المحصول أو العمل التنفيذي.**

**إن الحمل وتربية الأطفال يحددان فرصة ورقعة عمل النساء بالمقارنة مع الرجال (25):**

1. **فضل الكون "قوّاما": نظرا لأن الأنظمة والأفكار هي أنظمة وأفكار الاستسلام فإن فضائل النساء لا تنضج ولا تثمر إلا بأن تسعى النساء لتحرير أنفسهن من فكر ونظام الاستسلام وأن يتخلى الرجال عن فكر ونظام الاستسلام وأن لا يتخذوا من نسبة رجوليتهم مقياسا للسيطرة والتعسف على النساء وأن يعلموا أنه إن لم يقم كل من المرأة والرجل وبالتعاون معا بإنماء طاقاتهما وإن لم يصبح الرجال "قوامين" أو أعمدة وأسسا لبناية الحب والعيش المشترك والتمتعات وإن لم تستخدم النساء فضائلهن (26) التي هي تعليم الحب وإعادة الثقة بالنفس إلى الرجل عند كل مرة يفقدها وتعزيزها فسوف تتوقف عملية نموهما (27). لأنه إن افترض ضياع إرادة النمو في أحدهما ولا في كليهما فعلى الذي له إرادة النمو أن يعمل للآخر إضافة لنفسه أي عليه أن يعوض عن الفضل الذي فقده شريكه في الحياة وهذه عملية صعبة للغاية.**
2. **فضل الدفاع عن استقلال المجتمع وتحرر كل من هو مستضعف من الرجال والنساء والأطفال عندما يهددهم سلطوي تعسفي وأجنبي (28). وهذا الفضل لا يعرقل الفضل المتمثل في استقلال المرأة والرجل في الشخصية والدفاع عن النفس. وكما تم إيضاحه في نص الكتاب إن المرأة نفسها في الدرجة الأولى هي المدافعة عن المرأة في كل مرة يتم فيها الاعتداء على حقوقها ولا يجوز ولا يمكن لها أن يتنصل من مسؤوليتها. فهي شأنها شأن الرجل في المسؤولية عن الدفاع عن استقلال المجتمع وحرية الناس وسترتفع مكانتها إذا شاركت في الدفاع أيضا بجانب واجبات الأمومة والمهام التي تتولاها طبقا لفضائلها. يجب عدم التصور بأن الفضائل التي يتسم بها الرجل لا تتسم بها المرأة أو الفضائل الموجودة هي فضائل الرجل فقط. إن الفضل هو الطاقات والعلوم وصنوف القيادة والعدالة وكل الخيرات والقيم الأخرى (29). إن تحقيق الشمولية يستلزم أن يقول الإنسان بإنضاج فضائلها الزائدة وفضائلها الناقصة على حد سواء وهذا هو تكثير الخير. إن زيادة الفضل عند الرجل ونقصانه عند المرأة وكذلك زيادة الفضل عند المرأة ونقصانه عند الرجل لا يحدثان أرضيتين منفصلتين للفكر والعمل بحدود لا يمكن تجاوزها. إن المرأة والرجل خلقا ليتزاوجا. وفي حالة الزوجية تشكل فضائلهما معظم الأرضية الطبيعية لفكر كل منهما وعمله. كما يجب العلم بأنه وفي الزوجية يقوم كل من الزوجة والزوج بإثمار فضائله وفضائل بعضهما البعض. وينبغي الإيضاح هنا أن النظرة إلى كل من المرأة والرجل على أساس التثنية ثم وعلى أساسها اعتبار الرجل ذا قوة عقلية أكثر وعواطف أقل واعتبار المرأة ذات عواطف أكثر وقوة عقلية أقل في "العصر الحديث" كلام باطل. أما أكثر بطلانا منه فهو القول بأن نعتبر الرجل ذا روح أخلاقية أو عقل أخلاقي وأن نعتبر المرأة محرومة منهما ("في العصر الحديث" وعلى أساس فلسفتي أفلاطون وأرسطو اللتين وجدتا طريقهما إلى الأديان وتكرس قبولهما). لأن فكر المرأة في أرضية فضائلها أكثر إثمارا من فكر الرجل وعلى العكس. فعندما يصبح كل من المرأة والرجل وليا للآخر في الزوجية تصبح أفكار كل من المرأة والرجل نشطة ومبدعة ومثمرة بالكامل شريط أن يؤدي الرجل حق فضله بصفته "قواما".**

**لماذا جعل الله الرجل "قواما"؟ لأنه وفي الاستسلام الذي تعيشه المجتمعات’ ما لم يتخل الرجل عن موقعه كحاكم متسلط مستبد’ فستبقى المرأة "ضعيفة". إن من أسباب نشوء نظام الاستسلام أن الرجل قد جعل فضله ينسلخ عن ذاته وبدلا عن نموه مع فطرته وعلى أساس فطرته وكونه "قواما" أكثر فأكثر وبدلا أن يتيح الفرصة للمرأة لأن تنمو حتى تجعل وبدورها فضائلها وسيلة لنمو المرأة قد اعتمد التعسف كأسلوب وسلوك له وجعل نظام العائلة نظاما استسلاميا ضد النمو. فعلى ذلك ما لم تتحرر المرأة ولم تبدأ سلوك طريق النمو فستبقى الرجل بدوره مستبدا حقيرا بفكر عقيم وقول وعمل مدمر مخرب. فلهذا السبب’ كل مرة يدعو فيها القرآن إلى نبذ التعسف والاستبداد والأنانية فهو يخاطب الرجل. فإن الرجل هو الضحية الأولى للعلاقة الاستسلامية. لأنه ما لم يصبح الرجل عمودا راسخا لتخلص المرأة من الإكراه فهو نفسه أيضا يضع الأبعاد الإنسانية تحت تصرف القوة (= العنف) المخرب المضيع. فهناك تناسب مباشر بين ضياع الطاقات والرغبة في التعسف والاستبداد وإن ضياع الطاقات يتزايد بوتيرة متصاعدة.**

**إني ومنذ نشر الطبع السابق للكتاب وحتى الآن أي في الوقت الذي يجدد فيه طبعه واصلت الدراسة. كنت أستخدم المنجزات بمثابة حلول للشؤون الشخصية التي كانت تطرأ علي وكنت أختبرها في بوتقة التجربة حتى توصلت إلى القناعة بأن جهدي لبرهنة عدم الصحة لآراء فقهاء الدين ومفسري القرآن الذين فسروا العبارة القرآنية القائلة: "الرجال قوامون على النساء" بأن الرجال "مسيطرون على النساء" جهد غير منجز. فيجب الخروج من هذه الرقعة المحدودة حتى يمكن التوصل إلى الحقيقة كلها:**

# علاقة الرجل بالمرأة والحب:

**إذا لم يكرم الرجل المرأة واعتبرها حقيرة فلا يمكن له أن يحبها باعتبارها إنسانة أصبحت زوجته. ولكن إذا لم يكن الحب هو الدافع الأول للإنسان فهو دافعه الأول. فإذا لم يتمكن الرجل من حب المرأة في مقامها وموقعها الإنساني فسوف ينظر لا محالة إليها باعتبارها "شيئا جنسيا" فيكون في عداد الذين يحبون العيال من الزوجة والأولاد بجانب المال والمنصب (30). إن علاقة الإنسان مع الشيء الجنسي ليست علاقة فطرية وبالتالي ليست علاقة عفوية. بعبارة أخرى إن الرغبة الجنسية تمتثل أوامر التحفيزات الجنسية. وإذ إن تكرار العلاقة يولد الشبع ويبطل مفعول المحفز فلابد له أن يبحث عن محفزات جديدة. لهذا في المجتمعات التي يرفض فيه الرجل حتى العظم المساواة بينه وبين المرأة بات تعدد الزوجات وتعدد الأزواج في الحقيقة يستشريان وينتشران بالتزايد يوما بعد يوم رغم أن القانون فيها ينص على أحادية الزواج. فمن هذا المنطلق كلما يصبح الجنس (سواء بالتحجب أو التعري) هو محور العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وحتى محور علاقة الإنسان سواء من الرجل أوالمرأة مع نفسه كلما يتنزل موقع ومكانة المرأة. ففي هذه المجتمعات تؤدي التحفيزات الجنسية المستمرة إلى العجز الجنسي الذي تترتب عليه مضاعفات لا تطاق إضافة إلى انحرافات جنسية لا تعد ولا تحصى مما يتسبب في انحطاط وانهيار المجتمع.**

**فبذلك إن الخطوة الأولى في التخلص من الاستسلام الجنسي الذي وفي عصرنا الحديث يترجم نظام الاستسلام هي أن يعتبر الرجل المرأة متساوية معه وجديرة بالحب وذلك بصفته "قوّاما". بذلك يتخلص الرجل من الفكر الاستسلامي. فما لم يتخذ الرجل هذه الخطوة فلا يصل لا هو ولا المرأة إلى المتعة في ممارسة الجنس والمضاجعة أيضا فيضطران إلى البحث عن طريقة أخرى للتمتع. فعلى الرجل أن يكمل اتخاذ هذه الخطوة باتخاذه خطوات أخرى وهي:**

**\* أن لا يستخدم القوة (= العنف) في العلاقة الزوجية. فإذ إنه وفي نظام الاستسلام يحظى الرجل بموقع المسيطر فإذا لم يستخدم القوة (= العنف) ولم يمارس الإكراه حتى إذا أراد عدم إظهار إكراهه (31) فتتوفر الفرصة للمرأة لأن تتخلص من فكر وسلوك يجعلانها "مطيعة للقوة". وإذ إن من تربى في نظام الاستسلام عندما يتخلى عن موقع المستسلم يتصور أن عليه أن يجد موقع الدافع للاستسلام فعلى الرجل أن يظل متمسكا وملتزما بالموازنة العدمية حتى تكشف المرأة عدم جدوى استخدام القوة (= العنف) وممارسة الإكراه وتشعر وتدرك حقيقة أن استخدام القوة (= العنف) يجعل الإنسان عبدا للقوة.**

**\* أن ينفذ مبدأ العدالة أي أن يزيل حالات الازدواجية والتثنية (32). ومن أسوأ هذه الحالات من الازدواجية والتثنية التي تتضمن استحقار المرأة وضياع الحب ونشر المفاسد هو استغلال المرأة واستخدامها كشيء جنسي. وعلى الرجل وبصفته "قوّاما على المرأة" أن يتجنب ما يأتي من الأعمال السيئة:**

1. **أن لا يعرض المرأة كشيء جنسي لتحقيق هدف (المال والمنصب وو...). ففي مختلف المجتمعات هناك العديد من حالات استغلال الزوجة لا تزال شائعة: "التزوج من اليتيمات لنهب مالهم" (33) أو دفعهن إلى البغاء ودفع الزوجة إلى مضاجعة شخص آخر. وفي الماضي كانوا قد أضفوا لذلك حتى الطابع القانوني. ففي الزواج الاستقراضي كان الرجل يقرض زوجته لذوي قوة أو سلطة لمدة محددة! أما في "عصرنا الحديث" يقوم الرجال بتبادل زوجاتهم (34).**
2. **تجنب الافتراء وتوجيه التهم متعمدا إلى المرأة واجبارها على دفع مال أو الطلاق أو الرضوخ للزواج (35).**
3. **تجنب إرث النساء لغرض الحصول على الموقع المفقود للزوج والوصول إلى مال أو منصب (36).**
4. **الامتناع عن الطلاق لمنع زواج الزوجة من رجل آخر وعدم الكف عن إيذاء المرأة بما في ذلك عبر حالات متكررة من الزواج والطلاق (37). ولا يزال بقي هناك عملان لهما أهمية أكثر بكثير ولكن يتم أهمالهما في غالب الأحيان:**
5. **لأن لا تجد المرأة هوة (فجوة) بين نفسها والرجل على الرجل أن يعلم أنه "مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ". أي لا يجوز له داخل الزوجية أن يكون له قلب مع زوجته وقلب آخر خارج الزوجية مع خليلته في فراش آخر. على الرجل أن يعتبر عفته "قواما" لعفة الزوجة وأن يبقى عفيفا (39) وأن لا يزني لأنه عندما يفقد الرجل عفته ويضاجع امرأة أخرى غير زوجته فهو يعيد بذلك نظام الزوجية إلى نظام الاستسلام. ففي هذا النظام إما لابد من سجن المرأة كما كانوا يسجنونها في المجتمعات القديمة ولا يزال يسجنونها في بعض المجتمعات’ وإما ستفقد المرأة عفتها إلا النساء اللواتي تربين حرائر.**

**هناك كثير من الرجال يتصورون أنه يمكن لهم إخفاء فقدهم العفة عن زوجاتهم ولكنهم خاطئون لأنه عندما بات الرجل "ذا نزعة تعددية" فهو يفقد عفوية فيضان أحاسيسه أي حماسه عند المجامعة والأمور الأخرى ويصبح فكره وقوله وعمله غير عادي فتكشف زوجته فورا أن زوجها فقدت حماسه وعفوية فيضان أحاسيسه حيالها فتشعر المرأة بأنه تم احتقارها واستخفافها بشكل مضاعف’ لأن زوجها لم ينظر إليها كزوجته المتساوية معه وإنما نظر إليها باعتبارها شيئا جنسيا قد فضل شيئا آخر عليه. ففي هذه الحالة تفقد المرأة ثقتها التي ومن دونها لا يمكن لها أن تثمر أو تنضج فضائلها. في هذه الزوجية يضيع كل من الرجل والمرأة كلاهما. إذا عاد أو تاب الرجل من الذنب وعوض عنه بما يضمد ويشفي جرح الزوجة النفسي حتى توافق على مواصلة الزوجية فقد نجا الزواج وإلا لم ينج (40). وإذ إن أغلبية النساء يصبحن أداة لترسخ وتقوي النظام الاستسلامي الذي يتعرضن فيه لأكثر وأشد حالات الظلم والتعسف فقرر سبحانه وتعالى أنه يجب أن لا يكون التصالح بمعنى الرضوخ لنوايا الزوج (الرجل) السيئة (41):**

**"وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا".**

**وذلك شريط أن: "تكون لدى الزوج إرادة الصلح".**

**وإذا نسي الرجل فضله فيجب على المرأة أن لا تتوقف عن الجهد للتحرر من نظام الاستسلام ونبذ موقع المستسلم من أجل الحصول على مكانة المرأة الحرة والرشيدة والقائدة. فهكذا:**

**في نظام الاستسلام عندما يفقد الرجل عفته فتعتبر المرأة من حقها أن تقابل بالمثل وبالعكس. إن تفشي هذا الأسلوب يمثل في حد ذاته تنزل الإنسان إلى حد "الشيء الجنسي"’ علما بأن هذا الأمر يؤدي طبعا إلى الافتراق بين الأزواج ويتسبب في تفشي الفساد والانحطاط الجنسيين. أما النهج الصحيح فهو أن تتعامل الزوجة أو الزوج "المغوى" أو "المغبون" على أساس الموازنة العدمية. فإن المقابلة بالمثل هي العمل على ما تقتضيه الموازنة الوجودية وهي تكرار الفساد وتتسبب في تكاثرها. فيجب على المغوى (المغبون) أن ينضج فضائله على أساس الموازنة العدمية حتى يتمكن من الخروج من المتاهة إلى طريق الرشد (الهدى) إذا تسبب تعطيل طاقة ما في شعور الزوج أو الزوجة في النقص والفشل وهو الشعور الذي حرفه عن طريق العفة’ وحذار أن يرضخ لمنافسة الزوج أو الزوجة في ارتكاب المفاسد والسيئات ومضاعفتها وأن يفضل الافتراق والطلاق إذا لم يعد الآخر إلى رشده (42).**

1. **وخلال التحرر من نظام الاستسلام وكذلك في زوجية المرأة والرجل الحرين أيضا يجب على كل من المرأة والرجل أن يعتبرا بيئة الزوجية بيئة للثقة المتبادلة وأن يجعلاها كذلك: لابد من أن تثق المرأة بأن الرجل وبصفته "قواما" يتسم بالصلابة والمقاومة كالجبل عند الشدائد والمصاعب. كما وعندما تهتز ثقة الرجل بنفسه فعلى المرأة أن تعيد إليه هذه الثقة. فعلى ذلك يجب على الرجل أن يدافع عن زوجته إذا ما تعرضت لتهمة وفي الوقت نفسه يجب على المرأة أن تحافظ على عفتها. أي على الرجل أن يفعل ما فعله رسول الله (ص) بحق زوجته أي أن يعتبر المفتري أو المفترين جديرين باللعن وأن يطردهم من نفسه ويطلب بكل حزم معاقبته أو معاقبتهم (43).**

**ولكن الأمر يتجاوز أحيانا حدود الافتراء وتوجيه التهمة: هناك في نظام الاستسلام يوجد أشخاص يتخذون من دق الأسفين بين المرأة والرجل مهنة لهم. ففي المجتمعات المتسلطة والخاضعة للسطلة في "العصر الحديث" تفشت صنوف الافتراق بين الزوج والزوجة ومنها الطلاق مما يعتبر أحد المؤشرات على تنزل مكانة كل من المرأة والرجل خاصة المرأة إلى كونها كشيء جنسي. إن الإيحاء بأن الحرية هي الأنانية وأن الاصطياد والإيقاع والوقوع في فخ الجنس هو الدليل على "الحرية" والترويج لـ "سيادة الجنس" ومحاولات كل من المرأة والرجل لانتزاع زوج وزوجة الآخر منه وصنوف أخرى من الإغواءات والخدع يصفها القرآن بالسحر قد أنسى الحب وأجلس "الجنس" على عرش السلطة المطلقة حتى جعلت الزواجات غير ثابتة (44). إن التحرر من الاستسلام لا يمكن إلا بأن لا يركز كل من المرأة والرجل أذنه وعينه على سحر السحرة.**

**وإذا كان الشقاق وعدم التوافق بسبب أن الزوج يسمح للآخرين بأن يتدخلوا في شؤون البيت والعائلة أو أن الزوجة تفاتح الآخرين لأمور الزوجية أو تكشفها لهم أو أن الزواج كان مترجما للعلاقات الشخصية للسلطة وتتخذ العائلة منها أداة لتحقيق أهدافها الأمر الذي حدث ويحدث باستمرار في كل المجتمعات’ ففي هذه الحالة قد فقد الرجل فضله ولابد من أن يتولى مجلس يضم صلحاء من أسرتي الزوج والزوجة هذا الدور ليعمل على إيجاد حل قائم على الموازنة العدمية (45). فإذا صوّت مجلس الصلحاء للتصالح فإن العائلة قاعدة رصينة شريط أن يصبح الزوج "قوّاما" ولا يجعل الزوجية ساحة لتدخل الآخرين وكذلك أن لا تكشف المرأة أسرار البيت لدى الآخرين في خارجه (46).**

**وإذا تصورت المرأة وبسبب الفكر وأسلوب التعامل اللذين اتسمت بهما في ظل نظام الاستسلام أن الخروج من حالة الخضوع للسلطة يساوي اتخاذ أسلوب الرجال المستبدين منهجا وإذا قامت في كل لحظة بتعليق قلبها بحب شخص آخر وتركيز القلب والعين والأذن على سحر كل ساحر وعلى سبيل المثال اقتنعت نتيجة الإيقاعات بأنه ينبغي لها أن تتكرر تجربة حياة مشتركة مع رجل أو رجال آخرين’ ففي هذه الحالة يجب على الزوج وبصفته "قواما" أن يتخذ سمة الصلابة أو التشدد بالكامل ليبرز إرادته بكل حزم في متابعة تجربة الزوجية فعليه أن يؤكد لزوجته أن تكرار التجارب غير المنجزة يساوي إنهاء الحياة في حالات الفشل والضياع. إن الالتزام بعقد الزواج وعهد الزوجية والتحلي بالثقة بالنفس وطمأنة الزوجة على كل ثقته ودعمه وحمايته لها على امتداد التجربة المشتركة وإثمار شجرة العائلة بثمرة الحب الحلوة أمور كلها واجبات على الرجل.**

**أما الرجل الذي تميل إليه امرأة متزوجة فهو الآخر يجب عليه أن يعمل بصفته "قواما" وأن يعلم أن النبي يوسف كان فريدا في الجمال ولكن عندما مالت إليه زوجة عزيز مصر ورغم ميله هو أيضا إلى زوجة العزيز (47) لم يستسلم أمام ميله فلو استسلم أمام ميله ونظرا لتميزه بالجمال بحيث أفقد نساء مصر وعيهن حتى قطعن أيديهن بالسكين من دون أن يشعرن بذلك (48) لاستطاع أن يقضي كل ليلة مع جميلة أو جميلات ولكن لما حصد من عيشه هذا إلا الاستنزاف ولما حصدت النساء اللواتي ضاجعهن إلا ضياع زواجاتهن وعيشهن. هذا وتأملوا في أدبيات مختلف المجتمعات في العالم لتروا أن كل أبطال "ممارسة الجنس" كانت مصائرهم مشؤومة وباتت عواقب أمورهم وعيشهم بائسة ومزرية. هذه الأدبيات كلها تترجم قاعدة عالمية وهي: أن الذي يخطف زوجة شخص آخر منه وبشكل أكثر عمومية أن الذي سواء من المرأة أو الرجل يجتذبه الجنس ويقيم العلاقة جنسيا يفقد بعد ذلك قدرته على الثقة أولا بالشخص الآخر ثم وبعد مدة بنفسه أيضا. ففي مدرسة الجنس عندما تفقد المرأة ثقتها بـ "جاذبيتها" فهي تفكر في الانتحار. ومن البديهي إن المرأة أو الرجل خاصة الرجل الذي يخطف زوج أو زوجة شخص آخر منه أو يستجيب رغبة شخص فقد رضخ لقاعدة "لكل فرعون موسى" كما أظهر ضعف إرادته وهشاشة عزمه وفقد فضله الذي هو موهبة إلهية وبالتالي ليس "قواما". واختبار الزوجية بينه وبين الزوجة التي خطفها محكوم بالفشل.**

**ولكن إذا سلك درب يوسف فيتسبب في سعادة عائلة ويصبح موثوقا به لدم عامة الناس ومشيدا لبناية السعادة الكبرى لنفسه’ كما قال الله سبحانه وتعالى (49):**

**"وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ. قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ. وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ".**

# تعدد الزوجات والعدالة:

**يقول مؤيدو السلطة الذكورية: لا يمكن العدل في الحب والقرآن على حق في قوله مخاطبا الرجال: "وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ". ولكن ذلك ليس تلك العدالة التي يدعو القرآن الرجال إلى الالتزام بها. إن الذين بقوا في نظام الاستسلام سواء من المتدينين أو اللادينيين يعتقدون أن المرأة والرجل يستطيعان أن يحبا رجلين أو امرأتين أو رجالا أو نساء في آن واحد.**

**إن القرآن قد جعل العدل هو المبدأ الدليل للزوجية وذلك في آيتين: في الأولى وبعد تـأكيده حقيقة أن الناس سواء من المرأة والرجل خلقوا من "نفس واحدة"’ يقول (50):**

**"وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً"**

**ويقول في آية أخرى (51):**

**"وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا".**

**إن الذين اعتمدوا على تعدد الزوجات كمبدأ وأساس عندما رأوا أن القرآن يعتمد أولا في ما يتعلق بالزواج على العدالة كالمبدأ ثم يؤكد: " وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ" فتوصلوا إلى تبرير وهو أنه إذا كانت الآية تقصد بالعدالة "المحبة القلبية" و"الحب" فالأمر يكون مستحيلا (52) وعلى الرجل أن يكتفي بزوجة واحدة. ولكن إذا كانت حتى المساواة فما بالك بالعدالة غير مقدور عليها في الحب فاعتمد القرآن على العدالة كالمبدأ في الأعمال والسلوك والالتزام بالحقوق بين الزوجات وهذا ما يستطيعه الإنسان.**

**ولكن القرآن سرعان ما يضيف قائلا (53):**

**"وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا"**

**فعلى أي حال إن العدالة هو المبدأ الدليل. إذا انعدمت فإن الافتراق أفضل من البقاء قيد الزوجية. يقول مؤيدو تعدد الزوجات:**

**طرح ابن أبي العوجاء الذي كان من أصحاب المذهب المادي، ومن المعاصرين للإِمام الصّادق(عليه السلام)،رأيه في نقاش له مع "هشام بن الحكم" وهو أنه إذ جعل القرآن العدالة شرطا لتعدد الزوجات ويعتبر تحقيق العدالة مستحيلا فالواقع أن القرآن يمنع تعدد الزوجات. فلما أعيى "هشاماً" الجواب توجه من بلدته الكوفة إِلى المدينة المنورة "لمعرفة الجواب" فقدم على الإِمام الصّادق(عليه السلام) السؤال فكان جواب الإِمام الصّادق(عليه السلام) على السؤال هو أنّ المقصود بالعدالة الواردة في الآية الثّالثة من سورة النساء، هي العدالة في النفقة أمّا العدالة الواردة في الآية 129من نفس السورة والتي اعتبر تحقيقها أمراً مستحيلا فالمقصود بها العدالة في الميول القلبية".**

**ولكن الآية الثالثة لسورة النساء تسبق الآية التي توكل دفع النفقة إلى الرجل. والآية تتحدث عن الزواج. لو كانت العدالة شرطا في دفع النفقة وليس في الزواج ذاته لكان من المفترض أن يؤكد ذلك في الآية 34 من السورة ذاتها. وهنا ينبغي الإيضاح أني لا أعتمد على كون الآية قد أنزلت سابقا أم لاحقا. ورغم كون الآية قد نزلت سابقا فإني أعتمد على كون الزواج يسبق منطقيا (عقليا) ترتيب إدارة العائلة متسائلا: هل من المعقول والمنطقي أن يقرر الله سبحانه وتعالى الالتزام بالعدالة في دفع النفقة التي لم يكلف الرجل بعد بدفعها وذلك في الآية التي يقرر فيها جواز الزواج من أكثر من امرأة؟ كما وكان الإمام الصادق يعلم أن العدالة هي الأساس والمبدأ في كل حال ويجب الالتزام بها. ولا يمكن أن توجد آية في القرآن لا توافق مبدأ العدالة. وإذا كان يوجد في حالة ما قانون يخالف مبدأ العدالة فلماذا يفترض أن لا يوجد في الحالات الآخرى؟ وإذا كان يمكن القول إن القوانين التي سنها الله العلي القدير لا تتوافق مع مبدأ العدالة فماذا يبقى من المصداقية لله ولقانونه أي كيف يمكن أن يجعل الله العدالة هي الأساس أو المبدأ ولكن نفسه لا يلتزم بها في سن القوانين؟’ وإضافة إلى ذلك إن معنى الكلام المنسوب إلى الإمام الصادق هو أن بيان القرآن ليس واضحا بل يحتاج إلى الإيضاح. ولكن القرآن الذي يصف نفسه بأنه "مُبين" و"غَیْرَ ذِی عِوَجٍ " (سورة الزمر، الآية ۲۸) لماذا لم يبين قصده في كلتا الآيتين وبوضوح وصراحة؟ إن القرآن لا يقول في الآية الثالثة من سورة النساء إنه إذا تمكنتم من دفع النفقة فيحق لكم أن تنكحوا من النساء "مثنى وثلاث ورباع". بل يقول: "فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ". فعلى ذلك هناك شكوك جادة في أن يصدر الكلام المذكور عن الإمام الصادق. خاصة أنه إذا كانت المقصود بالعدالة في آية سورة النساء هو العدالة في الميول القلبية فيكون استدلال المفسرين كله تناقضا لأنه يقول:**

**"إذ إن ميول الحب القلبية لها أسباب مختلفة خارجة بعضها من إرادة الإنسان فلم يصدر الأمر بالالتزام بالعدالة فيها ولكن تم تأكيد ضرورة العدالة في ما يتعلق بالأعمال والسلوكيات والالتزام بالحقوق حيال الزوجات مما يمكن للإنسان فعله".**

**إن الكلام المنسوب إلى الإمام الصادق يزيل التناقض في الظاهر لأنّ المقصود بالعدالة الواردة في الآية الثّالثة من سورة النساء، هي العدالة في النفقة أمّا العدالة الواردة في الآية 129من نفس السورة والتي اعتبر تحقيقها أمراً مستحيلا فالمقصود بها العدالة في الميول القلبية. فلا تتجاوزوا الحدود في الميل إلى أحدى منهن وعدم الميل إلى أخرى. ولكن في الحقيقة يتضمن هذا الكلام تناقضات لا يمكن حلها: التناقض الأول هو أن العدالة لا تتحقق في الواقع الملموس إلا أن يتم إنجاز العمل على أساس الموازنة العدمية ولله بكامله أو بعبارة أخرى أن يكون خاليا من الإكراه. عند ما يصبح الفكر والعمل مترجمين للعدالة فيمكن تحقيق العدالة في الود والصداقة ولكن يستحيل في التمييز والانتقاء. إن القرآن إذ يجعل التوحيد والعدالة هو الأساس والمبدأ فهو يجعل المسلمين بعضهم أخوانا للبعض كما يجعل الصداقة مع غير المسلمين أيضا أمرا ممكنا. فلماذا يقول: "لَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ"؟ للتوصل إلى الجواب لابد من مراجعة أسلوب تمييز الصدق عن الكذب ونشير إلى سؤال كان ولا يزال مطروحا في كل الأزمنة والعصور:**

**هل الله موجود أم غير موجود؟! إذا أراد شخص أن يقول إن الله موجود ثم استنتج بذلك أنه لابد له من استخدام القوة أو إذا قال إنه لا حد بينه هو الذي موجود محدود وبين الله فقط الذي هو موجود غير محدود فعلى ذلك لا يحتاج إلى استخدام القوة في الاعتراف بوجود الله. ولكن إذا قال إن الله غير موجود فهو اعترف بوجود الحد بينه وبين الكون كله وأقام علاقة القوى بينه وبين الكون كله. أو بعبارة أخرى استخدم القوة. فلذلك من المستحيل أن يتمكن منكر لله من أن لا يعتقد بالجبر والقوة. وهو غافل عن أنه لو كانت علاقات القوى هو الأساس أو المبدأ لما كان الكون موجودا لأنه ما لم تنسلخ قوة الحياة عن ذاتها في القوة (= العنف) التي هي ضد الحياة فلا توجد لا القوة ولا تخريب الحياة. ومن البديهي أن الكون الحي لا يتسم بالوجود بواسطة القوة (= العنف) التي هي ضد الحياة. فعلى ذلك إن الذين يقيمون علاقة القوة (= العنف) بين الإنسان والله باسم عبادة الله يعتقدون بوجود الحد لله متعمدا أو غير متعمد فينكرون وجود الله وبالتالي يَضيعون ويُضيعون.**

**على ذلك لا يمكن الصداقة إلا بعد إزالة الحدود. إن أبناء البشر يقيمون العلاقة في ما بينهم عن طريق الله. لهذا السبب لا يمكن تحقق الحب إلا أن يكون قائما على مبدأ التوحيد. هل من الممكن أن يحب رجل امرأتين بقدر ما تحبه هاتان المرأتان وأن لا تنشأ بين هاتين المرأتين علاقة القوى؟ نعم’ لا يمكن القول بأن ذلك مستحيل على الإطلاق ولكن كما يقول القرآن إنه ليس من مستطاع الإنسان. فلذلك’ إذا أعرب عن حبه لأحداهما أكثر من الأخرى فلا يمكن له أن يقول إنه تزوج من امرأتين على أساس العدالة. فعلى أساس الكلام المنسوب إلى الإمام الصادق قد تقدمت المادية على المعنوية لأن الله أوجب الالتزام بالعدالة في دفع النفقة ومع أن نبيه يقول: "ليس الدين إلا المحبة" يسمح للرجل بأن يتمتع بنساء متعددات من دون الالتزام بالعدالة. هل يمكن تصور ظلم أكبر من ذلك بحق المرأة وكذلك بحق الرجل أيضا؟ ألا تبحث النساء عن المساواة في الشؤون المادية ولكن الرجل هو الذي يسمح له بأن يتصرف باللامساواة في الصداقة والحب؟ لو كانت العدالة بمعنى المساواة فقط لكان الظلم الذي يفرض حتى الآن على المرأة في عدم المساواة في الحب أكبر بأضعاف عن المساواة المادية. فبالنسبة للمرأة التي تحلت بفضل تعليم الحب ويسكن بها الرجل (55)’ هل هناك ظلم أكبر من أن زوجها ليس فقط يسمح له بأن يختار زوجة أخرى وإنما يسمح له بأن يحب تلك الزوجة الآخرى أكثر منها؟ ولكن الرجل أيضا يتعرض للظلم لأن ذلك يجعل الرجل غير قابل للثقة به ويحرمه من الحب. إن الله الذي يجعل التوحيد هو المبدأ يعلم كل العلم بأنه إذا اعتمد الرجل سلوكا مزدوجا خاصة في العلاقات الزوجية فيكون لامحالة قد استسلم أمام القوة (= العنف) (على هيئة الهوى أو إحدى الحاجات المادية) وقد حرم من الحب. ففي مثل هذه البيئات العائلية قد حرمت المرأة من التعبير عن فضلها وتسكين الرجل بالحب كما حرم الرجل من الحب الخالص. إن الحب بين الزوجين بات من نوع الحب للأشياء. إذا كان الزواج هو تزوج الفضائل فيكون الحب نتيجة تزاوج فضل الرجل الذي هو "قوّام" وفضل المرأة التي هي معلمة الحب الذي تعطي به للرجل سكونا وطمأنينة. إن حب الزوجين بعضهما للبعض الآخر ليس حب الأشياء ليكون لواحد منها أكثر وللآخر أقل بل هذا الحب يعبر عن الفطرة والحياة المشتركة القائمة على الفطرة. ولهذا السبب قال الله سبحانه وتعالى: "وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" و" وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ". وإذ يعلم الله أن الحب بالازدواجية يضيع فقد قرر قائلا:**

**" فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ".**

**الواقع أن الإسلام هو أول دين حدد تعدد الزوجات واعتمد أحادية الزوجة كأساس. فيما أن العهد القديم (التوراة) والعهد الجديد (الإنجيل) لم يجعلا أي حد معين لتعدد الزوجات. وحسب التوراة لا بأس للرجل أن يحب زوجة له أكثر من زوجته الأخرى وتقرر فقط أنه إذا كان الولد الأول من زوجة لا يحبها زوجها فعلى الزوج أن لا يحرم ولدها من الحقوق التي تخص الولد الأول. إن مؤسسي مذهب البروتستانت ومنهم لوتر وباترز وملانج تون واستنادا منهم إلى إنجيل ماتيو (الآيات 1 إلى 12 من السورة 25) كانوا يرون أن تعدد الزوجات مسموح به في المسيحية. ويؤكد وستر مارك (56) أنه وحتى عهد شارلماني كان القساوسة أيضا يتزوجون من نساء متعددات. كما وفي دين الهنود ودين المجوس أيضا لم يتم تحديد أو منع تعدد الزوجات بحيث أن عدد النساء في حرم الملوك وأصحاب السلطة والثروة يحير العقول (57).**

**إن تعدد الزوجات قد بدأ متزامنا مع فقد المرأة والرجل مكانتهما المتساوية. وحسب دراسة علماء الديموغرافية كانت العادة في البداية على أحادية الزوجة وكان الزواج والزوجية يتميز بصفة سماوية وإلهية. ولكن على مر الزمن كانوا يئدون البنات في المجتمعات التي يحتمل أنها تعيش في بيئة تفتقر إلى إمكانيات كافية للتغذية فكانت امرأة لها بعول متعددون وكان البعول لهم سلم القيادات وكان جميعهم متسلطون على المرأة. وفي هذه المجتمعات كانت النساء يعشن معيشة لا تطاق ولكن نضالا طويل الأمد للغاية أدى أخيرا إلى زوال عادة تعدد البعول. ولا تزال هذه العادة أو أشكال أخرى منها قائمة لدى قبائل إسكيمو وفي واحد أو اثنين من المجتمعات الأفريقية وأقوام أسيوية. ومن هذه الأشكال أحدها إهداء الزوجة إلى شخص آخر لمدة محددة!.**

**أما تعدد الزوجات فهو نشأت في المجتمعات التي كان فيها الرجال عرضة للموت أكثر من النساء بسبب اشتغالهم بأعمال شاقة’ كما وهو نشأت في المجتمعات التي كان نظامها الاجتماعي يتبلور على أساس العلاقة مع العدو الخارجي والطبيعة وكان السلم القيادي فيه ينشأ على محور السلطة (=القوة). وفي المجتمع كانت أحادية الزوجة تبقى على حالها ولكن الرؤساء وإزاء تحقيق الأمن في المجتمع كانوا يحصلون على حق التزوج من نساء متعددات. فعلى مر الزمن بات تعدد الزوجات من أهم المؤشرات على تميز الرجل أي التميز بالسلطة السياسية والمالية (58). وقام الوجهان للبيان وهما الفلسفة والدين بإثبات كون موقع الإنسانة المرأة أدنى والإقناع بأن ذلك من خلق الله. ومن البديهي أنه وبالاعتماد على السلطة (=القوة) كانت التثنية الأحادية المحور تصبح المبدأ الدليل. وكما يلاحظ أنه وفي نظام الاستسلام عند تقديم التفسيرات للقرآن اعتمدوا على مبدأ التثنية الأحادية المحور فبالتالي جعلوا الرجل هو المحور ليضفوا للآيات القرآنية طابع السلطة (=القوة) آنذاك كيفما يشاؤون وطبقا لمتطلبات عصرهم. فيما أنه وفي حالة الاعتماد على مبدأ التوحيد تجد الآيات القرآنية معناها وطابعها الواضح والصريح وهو أن القرآن وفي الوقت الذي يهتم فيه بالمواقع والظروف الاجتماعية الاستثنائية يعتمد على مبدأ أحادية الزوجة فعلى المجتمع الإسلامي أن يتطور نحو هذا الاتجاه تماشيا مع النمو العام للمجتمع. في الحقيقة ولكي يصبح الرجل "قواما" على المرأة وتصبح المرأة مسكنا ومطمئنا للرجل ويصبح كلاهما الفضل لأساس الحب فلابد أن يعطى للمرأة مكانة تساوي الرجل.**

**إن الواقع الشاق لنسبة كبيرة لنساء مجتمعنا اللواتي يتعرضن للاستغلال ويتحملن عبء الإعالة وكذلك عبء الأمومة يؤكد أنه عندما يفقد الرجل فضل الكون "قواما" فتزداد العاهات والمشاكل الاجتماعية فما بالك بأن تعود المرأة إلى نظام الظلم القاسي الذي كانت مضطرة في ظله إلى تحمل ازواج متعددين.**

**ولكن ألا تستطيع المرأة أن تحب رجلين وأكثر وتقيم معهم علاقة الغرام؟ ألا تستطيع المرأة أن تمارس الحب لرجلين يكون أحدهما زوجها وتقيم مع الآخر علاقة الغرام من نوع الغرام بين ليلي ومجنون؟. هنا وإضافة إلى الإيضاح الذي قدمته في نقد الكلام المنسوب إلى الإمام الصادق أذكر أن هناك سؤالين يترجمان مبدأ التثنية الأحادية المحور. في الحقيقة إن المرأة وبعقلية الاستسلام حتى إذا تصورت أنها أصبحت على موقع الرجل وهي تجد عند مضاجعتها لرجال متعددين نفس التميزات التي يجدها الرجل’ ترى عندما لا تجد طريق العودة أنها باتت على موقع النساء الشاق في المجتمعات التي كانت تجري فيها عادة تعدد الأزواج أو تعدد الأخلاء مع زوج واحد’ كما ترى أنها تخلت عن العيش في الحب والثقة واختارت العيش في التنافس وعدم الاستقرار وجعلت جسدها وروحها متآكلين نتيجة احتجاز رجال "بقيد حبها".**

**ولكن الكون زوجة لأحد ولاعبة لقصة ليلي ومجنون لشخص آخر يدمر بناية الحب المشيدة بفضل الرجل وبفضلها ويبنيها حسب هواها ففي هذه الحالة لا يمكن للعلاقات أن تترجم الحب لأن الله لم يعط للنساء أيضا قلبين. إذن لا يمكن للمرأة أيضا أن تعدل في الحب والغرام كما يفترض أن الاعتماد منذ البداية يكون على اللامساواة. لأنها زوجة لشخص واحد ولكنها أشركت شخصا آخر معه في الحب. فهي تتسم بالازدواجية في التعامل مع كليهما فيما أن الحب هو الاتحاد ولا الازدواجية. فعند ما وبالتعلق القلبي بشخص آخر تقول المرأة لزوجها إنها لا تعتبره "قوّاما" عليها وهكذا تهز الثقة بنفسها لديه في الأقل فهي تدمر قاعدتين من قواعد الحب. أي حب تتركه لتشرك الرجلين فيه؟ كيف يمكن لها أن تعطي الثقة بالنفس لزوجها وكيف يمكن لها أن تسدد حاجة الآخر للحب؟ إذا قرأت قصة ليلي ومجنون بكاملها وتدركها كما هي فسوف ترى أن ساردها وشاعرها جلال الدين المولوي منشد ملحمة الإنسان يشرح التعليم القرآني وهو أن: الحب بين الزوجين يختلف عن مثيلاته أساسا وهو قائم على فضائلهما. على الرجل أن يعتبر المرأة مساوية له وأن يحترم حبيبته’ وبدورها على المرأة أن تعتبر الرجل مساويا لها وأن تحترمه حتي يتمكنا بذلك من أن يحب بعضهما البعض. فعلى ذلك إذا تعرضت امراة أو تعرض رجل لموقف يتصوران فيه أنهما يحبان رجلا آخر أو امرأة أخرى غير زوجها أو غير زوجته أيضا فلن يجدا أمامهما إلا ثلاثة حلول: 1- الافتراق عن الزوج أو الزوجة للتزوج من الشخص الآخر و2- العيش في البرزخ وجعل زوجته أو زوجها والشخص الثالث هائما على وجهه ومتخبطا في العناء أو مضاجعة كليهما و3- أن يبقى مع الزوجة أو أن تبقى مع الزوج ويكتفيا بعلاقة الدماغ بالدماغ مع الآخر شريط أن يكتفي الآخر بالصداقة معه في سلوك يشبه سلوك ليلي ويوسف. إن الحل الأول والثاني لا يمكن تحقيقهما من دون استخدام القوة (= العنف) ولا يمكن أن لا يقترنا بالتخريب والتدمير حيث أنهما يزيلان إحدى المعيشتين وفي أغلب الأحيان يزيلان كلتيهما. ولكن الحل الثالث لا يستلزم القوة (= العنف) بل يثمر كلتا المعيشتين وخاصة أنه يدفع الزوج والزوجة إلى أن يحوّلا نقائص معيشتهما إلى الفوائض بفعل أعمالهما الخيرة المتزايدة. و:**

**إن الكون قواما وخلق الطمأنينة يصبحان أساس الحب نتيجة التزوج:**

**عندما نشأت الزوجية على أساس الحب والعدالة فعلى الزوج والزوجة أن يجعلوا ساحة الزوجية بيئة لإنماء وإنضاج فضائلهما وفضائل بعضهم البعض وأن يعلما أن:**

1. **إن الفضلين - أحدهما فضل كون الرجل قواما على المرأة والآخر فضل المرأة في إعادة الثقة بالنفس إلى الرجل عندما يهتز وبهذا الفن تخلق في الرجل الطمأنينة – هما عمودان راسخان إن لا يوجدان في بناية الحب فلن يوجد الحب. وفي الزوجية إن لم يكن أحدهما فلا يجد الآخر مجالا للظهور. ففي ما يلي أكرر للإفادة:**

**إن كون الرجل قواما وكون المرأة تزود الرجل بالثقة بالنفس والطمأنينة ليسا بمعنى أنه لا يجب للرجل أن يزود المرأة بالثقة بالنفس والطمأنينة أو ليست المرأة قوامة على الرجل. فإضافة إلى أن على أنه وبصفة "قوام الله" يجب على كل امرأة ورجل أن يكون بعضهما قواما على البعض الآخر في سبيل الرشد. ففي الفضل ليس الحديث عن الامتلاك أو عدم الامتلاك وإنما الحديث هناك عن امتلاك الأكثر والأقل. فعند ما يصبح أحدهما أكثر قوامية والآخر أكثر تزويدا بالطمأنينة فيتحليان كلاهما بالثقة بالنفس والطمأنينة والصلابة ويتقدمان في الحب والنمو.**

**وفي نظام الاستسلام الذي تكون النساء فيه خاضعات للسطلة فهن وكل على شاكلتها يخترن واحدة من الطريقتين: إما يهززن دوما ثقة الرجل بنفسه وبدورهن يتحملن المضاعفات المترتبة على فقد الرجل الطمأنينة في الزوجية الخالية من الحب والمحرومة من النمو وإما وبالامتداح الحريص لمظاهر السلطة (=القوة) بما فيها المال والمنصب والجنس و... إلخ يضطررنه إلى أن يتخلى عن سبيل النمو ويبحث عن السلطة (=القوة) ومن البديهي أنه عندما يحصل على السلطة (=القوة) فهو لم يعد "قواما" وإنما "متسلطا". فبذلك ليست المرأة قد دمرت بيدها العمود الراسخ للزوجية فحسب وإنما جعلت نشوء الحب مستحيلا أيضا فلابد لها أن ترضخ على مضض لمضاعفات أهواء المتلسط الذي هو زوجها. لو أصبحت النساء خديجة وجعلن الرجل على طريق الرشد والنمو بفضلهن لصار العالم جنة حيث قال النبي (ص) (59): "الجنة تحت أقدام الأمهات".**

1. **مع أن القرآن يصرح أن المرأة متساوية مع الرجل فإن مبرري نظام الاستسلام مازالوا يتناسون أن الله خلق جميع المخلوقات أزواجا وأعطى لكل منها فضائل حيث أنها وعند تزوجها تجعل الزوج كاملا ومبدعا. إن النساء والرجال لا يرون عادة فضائلهم المتزوجة وإنما يرون عدم التماثل كما يعتبرون عدم التماثل عدم المساواة ويجعلون المرأة كائنة دنيا خاضعة لـ "الولاية المطلقة" للرجل معتمدين في ذلك على مبدأ التثنية الأحادية المحور. فعلى سبيل المثال يعتبرون بدلائل ملفقة أن دماغ الرجل أثقل من دماغ المرأة مستنتجين من ذلك أن الرجل له قوة العقل وأن المرأة لها قوة العاطفة! إلا أن الرجل يحتاج إلى العواطف الرجولية للرجل وأن المرأة تحتاج إلى العواطف النسوية للمرأة وكذلك يحتاج الرجل إلى العقل النسوي وإلى المرأة وتحتاج المرأة إلى عقل الرجل كما إن كليهما صاحبا العاطفة وإن عواطفهما تثمر في مركز الحب للزوجية وهما صاحبا العقل بما في ذلك في الأبوة والأمومة ولكن لعقلية كل منهما مجال أو أرضية وتجد عقليتهما الزوجية مجالات أو أرضيات ممكنة وما فوق الممكنة. إن فضل المرأة يكمن في فنها إذن تستخدم العقل في ما فوق الممكن. وفي هذا المجال تستفيد المرأة من عقل الرجل في مجال الممكن ويستفيد الرجل من مجال المرأة في مجال ما فوق الممكن فبذلك يصبح كلا العقلين مبدعين. إن الذين اعتبروا المرأة محرومة من التعقل وطلبوا من الرجل أن لا يتشاور مع المرأة والذين أخافوا المرأة من التعقل والتفكير في ما فوق الممكن واعتبروا عقلها عاجزا عن التنافس مع عقل الرجل وقالوا وكتبوا حسب "نتائج التنافس" إن المرأة تفتقر إلى العقل المبدع للرجل لأن حرمان المرأة والرجل من عقل بعضهما البعض يمنع كلا العقلين من الازدهار والإثمار التامين’ هؤلاء فرضوا ظلما كبيرا على الإنسانية. وفي ضوء هذا الإيضاح عودوا إلى القرآن لتكشفوا فيه جمال الملاحم الكبرى التي أصبحت فيها المستحيلات ممكنة: انظروا إلى فن كل من سارا وهاجر حيث جعلتا المستحيل ممكنا بإتيانهما النبوة إلى أسرة إبراهيم التي نشأت وانبعثت فيها أنبياء عظام (60). وانظروا إلى هاجر التي حولت المرملة الحارقة والصحراء القاحلة إلى مزرعة للعيش وانظروا إلى إسماعيل الذي بنا في تلك المزرعة مجتمعات أنشأت حضارة كبرى. انظروا إلى مريم التي ولدت عيسى حتى أصبح عيسى نبيا. وانظروا إلى أم موسى وزوجة فرعون اللتين تجرأتا بشجاعة على الخروج من حدود الممكن حتى شقتا الطريق نحو إسقاط نظام الاستسلام الفرعوني ثم انظروا إلى موسى وبنت شعيب اللذين أسقطا هذا النظام (61). وانظروا إلى محمد الذي وجد في حضن خديجة الثقة بالنفس والطمأنينة وانظروا إلى خديجة التي جعلت نبوة محمد ممكنة بفعل عقلها القوي حتى أصبحت كما قال النبي (61) "خديجة نصف النبوة". فمن القدوتين اللتين تكونان نتيجتين لعهدين من حياة النبي هل يجب الاقتداء بعائلة النبي وخديجة والتي أدت فيها خديجة دورا كبيرا جعلها نصفا من النبوة أو يجب الاقتداء بعائلته مع زوجاته؟ إذا كان هناك شخص يقول إن عليه واجبات مثل واجبات النبوة ويكون التوحيد فكره وقوله وعمله الذي لا يكون إلا المحبة فسوف يواجه حتى في عصرنا هذا مشاكل مع زوجاته قد واجهتها عائلة النبي كما يرويها القرآن. فعلى ذلك يجب على النساء أن يتخذن من خديجة وفاطمة قدوتين لهن وعلى الرجال أن يتخذوا من محمد وعلي قدوتين لهم وعلى العائلات المبدعة والرائدة أن تتخذ من هاتين العائلتين قدوتين لها.**

**في كل هذه الحالات التي يبنى فيها التاريخ على أيدي النساء لو أردن أن يمتثلن بأوامر العاطفة لاضطررن إلى العمل على العكس فيما توصل الإنسان اليوم إلى القناعة بأن الازدواجية بين العقل والعاطفة كلام ليس صحيحا.**

**لا يجوز القول إن الرجال الذين يتعقلون ويفكرون ما فوق الممكن هم قلائل. ولكن لم يتحقق النجاح التام الذي أعقب النمو المستمر إلا بعد أن تزاوج عقلا المرأة والرجل وهذه هي ولاية المرأة والرجل بعضهما للبعض الآخر.**

**إن فضل الأمومة وفضل الأبوة والأعم من ذلك إن طاقتي القيادة الكامنتين في الزوجين لا يمكن إثمارهما إلا بالتكامل في ما بينهما:**

**إن فضل الأمومة الخاص للمرأة ينمو ويثمر بفضل الأبوة وفضل الأبوة ينمو ويثمر بفضل الأمومة. كان شغل المرأة في المجتمعات القائمة على مبدأ التثنية الأحادية المحور يقتصر على الإنجاب. أما في مجتمعات العصر الحديث والتي لا تزال تعيش في نظام الاستسلام وبفكر وسلوك ملائمين لهذا النظام يقتصر شغل الرجل حسب المعجبين بالمرأة على "تحفيز ميكانيكي" يتسبب في انعقاد النطفة فيما يكون كلام المعجبين بالرجل على عكس ذلك! ولكن النساء اللواتي يمارسن الأمومة في الحقيقة وأولئك الرجال الذين يمارسن الأبوة في الحقيقة يعلمون أن فضل الأمومة وفضل الأبوة لا يتكاملان فحسب وإنما يقومان بفعل أهم بأضعاف: إنهما ينشئان بيئة مشحونة بالفرح وخالية من الإكراه تنمو فيها مختلف طاقاتهما بما فيها طاقة القيادة الكامنة في ذاتهما فبذلك تصبح الزوجية مزرعة ينمو ويزدهر فيها الأولاد في طاقاتهم. وعدم وجود كل من هذين الفضلين أو عدم التوافق بينهما يحرم الزوجين وأولادهما من البيئة الحرة للنمو. وإذ إن نظام الاستسلام هو الحاكم في المجتمعات فإن توحد فضل الأبوة وفضل الأمومة يخلق بيئة حرة تخرج وتخلص المجتمع من نظام الاستسلام لأن نشوء العوائل الحرة يحرم الأنظمة الاجتماعية الاستسلامية من البنى التحتية أو القواعد التي تأسست عليها.**

**إلا أن الأبوة والأمومة هما وجهان من وجوه الإمامة والقيادة. وكما يخلق توحد الأمومة والأبوة بيئة حرة ويكون مدى خلو بيئة الزوجية من الإكراه وامتلائها بالحب (63) وتزايد الفكر والقول والعمل الخير هو المؤشر على هذا التوحد فإن توحد طاقات الزوجين يتسبب بدوره في نمو طاقاتهما هذه وإصلاح المجتمع وتطوره باتجاه قيام نظام معتمد على الديمقراطية أو سلطة الشعب ومبدأ المشاركة. فعلى ذلك إن العقلية التي كانت ولا تزال تعتبر المرأة خالية من قوة القيادة وكائنة دون الإنسان ليست فقط لا تخدم الرجل وإنما تتسبب في تخريب قوته للقيادة. إن الذين يفعلون هكذا باسم الدين ويحرمون الرجال والنساء والأولاد في بيئة العائلة من الديمقراطية أو سلطة الشعب القائمة على مبدأ المشاركة ويحرمون المجتمع من طاقات القيادة القريبة من كل أعضائه وبذلك يحرمونهم من تكاثر الفكر والقول والعمل الخير يلحقون ضررا لا يحصى بالمجتمعات الإسلامية منكرين بذلك نص القرآن الذي يعتبر "المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض" (64). لأن هذا الحرمان ذاته هو السبب الاكبر لعدم نمو المجتمعات واستفحال نسبة الإنتاج والاستهلاك للعنف على مر التاريخ. إن اعتبار المرأة خالية من قوة القيادة يساوي إنكار وجود الله. في الحقيقة حتى إذا كان من الممكن العثور على ذرة لا توجد فيها قوة الإمامة فقد ثبت بذلك أن الكون ليس له خالق لأنه تم العثور على ظاهرة لا تقدر على إقامة العلاقة مع الله.**

**لو كانت النساء يفتقرن إلى قوة القيادة لوجد هناك سؤال وهو لماذا تم توجيه اللائمة إلى كل من زوجتي نوح ولوط (65) ولماذا تم امتداح زوجة فرعون؟ إن امتداح زوجة فرعون وإلقاء اللوم على زوجة نوح وزوجة لوط يكمن فيهما رد على سؤال كبير: هل على المرأة أن تجعل قوتها للقيادة تابعة لقوة القيادة للرجل؟ إذا تحدثنا نقلا عن الذين يجيبون على أساس مبدأ التثنية الأحادية المحور فالإجابة هي نعم. ولكن التناقض في الرد يثبت بالتأكيد كذبه: لا تصبح زوجة فرعون مستحقة للمدح وإنما تصبح مستحقة للوم لأنه مارست الإمامة خلافا لاتجاه إمامة زوجها وكان يفترض على القرآن أن لا يقرر للمجتمع الإسلامي أن يستقبل زوجات الكفار اللواتي يشهرن إسلامهن ويتركن أزواجهن وبيوتهن. كما إن قصة عدم توافق زوجات للنبي معه موضوعا لتعليم قرآني (66): إذا لم يمكن إقامة الشورى في العائلة فكيف يمكن إقامة الديمقراطية أو سلطة الشعب القائمة على مبدأ المشاركة؟ إلا أنه ومن أجل إمكانية إقامة النظام القائم على الشورى في العائلة:**

1. **يجب أن لا تتوقع الزوجة من الزوج حالات الاستمتاع المادي التي يكون ثمنها الانغماس في مستنقع الفساد كما يجب على الزوج أن لا يعتبر الزوجة أداة وخلاصة القول أن على الجانبين أن يكفا عن اتخاذ بعضهما البعض أداة أو وسيلة لكون ذلك يساوي التثنية الأحادية المحور أي عليهما أن يتخذا من التوحيد مبدأ دليل في الفكر والقول والعمل؛**
2. **وانطلاقا من ذلك عليهما أن يختارا علاقة الشورى والنقد بدلا عن علاقة التبعية والإطاعة:**

**فعلى أساس مبدأ التوحيد يجوز للزوجة والزوج أن يختلفا لأنه وفي الحقيقة ليست المعلومات المتوفرة للزوجة والزوج متشابهة. فعلى مبدأ التوحيد إن الزوجة والزوج يتوصلان إلى الاتفاق في رأي شامل عن طريق النقد. مع ذلك يمكن أن لا تتسبب المناظرة الحرة وبالتالي نقد الآراء في توحيد وجهات النظر. في هذه الحالة تكون السلوكيات التي ينتقدها القرآن كما يأتي:**

1. **هناك نساء يتخذن من المعارضة منهجا لهن وهن يعتبرن التكلف بمعارضة آراء أزواجهن قولا وفعلا طريقة للتعبير عن شخصيتهن. كان نوح ولوط يتحدثان بالحق ولكن زوجتيهما كانتا تؤذيانهما بطريقة التكلف بالمعارضة وامتهان الخيانة. وفي هذا الإطار لابد من القول إن الفرق بين المعارضة أو الاختلاف في وجهات النظر وبين التكلف بالمعارضة هو أن التكلف بالمعارضة يعتمد على استحقار واستخفاف الزوج ولكن المعارضة أو الاختلاف في وجهات النظر لا حاجة فيها إلى الإكراه والقوة فيما أنه وفي التكلف بالمعارضة وامتهان الخيانة يتم استخدام القوة ولابد من الإكراه. ففي هذه الحالة إذا لم يلجأ أحد الجانبين إلى استخدام القوة فتعود نتيجة خيانة وخطأ الجانب الآخر إلى نفسه فقط وإذا استخدم كلا الجانبين القوة فيهلك بعضهما البعض (67).**
2. **هناك أزواج يتصورون أن استحقار زوجاتهم مؤشر على "رجوليتهم" وعندما تعبر الزوجة عن رأي لها فهم يصرون على التكلف بالمعارضة وبلهجة ازدراء واستحقار. الواقع أن هؤلاء يشهدون على افتقارهم للشخصية. فنظرا لأن الخروج من نظام الاستسلام لا يتحقق إلا بإكرام المرأة’ فقال النبي (ص) (68):**

**"ما أكرم النساء إلا كريم، ولا أهانهن إلا لئيم" أي إن إكرام المرأة يترجم كرامة الرجل.**

1. **لم يسمح حتى للنبي بفرض العقيدة على زوجاته. فعلى ذلك إن المرأة والرجل اللذين يريدان الزواج ولكنهما يختلفان في العقيدة الدينية فمثلا أحدهما مؤمن بالتوحيد والآخر مشرك فلن يعتمد الزواج على أساس متين. وهنا من الضروري أن يصبرا حتى تتوحدا في العقيدة (69). وقبل ذلك لا يجوز الزواج لأن الزواج في تلك الحالة يتسبب في ندم كثير.**

**إن التوافق في العقيدة هو المبدأ الذي يعتمد عليه الزواج حيث قال الله تعالى: " الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ" (70). مع ذلك إن القرآن يجيز الزواج من أهل الكتاب قائلا (71):**

**"الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ..."**

**فعلى هذا يجوز للمرأة من أهل الكتاب ولكن غير المسلمة أن تتزوج من رجل مسلم وهي تبقى على دينة وتعمل بما أحل وحرم في دينه (72). فبذلك يكون الإسلام هو الذي يقرر "العلمانية" الحقيقية في الحياة الزوجية. مع ذلك إن الزواج من أهل الكتاب عندما يعيشون مع المسلمين في ثقافة واحدة يختلف عن الزواج من النساء المربيات في ثقافة أخرى. إن الزواج ومع وجود حالات الاختلاف الدينية والثقافية يعتبر تجربة نجاحها قليل جدا. إن الديكتاتورية الرجعية الشاملة الحاكمة في إيران تسبب في أن يكون الكتاب والفلم والمقال والبرامج التلفزيونية والإذاعية وأمثالها واحدا من الأمثلة على التجارب الفاشلة (73) وأن تجري ممارسة الدعاية كذبا ومن غير وجه حق ضد الإيرانيين والإسلام. إن نجاح هكذا زواجات مرهون بأن يمثل الرجل المسلم الموازنة العدمية في الفكر والقول والعمل وأن تسلك زوجته أيضا طريق الحرية والنمو. ولكن زواج النساء المسلمات من رجال أهل الكتاب لا يمنعه نص قرآني ورغم ذلك يعتقد مفسرو القرآن أنه لا يجوز زواج المرأة المسلمة من رجل مسيحي أو يهودي وو... إلخ وحتى من العبد (74). فيما إن القرآن ينص على أن الرجل العبد المسلم خير من المشرك الحر (وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ) (75). إن المفسرين الذين أرادوا أن يؤتوا دليلا على هذا المنع اعتبروا المرأة وعلى أساس العقلية الاستسلامية كائنة عاطفية وهشة في الإيمان يفقد دينها بالزواج (76) وهو رأي أرسطو ذاته!.**

**مع ذلك كان الإيرانيون ومنذ العهد الأساطيري وحتى اليوم يعتبرون زواج المرأة الإيرانية من رجل غير إيراني عملا غير محمود بشدة لكونه يعتبرون المرأة عِرضا (شرفا) أو وطنا اجتماعيا وبهذه الصفة كانت القيمة الأولى الملائمة له أن يضحي الرجل بحياته دفاعا عن هذا العِرض (الشرف) أو الوطن الاجتماعي. ولهذا السبب وبعدما يتسلط ضحاك على إيران ويتزوج من ابنتي جمشيد تصبح الابنتان عقيمتين. كما وبعدما يحرر فريدون إيران من سلطة الضحاك تصبح البنتان حبليين منه. هذا وقد منع كتاب "أوستا" زواج المرأة الإيرانية "المؤمنة" من الرجل الإيراني "غير المؤمن" (77). هناك قصة تاريخية تم نقلها طيلة العصور من جيل إلى جيل: سأل إسكندر أرسطو كيف يمكن تثبيت السيطرة على إيران لتدوم إلى الأبد؟ فأجاب له أرسطو قائلا: زوّج النساء الإيرانيات من الرجال اليونانيين ليفقدن هويتهن الإيرانية (78). إن صحة هذه القصة أو عدم صحتها أمر وانتشار هذه القصة وبقائها في الذاكرة الجماعية للإيرانيين حتى عصرنا هذا أمر آخر؛ وسبب ذلك يكمن في أن الإيرانيين كانوا يعتبرون بقاء إيران رهين الهوية الإيرانية كما كانوا يعتبرون الهوية الإيرانية رهينة بأمور منها حماية العِرض (الشرف) من شر الأجنبي. إن القانون المدني لا يجيز زواج المرأة المسلمة من الرجل غير المسلم وفي الحالات التي لا منع فيها للزواج يشترطه بموافقة من الحكومة (79). أما اليهود فهم أيضا لا يجيزون زواج المرأة اليهودية من الرجل غير اليهودي ولا يعتبرون الولد الذي أنجبه رجل يهودي وامرأة يهودية يهوديا فقد حرّمت التوراة زواج أهالي "الأرض الموعودة" من الأجانب. وتقول التوراة إنه في كل مرة لم ينفد فيها اليهود هذا الأمر أصيبوا ببلاء (تعرضوا لمصيبة). ومن المعروف في هذا الإطار قصة سامسون الذي وقع في حب فتاة يهودية الأمر الذي أدى في النهاية إلى الدمار والموت والحروب وكذلك قصة سليمان الذي تزوج من نساء غير يهوديات خارقا بذلك سنة داوود فتسبب بذلك في تعرضه هو نفسه ومجتمع اليهود لمصائب عديدة. فجرى الكثير من مثل هذه الزواجات حتى قرروا أخيرا ولتجنب غضب الله تحريم زواج اليهودية من غير اليهودي وزواج اليهودي من غير اليهودية فطردوا النساء غير اليهوديات وأولادهن من مجتمعهم. بعدما قسّم موسى بني إسرائيل على طوائف فعندما كانت فتاة تتزوج من فتى من طائفة أخرى لم يكن يمكن لها أن تحمل ثروتها معها (80).**

**ولكن في الإسلام تكون المرأة هي التي تدافع عن حريتها. فعند اعتداء الأجنبي يكون الدفاع واجبا على المرأة والرجل كليهما. ومع ذلك إن فضل الدفاع عن المرأة والرجل المستضعفين (المرأة والرجل غير المستضعفين لا يحتاجان طبعا للدفاع) يعود إلى الرجل إذا تعرضا لاعتداء من أجنبي (81). فلهذا السبب هناك ما يبرر السؤال التالي: أليس هناك فرق إطلاقا بين زواج مرأة مسلمة من رجل غير مسلم وزواج رجل مسلم من امرأة مسلمة؟**

**إن الخروج من الاستسلام بالدخول في الإسلام لا يتسنى إلا بالتحرر والنمو (82). فحتى عقود ماضية وفي المجتمعات المسيحية واليهودية كان الزواج يتسبب في خضوع المرأة لولاية الرجل المطلقة وحتى مالها كان يتم وضعه تحت تصرف زوجها. وكان زواج المرأة المسلمة من الرجل المسيحي أو اليهودي يأتي بمثابة تغاضيها عن حقوقها وحريتها. إن اختيار الزوج من حق المرأة. فلو كانت امرأة غير مسلمة قد اختارت زوجا مسلما لتخلت عن الاستسلام واختارت الحرية والنمو وبذلك أي بزواجها من الرجل المسلم لاستعادت المرأة غير المسلمة حريتها وحقوقها الإنسانية. فعلى ذلك كان هذان النوعان من الزواج مختلفين وبل متناقضين من الأساس. ففي أحدهما كانت المرأة تحصل على الحقوق والحرية وفي الآخر كانت تفقد حقوقها وحريتها. ألا يحق للمرأة أن تتغاضى عن حقوقها وحريتها؟ نعم يحق لها. ولكن إن فعلت ذلك فسوف يشملها الحكم ذاته الذي ينفذ بحق النساء اللواتي يخرجن من الإسلام (83). في عصرنا عادت المجتمعات المسلمة من الإسلام إلى الاستسلام وأصبح سؤال له ما يبرره: ألا تصبح المرأة المسلمة وبزواجها من رجل مسيحي أو يهودي أو زراتشتي أكثر تحررا من الاستسلام والضغوط والممارسات التعسفية وألا تكسب مزيدا من حقوقها الإنسانية؟**

**على أي حال إن ضابطة التناسق بين إمامة المرأة وإمامة الرجل هي مدى التحرر والنمو. فعلى مبدأ التوحيد إن كل شخص يعتبر رأيا بفارق أن الآراء لا تصبح وسيلة للنزاع على فرض سلطة البعض على البعض الآخر وإنما تتوصل وعبر النقد إلى رأي يحتوي على حالات صحة الآراء ويفتقر إلى حالات عدم صحتها ويقترب من العلم أكثر فأكثر. ولهذا السبب قال الله تعالى: "وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ" (84). وفي حالة أن يقبل الرجل المسلم دخول هذا الطريق فهو يكون قد عاد في الحقيقة من الاستسلام إلى طريق الإسلام فبذلك قد زالت موانع الزواج والزوجية. إن السماح بالزواج من الشخص الذي له عقيدة دينية أخرى ليس هو الدليل الوحيد وبل من الأدلة القوية على أن القرآن لا يعتبر الزواج والزوجية قيدا من القيود المفروضة على الإنسان وليس لتقليص وتقييد حريات وحقوق المرأة والرجل واستقلالهما وإنما يهدف إلى إكمال تمتعهما بالحقوق والحرية والاستقلال.**

# العلاقات المالية بين الزوجة والزوج والحرية الإنسانية:

**إن الله فضل الرجل على المرأة في مجالات وفضل المرأة على الرجل في مجالات أخرى. لا حاجة للقول إن الرجل لا يتمكن من الحمل ومن البديهي أن المرأة وخلال فترة الحمل وفي غضون ما لا يقل عن سنتين أوليين من حياة الطفل لا تتمكن من القيام بعمل من نوع عمل الرجل. كما ومن المعروف أن المرأة تنجب وتربي الولد خلال فترة شبابها وهي تفقد جانبا من طاقتها للعمل التنفيذي. فعلى ذلك وخاصة إن أرادت أن تشارك في إعاشة العائلة أيضا ليس فقط تتآكل وتستنزف بسرعة أكثر نتيجة كون العمل شاقا وإنما لا تتسم أعمالها بالنوعية اللازمة. وعدم المساواة هذا تتعرض له الآن مجتمعات تكون فيها صنوف أشغال النساء أكثر من صنوف أشغال الرجال وكذلك تكون فيها مدة أشغال النساء أكثر من مدة أشغال الرجال.**

**ولكن عدم المساواة هذا ليس العاهة الواحدة وإنما عدم المساواة في مجال الشغل السياسي والمشاركة في إدارة المجتمع هو من العاهات الناتجة عن عدم تناسب التقسيم الاجتماعي للأشغال وبالتالي عدم تناسب الأشغال الخاصة لكل من المرأة والرجل مع فضائلهم الطبيعية. فاليوم ليس التقسيم الاجتماعي للأشغال متناسبا مع فضائل الإنسان ومتوافقا مع نموه. بل السلطة (=القوة) هي التي قد فرضت النظام الاجتماعي للشغل على المجتمعات على حساب الإنسان والطبيعة. فعلى ذلك ومع أنه ومن الناحية الفنية وبالنسبة للقوى الدافعة الأخرى قد توفرت إمكانية إعمار الطبيعة ومنع أبناء البشر من الموت جوعا والتقاتل في ما بينهم بالعنف لكون إنتاج واستهلاك العنف هما اللذان يتزايدان (على سبيل المثال تبلغ تجارة المخدرات والأسلحة المهربة 500 مليار دولار سنويا!) والفقر هو الذي يستشري والطبيعة هي التي تتلوث أكثر فأكثر وطاقات الإنسان هي التي تضيع.**

**نعرف أن الذين لهم عقلية الاستسلام هم الآخرون يؤيدون التقسيم "الطبيعي" و"المتوافق مع الفطرة" للأشغال. إنهم يعتقدون بأن الله قد خلق النساء للأمومة وإدارة البيت والعناية بالزوج. ولكن عندما تذكرهم أن خديجة كانت نصف النبوة وكانت فاطمة إنسانة شاملة وأن النساء اللواتي صنعن التاريخ حسب القرآن كن يقمن بأعمال او أشغال أخرى أيضا’ يعتبرون وعن العجز أن هكذا نساء هن حالات استثنائية تثبت القاعدة! ولكن إذا أعرت الدقة ترى أن القرآن وفي كل مرة يتحدث فيها عن التنظيم الاجتماعي للأشغال يعتمد كقاعدة على فضائل النساء والرجال وفضائل كل منهم على حدة. إن النساء والرجال وفي كل الأشغال تركوا مآثر كبيرة: فاطمة هي أم ربت أولادا أفذاذا وهي امرأة قاومت بوجه ميل السلطة إلى الديكتاتورية وهي ناجحة تماما في بناء عائلة تبقى قدوة إلى الأبد وأصبحت معلمة لحب لا يزال اسم فاطمة يعيد به إلى الأذهان اسم علي ولا يزال اسم علي يعيد به إلى الأذهان اسم فاطمة. ومع أنها قضت نحبها في ربيع شبابها ولكنها علّمت الإنسانية درسا كبيرا وهي: لا تستحقروا المرأة بل انظروا إلى فاطمة التي لا حد لكرامتها وهي ليس فقط أضفت المعنى للحياة وإنما علّمت الإنسانية جمعاء من النساء والرجال كيف يعيشون. انظروا إلى ما صنعته في التاريخ ببراعة وفن لتروا كيف أصبحت كل الحركات من أجل الحرية وارتقاء الإنسان والناشطة طيلة القرون الأربعة عشر الماضية في المجتمعات الإسلامية تجد في بيت فاطمة وعلي منهلا لها. وفي بقية العالم أيضا تنشأ حركة أصالة الإنسان من هذه العائلة (85). فيا أسفا! هناك أحاديث ملفقة نسبت إلى ندها علي تتضمن استحقار وازدراء المرأة وتتناقض كلها مع ما جاء في القرآن (86). كل هذه الأحاديث ليست إلا شتائم بحق فاطمة وبحق كل النساء اللواتي هن مزرعة (حرث) الحياة ومعلمات الحب ومبدعات يضفين معنى للحياة.**

**في الأيام الأولي من عودتي إلى إيران بعد انتصار الثورة الإيرانية عام 1979 وعند إلقائي الكلمة في الجامعة التكنولوجية بطهران سألتني طالبة عن رأيي حول حديث منسوب إلى الإمام علي يصف النساء بأنهن ناقصات لثلاثة أسباب ثم يوصي الناس بأن لا تقوموا باستشارة النساء لكي لا تخسروا! رددت على سؤالها قائلا: كان علي زوج فاطمة وكانت فاطمة امرأة’ فهل يمكن أن نصدّق أن يطلق زوج فاطمة هكذا قولا متناقضا مع القرآن؟ بل أرسطو هو الذي أطلق هذا القول (87). نعم هذا الكلام كتبه أرسطو قبل قرون من العصر الذي كان يعيش في علي. كان أرسطو يعتبر المرأة كائنة دون الإنسان والأدلة التي كان يقيمها على كون المرأة كائنة دون الإنسان نابعة من الشكل ولا من المضمون. فبعد أن باتت الأديان التي لها توجهات الثنوية (التثنية) منسلخة عن الذات فباتت ذات توجهات للشكل. تأملوا في النقائص الثلاث التي ينسبونها إلى النساء نقلا عن الإمام علي لتروا أنه ليست هناك إلا اختلافات شكلية تنبع من التوجه ذاته إلى الشكل الذي أحل الاستسلام محل الإسلام وقد أصاب المسلمين منذ قرون بالبؤس.**

**وفي عصرنا هذا يكون هذا الكلام منتشرا في المجتمعات الغربية أيضا ونعرف أن دين اليهود نشأ في عصر الفراعنة ونشأت المسيحية قبل ستة قرون من الإسلام. وبدورهما عندما تخلى الدينان المذكوران عن المبدأ الدليل للتوحيد واستقيا من الفلسفة اليونانية مبدأ التثنية الأحادية المحور وأحلاها محل التوحيد فأقنعا الناس بأن المرأة كائنة دون الإنسان وإن استشارتها تجلب الندم. وفي عهد الخلافة الأموية التي كانت السلطة الحاكمة فيها تحتاج إلى تبرير الديكتاتورية بعون من الفلسفة اليونانية وحاولت إحلال التثنية محل التوحيد فكان لابد لها أن تجعل الجنس تحت تصرف السلطة. ومن هذا المنطلق جعلت المرأة كائنة دون الإنسان ومطيعا للرجل. فكما كان محمد (ص) يعرف أنه وبوجود نساء حرائر لا يمكن لهم إقامة نظام الاستسلام فإن الأنظمة الديكتاتورية أيضا كانت تعرف أنه ولأن يعود أبناء البشر إلى نظام الاستسلام لابد لهم أن يقوموا قبل كل شيء بنزع الاستقلال والشخصية من المرأة. فمن هنا تم فتح الباب لتزوير واختلاق الحديث والخطبة.**

**وأضفت قائلا: ولكن الأئمة أكدوا أنفسهم أنه لا تمارسوا عبادة الشخص ولا تصنعوا منا آلهة بل قوموا بنقد أحاديثنا و"إذا أتوكم عنا حديثا فأعرضوه على كتاب الله وحجة عقولكم فإن وافقهما فأقبلوه وإلا فاضربوا به عرض الجدار" (88). فلذلك وعلى أساس التوجيه الأول إني أرفض رأيه حتى بافتراض كون الحديث منقولا عن الإمام علي’ أما على أساس التوجيه الثاني فإن هذا الحديث يعارض القرآن إذن ليس كلام الإمام علي فأضربه عرض الجدار.**

**فأطلق أصحاب عقلية الاستسلام نعرات وصيحات الحقد والتهديد. فاستدعاني السيد خميني واختلى بي سائلا: ما هذا الكلام الذي أطلقته؟ وقال: هناك الكل غاضبون في النجف وقم. سألت: هل أنا قلت كلاما بالحق أم بغير الحق؟ قال: نعم قلت بالحق ولكن هل يجب قول كل ما هو حق؟ هذا البلد هو بلد الإمام علي (ع). قلت: لم يكن بلد الإمام علي فثار الشعب ليصبح بلد الإمام علي (ع).. كيف يمكن أن تكون إيران بلد الإمام علي ولكن عندما يعمل أحد فيه طبقا لتوجيهات الأمام علي ويحاول تخليص الناس من عبادة الشخص ومنع نسب كل أكذوبة إلى الإمام علي (ع) وإعادة الديكتاتورية وإقامتها من جديد’ تستشيط قم والنجف غضبا وحقدا؟. منذ ذلك الوقت وحتى السنة الأخيرة أو السنتين الأخيرتين لم يكن أحد قد تجرأ على تكرار تلك الكذبة المنسوبة إلى الإمام علي. ولكن الآن يظنون أنه وبتكرار هكذا مختلقات منسوبة إلى الإمام علي وأولياء الدين الآخرين يمكن لهم أن يزيدوا المتزمتين تزمتا في حماية نظام الاستسلام. من المؤسف أن هذا الاستفسار الذي تم أمام آلاف الطلاب قد تعرض للرقابة فيما لو لم يتم ذلك لكان التذكار الدائم للجواب مساعدا للمسلمات والمسلمين في التخلص من عقلية الاستسلام. ولكن بدلا من ذلك قام الموالون للاستسلام "الجديد" ولكونهم يفتقرون إلى قوة التفكير نتيجة عبادتهم القوة (= العنف) ولا براعة لهم إلا في اختلاق أشكال الكذب قاموا باختلاق كذبة وهي أن بني صدر قد قال: إن شعر المرأة فيه أشعة!!. منذ ما يقارب قرنا تتعرض إيران والبلدان الإسلامية الأخرى لأصحاب الشكل (الشكليين) القدامى والجدد ولهذا السبب لا تجد أمامها مجالا لمعالجة قضاياها السياسية.. فيا أسفا أسفا!...**

**على أي حال’ لا يمكن لأي نظام للعمل (للشغل) أن يتوافق مع الفضائل إلا أن يتوافق مع فضل المرأة باعتبارها معلمة للحب ومزرعة (حرثا) للحياة ليس مع المرأة باعتبارها شيئا جنسيا و"جسدا مشحونا بالشهوة". في الآونة الأخيرة أقرت منظمة الأمم المتحدة حقوق الطفل أيضا. فعلى ذلك يجب أن يتوافق التنظيم الاجتماعي للعمل (الشغل) مع حقوق الطفل أو بعبارة أخرى مع الأبوة والأمومة. إذا كان قسم كبير من أبناء البشر قد حرموا من التعلم وباتت تجارة المخدرات والأسلحة أكبر تجارة على الكرة الأرضية ويتزايد يوميا عدد المدمنين على المخدرات والمصابين بعاهات وأمراض نفسية مختلفة وو... إلخ فلا تقوم مؤسسات الأسرة والتعليم والتربية وكذلك المؤسسات الاجتماعية الأخرى بأداء واجبها. يجب التوفيق بين نظام الأشغال والطاقة المبدعة للرجل والمرأة وتوسيع المجالات أمام هذه الطاقات. عندما وبغض النظر عن أقلية ضئيلة يقوم أغلبية عظمى من أبناء البشر بتعطيل طاقاتهم أو استخدامها في مجالات التخريب فإن النظام الاجتماعي للشغل هو مدمر الإنسان فيما يجب أن يتوافق نظام الشغل مع طاقة قيادة الإنسان وتربيته. عندما لا يشارك قسم كبير من المجتمعات نساء ورجالا في إدارة المجتمعات ولا يوجد هناك دور نشط للنساء في "المجتمعات الديمقراطية" أيضا فإن النظام الاجتماعي للشغل هو نظام غير صحيح. فمثلما تكون الحياة الزوجية بيئة لولادة القوة (= العنف) وسببا للدمار عندما لا يوجد هناك توافق وتعاون بين فضائل المرأة والرجل’ ففي المجتمع أيضا لا تكون مشاركة الرجل والمرأة في السياسة مفيدة إلا عندما يشاركان كلاهما وبفضائلهما في إدارة المجتمع. في هذه الحالة فقط تصبح المجتمعات مجتمعات النمو والحرية وتميل نسبة إنتاج واستهلاك العنف إلى الصفر كما تميل نسبة استهلاك المنتجات المخربة إلى الصفر وتبلغ نسبة المنتجات التي تسدد حاجات أبناء البشر على مسار النمو نسبة التعادل. فبذلك تؤدي حرية المرأة والرجل خاصة المرأة لسبب كونها خاضعة للسلطة في نظام الاستسلام إلى أن تصبح انسيابية نمو المجتمع الإنساني والطبيعة مستمرة ودائمة. فإن المجتمع الذي تتحرر فيه النساء ويشاركن بفضائلهن في قيادته وإدارته يصبح مجتمعا حرا وناميا’ لأنه حتى فضل الأمومة لا يمكن إنضاجه إلا بتشغيل فضل الإمامة والقيادة’ والأدهى هو عندما تساوي الأمومة تربية بنات وأبناء مؤمنين بالقوة (= العنف).**

**على ذلك يجب أن يكون نظام الشغل متوافقا مع حرية ونمو الإنسان وهذا هو شرط تخلص الإنسانية من الاستسلام. في الوقت الحاضر يجعل نظام الشغل الرجل "قوة عاملة" والمرأة "شيئا جنسيا" إضافة إلى كونها قوة عاملة وبالتالي يزيد من نسبة التآكل أو الاستنزاف النفسي والجسدي للإنسان خاصة المرأة وتلوث واستنزاف الطبيعة وكذلك نسبة البطالة. فإذا لم يتغير النظام الاجتماعي للشغل بحيث يمكّن الناس من المشاركة في صنوف العمل والشغل من القيادي والعلمي والفني والإبداع والإنتاج وإذا لم ينتقل نظام العمل من التبعية للسلطة الحاكمة إلى حرية ونمو الإنسان فمن المستحيل أن يمكن تغيير اتجاهه الحالي وتحويل مسار استنزاف الإنسان والطبيعة وارتفاع نسبة البطالة إلى مسار العمل على سلامة الإنسان الفكرية ونموه الفكري والجسدي وإعمار الطبيعة.**

**ولكن هل يجب الانتظار لأن يتخلص الساسة وأرباب العمل من العبودية للسلطة (=القوة) حتى يغيروا النظام الاجتماعي للشغل؟ كلا. لأن أحد الأسباب التي تعقد المشكلة أكثر بدلا عن حلها هو أن النساء والرجال لا يعقدون العزم على الاعتراف بالعائلة والمجتمع لكي يقوموا أنفسهم فيهما بتوفيق نظام الشغل مع فضائل أعضائهما. إن الأحكام المالية التي سنها القرآن وناقشناها في هذا الكتاب تتناسب وتتوافق مع هذا النوع من نظام الشغل: رأينا أنه عندما لم يكن يمكن تسديد الحاجات الأولية فخططوا لقتل البنات وفرض تعدد الأزواج على النساء في محاولة لمنع ارتفاع عدد السكان. في عصرنا هذا إن "الأصوليين السياسيين" يعتبرون أن حل مشكلة ارتفاع عدد السكان يكمن في استخدام القنبلة النووية وفي قسم كبير من العالم تقصر أعمار النساء وتصبح معيشتهن قاسية وشاقة تحت أعباء العمل وصنوف الإجبارات الاجتماعية. وبشكل عام عندما تستمر مشكلة تسديد الحاجات الأولية فيمكن اتخاذ السبب المالي أداة لسلب استقلال الإنسان في العمل نساء ورجالا خاصة النساء. فحاليا وفي أثرى المجتمعات التي نشأ فيها خط الفقر وباتت البطالة أهم المشاكل بات حالات عدم المساواة بين المرأة والرجل متزايدة. ونظرا لهذا الواقع من جهة وواقع آخر يبينه القرآن حيث يقول: " إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ" (89) ومع ذلك تتزايد حالات النقص’ من جهة أخرى’ يجب الإيقان بأن توسيع لمجال لعلاقات القوى وإنتاج المنتجات التخريبية وكذلك تخريب الطبيعة قد عرض وجود الإنسان والطبيعة للخطر. وفي هذه الأوضاع والظروف يكون القضاء على السبب المالي باعتباره وسيلة للتعسف في الزواج يمثل عملا مهما للغاية في تحقيق استقلال المرأة في العمل. ونظرا لفضائل كل من المراة والرجل وضع الإسلام واجب إعاشة العائلة على عاتق الرجل. ومع ذلك ولكي تتخلص المرأة من الموقع الخاضع للسلطة وتتخلص العائلة من نظام الاستسلام اعترف الإسلام بالحقوق المالية للمرأة. وهنا ينبغي الإيضاح بأن عمل كل من الزوجين جزء من مجمل عملهما الجماعي’ إذن يجب احتساب حق الزوجة مقابل ما يفعله من مختلف الأعمال في البيت وحتى رضاعة الطفل (90) ضمن الدخل الحاصل ودفعه من هذا الدخل بغض النظر عن كلفة الإنتاج التي تكون كلفة العيش جزءا منها. وإذا عملت المرأة خارج البيت إضافة إلى عملها في البيت فإن كامل دخلها يعود إليها. والحق أنه وفي هذا العمل أيضا هناك حصة تعود للعائلة ولكن كون مدة هذا النوع من عمل المرأة قياسا بعمل الرجل وكذلك ضرورة استقلالها المالي قد تطلبا أن تمنح هذه الامتيازات المالية للمرأة.**

**في الحقيقة إذا اتخذت العائلة من الوصول إلى السلطة السياسية أو المالية الهدف الأول لها أو تلخص الأنشطة الحيوية في الإعاشة فسوف يفقد الرجل والمرأة وبوجه خاص المرأة مكانتهما الإنسانية بسبب أن نفقات السلطوية ستضاف إلى نفقات المعيشة وستترجح كفة نمو الاستهلاك على كفة نمو الإنتاج في النسبة والوتيرة’ وبالتالي ستكون النفقة أكثر من الدخل ولن تمكن الإعاشة والإعالة إلا بالإنفاق سلفا ومقابل ذلك التنازل عن الحرية. لأنه وعلاوة على جزء هام من حصيلة العمل التي ستتحول إلى السلطة (=القوة) وبالتالي ستتلف فإن نفقات التنافسات على السلطة (=القوة) وإحداث صنوف الحالات من ميزان القوى ستتعاظم وتتزايد يوما بعد يوم. إن من شأن إنتاج صنوف الحالات من العنف واستخدامها وتغير اتجاهات القوى الدافعة و... إلخ إحداث الحالة الراهنة التي تعيشها الإنسانية.**

**فعلى سبيل المثال عندما وفي علاقات القوى يصبح الجنس هو الآخر محورا فعلاوة على ما يفرضها من النفقات الباهظة يصبح من أسباب الاستنزاف والتآكل أيضا لأن البقاء جنسا يستلزم يوما بعد يوم أنشطة لا نتيجة لها إلا الاستنزاف وزيادة نفقات التنافس يوما بعد يوم. فيما أنه وفي الحياة الزوجية إذا أصبح الحب هو المحور وإذا تم في خارج العلاقات الزوجية نبذ مختلف أدوار الجنس فسوف تقتصر الحاجات على الحاجات النفسية والجسدية لعيش سليم مفرح. ففي هذا العيش يكتمل التمتع الجنسي من ناحية طول الحياة الجنسية والتخلص من أجواء الجنس المستنزفة والمرهقة. فبذلك وبالتناسب مع الفضائل يتم تعيين الأولويات. وبالتناسب معها يتم تحديد صنوف الأعمال وأولوياتها. وفي هذه الوحدة لا مكان للاستهلاكات التخريبية. وتكون فائدة كل استهلاك في تأمين سلامة النفس والجسد هي التي تحدد الحاجات. فعلى ذلك’ تكون نسبة ووتيرة نمو الاستهلاك أقل دوما من نسبة ووتيرة نمو الإنتاج. وبهكذا تنظيم للإنتاج إن العوائل التي لا تجد علاقات القوى متوافقة مع طبيعة الخلق (الكون) ولا تقبلها قد حولت العنصر المالي إلى عنصر لتوسيع حريتها ونموها’ وإذا فعلت عوائل المجمع كذلك فتتزايد دوما نسبة ووتيرة نمو الإنتاج حتى تترجح على نسبة ووتيرة نمو الاستهلاك وبذلك يترافق نمو الإنسان مع إعمار الطبيعة. ولكي يمكن للعائلة أن تجعل نظام الشغل متوافقا مع فضائل الزوجين لابد للجنس أيضا أن لا ينسلخ عن الذات في القوة (= العنف) وأن لا يستخدم هكذا في العلاقات الزوجية. إذا ما كان الرجل يستخدم العنصر المالي أكثر فالمرأة تستخدم عنصر "الجنس" أكثر وهي تصبح دوما خاسرة:**

# العلاقات الجنسية في الحياة الزوجية:

**لم تكن المعرفة العلمية للمازوخية والسادية مدونة حتى عهد فرويد. ولكن بعد ذلك العهد أجريت دراسات كثيرة حول السادية والمازوخية. وبالإجمال تم التوصل إلى القناعة بأن العنف لا يكون لها دور في العلاقات الجنسية إلا بعد أن تصبح هذه العلاقات شكلا من أشكال العلاقات بين المتسلط والخاضع للسلطة والمسلّم والمستسلم. لأن موقع الطالب الاعتباري هو موقع المقهور – القاهر الذي وبواسطة الطلب وبالضرورة ينشئ علاقات الموذي – الموذى (السادي – المازوخي) (91). إن فرويد نفسه يرى أن لغز المازوخية والسادية لم يتم حله ولكن المازوخية قد نشأت قبل السادية. إنه اعتبر أن المازوخية هي ثلاثة أنواع: الأخلاقية والنسوية والتحفيزات الجنسية التي يثيرها الجسد (92). إنه يعتبر السادية اشتراط الإرضاء الجنسي بفرض العناء والألم ويعتبر استحقار "الشيء الجنسي" والمازوخية الإرضاء الجنسي الشريط بتسديد الحاجة إلى الإيذاء والاستحقار والتألم ويرى أن الرجل يتسم بالسادية وأن المرأة تتسم بالمازوخية (93).**

**لقد تم نقد آراء فرويد. من المتفق عليه أنه ومن دون أن تصبح المرأة شيئا جنسيا في نظام الاستسلام لا تنشأ المازوخية والسادية. ففي الحالة العادية إن المازوخي يمتنع عن الرضوخ في الوقت الذي يثير فيه الرغبة الجنسية لدى ضجيعه. وفي الحقيقة إذ إن المرأة المازوخية لا تتمكن من التعبير عن رغبتها الجنسية فعلى الضجيع أن يساعدها في رفع الحواجز التي تمنعها من التعبير عن رغبتها الجنسية. عندما تكون المازوخية خفيفة فيتم رفع الحاجز نتيجة تراجع الرجل عن المضاجعة ويمكن للمرأة أن تعبر عن رغبتها الجنسية. وإذا كانت المازوخية عادية فبواسطة الإيلام والإيجاع بشكل خفيف يمكن رفع الحاجز الذي يمنع المرأة من التعبير عن رغبتها الجنسية (94).**

**فبذلك نتوصل مرة أخرى إلى القناعة بأنه يمكن تمييز التمرد الجنسي عن حالات التمرد الأخرى بالتعبير عنها مبكرا وبطريقة التعبير عنها. إن هذا التمرد يطفو إلى السطح عند ممارسة الجنس ويزول بإجراء إحدى العمليتين المذكورتين. وفي السادية والمازوخية العاديتين يبدأ التعبير عن الرغبة الجنسية أمام الضجيع بملامح وأقوال عنيفة أو مثيرة للعنف. وكثيرا يؤدي ذلك إلى مشادات كلامية شديدة نتيجة عدم الاطلاع عن الدافع. فعلى الزوج أن يتذكر مفضله وأن يتفهم زوجته باعتباره "قواما" وأن يعتمد أنسب طريقة لرفع الحواجز التي تمنع زوجته من التعبير عن رغبتها الجنسية. وإذا قام الرجل بالتعبير عن رغبته الجنسية على شكل تعبير المرأة عن رغبتها في السلوك الجنسية فعلى المرأة أن تقوم بتهدئة الرجل لترفع الحاجز الذي يمنعها ويمنع زوجها من المضاجعة والتمتع الجنسي. وعندما يكون هذا سبب نشوز الرجل فليست الحلول الأخرى لا تفيد فحسب وإنما تعقد المشكلة أكثر فأكثر. في الوقت الحاضر الذي يقود فيه العلم إلى التعليمات القرآنية فيجب اعتبار النشوز عاهة ليتم مراجعة الطبيب النفسي أو المحلل النفسي لمعالجتها.**

**ولكن في العلاقة الزوجية ليست المشكلة هي النشوز الجنسي فقط وإنما هناك حالات أخرى من عدم التوافق أيضا:**

1. **الإيذاء الناجم عن علاقات القوة (= العنف) بين الأسر. عندما يترجم الزواج علاقات السلطة الشخصية بين الأسرتين فإن التوجه من الصلح إلى العنف يتسبب في أن تعتمد المرأة وباعتبارها ممثلة سلطة أسرتها في أسرة الزوج طريقة التوافق وبالعكس. ففي هذه الحالة ليس فصل الفراش واستخدام العنف لا يفيدان فحسب وإنما يشددان التخاصم والعداء ويتسببان في أن تصبح الحياة الزوجية لا تطاق أيضا.**
2. **الزواجات التي ذهبت فيها الفتاة إلى بيت الزوج بقوة أو بسبب "منفعة" أو رضخ الرجل للزواج من فتاة ولكن بدون حب وبأخذ منفعة بعين الاعتبار أو تحت ضغط من صنوف الضغوط,**
3. **الزواجات التي تعقد إثر عقد الحب والغرام ولكن العائلة تعود إلى نظام الاستسلام لتصبح العلاقة مع المرأة علاقة مع شيء جنسي أو تصبح العلاقة مع الزوجين العلاقة مع كائنين لا يريد أي منهما أن يلعب دور المستسلم.**

**في هذه الحالات الثلاث يصبح إيذاء بعضهما البعض وصنع الأسباب لإنشاء صنوف الحالات من عدم التوافق. إن أعم أسلوب للتعبير عن الاستياء أصبح أسلوبا مستمرا وعالميا هو التعبير عن الضجر والكراهية قولا وعملا حيال الزوج أو الزوجة. وكان بعض الأقوال والأعمال ولا تزال تضفي لها أشكال حقوقية أيضا. أما القرآن وعلاوة على النشوز الجنسي فقد جعل هذه الحالات الثلاث أيضا موضوع الحكم:**

**إن القرآن يلغي جميع حالات المنع والرقابة الجنسية التي تمهد الطريق لنشوء المشاكل الزوجية. يجب أن تكون العلاقات الجنسية بين الزوجين متحررة من قيد أي منع ورقابة. كما يجب على الزوجين أن لا يثيرا الحسد الجنسي في ما بينهما’ لأن إثارة الحسد هي الوقوع في متاهة تنتهي إلى هاوية الافتراق وحتى ارتكاب الجريمة. ليس من شأن إثارة الحسد إلا أن الشخص المثير أو المستفِز يهز بذلك ثقة زوجها بها أو زوجته به ولا يكسب ود ومحبة وتعلق المستفَز أو المستفَزَة وإنما يثير سوء ظنه وسوء ظنها وعدم ثقته أو ثقتها ليس بالزوج أو الزوجة فقط وبل بالنفس أيضا. وعندما وصل الأمر إلى ذلك فيصبح الحل صعبا للغاية. ولهذا السبب قال الله تعالى في القرآن: "ومن شر حاسد إذا حسد".**

**فيجب العوذ بالله. فعلى ذلك:**

1. **ليست المرأة "شيئا جنسيا" ولا يحق للأزواج أن يتبادلوا زوجاتهم. هذا التقليد القذر للغاية كان منتشرا لدى العرب وغير العرب. إن القرآن يعتبر تبادل الزوجات زنا المحصنة ولا يجيز دخول بيت دون الاستئذان من صاحبه (95).**
2. **إن حالات المنع الجنسية التي تأتي نتيجة حالات سوء التعليم والتربية المغطاة باسم التربية وعليها تتصور الزوجة أن اللجوء إلى حالات المنع والرقابة الجنسية يساوي إظهار نفسه للزوج عفيفة’ هي السبب الذي يقف وراء المشاكل والعاهات المتزايدة في الحياة الزوجية لأن الزوجة تجهل أنها وبذلك تنقص من تمتعها الجنسي ومن التمتع الجنسي لزوجها موحية لزوجها بأن التمتع الجنسي لا يمكن له إلا في خارج العلاقات الزوجية. إن الحديث بأن الزواج لا هدف له إلا التناسل وتحسين العيش واختيار الحبيب للتمتع الجنسي كان ولا يزال حديث الساعة المتناقل بالألسن في كل المجتمعات. وسبب ذلك يكمن في أن الحياة الزوجية تقترن بحالات المنع والرقابة الجنسية وبالتالي بحالات الحرمان الجنسي. ولذلك يضفي القرآن للمرأة دور الحرث (المزرعة). فعلى المرأة أن تحرر نفسها من قيد حالات المنع والرقابة. إن نظرية فرويد ليست إلا تكرار النظرية الخاطئة القائمة على أساس التثنية الأحادية المحور والتي كانت تعتبر منذ القدم التفعل أو المفعولية ما جبلت عليه طبيعة المرأة’ فيما أنه وفي العلاقة الجنسية ليس فقط يجب على المرأة أن تكون نشطة وإنما من شروط نجاح الزواج والحياة الزوجية أن لا تجعل الزوجة الجنس أداة لاستعراض القوة تجاه الزوج بل أن تكون متحررة من حالات المنع والرقابة الجنسية مثيرة في زوجها الشوق والولع كمزرعة تحتضن البذر وتؤويه وتنبته وتثمره. إن التمتع الجنسي لا يكتمل إلا بأن لا يكون العمل الجنسي مترجما لعلاقات القوى وإنما يكون مترجما للحب بين كائنين ولا تتصور المرأة الحب تعلقا أو هوى بدأت بها الحياة الزوجية وإنما تعتبره درسا يجب تعلم وتعليم فصل جديد منه يوميا كما وأن يعلم الرجل أن المرأة ليست "شيئا جنسيا" وأداة لإطفاء شهوته. إن المزرعة مقدسة في الأديان (96). لذلك يؤكد القرآن للرجل أن المرأة حرث (مزرعة) للحياة وليست كما تتصورها العقائد الدينية المنسلخة عن الذات (العهد العتيق والعهد الجديد) مساعدة للشيطان وجسد مشحون بالشهوة وكائنة فاقدة الروح ورمز للدنس (كما في رؤية المجوسية والبوذية والصوفية). إن الآية القرآنية تزيل رواسب هذه الأفكار من ذهن الرجل (97) وتطلب من الرجل ما يأتي (98):**

**"وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّكُم مُّلاَقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ".**

**وحول معنى هذه الآية قال بعض المفسرين إنه يجب أن يكون العمل الجنسي طبيعيا. فعلى ذلك يجب على الرجل أن لا يفرض على المرأة أعمالا منحرفة غير طبيعية أو أن لا ينسى الزوجة عند التذاذه جنسيا وأن لا يعتمد الأسلوب الحيواني.**

**ولكن عندما يعدد القرآن صفات المؤمنين والمؤمنات (99) وكذلك عندما يصف صلاة المتقين يقول: "وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا" (100). كما وعندما يصف الزوج والزوجة بأن بعضهما لباس للبعض الآخر فيبين مقصوده من "قدموا لأنفسكم" وهو: أن العمل الجنسي يجب أن يكون مترجما للحب ومن هذا المنطلق أن يكون تعبيرا عن إكرام المرأة وأن يبدأ بالتعبير عن حب طاهر. وإذ إن العواقب المتوقعة يتم عرضها بالفعل الملموس فإن الآية "قدموا لأنفسكم" تعني أن العمل الجنسي يجب أن يجري بطريقة تزيد من بهجة الزوجين وتفجر طاقاتهما أكثر من ذي قبل وأن يتم في حالة الحمل إنجاب ولد طيب الطينة المربى بطريقة حسنة. فبذلك يجب على الزوجين وعند ممارسة الجنس أن يأخذا بعين الاعتبار عواقبها وإذا فعلا كذلك فإن فضائل الزوجين تخصب وتثمر تماما وبالكامل وسوف يواصلان حياتهما الغنية والمثمرة كما قال النبي (ص) في حديث مضمونه: "بعمل صالح وولد فاضل" (101).**

1. **إن المرأة لا تتحمل كراهيتها جنسيا من قبل الرجل والرجل لا يتحمل استحقاره أو إذلاله جنسيا من قبل المرأة. إن النساء وعندما يردن استخدام "الجنس" لإذلال الرجل يستخدمن أسلوبا في عدم المصافحة يدفع الرجل إلى الشعور بأنه تعرض للاستحقار والإذلال. أما الرجل فهو عندما يكره الزوجة بسبب سلوكها هذا أو ذاك يتصور أن التعبير عن الكراهية هو أداة للدفاع عن "رجوليته". فعلى المرأة والرجل أن يكفا عن هذين السلوكين لأن تكرارهما يجفف ينبوع الحب (102) ويأتي ذلك على العكس تماما لما تقوله التوراة التي تعطي الحق للزوج أن يكره الزوجة وأن يطلقها. كما إن الإنجيل لا يجيز الطلاق إلا بسبب الزنا (103). أما القرآن فهو يتضمن تعليما بأن الرجل يجب عليه أن يتجنب التعسف وإكثاره حتى تحوله إلى التعبير عن الكراهية وعلى الزوج والزوجة أن ينتهجا طريقة لا تؤدي إلى التنافر وكراهية بعضهما البعض. إذا نشأت الكراهية الجنسية:**
2. **في بعض الأحيان يتم التعبير عن ردود فعل الرجل بشكل عنيف للغاية. فقبل الإسلام وعند استياء الرجل جنسيا كان الرجل يظاهر زوجته أي كان يقول: ظهرك مثل ظهر أمي. هذا النوع من الطلاق كان يعد تعبيرا من الرجل عن كراهيته الشديدة لزوجته. فقرر القرآن أن لا تقوم الزوجة باستحقار زوجها عند المضاجعة وأن لا يقوم الرجل بالظهار وإذا فعل ذلك فيحبط عمله ويجب عليه أن يكفر أي يدفع الكفارة (104).**
3. **كان الطلاق ولا يزال وسيلة بيد الرجل للتعسف. لهذا السبب هناك آيات في القرآن ومنها آيات الطلاق تمنع الرجل من تعسف زوجته (105). فعند كراهية الرجل جنسيا لزوجته كان الرجل يؤدي اليمين بأن لا يضاجعها أبدا’ أي لم يكن يطلقها ولم يكن يضاجعها وكان يطلق على تلك العادة "الإيلاء". هذه العادة باقية الآن في مختلف المجتمعات والأكثر في الغرب ويطلق في الغرب على هذه العادة "الافتراق الجنسي". في القوانين المدنية للدول الأوربية تتراوح مدة هذا الافتراق عادة بين سنة وسنتين (106). وإذا احتمل القاضي التصالح فيصبح هذا الافتراق غير محدود. أما القرآن فقرر أنه إذا أدى رجل اليمين بأن لا يضاجع زوجته فأمامه مهلة لمدة أربعة أشهر ليعود من كلامه ويمينه أو يطلق زوجته (107). وإذا رفض الطلاق فيجري القاضي الطلاق وإذا لم يرضخ لحكم القاضي يحق للقاضي أن يصدر الحكم باعتقاله (108).**

**مع ذلك ربما يكره الزوجان بعضهما البعض أو يكره أحدهما الآخر. عليهما أن يعلما أن الإنسان هو الذي يصنع الحب والكراهية كليهما. فعليهما أن لا يفتعلا ولا ينميا الكراهية بعضهما للبعض في ذهنهما مع كل حادث مكروه’ كما عليهما وبدلا عن خلق العقدة والحقد أن يصفي القلوب في ما بينهما عبر التفاوض والتباحث. لا توجد هناك أية لذة أو متعة ألذ من الحب الذي يصنعه ويخصبه الإنسان شوقا وحماسا لتزداد الحياة حداثة وتجددا وتفعم بالتمتع والفرح والنمو. ولكن إذا عجز أحد منهما أو كلاهما وقرر أو قررا أن يعبر أو يعبرا عن عجزهما يحق له أو لهما أن يفترقا بالطلاق (109).**

1. **من أساليب الرجال التطليق والرجوع كانت إما ناجمة عن عدم العزم في الحياة وإما بهدف إيذاء الزوجة. كانوا يطلقون زوجاتهم واحدة بعد أخرى ثم يرجعون إليهن. وكانت القوة (= العنف) تحل محل الحب تماما وكانت العلاقة الجنسية عذابا أليما بالنسبة للمرأة. وقرر الإسلام لإلغاء هذه العادة أن من حق الرجل أن يرجع إلى زوجته المطلقة مرتين على أقصى الحد شريط أن تكون نية الزوج حسنة ويعتمد على الود والمحبة كأساس للحياة الزوجية وشريط أن تقبل الزوجة ذلك (110). ولكن بعد مرتين أي الطلاق بمرتين لم يعد تجديد الزواج ممكنا. وعند العودة من الإسلام إلى الاستسلام وجد السلطويون حلا لهذا المنع أيضا وهو: "المحلل"! ألا يعلمون أن الزواج الذي يقصد منه إزاحة الحاجز ويعلم كلاهما أنه صوري ويهدف إلى رفع الحاجز من طريق جعل الزواج ثلاثة مرات من قبل الزوج الأول’ ليس زواجا؟**

**إن الآيات القرآنية خاصة الآية 231 من سورة البقرة تترجم واقع أن الزواج يجب بناؤه على أساس الحب. عندما تم استخدام القوة (= العنف) تصبح المرأة شيئا جنسيا ولا تصبح العائلة مركزا للحرية والنمو. فيما أن تغيير المبدأ الدليل ومبادئ الزوجية وطبيعة العلاقات بين الزوج والزوجة يهدف إلى إخراج المجتع من نظام الاستسلام:**

# الانتقالة من الاستسلام إلى الإسلام:

**فبذلك تصبح الزوجية القائمة على فضائل المرأة والرجل زوجية خالية من القوة (= العنف) وخارجة من علاقات القوى لتصبح مركزا مفعما بالحب والنمو. وكما تقدم إنه من المقرر على أساس المبادئ الدليلة أنه عندما استخدم أو يستخدم أحد الزوجين أو كلاهما القوة (= العنف) فعلى الآخر أو على أصحاب التدبير أن يقضوا على القوة (= العنف). ولهذا السبب أعار الإسلام أهمية قصوى للزواج والحياة الزوجية واعتبر الطلاق هو المعاجلة النهائية و"أبغض الحلال عند الله" (111).**

**لقد بات الزواج صفقة إثر انسلاخ الإسلام عن الذات في الاستسلام حيث تراجع عائلة الفتى عائلة الفتاة فتعجب بالفتاة. وقد أكد الفقه أن الفتى يحق له أن يرى الفتاة من خلف قماش رقيق ليطلع بنظرة واحدة على جسدها عاريا (112). ولكن هل من حق الفتاة أيضا أن يرى زوجه المستقبلي لتعجب به؟ ليس هذا الأمر معلوما ولا معتادا!**

**لقد أوضحت في دراستين لي بعنواني "المرأة في شاهنامه" و"واجبات الزوجية في تمركز وتكاثر السلطة" (109) كيفية نشوء العلاقات الشخصية العنكبوتية للسلطة عن طريق الزواج والزوجية. إن الزواجات داخل التنظيم او خارجه لغرض الحفاظ على القوى السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية لا يزال منتشرة في المجتمعات. إذا تجشم أحد عناء تعداد مختلف التركيبات المكونة من صنوف المصالح الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية في مختلف الزواجات فسوف يكشف سبب تجفف الحب والحرية والنمو في نسيج عنكبوت العلاقات في النظام الاجتماعي للاستسلام. في الحقيقة تجري القوى الدافعة في مجاري العلاقات الشخصية للسلطة وتتسبب في الخراب والدمار إثر تحولها إلى صنوف القوى. إذا ما قام أحد بهذا الاحتساب ورأى مدى كون ذلك يضيع الإنسان ليس فقط يكشف أمرا أساسيا وهو أن الزواج المتحرر من العلاقات الشخصية للسلطة والمترجم للحب يعيد حرية الإنسانين إليهما’ وإنما يدرك أيضا سبب كون عوائل من هذا النوع قد أنشأت عصورا جديدة من التاريخ. وفي الحقيقة إن النساء والرجال الذين لم يتمكن نظام الاستسلام من جعلهم منسلخين عن الذات هم الذين أطلقوا العصور الجديدة في تاريخ الحرية والنمو.**

**فبذلك إن الكلام القائل بأن حرية ونمو المجتمعات رهينتا حرية ونمو النساء وأن تشكيل كل عائلة متحررة من علاقات القوى وخالية من القوة (= العنف) والإكراه يتصدر الجهود من أجل التحرر من نظام الاستسلام، كلام حق وصائب تماما.**

**ولكن من سوء الحظ إن الذين تربوا تحت نظام الاستسلام خاصة النساء والرجال الشباب يسألون كثيرا عن القرارات والضوابط المتغيرة وقلما يسألون عن المبادئ التي يجب تأسيس الزوجية عليها. إنهم يسألون عن حق الزواج وحق الطلاق ولكن لا يسألون هل يجب أن يكون الحب والعقيدة هما الدافعان للزواج أم المصالح؟ وكان يبدو برؤية زوجات النبي أيضا من البديهي أنه وإذ أصبحن زوجات رجل صار "رئيس" العرب فعليهن أن يعشن عيشة نساء الرؤساء. ولكن القرآن قدم تعليما لهن بأن اخترن واحدا من الاثنين: إما "المصالح" وإما العيش على العقيدة والحب (114). فقد أصبحت زوجات النبي أمهات الأمة الإسلامية اللواتي يجب عليهن أن لا يعدن إلى العلاقات الشخصية للسلطة وفق العادة في النظام الاجتماعي الاستسلامي ولا يشاركن في فئات أو فصائل السلطة (=القوة) بصفتهن زوجات النبي (115).**

**إن الاهتمام بالأمر الواقع المستمر المتمثل في أن نسيج العنكبوت للعلاقات الشخصية للسلطة ينشأ عن طريق المرأة وأن هذا يأتي بسبب أن المرأة في نظام الاستسلام كانت ولا تزال خاضعة لسيطرة السلطة (=القوة) و"المال" يقود الإنسان الباحث عن الحرية إلى سؤال وهي: أليس سلب الصلاحية من أسس المجتمع ومنح صلاحية الزواج للمرأة والرجل اللذين يريدان اختيار الزوج أو الزوجة وتحرير الزواج والزوجية من قيد "المصالح" هو الخطوة الأساسية في طريق التخلص والتحرر من النظام الاجتماعي الاستسلامي والانتقالة من التفكير والسلوك الاستسلاميين إلى التفكير والسلوك القائم على مبدأ التوحيد؟.**

**أكرر أن الإيجاب (المبادرة بالزواج) أو القبول الأول في عقد الزواج هو من حق المرأة. ودور الوالدين باعتبارهما "قوامين" هو أن يوفرا لابنتهما الحرية في اختيار الزوج بحيث لا تخضع لأي "إكراه". وعليهما أن يعلما أنه إن تم استخدام الإكراه فالزواج باطل (116). قد يتصور الوالدان أن لهما السلطة والاختيار ولهما أن يعرفا هل تم استخدام الإكراه أم لا؟ وأن يتأكدا من أنهما لم يستخدما القوة أو الإكراه بمختلف أشكالهما إذا قاما بدفع ابنتهما إلى الزواج بل قاما بذلك حرصا على مصالح ابنتهما فإذن لا يبطل الزواج. فيما أنه لا سلطة لهما لكون الإيجاب أي المبادرة بالزواج أو القبول الأول في الزواج من حق المرأة فتمييز وجود او عدم الإكراه هو من حقها أيضا, هناك كثيرون يقولون إن الفتاة لا تعرف مصلحتها. هناك تناقض كبير في الكذبة التي يطلقونها وليس هذا التناقض يبطل مفعول "الدليل" ويثبت عدم مصداقيته فحسب وإنما يثبت أيضا عدم نجاح الوالدين في تربية الأولاد. فالواقع أنه إذا نجح الوالدان في تربية البنت إنسانة حرة نامية مسؤولة فهي تكسب القدرة على اختيار شريكها في الحياة. وإضافة إلى ذلك ولكي يتحرر مجتمع ما من نظام الاستسلام فيجب فتح الطريق بقدر ما يمكن أمام الإنسان لكي يعمل مستقلا. فالإسلام وجد الطريق المسقيم وهو أنه وللانتقالة من الاستسلام إلى الإسلام يجب على أبناء البشر نساء ورجالا أن يكونوا مستقلين في الفكر والقول والعمل. مع ذلك، إن يفكروا ويقولوا ويعملوا على مبدأ التثنية الأحادية المحور ذاته وحتى الثنائية المحور فيبقون في نظام الاستسلام كما في الماضي. على ذلك يجب أن يكون الزواج والزوجية مترجما للموازنة العدمية. فعلى هذا الأساس يتطلب فضل الرجل الذي يريد أن يصبح زوجا لامرأة ما أن يتأكد من أن المرأة موافقة على الزواج منه. فبذلك يكون شأنه منذ البداية شأن "القوام" عليها ليصبح بذلك من العوامل لتأمين حرية العمل للمرأة. فإن لم يتأكد من أن المرأة موافقة على الزواج منه فعليه أن يعتبر الزواج باطلا ويرفضه لأنه من المقرر أن يكون الزواج بموافقة كلا الجانبين.**

**وعلى المرأة أن تخصب فضائلها لتختار الزوج على اساس الموازنة العدمية أي في خارج علاقات القوى ومن دون استخدام الجنس كأداة لاصطياد الرجل وأن تعلم أن الإسلام وباعتباره نظاما حقوقيا يكون حتى عصرنا هذا هو النظام الوحيد الذي منح صلاحية الزواج للمرأة والرجل اللذين يريدان أن يتزاوجا. فبالنظر إلى موقع المرأة في النظام الاجتماعي للاستسلام يتبين لنا أن الإسلام قد رأى صائبا أن تحول هذا النظام إلى نظام الإسلام يكمن في منح حق الإيجاب (المبادرة أو القبول الأول بالزواج) للمرأة وقرر ذلك فعلا. فمن حقها وواجبها أن تضع شروطا في الزواج توافق حقوقها الإنسانية ولا تعارض حريتها (الحرية بمعنى إخلاء الفكر والقول والعمل من الإكراه) ومنها كيفية الطلاق وكل ما يحصلون عليه خلال مدة الزوجية وأن تندرج هذه الشروط في ورقة عقد الزواج.**

**هنا من المبرر السؤال بأنه عندما لا يحق للفتى والفتاة أن يعاشر بعضهما البعض فكيف يمكن للفتاة أن تعجب بفتى وكيف يمكن أن ينشأ الحب في ما بينهما دون أن يرى ويعرف بعضهما البعض؟ هل تم من جهة منح حق الإيجاب والقبول للفتاة والفتى ولكن تم من جهة أخرى منع معاشرة بعضهما البعض؟.**

**الرد على هذا السؤال أن هناك حالات المنع في جميع الأنظمة الاجتماعية الاستسلامية. فحاليا في الغرب تمنع الحدود الطبقية من أن يعاشر المنتمون إلى طبقة أفرادا ينتمون إلى طبقة أخرى’ كما توجد هناك حدود في التصنيف الطبقي داخلى كل طبقة اجتماعية تضيق دائرة المعاشرة أكثر فأكثر. لقد أثبتت الدراسات التي أجريت حول دوائر اختيار الزوج أو الزوجة أنه وفي أي وقت تم فيه إلغاء حالات المنع القانوني’ فتمكنت صنوف حالات المنع المعتادة أو التقليدية في المجتمعات من إنشاء مختلف الدوائر التي تحدد وتضيق التعاملات من أجل المعاشرة واختيار الزوج أو الزوجة.**

**من البديهي أن الانتقالة من الاستسلام إلى الإسلام تستلزم إلغاء حالات المنع وإجازة حتى معاشرة غير المسلمين الذين لا ينصبون العداء للمسلمين والتواد معهم (117). لا توجد في القرآن أية آية تنهى عن المعاشرة بين المرأة والرجل حيث لم يكن من الممكن أن يعتبر المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض من جهة ويمنعهم من معاشرة بعضهم البعض من جهة أخرى. فإن المحصنين والمحصنات يجوز لهم إقامة علاقة الدماغ بالدماغ. ولكن هل يجوز للمرأة والرجل اللذين لم يتزاوجا بعد، أن يقيما العلاقة الجنسية في ما بينهما؟.**

**أحد الردود على ذلك هو الزواج الموقت. وفي الآونة الأخيرة في إيران اعتبروا الزواج الموقت حلا لمشكلة الشباب الجنسية (118). فإن القانون المدني الإيراني ينص في موادها من رقم 1075 إلى 1077 على جواز النكاح الموقت (نكاح المتعة) ويقول في تبرير ذلك (119):**

**"من الأمور التي تميز أصلا النكاح المنقطع عن النكاح الدائم هو أن المهر (الصداق) في النكاح الدائم ليس الركن الرئيسي فيما أنه يعتبر الركن الرئيسي في النكاح المنقطع. فعلى ذلك إذا لم يذكر المهر (الصداق) في عقد النكاح المنقطع فالنكاح باطل. ومن المبادئ الفقهية لهذه المفارقة أن النكاح المنقطع ووفقا للأحاديث والنصوص الواردة مع أنه ليس الاستئجار تلف عن الاستئجار من جوانب ولكن هناك تشابها كثيرا بينه وبين الاستئجار ولهذا يكون المهر في النكاح بمثابة بدل الإيجار وعلى ذلك يكون هو شرط صحة العقد. فعلى سبيل المثال يقول الإمام (ع): إنهن متأجرات (كتاب وسائل الشيعة) أي النساء اللواتي ينكحن النكاح المنقطع كأنهن مأجورات’ وقد وردت أحاديث كثيرة بهذا المضمون".**

**أما ما استند إليه مفسرون للقرآن في هذا الموضوع هو الآية 24 من سورة النساء والتي يقول في جانب منها ما يأتي:**

**"وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاء ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَالِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً".**

**يقول مفسرون إن هذه الآية تدل على جواز النكاح الموقت أو المنقطع لأنها تقرر للرجال أن يدفعوا "أجورهن فريضة". ويؤكد كتاب "تفسير نمونه" (التفسير المثالي) أن القصد هنا ليس فقط أطفاء الشهوة الجنسية (120):**

**"و(تبتغوا بأموالكم) في الآية المذكورة إشارة إلى أن العلاقة الزوجية لتكن إما على هيئة الزواج بدفع المهر وإما على هيئة تملك الأمة (ما ملكت أيمانكم) بدفع الثمن. كما إن عبارة "غير مسافحين" في الآية قد تأتي أيضا إشارة إلى حقيقة أن هدفكم في موضوع الزواج يجب أن لا يكون إطفاء الشهوة وإرضاء الهوى أو الغريزة الجنسية فقط وإنما يهدف هذا الأمر الحيوي إلى ما هو أعلى وهو ما قد تم جعل الغريزة الجنسية بدورها في خدمته وهو بقاء النسل وكذلك حمايته من التلوث بالمدنسات".**

**وهناك مفسرون للقرآن كانوا على معرفة بقضايا الواقع الاجتماعي واعتبروا أن الآية تبطل تعدد الأزواج ونوعا من تعدد الزوجات كان فيه النظام الاجتماعي هو الذي يحدد عدد زوجات كل من الرجال (121).**

**مع ذلك يعتبر كتاب "تفسير نمونه" (التفسير المثالي) أن عبارة «فمااستمتعتم به منهن فاتوهن اجورهن فريضة» في الآية المذكورة تشير إلى الزواج الموقت (المنقطع) أو ما يطلق عليه زواج المتعة لأنه "إذا تم تفسير الآية بمعناها في اللغة أي التمتع فبالتالي يكون معنى الآية كما يأتي: "إن استمتعتم من النساء اللواتي تزوجتم منهن زواجا دائما فادفعوا مهرهم". فيما نعلم أن دفع المهر ليس شريطا بالاستمتاع من النساء وإنما وحسب المشهور يكون دفع المهر أو ما لا يقل عن نصفه واجبا فور عقد الزواج الدائم".**

**ولكن الواقع أن الآية تسقط العادتين القذرتين ذاتهما. كان النكاح الموقت هو الآخر منتشرا قبل الإسلام. ويقول معارضو النكاح الموقت إن النبي وبعد فتح مكة حرَم هذا النوع من النكاح والآية لا تدل عليه. (122).**

**ولكن هل المرأة التي تجير جنسها ألا تعرض نفسها في الحقيقة كشيء جنسي لإرضاء الرغبة الجنسية للرجل؟ فيا للعجب! إن القرآن يمنع الرجال من النظر إلى النساء عن حب الشهوة. وبالرغم من أن الحب له دور في الغرام وأخذ الخليل والخليلة وينشأ الحب بين الكائنين ثم يتضاجعان فمع ذلك يحرّم القرآن على الرجل أخذ الخليلة وعلى المرأة أخذ الخليل (123). وفي البغاء أيضا توجر المرأة نفسها ويتم تحديد الأجرة أومبلغ الإيجار أيضا فلماذا يحرمه القرآن (124)؟ يرد على ذلك كما يأتي:**

**"إن البغية لا تعتد وإذا ولدت فإن مولودها ولد الحرام". علما بأنهم يتغافلون عما يوجد في قولهم هذا من التناقضات: أليست تحديد العدة وسن قوانين خاصة لنتائج المضاجعة هو إضفاء الطابع القانوني للبغاء؟. في العديد من الدول تم إخضاع البغاء لضوابط قانونية. والأهم إن قواعد القانون المدني الإيراني والآراء الفقهية المبررة لهذا القانون قد ركزت أو تمحورت على الرجل وهواه وحاجاته الجنسية. فبذلك إن الآراء الفقهية وقواعد القانون المدني تترجم التثنية الأحادية المحور التي تناقض التوحيد. كما ويتم هناك ثلاثة استدلالات أخرى أيضا:**

1. **كان الرجال يستغلون النساء جنسيا وعندما كانت تعقد نطفة ولد لم يكونوا يعتبرون أنفسهم مسؤولين عنه أو متعهدين عليه. فبتأسيس عقد الزواج المنقطع تخضع المرأة ويخضع ولدها إن أنجبت للحماية والرعاية القانونية. وبدوره لا ينظر المجتمع إلى المرأة بنظرة أنها "بغية". إن هذا الاستدلال لا يعني سوى أن الله عندما رأى أنه عاجز عن استجابة شهوة الرجل الجنسية التعسفية المنفلتة فرضي بأن يستجيب أهواءه على حدود الضوابط القانونية!. هذا الاستدلال هو الآخر ليس إلا إبقاء الرجل محورا وإضفاء الطابع القانوني لأهوائه التعسفية. إذا سألت الذين سنوا القانون المدني الإيراني والذين اختلقوا هذا الدليل هل الله تعالى أرسل نبيه ليأتي بقانون استئجار المرأة من أجل الرجال الأثرياء الباذخين (رجال الهوى)؟ هل تتأملون في أنكم وبذلك تسمحون للأقلية الثرية في المجتمعات باستئجار المرأة غير المتزوجة؟ هل تأسيس "دور المتعة" يوافق أحكام القرآن وسنة النبي؟ هل تعلمون أنه لو لم يكره المجتمع بشدة عقد المتعة ولم يعتبره مناقضا للقيم لباتت المجتمعات الإسلامية هي المثال الأول على البغاء والمفاسد التي حذر منها القرآن؟ ماذا سيكون ردهم؟**
2. **يقولون: إن المرأة والرجل يسددان كلاهما حاجاتهما الجنسية بطريقة قانونية وحسب ظنهم إذا تمت المضاجعة من دون عقد الزواج فهي زنا كما ينص عليه القرآن بصراحة (125) ولكن بالإيجاب والقبول تصبح المضاجعة عملا مستحبا! ولكن لو يصدقون فلماذا يقوم الرجل باستئجار المرأة؟ إن الحاجة الجنسية تبرز مع الحاجات الأخرى. إن الكون فرويدا أكثر من فرويد وإعطاء الأفضلية المطلقة للحاجة الجنسية لا يلغيان الإشكالية التي يؤخذ بها على الاستدلال السابق إضافة إلى إطلاق يد الأقلية الثرية في الاستيلاء على كل ما هو "الجنس" في المجتمع محولين المرأة والرجل والأكثر المرأة إلى شيء جنسي. كلا الاستدلالان يترجمان العقلية الاستسلامية أو فكرة الاستسلام إلا أن هذا الاستدلال يقيم الاستسلام الجنسي أيضا.**
3. **أما الاستدلال الأكثر معقولية’ فهو: يتزاوج الرجل والمرأة زواجا حقيقيا ولكن موقتا وربما يحولان الزواج الموقت إلى الزواج الدائم. فعلى ذلك لا يمكن القول إنهما لا ينويان إلا تسديد الحاجة الجنسية ولكن كل عمل يترجم نية والنية هي التي تضفي المعنى للعمل (126). إذا كان القصد هو إرضاء الغريزة الجنسية فقط سواء كان جانب أو كلا الجانبين يكونان قد تزاوجا موقتا بهذا الهدف فهذا العمل يعتبر من قبيل الاستئجار وعلى الأقصى يكون الجانبان بعضهما خليل البعض الآخر.**

**إن الذين ينظرون إلى العلاقات الجنسية "الحرة" في المجتمعات الغربية من خارجها يتصورون أن الفتيان والفتيات في هذه المجتمعات لا يعرفان عن الحرية الجنسية إلا التعامل العشوائي في المضاجعة. إن الفتيان والفتيات في هذه المجتمعات من الذين يكون هدفهم الوحيد من العلاقة الجنسية في ما بينهم هو إشباع أهوائهم الجنسية يفقدون شخصيتهم الاجتماعية وأخيرا يضطرون إلى مراجعة المحللين النفسيين وأطباء الأمراض النفسية. وتؤكد الأعراف والعادات المنتشرة بأنواعها في كل مجتمع من المجتمعات الإنسانية ليست المضاجعة هي بداية التعارف بين فتاة وفتى وإنما هي نهاية مسار التعارف ومرحلة بعد نشوء الحب بينهما وهي تترجم علاقة الصداقة. وربما لو تم تنظيم وإقرار أعراف المعاشرة والعادات الاجتماعية لما واجهت المجتمعات الغربية المشاكل الاجتماعية الحالية التي تعاني منها. فبذلك ولكي يتمكن الفتيان والفتيات من المعاشرة في ما بينهم ويمكن الحب والاختيار فيجب في الدرجة الأولى أن يكون الهدف من التربية هو تربية فضائل الفتيان والفتيات ثم تنظيم حالات المعاشرة في ما بينهم وفقا لهذه الفضائل. ففي المعاشرة التي لا يتخذ فيها الفتى والفتاة من الجنس سلاحا لاصطياد بعضهما البعض تكون الأدمغة هي التي تقيم العلاقة في ما بينها. فعلى ذلك يكون العمل الأساسي الضروري قبل كل شيء هو جعل المرأة صاحبة الفكرة وتحريرها من العقلية أو الفكرة الهوجاء بأن "المرأة المفكرة" تؤذي الرجل وهي العقلية التي تعتبر المرأة مجسدة للجنس فحسب وتربيها للجنس وليس إلا. فما لم تكن المرأة مؤمنة بالإنسانية لتشهد بذلك على مكانتها الإنسانية في مختلف مجتمعات "العالم الحديث" لن تحل المشكلة بإصدار القوانين والقرارات.**

**فعلى المرأة أن تحرر نفسها من نظام الاستسلام أي أن تعتبر نفسها صاحبة الفكرة وأن تقيم أهمية بالغة بنموها. لا يجب على الوالدين أن يحاولا إخضاع ابنتهما لرأيهما وأن يفرضا عليها ما يختارانه أو يفضلانه. بل يجب عليهما أن يتخذا من الأنبياء قدوة لهما وأن يعلما أنه وحسب سنة الأنبياء عليهما واجب باعتبارهما "قوامين" وهو أن يخليا سبيل ابنتهما لتختار زوجها بحرية ومن دون أي ضغط أو إكراه. كما وفي الزوجية أيضا لا يجب على الزوج أن يخضع الزوجة لرأيه وإنما عليه أن يعلم أنه وفي العقيدة لا يجوز الاعتماد على الإطاعة أو الخضوع كمبدأ بحيث أن القرآن يدعو الاولاد كثيرا إلى البر والإحسان للوالدين ولكنه يؤكد في الوقت نفسه ضرورة أن يقولوا الحق ولو على أنفسهم وعلى والديهم ولا طاعة في العقيدة (الإيمان) (127). وفي كل حال يكون من واجب الزوج بصفته "قواما" أن يحترم حرية الزوجة لتسعى في تنمية نفسها. ومن المشاكل التي تعاني منها العوائل بشكل متزايد في العالم الحديث وفي مختلف المجتمعات هي "برودة" الزوجة حيال الزوج و"برودة" الزوج حيال الزوجة وهذا بات "موذة" اليوم!.**

**لقد درسنا في مكانه موضوع "البرودة" عندما تكون لسبب الوقوع في حب شخص آخر. ولكنها إذا ما كان سببها عاهات جسدية ونفسية ففي هذه الحالة لابد من مراجعة الطبيب لعلاجها. عندما وصلت دراستي إلى هذا الموضوع تلقيت نصا ناتجا عن دراسات مثابرة في القرن العشرين وقبله حول الأمراض النفسية للنساء وأسبابها. هذا النص نشر من قبل قسم "سلامة الأسرة" التابع لمنظمة الأمم المتحدة. وحسب هذا النص إن السبب الذي يقف وراء أمراض النساء هو تعطيل النساء فضائلهن أو استخدامهن لها في التخريب أو حرمانهن من فضائل أزواجهن أو استخدام الرجال فضائلهم في تخريب فضائل وطاقات النساء (128). ومع أني رأيت بالتجربة أن العلم يؤكد حقا كلام القرآن فاندهشت بشدة بنتائج الدراسة.**

**فعلى أي حال يجب على الزوج والزوجة أن يعلما أنه عندما لم تكن حياتهما الزوجية سارة ودافعة لهما إلى الحماس والشوق والحب والنمو فعليهما أن يتذكرا فورا أنهما وبذلك عادا من الإسلام إلى الاستسلام. إن الحب يمكن تربيته. والفكر يصبح مبدعا في ظل أجواء تسودها الحرية فيما يصبح الفكر عقيما في ظل أجواء تسودها القوة (= العنف) والسلطة (= القوة). وفي الوقت نفسه عليهما أن يعلما برؤية موضوعية أنه حتى وإن يقعا قلبا في حب هذا وذاك فإن الله يعفو عن هذا العمل السيئ (129). ولكن عليهما أن يمتنعا عن متابعة الخيال حتى عندما يثير رغبة "جادة" وعن تسليم النفس له لأنه يضيع الزوجية أخيرا. فعلى كل من المرأة والرجل أن يستخدم فضائله لإنجاح التجربة الزوجية وأن يعلم أن الرضوخ لترك التجربة غير منجزة يمثل العودة إلى نظام الاستسلام وأن تكرار التجارب غير المنجزة يمثل تضييع الحياة. فعلى ذلك لا يجوز اتخاذ البرودة في العلاقات الجنسية مبررا للافتراق كما لا يجوز اعتبارها غير قابلة للحل. فعلى كل من الزوج والزوجة "المصابين بالبرودة" إذا تقاسما البرودة أن يعتبرا البرودة ناتجة عن تعطيل فضائلهما فعليهما وبدلا عن الرضوخ للفشل والافتراق أن يقوما بتربية فضائلهما ولا ينسيا أبدا أن الإنسان الحر ينشئ الحب في النمو وأن الفرق بين منشئ الحب والمستسلم للحب هو الفرق ذاته بين الإنسان الحر والإنسان المنسلخ عن الذات والأسير لدى نظام الاستسلام.**

**إن النساء والرجال الذين ينتهون عن قراءة هذا الكتاب يكشفون أمرا أساسيا وهو أن الكتاب استند إلى كل الآيات القرآنية المختصة بالموضوع وهي الآيات التي تبين طريقة الخروج من الاستسلام إلى الإسلام من دون أي تناقض أو تضارب في ما بينها وبأوضح بيان وأكثره صراحة. إن هذا الواقع يؤكد في حد ذاته أن الانطباعات والتفاسير المليئة بالتناقضات والتي قدموها عن الآيات القرآنية وبها اعتبروا المرأة كائنة مستسلمة والمتفعلة واعتبروا الرجل كائنا دافعا إلى الاستسلام ومستبدا ومتعسفا كما اعتبروا الزواج والزوجية خلية أو نواة لنظام الاستسلام، كلها انطباعات وتفاسير خاطئة.**

**على النساء والرجال الذين يعتبرون هذه الانحرافات إسلاما أن يتذكروا غفلتين ليتخلصوا منهما:**

1. **إن الفكر والنهج اللذين فيهما تناقض ليسا إلا كذبة. ولكن يمكن تمييز الكذب عن الصدق في الفعل الملموس بوجه خاص. في الحقيقة إذا احتاج الفكر والنهج المقترحين إلى القوة (= العنف) عند استخدامهما فلا شك أنهما كذب وخداع. فإن الفكر الدليل والنهج المحتويين على الكذب ليس أنهما يحتاجان إلى القوة (= العنف) عند الاستخدام فحسب وإنما يتسببان في الدمار والتقهقر إلى الوراء أيضا. لو اهتم الناس في القرن الحاضر بهذا الأمر البديهي لما شهد العالم كل هذه الحروب ونزيف الدم بذريعة "القضايا". فعلى ذلك إذا ما كان القرآن اعتمد نهج «لا إكراه فى الدين» فإن أي امر ديني يستلزم تنفيذه استخدام القوة (= العنف) فهو ليس الإسلام.**
2. **إن المؤشر على أن المبدأ الدليل للدين وهو التوحيد قد انسلخ عن الذات في التثنية الأحادية المحور هو أن الأوامر والنواهي الدينية تتلخص في مجموعة متناقضة من الأشكال الأمرية. فإن ديكتاتورية البهلويين في إيران والانظمة الديكتاتورية الأخرى التي نصبها الغرب على السلطة في البلدان الإسلامية وغير الإسلامية أحلت بقوة الأشكال "الحديثة" أو "المتطورة" محل الأشكال "القديمة" أو "المتخلفة". ولهذا السبب صارت مجتمعاتنا تعاني منذ قرن من الحرب على الأشكال. فيما تم إيقاف الجدل والمناظرة في المضامين!. إن المجتمعات التي لا يمكن فيها الإضحاك والإبكاء والإحلال والتحريم وممارسة الحب والبغض من دون استخدام القوة (= العنف) والتخريب قد وقعت في فخ نظام الاستسلام وباتت تعاني من المفاسد.**

**إن الديكتاتورية وخاصة الديكتاتورية الدينية لا يمكن لها أن تسمح بالمجادلة والمناظرة على المضمون ولا الشكل بل إنها تقطع الأرجل التي تتخذ خطوات لطرح المضمون كونها تهدف إلى إبقاء المجتمع قيد الأشكال. لماذا لا يمكن لها؟ لسببين أساسيين للغاية: أحدهما أن السماح بتناول المضمون والجدل حول المضمون يرافق لا محالة قبول حرية فكر وعمل الإنسان. فعلى سبيل المثال إن الحجاب و... إلخ قضايا يجب أن تصبح مواضيع الجدل في المجتمع. إن الجدل في مضمون هذه القضايا يتطلب تهيئة أجواء الحرية للفكر والتعبير وكذلك يتطلب أن يقبل الجميع حرية الإنسان في طريقة العيش أو بعبارة أخرى يتطلب الرضوخ للأمور التالية: المرأة هي التي لتقرر أن تتحجب أو لا تتحجب، والرجل هو الذي ليقرر أن يلبس ربطة العنق أو لا يلبسها و... إلخ. ولكن إن رضخت السلطة الديكتاتورية لحرية وحقوق الإنسان ألم رضخت لحلها وانهيارها؟ بلى، في الحقيقة تعتبر كل سلطة ديكتاتورية أن إصدار الأوامر والنواهي من حقها فقط ولا من حق غيرها. فليس أفراد المجتمع هم الذين يقررون مضمون وشكل معيشتهم وإنما السلطة الديكتاتورية هي التي تقرر ذلك أي تقرر وتحدد أشكال معيشتهم ولكنها لا تتمكن من أعطاء المضمون للشكل الذي تفرضه على أفراد المجتمع لأن القوة (= العنف) عاجز عن ذلك تماما. ولهذا السبب لم تتمكن الأنظمة الديكتاتورية المنبهرة بالغرب من إعطاء أي مضمون للشكل الغربي. إن الشكل المتغرب في المجتمعات الخاضعة للسطلة قد بقي غير متوافق مع المضمون. ولكن المضمون الغربي لم يخترق هذه المجتمعات. إن مثل الأنظمة الديكتاتورية مثل حشرة المن (الدودة القارضة) التي تعتبر من آفات القمح حيث تأكل جوف الحنطة وتبقي قشرها أي تجوفها وكذلك هذه الأنظمة أيضا تجوف المجتمع ويضطره إلى العيش في أشكال جوفاء وهذا هو السبب الذي يقف وراء توقف المجتمعات المنكوبة بأنظمتها الديكتاتورية عن النمو. أما السبب الثاني الذي مازال هو السبب الأهم فهو:**

**إن الفكر الحر يحتاج إلى حرية انسيابية المعلومات والميزات والطاقات والإبداعات. فإن السلطة الديكتاتورية ليست قادرة على الإبداع وفي الوقت نفسه ليست قادرة على تحمل حرية الفكر والقول والعمل لأن تحقيق تلك الحرية من شأنه حل السلطة الديكتاتورية. فعلى ذلك لا يتم إخلاء الفكر والقول والعمل من الإكراه إلا بعد أن أصبح الفكر مبدعا وأصبح القول خاليا من من الكذب والشتم وأصبح العمل خاليا من التخريب وخلاصة القول أن تحرر الإنسان من القوة (= العنف) يأتي دليلا على خلو فكره وقوله وعمله من الإكراه سواء أكانت القوة والإكراه من الداخل أم كانت القوة والإكراه من الخارج. أما الدليل على تحرر الإنسان من الإكراه فهو ما يأتي:**

1. **من المستحيل أن يتمكن الإنسان الحر من أن يظهر على شكل أو هيئة لم يظهر مضمونه أو لم يعرفه خلال حياته. و**
2. **إن المضمون الذي يفرضون شكله على الإنسان لا يسدد الحاجة التي تكون الحياة الاجتماعية قد خلقتها في البيئة الطبيعية. فمن هذا المنطلق لابد للإنسان ان يفقد حريته إذا أراد أن يقبل هذا الشكل او ذاك. لهذا لا يمكن فرض اتخاذ هذا الشكل أو ذاك على الأفراد إلا في ظل الديكتاتورية. وعندما تم فرض الشكل يبقى الإنسان أجنبيا مما يجعله منسلخا عن الذات أو متجانبا عن ذاته. عندما تصبح كل التعاملات في مجتمع ما على الأشكال فقد بات ذلك المجتمع عقيما. كل المكتوبات والمنطوقات التي ومن وراء الشكل "تنتقد" الإسلام وطريقة العيش في المجتمعات الإسلامية أو التي منها تنتقد الغرب في العالم الإسلامي وباسم الإسلام ليست إلا الأشكال التي "تنتقد" هي ولا غيرها ولم تكن تتمكن ولا تتمكن ولن تتمكن من خوض الجدل في المضمون لأنها ليست قادرة على "استهزاء" أو "انتقاد" أشكال ما إلا على أساس المضامين المعروفة لدى المجتمعات الغربية أو الشرقية.**

**نظرا لهذين الأمرين البديهيين اللذين يتم التغافل عنهما عادة فعلى كل امرأة ورجل أن يتساءل: ألم تصبح القوة (= العنف) هي أساس العلاقات في العائلة منذ أن أضفت المجتمعات الإسلامية على لآيات القرآنية وأقوال وأفعال أولياء الدين معاني متناسبة مع الاستسلام حيث اعتبرت المرأة كائنة دون الإنسان؟. أليست الديكتاتورية في العوائل هي التي أنشأت الأنظمة الديكتاتورية وجعلت المجتمعات الإسلامية أسرى بأيدي الأنظمة الديكتاتورية المتواطئة مع السلطويين الأجانب ومحكومة بالتقهقر إلى الوراء؟ إذا لم يكن الرد على هذا السؤال إلا نعم فهل يضر أحدا أن يتم ولو لمدة قليلة انتهاج الطريقة التي تقترح في هذا الكتاب؟ إن ما تم إيضاحه في هذا الكتاب من فكر وطرق خال من التناقض. إن المرأة والرجل اللذين يستخدمان هذا الفكر وهذه الطرق في الزواج والزوجية لن يحتاجا إلى القوة بل يتزايد الحب في ما بينهما على مر الزمن وهو الحب الحقيقي الذي يصنعانه هما بفعل وفكر مبدع من أنفسهما. وحتى إذا اعتمد أحد الزوجين هذه الطريقة فلا يستخدم القوة في الزوجية إلا زوج لم يستخدم هذا الفكر وهذه الطرق. وإذ إن الضرر المترتب على استخدام القوة يعود ويلحق به نفسه فيضطر إلى أن يقوم تدريجيا بتقليص نسبة القوة التي يستخدمها الأمر الذي يؤدي إلى خصوبة العائلة.**

**إن أي امرأة ورجل لا يرضخان للزواج والزوجية في ظل نظام الاستسلام ويتخذان من الزواج والزوجية طريقا للتخلص من الاستسلام والخروج منه إلى الإسلام فهما أصدرا بذلك أوامرهما بحل نظام الاستسلام. فيجب الاهتمام بكل تثمين بحرية ونمو المرأة وبحرية ونمو الرجل وبالعوائل التي تترجم الحرية والنمو، حيث قال الله تعالى:**

**فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا (الآیة 20 من سورة آل عمران) أي إن الذين يعتنقون الإسلام فيتحررون متنامين.**

# المصادر والإيضاحات:

**1- القرآن، سورة النحل، الآية 71 وسورة يس، الآية 47 و...**

**2- أبو الحسن بني صدر، كتابه "كيش شخصيت" (عبادة الشخصية) بالفارسية.‏**

**3- القرآن، سورة البقرة، الآية 256 وسورة الإسراء، الآيات من 15 إلى 38. في هذه الآية اعتبرت الأفكار والأقوال والأعمال التي تتضمن القوة (= العنف) مكروهة لدى الله، خاصة أن الآية أكدت للوالدين ضرورة تربية أولادهما بالمحبة وللأولاد أن يتعاملوا مع والديهم بكل احترام ومودة ومحبة.**

**4- القرآن، سورة الأنعام، الآيات من 125 إلى 127 والأنفال، الآية 43 والنحل، الآية 89 والنمل، الآية 42 ويونس، الآية 25 والزمر الآية 22 والجن، الآية 14 و...**

**5- القرآن، سورة الصافات بكامل السورة.**

**6- القرآن، سورة الروم، الآيات من 29 إلى 48**

**7- القرآن، سورة الروم، الآية 30. وصديق باحث قام بعملين قيمين أرسلهما إلي واستفدت منهما كثيرا كثيرا أحدهما رأي "كانت" حول العفوية أو الفيضان الذاتي والآخر خلاصة الكتاب التالي:  verbatLiebe un Ehe oder: wie sich die Spontanitat des Herzens zu den Normen der**

**Gesellschaft**

**من تأليف Gunter Safe وترجمه من الألمانية إلى الفارسية. الكتاب الأول يشرح تأثير المضايقات الاجتماعية على افتقاد العفوية في العلاقات بين الحبيبين. إن مقارنة تعريف العفوية على أساس التوحيد مع العفوية على أساس التثنية، تعلّم المتعقلين درسا كبيرا. مع ذلك إن العفوية القائمة على مبدأ التثنية أيضا تتحقق عندما لا تكون هناك فعلة.**

**8- القرآن، سورة الروم، الآية 21**

**9- القرآن، سورة النساء، الآية 19**

**10- إن عدم تعليم القراءة والكتابة للبنات كان أمرا عالميا شاملا لأن الناس كانوا يعتبرون معاشرة المرأة سببا لتدني الرجل وكان تعلم الكتابة حسب ظنهم يدفع النساء إلى التواصل مع الرجال ومعاشرتهم وكان يتسبب في انحرافهن. في كتابنا هذا قرأتم آراء الفلاسفة ورجال الدين وعلماء الأخلاق وكتّاب الغرب. أما في الشرق فكان فيلسوف مثل الملا صدرا يعتبر معاشرة النساء واحدا من الأعمال الشريرة الخمسة التي يجب تجنبها. وحسب الدراسات التي تم جمعها في مجموعة واحدة فإن هذه الفكرة أو العقلية لا تزال قائمة في البلدان الإسلامية والمسيحية المطلة على الحوض المتوسط. راجعوا كتاب "عرفان وعارف نمايان" (العرفان والمتظاهرون به) باللغة الفارسية وترجمة كتاب "كسر أصنام الجاهلية" لمؤلفه صدر الدين محمد الشيرازي (الملا صدرا) ص 157 وكذلك Femmes et Pouvoire، و مجموعة المقالات في مجلة  Mediterraneespeuple الفصلية، العدد 49**

**11- بإشراف ناصر مكارم شيرازى، تفسير نمونه، ج 2، ص ص 369 إلى 374**

**12- بإشراف ناصر مكارم شيرازى، تفسير نمونه، ج 4، ص 149**

**13- القرآن، سورة التوبه، الآية 71**

**14- القرآن، سورة الروم، الآية 21**

**15- القرآن، سورة الشورى، الآية 38**

**16- القرآن، سورة البقرة، الآية 256**

**17- من خطبة النبي في حجة الوداع والقرآن أيضا يؤكد أن اعتبار الرجل زوجته وأولاده قرة عين له وكونه يدعو الله أن يجعلهم قرة عين يأتي دليلا على تقواه. وهذا هو الدليل على تقوى المرأة أيضا: سورة الفرقان، الآية 74**

**18- القرآن، سورة البقرة، الآية 237**

**19- القرآن، سورة النساء، الآية 32**

**20- القرآن، سورة الذاريات، الآية 49 و..**

**21- القرآن، سورة النساء، الآية 1 وسورة النحل، الآية 72 و...**

**22- القرآن، سورة البقرة، الآية 187 وسورة النساء، الآية 19 وسورة الروم، الآية 21 (المودة بين المرأة والرجل) و سورة الأحزاب، الآية 35 (في وصف المؤمن والمؤمنة) و سورة البقرة، الآية 83 وسورة النساء، الآية 36 وسورة الإسراء، الآية 23 و سورة الأحقاف، الآية 17 (البر والإحسان بالوالدين) و...**

**23- القرآن، سورة النساء، الآيتان 19 و 127 و سورة النور، الآية 23 و...**

**24- القرآن، سورة النساء، الآيتان 3 و 129 و....**

**25- علاوة على االمبحثين الأول والثاني من هذا الكتاب أنجزت دراسة أخرى حول الإنسان في القرآن نشرت باللغة الإيطالية وسوف يتم ضمها إلى الطبعة الجديدة من كتابي "حقوق الإنسان في القرآن" كفصل منه. وقد تمت فيها دراسة فضائل النساء كما ورد في القرآن. ومن المصادر المذكور أو غير المذكورة في الكتاب يمكن لكم مراجعة المصادر التالية:**

**القرآن، سورة الشورى، الآية 20 التي تعتبر الجنة حرثا (مزرعة) يجب الزرع فيها في الدنيا (مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ) و سورة الالبقرة، الآية 205 التي تعتبر إهلاك الحرث والنسل فسادا في الأرض (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ) وسورة النساء الآية 1 (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) و سورة الكوثر التي تعتبر المرأة في وصف بنت النبي (ص) ينبوع الحياة ومصدرا للخيرات (إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ) وسورة الروم، الآية 21 التي تبين ما وهب الله الرجل من فضل وهو السكن إلى المرأة (وَمِنْ آَيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً) وسورة الأعراف، الآية 189 التي تتحدث عن السكن وتوثيق المحبة والأمومة (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا) وسورة الصافات، الآية 101 التي تصف فضل الأمومة الذي أصبح به المستحيل ممكنا (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) وسورة القصص، الآيتان 7 و 88 اللتان تصفان فضل إبداع كل من أم موسى وزوجة فرعون حيث ألقت الأولى ولدها في الماء والثانية ربته في قصر فرعون (وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) وسورة آل عمران، الآيات من  45 إلى 48 وسورة المؤمنون، الآية 50 وهي الآيات التي تصف مريم وإبداعها الفريد: ولادة النبي عيسى المسيح (ع) (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آَيَةً) وسورة لقمان، الآية 14 التي توصي ببر الوالدين خاصة الأم بسبب فضل الأمومة (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ) إضافة إلى أحاديث نبوية متكررة و... إلخ.**

**26- إن فضل كسب الرزق قيمة أقل من فضل الأمومة. مع ذلك وفي نظام الاستسلام المال قدرة والأمومة ضعف! فعلى أي حال إنه الفضل الذي وحسب القرآن يجب إنفاقه للذين أيضا لديهم قدر أقل من هذا الفضل. مع ذلك إن النفقة في الزوجية حق للمرأة على الرجل.**

**27- إن الذين نظروا إلى القرآن بواسطة فكر (عقلية) الاستسلام قد قلبوا المفاهيم القرآنية قائلين: إن الله خلق المرأة لكي يسكن بها الرجل. كما وفي الغرب ظهر رأي مؤخرا يعتبر أن الرجل بإمكانه أن يستغني عن المرأة وحتى أن يلد والعكس أيضا!. إن تجربة التاريخ تقول إن أيا من الرجل والمرأة لا يتمكن من كسب فضائل الآخر بكاملها والنجاح في تنمية طاقاته بكاملها. على سبيل المثال راجعوا:**

**Elisabeth Badinter, XY De L,Identite Masculine صص 46 و 47**

**28- إن القرآن يعتبر صائبا أن كون النساء قيد العبودية في أي قوم يأتي دليلا على كون ذلك القوم يعيش في الذل والهوان خاضعا للسلطة، سائلا الرجال: لماذا لا تقومون بالدفاع؟: سورة الالبقرة، الآية 49 وسورة النساء، الآية 75 وسورة الأعراف، الآيتان 127 و141 وسورة إبراهيم، الآية 6 وسورة القصص، الآية 4 وسورة الغافر، الآية 25 و...**

**29- القرآن يصف الطاقات وصنوف القيادة و"القوام" وكل حالات الصلابة والقيم والنعم والرحمة والعدالة والفكر والقول والعمل الخير أو الحسن وو... إلخ وكذلك العلم بأنها فضائل. على سبيل المثال في سورة البقرة، الآيات 489 و 122 و 140 و 237 و 251 و 253 و سورة آل عمران، الآية 73 وسورة النساء، الآيات 34 و 69 و 70 و 95 و سورة المائدة، الآية 54 و سورة الأنفال، الآية 29 و سورة الرعد، الآية 14 و سورة النحل، الآية 16 وسورة الإسراء، الآيات 21 و 55 و 70 و سورة المؤمنون، الآية 24 وسورة الفاطر، الآية 32 و سورة النمل، الآية 27 وسورة الشورى، الآيتان 22 و 23 و و...**

**30- القرآن، سورة آل عمران، الآية 14**

**31- القرآن، سورة النساء، الآية 19**

**32- ابوالحسن بنى صدر، كتاب "اصول راهنماى اسلام" (المبادئ الدليلة للإسلام) فصل العدالة – الصادر باللغة الفارسية.‏**

**33- القرآن، سورة النساء، الآيات 7 و 20 و 22 و 127**

**34- القرآن، سورة النساء، الآية 24 و سورة النور، الآية 33**

**35- القرآن، سورة النساء، الآية 20**

**36- القرآن، سورة النساء، الآية 19**

**37- القرآن، سورة البقرة، الآيات 230 و 231 و 232**

**38- القرآن، سورة الأحزاب، الآية 4**

**39- القرآن، سورة المؤمنون، الآيات 5 و 6 و 7 وسورة المعارج، الآيات من 29 إلى 31**

**40- القرآن، سورة النساء، الآيات من 128 إلى 130**

**41- القرآن، سورة البقرة، الآية 228 و سورة النساء، الآية 128**

**42- حسب القرآن، إذا فقد رجل العفة فعلى المرأة أن لا تخرج من طريق العفاف. فعلى المرأة والرجل أن يعملا وفق الأمر القرآني: "لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا" (سورة المائدة، الآية 8) الذي تساوي الموازنة العدمية. والآيات من 1 إلى 11 من سورة النور، تعلم الأحرار طريقة التعلم.**

**43- القرآن، سورة النور، الآيات 12 و23 و 24**

**44- القرآن، سورة البقرة، الآية 102**

**45- القرآن، سورة النساء، الآية 35**

**46- إن تعليم القرآن لزوجة النبي (ص) في الآية 1 من سورة التحريم تعليم عام يجب على كل زوج وزوجة أن ينفذه.**

**47- القرآن، سورة يوسف، الآية 24**

**48- القرآن سورة يوسف، الآيات من 29 إلى 33**

**49- القرآن، سورة يوسف، الآيات من 54 إلى 56**

**50- القرآن، سورة النساء، الآية 3**

**51- القرآن، سورة النساء، الآية 129**

**52- تفسير نمونه، ج 4، صص 153 إلى 156**

**53- القرآن، سورة النساء، الآية 130**

**54- تفسير نمونه، ج 4، صص 153 إلى 155**

**55=- القرآن، سورة الأعراف، الآية 189 وسورة الروم، الآية 21**

**56- التوراة والإنجيل باللغة الإنجليزية، The Jerusalem Bible من منشورات Rerader,s Edition، حق الولادة، ص 210 و وستر مارك - Westermarck، عالم اجتماعي هولندي (1966-1862). كتابه الشهير MoroccoRitual and Belief in. حميد الله، مترجم القرآن باللغة الفرنسية قد نقل تعدد الزوجات لدى اليهود والمسيحيين عن دراسة هذا الباحث والعالم الاجتماعي. ص 98 القرآن ترجمة حميد الله باللغة الفرنسية.**

**57- تعدد الزوجات لم يمنع في كتاب أوستا للزراتشت ولكن منعت العلاقة الجنسية الخارجة عن الزواج أي البغاء والزنا و... إلخ. وفي العائلة الزراتشتية وبالاعتماد على القدرة المالية للرجل كانت هناك إضافة إلى زوجات الملك "نساء خادمات" أيضا. على سبيل المثال راجعوا كتاب "ايران در زمان ساسانيان" (إيران في العهد الساساني) باللغة الفارسية، كتبه آ. كريستن سن، ترجمة رشيد ياسمى، ص 227 وكذلك كتاب "زن در اسلام و اروپا" (المرأة في الإسلام وأوربا)، لكاتبه حسن صدر، صص 42 و 43.**

**58- جدل 13 أنسيكلوبيدي (موسوعة) اونورساليس، ذيل كلمة تعدد الزوجات (Poligamie)**

**59- حديث نبوي**

**60- القرآن، سورة آل عمران، الآية 40 و سورة مريم، الآيتان 5 و 8 و سورة الحديد، الآية 26**

**61- القرآن، سورة القصص، الآية 23**

**62- حديث نبوي‏**

**63- القرآن، يؤكد للإنسان المتعلم في بداية سورة الأنبياء أن لا يحسب النصيحة والدرس لهوا ولعبا (اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ) ثم يعلم درس التجربة لعائلات الأنبياء الذين وبرغم المصائب والشدائد التي تحملوها أصبحوا وبقوا بناة لتاريخ التوحيد والحرية والنمو ومنهم إبراهيم وموسى ومحمد وأنبياء غيرهم كداوود وسليمان وأيوب وإسماعيل وإدريس ويونس وزكريا و...**

**64- القرآن، سورة التوبة، الآية 71**

**65- القرآن، سورة هود، الآية 81 وسورة التحريم، الآية 10 و...**

**66- القرآن، سورة الأحزاب، الآيتان 28 و 29**

**67- القرآن، سورة التحريم و الأنفال، الآية 37**

**68- حديث نبوي‏**

**69- القرآن، سورة البقرة، الآية 66**

**70- القرآن، سورة النور، الآية 26**

**71- القرآن، سورة المائدة، الآية 5**

**72- يكتب حميد الله في ترجمة القرآن باللغة الفرنسية، في إيضاح معنى الآية 5 من سورة المائدة، قائلا: يجوز للمرأة من أهل الكتاب أن تشرب حتى الخمر. والمفسرون الآخرون للقرآن أيضا رأوا أن المرأة يجوز لها تنفيذ ما هو حلال أو حرام في دينها.**

**73- "من دون بنتي إطلاقا" عنوان كتاب من تأليف سيدة أمريكية زوجة طبيب إيراني وكتبته بعد خروجهما من إيران. هذا الكتاب ونظرا للأجواء المعادية لإيران والإسلام والتي جعلتها أعمال نظام الملالي الديكتاتوري تسود العالم قد تم نشره بمختلف اللغات وأصبح من أكثر الكتب إقبالا لشرائه. كما تم إعداد وإخراج فلم عما يتضمنه الكتاب. نعم طبعا ومن المعروف أن الأعمال الشريرة التي ارتكبها ويرتكبها نظام الملالي الديكتاتوري لا تبرر اختلاق الأكاذيب ضد الإيرانيين. ولكن وفي ظل نظام الاستسلام لا تدخر المجتمعات أي جهد وأي صرف من الأموال لحرمان أنفسها من الحق.**

**74- استند ابوبكر في ترجمة القرآن باللغة الفرنسية وفي إيضاح معنى الآية إلى تفسير الطبري قائلا إن المرأة المسلمة لا يجوز لها الزواج من العبد أيضا الأمر الذي يعارض نص الآية 221 من سورة البقرة.**

**75- القرآن، سورة البقرة، الآية 221**

**76- تفسير نمونه‏7 ج 4، صص 281 إلى 284**

**77- كتاب "أوستا" للزراتشت، المترجم باللغة الفرنسية، ج 2، صص 374 إلى 386 وكتاب "زن در شاهنامه" (المرأة في شاهنامه) باللغة الفارسية كتبه ابوالحسن بنى صدر.**

**78- حسن بيرنيا أشار في كتابه "در ايران باستان" (في إيران القديمة) باللغة الفارسية إلى ما قام به إسكندر اليوناني من أعمال لخلط الإيرانيين باليونانيين. كما راجعوا كتاب "تاريخ ايران از آغاز تا انقراض قاجاريه" (تاريخ إيران من البداية إلى سقوط أسرة قاجار الملكية) باللغة الفارسية، من تأليف الدكتور محمد دبير سياقى، صص 136 و 137**

**79- القانون المدنى الإيراني، المادتان 1059 و1060**

**80- التوراة والإنجيل باللغة الإنجليزية، القواعد السائدة في الزواج، صص 126 و 127 وكتاب "قيمة المرأة" ص 187 وكتاب "القواعد السائدة في حياة الأقوام الأجنبية" ص 257 وكتاب "نساء سامسون وانحطاطه وانحطاط سليمان"، صص 374 إلى 377 وكتاب "إنذار عديم الجدوى من رب بني إسرائيل لسليمان وسليمان في ذروة سلطته"، صص 404 إلى 406 وكتاب "الزواج من الأجانب يلغى"، صص 504 و 505.**

**81- القرآن، سورة النساء، الآيتان 75 و 127 والآيات الخاصة للجهاد وخصوصا الآيات من 95 إلى 99 من السورة ذاتها.**

**82- القرآن، سورة الجن، الآية 14.**

**83- القرآن، سورة الممتحنة، الآيتان 10 و 11 وكتاب "حقوق الإنسان في الإسلام" من تأليف ابوالحسن بنى صدر (باللغة الفارسية وترجمته إلى العربية ستنشر في وقت قريب)، صص 118-115.**

**84- القرآن، سورة الإسراء، الآية 36**

**85- أنسيكلوبيدى (موسوعة) اونيورساليس، ج 2 ذيل كلمة أصالة الإنسان (Humanisme) ودراسة بعنوان "ظهور نحلة أصالة الإنسان ومسار تطورها في الغرب" دراسة غير منشورة أعدها وكتبها ابوالحسن بنى صدر**

**86- في كتاب "نهج البلاغة" اعتبرت المرأة "ذات إيمان ناقص" وتم تأكيد "ضرورة التجنب من مشاورة المرأة" والتوصية بـ "الامتناع عن اتباع رأي المرأة" ونسبت هذه الأقوال إلى الإمام علي (ع) علما بأنها لا توافق القرآن ولا يمكن اعتبارها مما صدر عن الفكر الحر للإمام علي (ع). كتبت السيدة فاطمة علائي رحماني مقالا بعنوان "صورة المرأة في نهج البلاغة" رسمت فيه صورة أحادية الجانب للمرأة في القرآن (صحيفة "اطلاعات" الإيرانية العدد المؤرخ بـ 28 مايو – أيار 1994) حيث شككت في صدور هذه الأقوال عن الإمام علي (ع).**

**87- راجعوا صص 21 إلى 30 من الكتاب ذاته وكذلك كتابNicomaqueAristote, Ethique de   من منشورات  دار النشر Garnier  Flamarion. جاء في هذا الكتاب أن أرسطو يعتبر الناس العاديين ملازمين بالملذات مثل العبيد ويقول إن النخبة هم الذين يلاقون السعادة ولا غيرهم كونهم يتسمون بروح عاقلة وإن التفكير من فعل النخبة فقط! وهو يصنف الملذة إلى التأمل في الكون. وعلى أساس ذلك يعتبر أنه لا تمكن المساواة بين الإنسان الداني والإنسان العالي ويعتبر النساء في سلّم درجات الناس كائنا في عداد "الإنسان الداني" وناقصا ويعتبر أن مهمتهن هي تمتيع الرجال ويقول إن الود لا يمكن أن ينشأ بين النساء والرجال لأن الود ينشأ فقط بين أصحاب الأرواح العاقلة. وفي اليونان القديمة عندما كان أحد يموت ولم يبق منه إلا بنت كان أقرب رجل من العائلة يرث ما تركه الميت ولكنه كان مضطرا لأن يتزوج من البنت! ويقول أرسطو استنادا إلى هذا القانون: في بعض الأحيان تمسك نساء بمقاليد الأمارة والحكم ففي هذه الحالة لا تنبع هذه الأمارة من التقوى وإنما تنبع من الثروة والسلطة.**

**88- حديث للإمام الصادق (الأمام جعفر الصادق الإمام السادس للشيعة)**

**89- القرآن، سورة القمر، الآية 49**

**90- القرآن، سورة الطلاق، الآية 7**

**91- Daniel Lagache, Situatoin de L,Agressivite  المدرج في  No 1,Bull Psychol vol XIV,  0691**

**92- Sigmond Freud, Probleme economique deu Masochisme**

**93- صص 140 إلى 144   PsychanalyseS. Freud, nouvelles Conferences d,Introduction a la من منشورات دار النشر Galimard**

**94- آنسيكلوبيدى (موسوعة) اونيورساليس ج 14، ذيل كلمة السادية (Sadiisme)**

**95- القرآن، سورة النور، الآية 27 وسورة الأحزاب، الآيتان 52و 53**

**96- على سبيل المثال راجعوا كتاب "أوستا" (كتاب زراتشت)، المترجم إلى الفرنسية، ج 2، بما في ذلك صص 30 إلى 35 و القرآن، سورة الشورى الآية 20**

**97- أبوبكر، ترجمة القرآن باللغة الفرنسية، في إيضاح الآية 223 من سورة البقرة‏**

**98- القرآن، سورة البقرة، الآية 223 و كتاب "برتوى از قرآن" (ضوء من القرآن) في تفسير أجزاء من القرآن باللغة الفارسية، لكاتبه السيد محمود طالقانى، ج 2، صص 134 و135 وكتاب "تفسير نمونه" (التفسير المثالي) باللغة الفارسية، ج 2، صص 96 إلى 98، والقرآن ترجمة أبوبكر باللغة الفرنسية، إيضاحات حول الآية‏**

**99- القرآن، سورة الأحزاب، الآية 35**

**100- القرآن، سورة الفرقان، الآية 74**

**101- حديث نبوي: "خير ما يخلف الإنسان بعده ثلاث: ولد صالح يدعو له، وصدقة جارية تجري يبلغه أجرها، وعلم ينتفع به من بعده" فحسب هذا الحديث كل من تتبقى منه أعمال خيرة وأولاد بررة فضلاء علماء فحياته خالدة.**

**102- القرآن، سورة النساء، الآية 19**

**103- كما نقله السيد محمود طالقانى في كتابه "برتوى از قرآن" (ضوء من القرآن) في تفسير أجزاء من القرآن باللغة الفارسية، ج 2، ص 152**

**104- القرآن، سورة المجادلة، الآيتان 1 إلى 4**

**105- القرآن، سورة البقرة، الآيات 229 و231 و232 و237 و241 و سورة الأحزاب، الآية 49 و سورة الطلاق، الآية 1**

**106- المادة 147من القانون المدني السويسري والمادة 306 من القانون المدني الفرنسي تجيزان أن يتحول طلب الافتراق الجسدي بعد ثلاث سنوات إلى طلب الطلاق.**

**107- القرآن، سورة البقرة، الآيتان 226 و 227**

**108- كتاب "برتوى از قرآن" (ضوء من القرآن) في تفسير أجزاء من القرآن باللغة الفارسية، للسيد محمود طالقاني، ج 2، ص 142**

**109- أدرج في القانون المدني طلاق الخلع (عندما تكره الزوجة زوجها) في المادة 1146وطلاق المباراة (عندما تكون الكراهية من كلا الجانبين) ، ولكن الأصح أن يتم من الشروط عند عقد الزواج حسم وتحديد كيفية الطلاق وترتيباتها في حالة نشوء الكراهية لدى أحد الزوجين حيال الآخر أو في ما بينهما.**

**110- القرآن، سورة البقرة، الآيتان 230 و231**

**111- حديث  نبوي‏**

**112- كتاب "تاريخ حقوق إيران" باللغة الفارسية، كتبه جعفر لنكرودى، ص 339**

**113- الأعداد من 19 إلى 22 لجريدة "مكتب مبارز" (باللغة الفارسية) الناطقة بلسان «اتحاد الجمعيات الإسلامية للطلاب الإيرانيين في أوربا والجمعية الإسلامية للطلاب الإيرانيين في أمريكا وكندا» وكذلك موسوعة «هزار سال نثر فارسى» (النثر الفارسي في ألف سنة) (باللغة الفارسية) الكتاب الثالث صص 627 و 632، نقله مرتضى راوندى، وكتاب "تاريخ  اجتماعى ايرانيان" (التاريخ الاجتماعي للإيرانيين) (باللغة الفارسية)، ج 6، الفصل الأول، ص 98**

**114 و 115- القرآن، سورة الأحزاب، الآيات من 28 إلى 33**

**116- القرآن، سورة البقرة، الآية 237 يؤكد أن «عقدة النكاح» من حق المرأة أو من له حق الرأي باسمها. ومن المذاهب الإسلامية يكون المذهب الحنفي هو الوحيد الذي يدعي أن الآية تقصد الزوج. ومع ذلك إن الإيجاب أو القبول الأول هو في جميع المذاهب من حق المرأة. كما تنص المادة 1070 من القانون المدني الإيراني على كون عقد الزواج المسبوق بالإكراه باطلا.**

**117- القرآن، سورة الممتحنة، الآيتان 7 و8**

**118- السيد رفسنجاني هو الذي وجد هذا الحل!**

**119- السيد مصطفى محقق داماد هو الذي أورد التبريرات الخاصة للمواد التي تنص على جواز العقد المنقطع في كتابه بعنوان "بررسى فقهى قانون خانواده" (دراسة فقهية لقانون العائلة) (من سلسلة دراسات الحقوق المدنية) من منشورات دار نشر العلوم الإسلامية، الطبعة الثالثة.**

**120- كتاب "تفسير نمونه"، ج 3، صص 334 إلى 336**

**121- القرآن، ترجمة جاك بيرك باللغة الفرنسية، الهامش في إيضاح الآية 24 من سورة النساء**

**122- القرآن، ترجمة أبوبكر، ج 1، ص 269**

**123- القرآن، سورة النساء، الآية 25 و سورة المائدة، الآية 5**

**124- القرآن يحرم صنوف أشكال البغاء في 23 آية ويحرم الزنا أيضا في 6 آيات.**

**125- القرآن، سورة الإسراء، الآية 17 و...**

**126- القرآن، سورة الأنفال، الآيات 62 و63 و69 و70 وسورة النحل، الآية 106 وسورة الأحزاب، الآية 32 و...**

**127- القرآن، سورة البقرة، الآيتان 83 و 215 و سورة النساء، الآيتان 36 و 135 وسورة الأنعام، الآية 151 وسورة الإسراء، الآية 23 و...**

**128- Psychosicial and Mental health Aspects of Women,s health  من منشورات دار النشر  World Health Organisation - Geneva 3991**

**129- القرآن، سورة النجم، الآية 32**

# الملحق رقم 1

# انتقاد والرد عليه

# رسالة من تويسركان

# على هامش "المرأة والعلاقات الزوجية"

**إن مسلسل المقالات التي كتبها السيد بني صدر بعنوان "المرأة والعلاقات الزوجية" يعاني شيئا من الخلل وفي الوقت الذي يحتوي فيه على تحاليل واستدلالات ومقاطع رائعة ويرسم صورة حقيقية عن المرأة في المفهوم القرآني تجاهل ما هو المعروف وتغاضى عن الوجه الآخر للعملة وقام بقلب آراء فرويد في ما يتعلق بالشذوذ الجنسي والنارسية والمازوخية. إن استخفاف المدارس الأخرى بهدف تعظيم مدرسة معينة في المقالات قد ضيع القيمة الدراسية للمقالات وحولها إلى كتابات دعائية. يبدو أن سبب ذلك هو أن الكاتب جعل نفسه يتطابق مع رؤية اعتبر وعن اللاوعي نقائص محتملة فيها نقائصه الشخصية.**

**كل ما كتبه السيد بني صدر أو جاء على لسانه بشأن الاستقلال والحرية مقبول بالنسبة لي ولكن ولأسباب ستتم الإشارة إليها في هذه الرسالة يأتي قبول استدلالاته بشأن ما تقدم ليكون أمرا صعبا بشكل أو آخر.**

**إن هذه الرسالة تضم ثلاثة أقسام وهي: "المرأة والمذاهب" و"المرأة والفلاسفة" والمرأة والتحليل النفسي":**

# أ – المرأة والمذاهب:

1. **اليهودية: فيما يتعلق بأفضلية الرجل على المرأة يقول التلمود: "إني مسرور لان هناك رجلا اولاده من الذكور بينما هناك رجل اولاده من الأناث". وربما جاءت مبادرة اليهوديين الراديكاليين لجعل النساء مشابهات للرجال عندما اقترحوا أن يتم ختان النساء اليهوديات كما هو الحال بالنسبة لرجالهم ("يهوديون" بقلم آنترمانم الصفحة 134) لان الرجال وبختانهم يدخلون "ميثاق ابراهيم" (مثلما يدخل المسملون بختانهم إلى "سنة النبي") فلا يريدون أن يتم حرمان النساء من هذا الفضل العظيم.**

**ومن جانب آخر يقول الإنجيل العهد العتيق إن زوجة موسى كانت مختونة! وذهب في تكريم عملية الختان إلى أن أحد أنبياء قوم اليهود يدعى (عالي جاه) يشارك في المراسيم وعادة يتم حجز كرسي له في موقع المراسيم!**

**في ما يتعلق بالتعامل والتمتع الجنسي يرى اليهود: "أن الرجل يحق له أن يفعل كل ما يشاء مع زوجته" (نفس المصدر الصفحة 153) وفي اليهودية كما في الإسلام حق الطلاق هو من صلاحيات الزوج. ولكن في حالات مثل كون الزوج عنينا وعديم الجدوى يحق للزوجة أن تقدم الطلب للطلاق إلى المحكمة الشرعية وإذا رفض الزوج فيجبرونه على ذلك بضربه حتى ترضي بطلاق الزوجة "بحرية" (نفس المصدر الصفحة 161). وفي الكنائس المتعصبة (أرتوذكسية) كما في المساجد الإسلامية يجلس الرجل والمرأة منفصلين بعضهما عن البعض. أما في ما يخص شؤون العائلة فالرجل هو الذي يحكم لأنه كما في الإسلام يكون الرجال قوامين على النساء. وعلى المرأة اليهودية أن تغطي شعرها بعد الزواج.**

**وفي اليهودية وعند وضع المرأة حملها يحيطونها بالأدعية والأسحار والنصوص المقدسة ومن هذا القبيل كما يتم ترتيب كل ما في البيت بصورة مفتوحة تعبيرا لمساعدة الحامل لفتح رحمها. إن كاتب الكتاب الذي هو يهودي ولا يعجبه هذه المعتقدات الخرافية يقول إن قوم اليهود استعار هذا الهراء من جيرانه الغير يهود. وأخيرا يقول نص أخلاقي يهودي موثوق يعود إلى 200 عام قبل الميلاد: "ينتج القماش الأرفية وتنتج المرأة الشرور"!.**

# 2- الزراتشتية:

**برغم التعاليم الزراتشتية التي تؤكد المساواة المعنوية إلا أنه وبموجب القوانين في العصر الساساني كانت النساء مملوكات لأقرب أقربائهن من الرجال: الأب أو الزوج أو الأخ أو الابن وقد يكون لإدعاء الطائفة المزدكية بأن النساء جزء من الممتلكات العامة جذور في أن عامة الناس الفقراء يأملون أن يحرروا بناتهم وأخواتهم من سجن الملوك والأعيان ("الزراتشتية" بقلم ماري بويص الصفحة 130).**

**وترى الزراتشتية أنه لا يحق للمرأة أن تتولى مناصب روحانية ولكن (ماني) منح المرأة هذا الحق (قاموس المذاهب – بنغوئن‘ الصفحتان 20 و196).**

**وبموجب النصوص البهلوية يعتبر الزواج من المحارم فضيلة وبوجه خاص إذا تم بين الأقرباء في العائلة مثلا زواج الأب من البنت أو الأخ من الأخت أو حتى الأم من الابن. وتشير الوثائق الموجودة أن (كامبيز) الأخميني كان أول من بادر بهذا التقليد فيما قام أبناؤه بالزواج من أخواتهم. وقام (كامبيز) بالزواج من أخته الثانية تدعى (آتوسا) بعد زواجه من أخته الأولى. وإذا لاحظنا الروايات التي نقلت عن المؤرخ (زانتوس) الذي كان معاصرا لـ(هيرودوت) فنرى أنه قال: "إن المجوس يضاجعون أمهاتهم". وفي وقت لاحق احتذى (ارشك) بـ (كامبيز) فتزوج من أخته. كما تزوج (أردشير) الساساني إبن (بابك) من (ديناك) (DENAK) بنت (بابك) وجعل (شاهبور الأول) أخته (آذرناهيد) ملكة الملائكة ("الزراتشتية" الصفحات 4-53).**

**ومن معتقدات الزراتشتية أن زوجة كل شخص سوف تلتحق به في الجنة حيث وستتم ممارسة الجنس بينهما ولكنهما لن ينجبا ولدا! (تعاليم  MAGI الصفحة 150) وأخيرا وتقديسا للزراعة يخاطب (أهورا مزدا) الزرتشت قائلا: إن الأراضي غير المزروعة تشبه بفتاة رشيقة عنست لفترة طويلة فتتلهف لزوج طيب! (فرغرد 111؛ ونديدات).**

# 3- المسيحية:

**أما الزواج في رؤية مذهب المسيحية الأرتوذكسية فله هدفان:**

**الأول هو إنه مفر شرعي لأجل إرضاء الشهوة. ويرى (سينت بول) أن ممارسة الجنس حتى بعد الزواج هي مانع للفلاح. وبرغم ذلك هناك فرصة لفلاح الزوجين وليس الزانيين غير المحصنين (4-32  VIIICOR). والثاني هو الإنجاب. بعبارة أخرى إذا لم يكن الهدف من ممارسة الجنس الإنجاب فهي معصية!**

**يشير تاريخ المسيحية أنه كان على النساء أن يكن راضخات لرغبات وأوامر أزواجهن ويعزو دعاة هذه الفكرة السبب إلى المقولة الشهيرة في الانجيل وهي: "ليس الرجل للمرأة وإنما المرأة هي للرجل ولم يخلق الرجل للمراة وإنما المرأة خلقت للرجل". ولم يقدم أي دليل لهذا الرأي عديم الأساس إلا إذا افترضنا أن الرجل له عضلات أقوى من عضلات المرأة!.**

**وبشأن أخلاق الزوجية المسيحية يكتب برتراند راسل قائلا: "منذ زمن بعيد كان ولا يزال الرجال يسمح لهم فعلا – وليس نظريا- بأن يكون لهم العلاقة الجنسية الغير شرعية وهناك قليلون يتوقعون أن يكون الرجال أبكارا عند الزواج وحتى يتم عادة غمض العين عن مشاكسات الرجل إذا لم تكشفها الزوجة. إن البغاء جعل هذا الأمر ممكنا. ولا يمكن الدفاع عن هذه المؤسسة. برغم أنه قد يكون هناك البعض يقولون إنه يحق للنساء أيضا أن يستمتعن الجنس مع الرجال الذين يمارسون البغاء ثم يتظاهرن كأزواجهن بالتقوى. وأي شخص يدعى بأن العفاف والتقوى أمران ضروريان للمرأة أكثر من كونهما ضروريين للرجل فهو يلعب على الحبلين. وعزا برتراند راسل سبب وجود البغاء في البلدان الغربية إلى حكومة (الاخلاق المسيحية) (مقتطفات من آثار راسل الصفحة 73).**

# 4- المذاهب الشرقية:

**سئل (بوذا) ما هو العمل الخير؟ فأجاب قائلا: "إجتناب القتل والغصب وممارسة الجنس" (النصوص البوذية البدائية الصفحة 96). ويرى (ماهاويرا) الذي كان معاصرا لـ(بوذا) أن المرأة هي السبب الرئيسي لجميع الأعمال الشنيعة! (الكتب المقدسة الشرقية الصفحة 57) وفي آخر الزمان – وهي العهد الذي سيعود فيه بوذا إلى الأرض- سوف تتزوج النساء وهن في الخمسمائة من أعمارهن (النصوص البوذية المقدسة الصفحة 238 – مؤسسة بنغوئن للنشر) ولم يجر حديث عن المراحل التي اجتازتها هؤلاء صاحبات الجلالة مثل سن الرشد أو سن انقطاع الطمث أو مرحلة (عقدة أوديب)!**

**ويقول نص قديم لـ"برهمن" وتم الكشف عنه مؤخرا إنه: "لا تبحث عن الصداقة لدى النساء لكون قلوبهن شبه وحشية كابن آوى". (كتاب "غريب كان اسمه الهند" الصفحة 404).**

**إن (ساتي) (SATI) هو لفظ يعني "المرأة المتقية" وفي الهندوسية يطللق على المرأة التي تضحي بنفسها بعد وفاة زوجها بإلقاء نفسها في النار ذاتها التي أحرقت جثة زوجها. إن هذا النوع من "التقوى" كان يلتزم به حتى أواخر القرن التاسع عشر إلى أن منع لورد بريطاني من هذا التقليد الوجيه أو القبيح! (قاموس المذاهب - الصفحة 286).**

**وهناك نساء من أهالي التبت لهن عدة أزواج لأن الرجال فقراء بحيث أن رجلا واحدا ليس قادرا على تسديد نفقات وحاجات المرأة. وبرغم ذلك وحسب زوار تلك المنطقة (طبعا قبل احتلالها من قبل الصين) ليس عيش العائلة يتمتع بالفرح والسعادة أقل من المناطق الأخرى.**

# 5- المذاهب في قارة أمريكا:

**خلافا لسائر النقاط في العالم حيث الآلهة هم من الرجال إن إله الناس الذين يعيشون في كولومبيا الواقعة في أمريكا الجنوبية هو الأنثى ومن صفات وألقاب صاحبة الجلالة هذه هي "أم الأغاني والبذور" فيما يعتقدون أن هذه المرأة أي الإلهة هي خالقة البشرية ولذلك هي أم لجميع أبناء البشر وجميع شعوبهم كما إنها "أم الرعد والأنهر والأشجار" وهذه الربة الأنثى أو الإلهة مقتنعة بقليل من الطلب ولا تطلب أي دعاء أو عبادة من مخلوقها ولكنها تدعي أن لها ما في السموات وما في الأرض! (كتاب "الوحدانية لدى القبائل البدائية" كتبه بول رادين الصفحة 15).**

**هناك فصيل من فصائل الهنود الحمر في أمريكا الشمالية يدعى شاوني (SHAWNEE) يعتقدون أن الأطفال وقبل ولادتهم يعيشون لدى خالقهم أو "جدتنا" وهذا يعني أن الآباء هم عديمو الجدوى! ويعتقد نفس القوم أن "الروح تنزل إلى الأرض وتقفز إلى جانب فرج الأم ومن خلال ذلك تدخل جسد الطفل...." (كتاب "فكرة الروح بين الهنود الحمر في أمريكا الشمالية" الصفحة 255).**

# 6- المذاهب في أقيانوسيا:

**بموجب الدراسات التي أجراها (مالينوسكي) العالم الشهير في علم الإنسان هناك كثيرون في جزائر أوقيانوسيا ومنها ((TROBRIAND لا يعترفون بكون الله هو الأب ويعتبرون الأمر من مفبركات أذهان المبشرين المسيحيين. إنهم يعتقدون أن أولادهم هم أولاد أخوالهم وأنهم لا يفهمون فكرة "الرب – الأب" في المسيحية (وهنا لأقل داخل القوسين إن هذه الفكرة غير قابلة للفهم بالنسبة لي أنا أيضا!) فبالتالي لا يمكن تعليمهم أو الإملاء عليهم بأن الناس هم "أبناء الله" لأنهم لا يربطون الطفل أصلا بالجنس المذكر. وكان المبشرون المسيحيون مضطرين لأن يعلموهم علم الحياة وفيزيولوجيا أولا ثم الأفكار والتعاليم الدينية.**

**ولكن حتى عندما تطبق الحرية مثلما تعرّفها الليبرالية، أي إتاحة الإمكانية للجميع لاختبار القوة، تعتبر المرأة متساوية مع الرجل في إمكانية اختبار القوة فقط ولكن في الواقع الملموس، لا تحصل على هذه الإمكانية بكاملها ويتضاعف عدم تساويها مع الرجل:**

# الحب والحرية، الجنس والسلطة:

**حسب تعبير فوكو هناك شكلان من العلاقات الجنسية "الحرة" و"العلاقة الزوجية". وفي الغرب يصبح المضمونان لهذين الشكلين متساويين تدريجيا لان الجنس يصبح مدارا بشكل تدريجي (نفس الإيضاح المذكور سابقا بشأن تطور العلاقات عندما تعبر عن التناقض: عملية تحول العلاقات من الحقوقية والاصطناعية إلى العلاقات بين الحاكم والمحكوم)، إنه تحول يوضح حسب (سوروكين) الأزمة الأساسية في الثقافة الغربية (9).**

**هكذا إن العلاقات الجنسية "الحرة" نفسها تعني إزالة الحرية. وتحل السلطة محل الحرية. وتصبح "السلطة الجنسية" محتوى لـ"العلاقات الجنسية" الحرة أو غير المقيدة. ولا يفسح اختبار القوة المادية مجالا للمنافسة في ممارسة الحب. فلذلك يصرخ (سوروكين) قائلا: أيها الغرب إلى أين تذهب؟ إن نهاية هذا الطريق هي المقبرة‘ المقبرة المظلمة للحب والإنسان.**

**عندما يصبح السلطة أساسا للعلاقات فيأتي دور قواعد السلطة وخواصها. يفرغون العلاقات من المحبة والحب فهنا تصبح المرأة على مضض وبجسد مشحون بالجنس والهيستريا وشعر فيه أشعة وإلخ.... تصبح رمزا للهوى.**

**عندما يحل الجنس محل الحب ويصبح بمثابة السلطة مدارا في العلاقات فتصبح المرأة مملوكة للسلطة. وتستخف المرأة. وتدريجيا تصبح "أداة للجنس" أكثر من كونها إنسانا. وهذا هو تناقض أساسي تعاني منه الثقافة المادية الغربية وتنبثق أزمة هذه الثقافة من هذا التناقض. ويكمن حل هذا التناقض في ظهور العهد الثالث أو عهد الثقافة الشاملة.**

**لماذا تصبح المرأة مملوكة للسلطة؟ ذكرت في مستهل النقاش ما تجيب النازية على هذا السؤال. وهنا وعلى أساس أربع قواعد ناقشتها ونقلتها عن فوكو، أريد أن أوضح لماذا إنه جواب عام:**

**أترك ما وضحه (سوروكين) وأكتفي بأن أوكد أن وجهة نظره عن استخفاف الإنسان في الثقافة المادية الغربية تندمج في ما يستنتج على أساس قواعد فوكو: على أساس القاعدة الثالثة إن التكتيكات تنتج الإستراتيجيات المناسبة لها لتحل محلها.**

**فلذلك، عندما يصبح الجنس أداة سوف ينتج الهدف المناسب له أي السلطة لتحل محله. محل ماذا ومن لتحل السلطة؟ ألا يمكن افتراض أن السلطة ذاتها أداة بيد الإنسان؟ وإذا أمكن افتراضه فلماذا يقول (سوروكين) إن الإنسان يستخف؟ فالجواب هو:**

**إن السلطة (=القوة) تحل محل الحرية وتسخر الإنسان لخدمتها. لأن: السلطة (=القوة) تصبح الأساس في العلاقة. وبذلك إن أهمية الإنسان تقدر بسلطة يتملكها. وعلى أساس القاعدتين الأولى والرابعة لا تثمن المعرفة إلا أن تتناسب مع تطور السلطة (=القوة) ونموها.**

**وعلى أساس القاعدة الثانية إن السلطة (=القوة) وفي مسار تطورها، تفصل المادية عن المعنوية تدريجيا وتجعلها مضادا لها. إن عملية تحول الثقافة المادية التي يوضحها (سوروكين) هي نفس التحول من اتحاد المادية مع المعنوية إلى تضاد المادية مع المعنوية أو إنكار المعنوية. وفي مسار عملية الإنكار هذه، تصبح الإنسان أداة بالتدريج. لأنه وفي الحالة المادية للسلطة فقط يجبر ويحكم الإنسان بمنافسة دائمة ومستنزفة فهو لم يعد يعتبر شيئا إذا لم يمتلك القوة.**

**عند ما يصبح الإنسان لاشيء في حالة عدم امتلاكه القوة وتشكل القوة إنسانيته كلها، فأيهما يصبح الهدف وأيهما يصبح الوسيلة بين الإنسان والقوة؟ الجواب على هذا السؤال واضح وهو: إن الإنسان يصبح الوسيلة. فلهذا السبب يفرض على المرأة ظلم مضاعف: ويكون هناك عدم مساواة مضاعف بين المرأة والرجل خاصة في العلاقات. وتقام علاقة غير متساوية بين السلطة والإنسان لصالح السلطة. ويكون الأساس بين أبناء الإنسان وخاصة بين المرأة والرجل عدم المساواة الثاني. وعدم المساواة المضاعف هذا هو موضوع نقاش آخر:**

# عدم المساواة المضاعف

**في علاقات السلطة، وعلى أساس ثلاثة اعتبارات، تعتبر (اليزابث بادنتر) المرأة شيئا جنسيا: 1- إنها من أدوات ارتقاء الرجل في سلم المكانة الاجتماعية و2- إنها أداة لتسليته و3- إنها رحم يمتلكه الرجل.**

# إن عدم المساواة الأول هو عدم المساواة بين الإنسان والسلطة:

**عرفنا أن الوسيلة أو التكتيك تُحل الهدف أو الإستراتيجية المناسبة لها محل الهدف المطلوب لها. عندما تصبح القوة أساس العلاقات، يتصور أن كسب القوة هو وسيلة للحصول على المكانة. ويقتنع الإنسان بأنه يصبح كائنا ناجحا وسعيدا بحصوله على القوة الاقتصادية للمال ورأس المال والأرض وإلخ....) أو حصوله على القوة السياسية (المنصب والموقع وإلخ ....).**

**ولكنه يجهل أن الوسيلة تُحل الهدف المناسب لها محلها تدريجيا: تُحل السلطة (=القوة) محل الإنسان. إن الأزمة الثقافية المتفاقمة في أيامنا هذه، هي إحلال السلطة (=القوة) محل الإنسان ذاته وتسارع اتساع نطاقها. كان في البداية السباق بين الدول. والآن حل السباق بين القوى الظالمة محله وهو السباق الذي قد أفلت زمام الأمور من أيدي الدول وقد سلب إرادتها. وفي هذا السباق الوحشي، سخرت السلطة (=القوة) المجتمع البشري بأسره ليخدمها واتخذته عبدا لها.**

**إن وقوع خسائر بشرية في صفوف المسلمين في غزوة أحد التي خلفت عددا ليس بقليل من الأرامل والبنات اليتيمات خلق مشاكل اجتماعية خاصة فجاءت الآية الثالثة من سورة النساء حلا لهذه المشكلة وسمحت للمسلمين بالزواج من اربع نساء ناصحة بالتعامل معهن بالعدل. فيما لا تقول لكل من له 6 إلى 10 زوجات: "لن يكون لديكم أكثر من أربع زوجات" بل يبدو أنها تشجع الرجال الذين لهم زوجة أو زوجتان على الزواج من أربع نساء.**

**وبشكل عام إن ما أحدث الإسلام في المجتمع في ما يتعلق بالإرث والزواج أدى إلى تحويل حركة المجتمع من الحالة الجماعية إلى الحالة الفردية. وما ساند هذه العملية هو تقسيم الأموال القبائلية المشتركة وتعيين الحصص الخاصة بالأولاد والبنات والآخرين.**

**وفي أوائل عام 626 الميلادي وبينما كان له ثلاث زوجات تزوج محمد من امرأتين أخريين. وكانت الأولى زينب بنت خزيمة من قبيلة العامر وهي كانت أرملة أحد المهاجرين الذي قتل في غزوة بدر وبرغم أن عمرها لم يكن يتجاوز 30 توفيت بعد أشهر من الزواج. وكانت الثانية أم سلمة وهي أرملة أبو سلمة الذي توفي نتيجة إصابات لحقت به في غزوة أحد. وكانت أم سلمة ووالدها من قبيلة المخذوم (قبيلة أبو جهل) وقلما يشك في كون هذا الزواج سياسيا.**

**وبعد عام تم زواج آخر: وهو الزواج من زينب أخرى أي زينب بنت جهش ما أثار موجة من انتقادات وهجمات شنها باحثون مستشرقون أوروبيون.**

**وكان زينب بنت عم محمد وأرملة عند ما هاجرت إلى المدينة حيث زوجته محمد ورغما منها من ربيبه زيد بن حارث. ويوم زار بيت زيد تفاجأ محمد بمشاهدة زينب وهي لم تكن بحجابها الكامل ورجع يبدو كأنه يقول: "تبارك الله ... ومحلو القلوب". وذهب زيد فورا ليقترح إلى محمد أن يقوم بطلاق زينب. ولكن وصاه محمد أن يعيش معها. وبرغم ذلك وبعد ما جرى أصبحت الحياة مع زينب بالنسبة لزيد لا يحتمل فطلقها وتم ترتيب زواجها من محمد بعد انقضاء عدتها.**

**ويبدو أن الزواج من زوجة الربيب الذي كان يعتبر مثل الابن في تقاليد ذلك العهد هو ما أثار انتقاد هؤلاء الذين عاشوا في عهد النبي محمد وجاءت الآية من سورة الأحزاب لتنهي هذا الشجار والجدل. وفي ما بعد أطلق على زينب لقب "أم المؤمنين".**

**وردا على الانتقاد الذي وجهه بعض المسيحيين لزواجات محمد المتعددة ذهب بعض المسلمين في تبرير ذلك إلى القول إن الزهد والعزوبة يخصان القساوسة المسيحيين بينما الإسلام بريء من هذه الأعمال ووصلت قوة محمد في الرجولية إلى أنه كان يتمكن من إرضاء جميع زوجاته خلال ليلة!**

**وفي عام 627 الميلادي قصد محمد شمال غرب مكة قرب بحر الأحمر لقمع جماعة يحتمل أن يكونوا حلفاء لأهل مكه. إن هذه الجماعة الذين لم يتوقعوا هكذا هجوم مباغت من قبل القوات الإسلامية انهزموا بعد مقاومة قليلة وتم أسرهم جمعيا وأخذ المسلمون أموالهم كغنيمة حربية فيما وقعت نساء وأطفال الجماعة المهزومة كأسرى الحرب في أيدي المسلمين. وكانت جويرة وهي بنت رئيس الجماعة حصة رجل كان يطلب المال بدلا من المرأة وبعد مباحثات طويلة اقترح النبي محمد أن يتزوج من جويرة فإنه وافق على ذلك. ويقال أن محمد تزوج منها كزواج متعة ولم تصبح زوجة محمد إلا بعد أن أسلمت.**

**إن قبيلة بني قريظة اليهودية تعرضت للغضب والهجوم عليها بتهمة نشاطات مشبوهة ضد المدينة فاستسلموا من دون أي شرط وأية مقاومة شديدة. واقترح محمد أن يحكم سعد بن معاذ الذي كان من قبيلة الأوس ومن الأنصار المعروفين مصير القبيلة ووافق اليهود عليه فأمر بقتل رجال بني قريظة وبيع نسائهم وأطفالهم كسبايا. وتم تنفيذ الحكم في اليوم التالي. وتبريرا لحكمه قال سعد الذي كان جريحا بشدة وعلى وشك الموت في المدينة المحاصرة إن ما فعله كان مجرد واجبه أمام الله والأمة الإسلامية. وتم تنفيذ الإعدامات التي بلغت نحو 600 عملية إعدام على أيدي المهاجرين ومساعدة بسيطة من قبيلة بني الخزرج في ما تم شراء عدد من نساء وأطفال بني قريظة من قبل تاجر ثري.**

**أما الزواج الأخرى من زواجات النبي محمد السياسية كان زواجه من أم حبيبة بنت أبو سفيان. وكانت أم حبيبة أرملة شقيق زينب بنت جهش وهو مسلم اعتنق المسيحية. وأخيرا عاد مندوب بعثه محمد للدعوة إلى الإسلام إلى تلك المنطقة عاد بأمتين كهدية لمحمد أحدهما تدعى مارية التي بقيت مسيحية فزوج محمد منها زواج متعة ولم تصبح زوجته الدائمة. وبعد غزوة خيبر اختار محمد بنت أحد زعماء قبيلة النذير اليهودية تدعى صفيه ليتزوج منها زواج متعة فأصبحت زوجة محمد بعد أن أسلمت (نفس المصدر الصفحة 195).**

# ب – المرأة والفلاسفة

1. **إن (دموكراتيس) الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد كان ماديا بكل معنى الكلمة. إنه كان قد ازدرى بالمرأة كما لم يعجبه الإنجاب لأنه كان يعتبره مانعا للانشغال بالتفكير الفلسفي (كتاب "تاريخ الفلسفة الغربية" بقلم برتراند راسل الصفحة 89) فليس من المستبعد أن يكون أبو العلاء المعري من مريديه!**
2. **في المدينة الفاضلة (يوتوبيا) لتوماس مور يتم معاقبة المرأة والرجل في حالة عدم كونهما عند الزواج أعذر وعذراء وإن مالك المكان الذي ارتكبت فيه الجريمة يكون مسؤولا عن مغبة ذلك. (نفس المصدر- الصفحات 7-506)**
3. **أفلاطون الذي قال سقراط عن مدينته الفاضلة (يوتوبيا): "الأصدقاء مشتركون في كل شيء حتى الزوجات والأطفال". ويقر أفلاطون بأن هذا الأمر سوف يخلق مشاكل ولكنه كان يعتقد بأنه يمكن تجاوزها. كما كان يعترف بأن هناك مفارقات بين المرأة والرجل ولكن كان يقول إنه يجب المساواة بين النساء والرجال في جميع المجالات. (نفس المصدر الصفحات 199 و128 و39)**
4. **أرسطو الذي انتقد ما يعتقد به أفلاطون وهو كون الزوجات والأطفال مشتركين لم يطرح موضوعا جديدا إلا أنه كان يعتقد أن عدد أسنان النساء أقل من عدد أسنان الرجال. وبرغم أنه وحسب الروايات الموثوق بها تزوج مرتين ولكنه لم تكلف نفسه عناء عد أسنان "صاحبات الجلالة" أبدا حتى انتقل إلى الدار العقبى وهو يؤمن بالعقيدة ذاتها (مقتطفات من آثار راسل الصفحة 83).**

**وحوالي هذا العهد وفي أسبرطة ليست النساء لم يكن يخفين أنفسهن عن الأنظار وإنما ومن أجل تقوية عضلاتهن كن يقمن بممارسة الجمباز مع الأبناء وهن عاريات. كما كان هناك للرجال العجائز زوجات شابات ولكنهم لم يكونوا قادرين على القيام بالجماع فكانوا يسمحون لأولادهم الشباب بأن يقوموا بهذا "الواجب" نيابة عنهم! ( كتاب "تاريخ الفلسفة الغربية" الصفحة 119).**

1. **يقول هيجل في كتابه "فلسفة الحقوق" تأييدا وتشجيعا للزواج: "مع أن كلا من الطرفين يفقد شخصيته الطبيعية والخصوصية عند الاتحاد ويمكن اعتبار ذلك تقييدا‘ ولكن إذ إنهما يحققان وعيا ذاتيا بمعرفة جذرية فهذا الأمر يمثل في الحقيقة حريتهم. إنه يعتبر الهدف من الزواج أخلاقيا ولكن الهدف من زواج المتعة (كانكابيناج) هو إرضاء الغريزة الطبيعية.**

**إنه يرى أن المرأة لها قابلية للتعليم والتربية ولكن لا يستوعب ذهنها العلوم العالية والفلسفة أو بعضا من الفنون. إن الفرق بين المرأة والرجل كالفرق بين الحيوان والنبات حيث تكون شخصية الرجل تشبه أكثر بالحيوان فيما تشبه شخصية المرأة شبها كثيرا بالنبات. ولم يقدم حضرة الأستاذ مزيدا من الإيضاح والتبرير لما يعتقد. ولكنه يقول فورا: يجب أن لا يكون زمام الحكومة بيد النساء لانها سوف تعرض الحكومة (الدولة) للخطر. وتبريرا لهذه الفكرة يقول: يتبع الرجال المبادئ العامة فيما تتبع النساء الرغبات الحادثة. (كتاب "فلسفة الحقوق" بقلم هغل الصفحات 84- 164)**

1. **يسأل نيتشه على لسان الزرتشت (البطل الذي فبركته ذهن حضرة نيتشه) قائلا: "هل أنت عبد؟ إذا كان الأمر هكذا فلا يمكنك أن تكون صديقا. هل أنت مستبد؟ إذا كان الأمر هكذا فلا يمكن أن يكون لديك صديق. فلمدة طويلة كان العبد والمستبد مختفيين في المرأة. فلذلك ليس للمرأة قابلية للصداقة. إنها تعرف الحب (ربما في مفهمومه الفيزيولوجيكي؟) فقط ... لاتزال النساء قططا وطيورا أو على الأكثر أبقار". وفي ما يتعلق بشخصية المرأة يقول: "بالنسبة للمرأة الرجل ليس إلا وسيلة فيما يكون الهدف بالنسبة له هو الطفل دائما". وبخصوص واجبات المرأة والرجل يقول: "يجب أن يتدرب الرجل على القتال والمرأة على إنجاب المقاتل"! (كتاب "وهكذا قال الزرتشت" من مؤسسة بنغوئن للنشر الكلاسيكي الصفحات 83 و91 و227). إيضاحا لما تقدم أود أن أقول إن نيتشه أصيب بالجنون في أواخر عمره وكان اتصاله بالنساء قليلا جدا ولم يعاشر امرأة إلا أخته.**
2. **يقول برتراند راسل إن معلمي علم الأخلاق عادة ما هم من الرجال وهم يعتبرون المرأة خادعة ولو تم إيكال هذه المسؤولية إلى النساء لكان هذا العنوان طبعا لائقا لرداء الرجال. ويقول توماس إكونياس إن الرجال هم أكثر عقلانية من النساء ولكني لم أجد دليلا وشاهدا على ادعائه هذا كلما حاولت. وفي أيام كهولتهما توصل كل من غاندي وتولستوي إلى القناعة بأن أي نوع من العلاقات الجنسية مذمومة، حتى إذا كانت نتيجة الزواج وبهدف الإنجاب. هناك في بعض البلدان يتم شراء العروسة وفي بعض الآخر مثل فرنسا يتم شراء العريس. كما إن هناك اختلافات في موضوع الطلاق من منع الطلاق باتا بين الكاتوليكيين مرورا بقانون الصين قبل عام 1949 حيث كان الزوج يحق بأن يطلق زوجته بسبب مجرد الثرثرة.**

**إن أضرار "بغاء" النساء أمر واضح للجميع ولكن هناك حالات للزواج يشبه بعملية البيع والشراء ففي هكذا حالات من الصعب ملاحظة مفارقتها مع "البغاء". إلا أن التخلص منها أصعب! إن الاقتصاد هو الذي وراء هذه المصائب (كتاب "الطريق إلى الحرية" بقلم برتراند راسل الصفحة 150).**

**إني أعتقد أنه وعدا قلائل من أمثال فرويد الذين قضوا معظم حياتهم في دراسة نظرية (سكسوآليته) ليست عقائد الفلاسفة وكذلك انطباعات السيد بني صدر في موضوع المرأة مثل الآخرين من الرجال إلا تجسيد (ابجكتيويكاسيون) مشاعرهم الشخصية تجاه المرأة وليست لها أية سمة علمية.**

# ج – المرأة والتحليل النفسي:

**يكتب السيد بني صدر في الصفحة 4 للعدد 125 من صحيفة (انقلاب اسلإمي در هجرت): "التحليل النفسي الفرويدي يقول إنه ولمعالجة أي مريض نفسي يجب البحث عن أمه، لانها هي المسؤولة الوحيدة عن عقل اللاوعي لولدها". إني تصفحت كتب فرويد بكاملها البالغه 14 مجلدا (من مؤسسة بنغوئن للنشر) ولم أجد فيها هكذا ادعاء وعبارة أو كلام. ونقرأ في الصفحة الخامسة لنفس العدد من الصحيفة: يرى فرويد وأتباع مدرسته أن الطبيعة قد خلقت المرأة بحيث أن تستمتع فيما تحيط بها المعاناة والآلام والعنف، فلذلك قد جبلت المرأة على العنف وإن العنف والألم عنصران ذاتيان بالنسبة لبيولوجيا المرأة. فإن المرأة التي لا تحب العنف والألم ليست "مرأة طبيعية". إن المصدر الذي راجعه هو الصفحات 404-395 من كتاب إليزابث بادنتر. بينما عادة وفي هكذا حالات على الباحث أن يراجع المصدر الرئيسي وليس المصدر الثانوي. كما وفي البحوث الجامعية يتم استخدام المصادر الثانوية عندما تكون المصادر الأصلية غير متوفرة. كما وفي نفس الصفحة نسب إلى فرويد بأنه قال: "إن المرأة التي لا تحب ذاتها والمرأة التي لا تكون ذات نزعة المفعولية فهي مريضة. لأن "المرأة الطبيعية" لها هذه الخصوصيات الثلاث". بعبارة أخرى يدعي السيد بني صدر أن فرويد وأتباع هلن دوتش يعتبرون المرأة نارسية ومازوخية ومفتعلة، أو حسب قوله ذات نزعة المفعولية (راضحة للأوامر). كما وفي نفس الصفحة ينقل السيد بني صدر هذه المرة عن نفسه ويكتب قائلا: "الآن اقرؤوا واعلموا أن القرآن هو الكتاب الديني الوحيد الذي اعتبر المازوخية مرضا". بينما وبشأن ادعائه الأخير لا يذكر آية وسورة في القرآن تتعلق بالموضوع كأن جميع الكتب الدينية تعتبر المازوخية أمرا ذاتيا بالنسبة للمرأة ولكن القرآن وقف بوجه كل هذه الكتب ليؤكد أن الأمر ليس هكذا بل المازوخية مرض.**

# والآن لنرى ماذا قال وكتب فرويد عن النارسيسية والمازوخية:

1. **النارسيسية: في مقال بعنوان النارسيسية كتبه عام 1914 قد شرح فرويد النارسيسية بما يلي: "يعبر لفظ النارسيسية عن حالة شخص يتعامل مع جسده كجسد لهدف جنسي حيث ينظر إليه ويلمسه ويفركه إلى أن يستمتع جنسيا". وإذا تحولت الحالة إلى هذا الحد فيطلق عليه الشذوذ وبالتالي تبرز فيه خصائص الشذوذ الجنسي (المجلد 11 من آثار فرويد الصفحة 65). إن هذه الحالة تبرز في الأشخاص – مثل مثليي الجنس- الذين يعانون من أنواع الخلل الأخرى. وفي النارسيسية انسحب ليبيدو من العالم الخارجي ويتجه إلى داخله.**

**وفي الجزء الثاني من المقال أشار إلى العامل العضوي في النارسيسية ويقول إن المرض العضوي يؤثر في توزيع ليبيدو وإن الذي يصاب بآلام عضوية يفقد رغبته إلى العالم الخارجي أساسا ويعيد حرصه الليبدوئي إلى داخله وعند تحسنه يوجهه إلى الخارج مجددا.**

**كما وفي الجزء الثاني للمقال يوضح خصوصيات النارسيسية النسائية والرجالية والطفولية (النارسيسية البدائية) ويؤكد أنه لا يعتزم استخفاف المرأة. ويكتب في الجزء الأخير أنه وفي الحقيقة الحب الشديد للأولاد ليس إلا بروز نارسيسية الأبوين مجددا.**

**في كلمته بعنوان نظرية ليبيدو والنارسيسية والتي ألقاها عام 1917 شرح فرويد النارسيسية بما يلي: "إن ليبيدو الذي يهتم بالهدف ويعبر عن محاولة من أجل الاستمتاع في ما يخص ذلك الهدف، ويستطيع أن يترك الهدف ويحل الشخص نفسه محله ... وهكذا تخصيص لليبيدو يسمى بـالنارسيسية... حيث يتعامل الشخص في سن الرشد مع جسده بطريقة يخص للهدف الجنسي الخارجي عادة". وبعد ذلك يشرح الفرق بين الأنانية (أغوئيزم) والنارسيسية ويوضح الأمراض الناتجة عن النارسيسية.. وتجنبا من إطالة الكلام هنا لا أناقش الموضوع.**

**وفي خطابه المرقم 32 والذي ألقاه عام 1932 أشار وباختصار إلى النارسيسية قائلا: "أحيانا يختار النفس ذاتها كهدف وتتصرف كأنها تغرم بنفسها". ويؤكد في الجملة التالية أنه استعار لفظ النارسيسية من أسطورة يونانية.**

**وأشار فرويد إلى أسطورة نارسيسوس (NARCISSUS) ليقول إن الأنانية ليست حب الذات المرجو. فلا يمكن معرفة سبب استخدام لفظ النارسيسية من قبل فرويد من دون فهم مضمون هذه الأسطورة بوضوح.**

**وكان نارسيسوس شابا رفض أن يعبر عن حبه للبنات. ولكونه غير مبال بحب الآخرين فجعله الآلهة أن يقع في حب ذاته. ونارسيسوس الوسيم شغف بنفسه بعد أن شاهد صورته في عين نابعة في سفح جبل ولكونه غير قادر من أن يمتلك صورة نفسه فاحترق في اشتياقه وتحول إلى وردة قد تكون وردة النرجس. فنظرا لما تقدم في الجمل المذكورة من المستبعد أن يختار فرويد الانحراف الذي بدأه رجل ليعتبره مرضا أو انحرافا يخص المرأة.**

**وفي كتاباته الأخرى منها توتم وتابو استخدم فرويد لفظ النارسيسية في وصف أول مرحلة بدائية من تطور الإنسان حيث يعوض الطفل العاجز عن نقصانه بالأنانية. وباختياره هذا اللفظ يحذر فرويد من وضد النارسيسية ونتائجه المدمرة أي البقاء في حالة الثناء على النفس. وكان يعرف أن الأنانية تخرب النفس ويعزل الشخص عن الآخرين وعن العالم الخارج وأخيرا عن نفسه. إن إنطباعي مما كتبه فرويد عن النارسيسية هو أنه يعتبر النارسيسية في جميع أشكالها انحرافا ولا يعتبرها أبدا خاصة لجنس محدد.**

**2- المازوخية: في مسلسل مقالات نظرية كتبها عن الجنس يناقش فرويد السادية والمازوخية ويكتب قائلا: "أطلق السادية والمازوخية على الأشكال النشطة والسلبية حسب الترتيب لأهم الانحرافات وأكثرها اعتياديا – أي الرغبة في افتعال الألم والمعاناة تجاه الهدف الجنسي وعلى العكس –". إنه تعريف عام ولا يخص المرأة أو الرجل.**

**ثم يشرح هذين الانحرافين قائلا: "إن الجنس لدى أغلبية أبناء البشر من الذكور يتميز بطابع التعدي أي الرغبة في إجبار الآخرين على الرضوخ. يبدو أن أهميتها البايولوجيكية تكمن في الحاجة إلى التغلب على المقاومة من قبل المستهدف جنسيا بأساليب بعيدة عن عملية التحبيب والتشجيع. فلذلك إن السادية تتعلق بجزء (المحتوى) من الغريزة الجنسية للمتعدي والذي أصبح مستقلا ومفرطا وغصب موقع القيادة بعد التنقل".**

**ويضيف في الفقرة التالية: "وفي الحالات التي يتوقف فيها الاستمتاع الكامل على إيذاء واستحقار الهدف الجنسي يطلق عليها الانحراف".**

**وايضاحا للفظ المازوخية يكتب قائلا: "إن المازوخية هي عبارة عن أية حالة سلبية تجاه الحياة الجنسية والهدف الجنسي وأما في حالتها المفرطة فإن الاستمتاع يتوقف على الإيذاء الجسدي أو النفسي تجاه الهدف الجنسي". وآنذاك – أي عام 1905 – كان فرويد يرى أن المازوخية في الحقيقة هي السادية التي قد غيّر اتجاهه متوجها إلى داخل الشخص. ولكن في عام 1924 أضاف في الهامش أنه وبعد قيامه بالبحوث والدراسات حول الذهن وأنواع الغرائز الفعالة فيه تمكن من كشف حالة من المازوخية الأولية التي تتمخض عن أشكال من المازوخية النسائية والأخلاقية. إن السادية التي ليست قادرة على كشف النشاط في الحياة الحقيقية تتوجه نحو داخل الشخص نفسه لتنتج المازوخية الثانوية.**

**وفي خطابه المرقم 32 بعنوان "الهموم والحياة الغريزي" والذي ألقاه قبل كتابة المقال الذي أشار إليه السيد بني صدر قال فرويد: "عند دراسة ظاهرتي السادية والمازوخية نطلق على إحداهما السادية عندما يكون الاستمتاع الجنسي يتوقف على إيذاء واستحقار الهدف الجنسي ونطلق على الأخرى المازوخية عندما يشعر الهدف بالحاجة لأن يمارس عليه الايذاء وعلينا أن نعرف أنه وفي العلاقات الاعتيادية هناك مزيج من هاتين الرغبتين ولا نصفهما بالانحراف إلا عندما تتجاوز الظاهرتان الاهداف الجنسية الأخرى لتحلا محلها". ويضيف في الجملة التالية: "إن السادية لها علاقة أقرب بالرجولية والمازوخية لها علاقة أقرب بالانثوية". وفي تحليل له في الصفحة التالية يستنتج قائلا: "إذا لم تجد السادية طريقها إلى الخارج فتتجه إلى الداخل وتتحول إلى المازوخية".**

**وفي خطابه الذي استند السيد بني صدر إليه يقول فرويد: "فيما يتعلق بحالة الافتعال لدى المرأة علينا ان لا نتجاهل تأثير التقاليد الاجتماعية التي تضع النساء في حالة الافتعال". ويقول في الجملة اللاحقة ما يأتي: "إن قمع النساء بالعنف وهو ناتج عن خصوصيتهن الجسدية وقد فرضه المجتمع عليهن يجعلهن أرضا خصبة لنمو النزعات المازوخية القوية" ويطلق على هذا النوع من المازوخية نوع المازوخية الأنثوية.**

**وفي مقال له بعنوان "الجانب الاقتصادي للمازوخية" (مؤلفات فرويد المجلد 11 الصفحة 413) يحدد فرويد 3 أنواع من المازوخية – الجنسية والأنثوية والأخلاقية – ويكتب قائلا إن ملاحظة المازوخية الأنثوية ودراسة جميع علاقاتها تتمان بشكل أحسن وأسهل من ملاحظة بقية الأنواع.**

**ويبدأ إيضاحه حول هذا النوع من المازوخية بالعبارة التالية: "عندنا بما يكفي من المعرفة بهذا النوع من المازوخية لدى الرجال نظرا للمصادر العديدة التي تتوفر بحوزتي". من الملاحظ انه يجري الحديث عن المازوخية الأنثوية ولكنها توجد لدى الرجال! وفي هذا المقال قد أسمى المازوخية التي جعلت تنعكس في الداخل بالمازوخية الثانوية.**

**وبعد ذلك وفي دراسة فنية للغاية يتناول فرويد الفرق بين المازوخية الأخلاقية والنوعين الآخرين من المازوخية ما لا أعتقد أن يكون هنا مجال لمناقشته. بل وأكتفي بجملة واحدة لأقول إن المازوخية الاخلاقية نفسها تعاني من السادية العالية في نفسها (الثقافة والأخلاق المتسلطتين على المجتمع) وتتحمل هذه المعاناة لإرضاء النفس المتعالية والشعور بالذنب لدى نفسها. إن المازوخية الأخلاقية تأتي من اللاوعي ويمكن كشفها من خلال دراسة تصرفات المريض.**

**في ما يلي استنتاجي مما تقدم: 1- إن السادية والمازوخية وعلى مستوى معتدل جدا هما أمران طبيعيان 2- إن السادية والمازوخية وعلى حد الإفراط هما أمران شاذان 3- إن الرجال لديهم من السادية أكثر 4- المازوخية لدى النساء أكثر بسبب الثقافة المسيطرة حاليا 5- لا يقول فرويد أن النساء مازوخيات أو الرجال ساديون 6- لا يقول فرويد إنه لا توجد هناك امرأة سادية أو لا يوجد هناك رجل مازوخي.4**

# 3- الفرق بين المرأة والرجل:

**تأخذ السمات الخاصة بشخصية المرأة والرجل تنكشف منذ سن الرشد لكلا الجنسين برغم إمكانية كشفها حتى في مرحلة الطفولة. وبشكل عام هناك رغبة في القمع الجنسي لدى البنات أكثر مما لدى الأبناء. فيما تكون الرغبة في الاستمناء لدى كلا الجنسين متشابهة وفي الحقيقة بإمكان إعطاء مضمون أكثر تحديدا عن مفهومي "الذكر" و"الأنثى". وحتى يمكن القول إنه وبشكل غير قابل للتغيير وبالضرورة لليبيدو خصوصية "الذكورية" سواء في الرجال أو النساء وبغض النظر عما يكون الهدف رجلا أو امرأة يكتب فرويد في الهامش الذي أضافه إلى هذا الموضوع في عام 1915 قائلا:**

**"علينا أن ندرك مفهومي "الذكر" و"الأنثى" اللذين هما مفهومان واضحان للجميع لان لهما معنى غامض وزائف. ويمكن في الأقل تحديد مفاهيمهما الثلاثة فيما يتم استخدامهما تارة في مفهوم التحرك والسكون وتارة أخرى في المفهوم البايولوجيكي وتارة أخرى في مفهوم علم الاجتماع.**

**وأول مفهوم من المفاهيم الثلاثة هو ضروري وأكثر استخدامه يكون في التحليل النفسي. فعلى سبيل المثال تم استخدام ليبيدو في النص المذكور كعنصر ذكوري طبعا في مفهوم التحليل النفسي لأنه غريزة فعالة دائما حتى عندما يستهدف ما هو ساكن (سلبي وغير نشط).**

**يمكن تحديد المعنى الثاني أو المفهوم البايولوجيكي لـ"الذكر" و"الأنثى" بسهولة. وهنا يتم تحديد خصائص الذكورة والأنوثة بحضور الحيوانات المنوية والبويضة حسب الترتيب وبالأداء الناتج عنهما. وبطبيعة الحال إن الفعالية وما يلازمها (مثل نمو عضلات أقوى ونزعة الاعتداء ومزيد من شدة الليبيدو) وطبعا لها علاقة مع الذكورة البايولوجيكية ولكنها بالضرورة ليست هكذا لأن هناك أنواعا من الحيوانات تخص هذه السمات بالأنثى منها.**

**وأما المفهوم الثالث أو مفهوم علم الاجتماع فيكسب مضمونه من الرؤية الحقيقية للذكر والأنثى حيال الوجود. وتظهر هكذا مشاهدة أنه وفي أبناء البشر لا توجد هناك ذكورة أو أنوثة خالصة لا في مفهوم علم النفس ولا في المفهوم البايولوجيكي وإنما وعلى العكس يبدي أي شخص كأنه مزيج من شخصية خاصة بجنسه والجنس المضاد من جهة ومجموعة من التحرك وعدم التحرك من جهة أخرى سواء أن تتطابق هذه السمات أو الخصائص مع الميزات البايولوجيكية أم لا".**

**(مؤلفات فرويد المجلد السابع الصفحات 42-141) ليس كلام فرويد هذا بجديد يذكر لانه كان في مصر القديم إله ذو جنسين يدعى آتوم (ATUM) ويعتبر نفسه خالق الآلهة الأخرى! (كتاب "الأسطورة والرمز في مصر القديم" بقلم كلارك الصفحة 40).**

**أن أهم خدمة قدمتها المرأة للبشرية هي اختراع الزراعة فيما أهم خدمة قدمها التحليل النفسي للمرأة هي هذا الكشف المهم حيث أنه إذا سنحت فرصة فسوف يكون موضوع الرسالة القصيرة اللاحقة. دمتم باقين!**

# الرد على الانتقاد

# مكانة المرأة في القرآن

**في ما تقدم ولاحظه القراء في نقد انتقادي بعنوان "على هامش المرأة والعلاقة الزوجية" أستخدم أسلوبا تعلمته من خلال التجربة حيث يحاول الجميع فيه أن يبحثوا عن الخلية العقلانية فيها ويجدوا الحقيقة بتصحيح الأخطاء بدلا من إثبات إبطال الرأي والفكرة التي يتم نقدها.**

**وباستخدام هذا الأسلوب وعلاوة على التخلص من الشجارات الضارة للغاية التي لا تزيد إلا حالات العصبية والغموض وبالتالي جهل الحقيقة والواقع يتم الحصول على نتيجتين كبيرتين وهما:**

1. **إن الانتقاد يؤدي إلى الحصول على الحقيقة والواقع كما يسبب في تقرب الآراء و**
2. **إذ إنه لا يمكن إطلاق أي كلام كذب تماما فإذا تم فرز الصدق عن الكذب ويحل الصدق محل الكذب فسوف نكون قد توصلنا إلى الحقيقة والواقع من خلال كشف ضدهما. وهكذا يكمن الصدق وما هو غير صحيح في الكلام والرأي والنظر في نفس الكلام والرأي والنظر. يجب تمييز الصحيح من غير الصحيح باستخدام أسلوب صائب: شاهد الحق موجود في الباطل فيجب البحث عنه وكشفه.**

**إن أسلوب العمل سهل: في البداية يجب كشف الخلية العقلانية ومن ثم الاهتمام بالأمور الأخرى وما استند إليه الكلام أو الرأي والقيام بتصحيح الأخطاء. وعندما تم تنظيف الأمور الواقعة (Faits) يجب وضع كل واحد في مكانه الصحيح، بعبارة أخرى القيام بتصحيح العلاقة بين الأمور. وبتنفيذ هذه الأعمال الثلاثة سوف نتوصل إلى الحقيقة من خلال تمييز الحقيقة والباطل. كما هو الحال بالنسبة لتأكيد السلامة والدقة في عمل الساعة بعد تصليحها فإن الدليل على صحة الانتقاد هو أن تتحدث الأمور بذاتها وتشهد على حقيقة الواقع وحقانية الحقيقة دون تدخل الذهن وبعد أن تم وضعها على نصابها.**

**في مقال "رسالة من تويسركان" الذي تم نشره بعنوان "على هامش المرأة والعلاقة الزوجية" إن الخلية العقلانية عبارة عن كون حالة المرأة ومكانتها في التاريخ وفي النظر والعمل لدى أولياء الدين والفلاسفة وفي المجتمعات البشرية حالة ومكانة الإنسان. إن الكاتب يقر إلى أن ارتقاء مكانة المرأة يعتمد على تغيير العقلية والسلوك حتى يتم قبول المرأة باعتبارها رمزا للحب والحياة.**

**إن الكاتب لا يعتقد أن تكون حالة المرأة ومكانتها في الإسلام هي نفس ما قد وضحته. إنه هو الآخر في عداد الذين يتصورون أنني أنسب الآراء الجيدة إلى القرآن. إن هذا الكلام خاطئ وفي ختام هذا الانتقاد يجب أن يتحول هذا الخطأ إلى الصحيح وهذا مؤشر على استخدام الأسلوب بشكل صحيح. فأقوم بتصحيح ما هو خاطئ:**

**إن الكاتب قد شرح حالة النساء في الأديان. إن هذا العمل جدير بالتقدير. وبرغم ذلك لا يمكن اتخاذ التقاليد والأعراف وحتى الآراء الفقهية معيارا لأن مجتمعاتنا قد شهدت طيلة تاريخها الطويلة تطورات اتخذت فيها التقاليد والأعراف طابعا دينيا. ليس من الإنصاف أن نحسب على الدين هذا الانسلاخ عن الذات الديني. فلهذا السبب اتخذت الكتب الديني هي المصادر فقط.**

**ولكن مقال "رسالة من تويسركان" في حد ذاته عندما يناقش موضوع حالة المرأة ومكانتها له جزءان وهما: الأول حالة المرأة ومكانتها في القرآن والثاني حالة المرأة ومكانتها قبل الإسلام وفي عهد النبي وفي زواجاته. ففي البداية أناقش حالة المرأة ومكانتها في القرآن:**

# حالة المرأة ومكانتها في القرآن

**إن الكاتب ذكر الآيات القرآنية فمن حيث الموقف المبدئي نقوم بتصحيح ما بحاجة إلى التصحيح:**

1. **بزعم الكاتب كنت وبـ"دمج الآية 21 من سورة الروم في سورة الكوثر" أريد أن أوحي بأن القرآن يعتبر المرأة رمزا للحب والحياة. إن هناك خطأ في هذا الكلام وهو أن صحيفة (انقلاب إسلامي در هجرت) وفي أعدادها من 29 إلى 43 ذكرت كمصادر جميع الآيات القرآنية التي تعتبر المرأة رمزا للحب والحياة فيما إنها ليست جميع الآيات القرآنية التي تدل على هذا المعنى. فإن جعل كل ذلك كأنه "دمج الآية 21 من سورة الروم في سورة الكوثر" لا يليق بباحث للحقيقة والواقع. وحتى لو لم يتعلق الأمر بغير عملية الدمج هذه لكان الأمر صحيحا. برغم ذلك وحسب المنهج وبتصحيح ما من الأخطاء في "رسالة من تويسركان" علينا أن نتوصل إلى القناعة بأن القرآن قد وصف المرأة بأنها رمز للحب والحياة:**

***يكتب المنتقد:***

**"تؤكد الآية 221 من سورة البقرة أن لا تتزوج من المرأة المشركة إلا وهي أسلمت ... وتأمر هذه الآية المسلمين بأن لا تتزوجوا من النساء من أمثال سيمون دوبوار. فهنا أية من المرأتين – أمة مؤمنة أو سيمون دوبوار المشركة الملحدة الكافرة – قد اعتبرت رمزا للحب؟"**

**ويكشف بقية المكتوب لا سيما حيث يقوم الكاتب بالدفاع عن فرويد وآرائه أن الكاتب له المام بهذه الحقيقة أن المرأة المؤمنة والمرأة المشركة هما امرأة قبل أن تكونا مؤمنة أو مشركة ولهما قاسما مشتركا وهو كونهما امرأة وباعتبارهما امرأة فإنهما رمز للحب والحياة. على سبيل المثال كان الشيطان ملكا قبل ان تصبح الشيطان بعد أن طرد بسبب نزعته الاستعلائية. وكلام الكاتب كأن نسأل أنه ومن الملك والشيطان أيهما ملك؟ والجواب واضح: كلاهما ملكان إلا أن أحدهما أصبح الشيطان بعد كفره.**

**وإن المرأة انسانة ومسئولة فهي حرة وعلى أساس الفطرة إنها رمز للحب والحياة ولكونها حرة وتتمكن من الاختيار فقد تختار الطريق السلطوي وتصبح رمزا للهوى والدمار والموت فتنسلخ من ذاتها.**

**ويقوم الكاتب بالمقارنة ويعتبر ما يزعمه بأنه حق ويكتب أن القرآن يعتبر سيمون دوبوار أقل شأنا من الأمة المؤمنة فيما يأمر الرجل المسلم بأن يتزوج من الأمة المؤمنة ولا يتزوج من سيمون دوبوار. ولماذا يتجاهل بقية الآية؟ لماذا لا ينتبه إلى أن القرآن قد قام بنفس الإرشاد للمرأة المسلمة أيضا؟ لنلاحظ الآية قبل الرد التام على هذا السؤال:**

**« وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ».**

**وفي هذه المناسبة كما في المناسبات الأخرى يتجاهل الكاتب أن المرأة هي طرف من الطرفين في الزواج بشكل عام وفي أحكام الزواج الإسلامي هي التي لها إيجاب. إن الزواج لا يمكن أن يتحقق من دون موافقة الطرفين. فما هي أسباب الموافقة أو دوافعها؟ هل يفترض جعل الثروة والسلطة السياسية والموقع الاجتماعي هي الأسباب؟ كانت هذه العوامل ولا تزال تعتبر في مجتمعاتنا أسباب أو دوافع الزواج.**

**وفي هذه الآية يتم نفي الموقع الاجتماعي كسبب للزواج فيما تعتبر العقيدة وحدها هي السبب. ولنتساءل الآن هل كانت سيمون دوبوار ترضي بالزواج ممن لا يتطابق معها في العلم والرأي والعقيدة؟ تعتبر حياتها الزوجية مع سارتر ردا سلبيا على هذا السؤال. وإذا رضيت من أمثالها بالزواج من رجل مسلم فهل تهتم بالتعاطف والتوافق في القناعة؟ وإذا تم اعتبار التعاطف والتوافق في القناعة سببا للزواج أفلم يحدث إحدى الحالات التالية؟: 1- تعتنق المرأة عقيدة الرجل أو 2- يعتنق الرجل ما تعتقد به المرأة أو 3- يتفق الرجل والمرأة على أن يعملا معا ويتوصلا إلى عقيدة مشتركة. ولو كان أحد الطرفين مسلما واعتنق الطرف الآخر عقيدته لتلاءم مع ما أرشد إليه القرآن. ولو اعتنق الرجل عقيدة أخرى مختلفا في ذلك عن المرأة المسلمة لما كان هو من تخاطبه الآية ولو كان هناك اتفاق بينهما على التعاون بحثا عن الحق لكان أيضا ما فعلاه متلائما مع ما ترشد إليه هذه الآية والآيات الأخرى حيث يقول الله سبحانه وتعالى:**

**"وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ... كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ".**

**ولكن قد تكون هناك فرضية رابعة وهي أن لا يهتم الزوجان بعضهما بما يؤمن به البعض الآخر وإن هذا الأمر قد يحدث في الحالتين: إما يحترم كلا الزوجين بمعتقدات الطرف الآخر بينما يستمران في جهودهما للتوصل إلى الحق أو لا يهتم كلاهما بمعتقدات الطرف الآخر إطلاقا. إن الحالة الأولى تعود إلى الفرضية الثالثة فيما تؤدي الحالة الثانية إلى إفساد الزواج لأنه تبعد العقيدتين من ساحة العلاقات الزوجية وما يبقى في هذه الساحة هو الارتباط الجسدي والأسباب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ما يعتبر هو نفس الاستخفاف الذي قد شاع بحق النساء حيث يعتمد على أن المرأة ليست مفكرة ومؤمنة.**

**فلهذا ترى سيمون دوبوار أن حرية النساء تأتي شريطة تخلص العلاقات الزوجية من القيود السياسية والاقتصادية والاجتماعية واعتمادها على التعاطف والتوافق في القناعة. وتعايشت سيمون دوبوار مع سارتر بالتعاطف والتوافق في القناعة وجهودهما المشتركة بحثا عن الواقع والحقيقة وكان تعايشهما مثمرا لانه كان محررا من القيود على حد ما ومعتمدا على التعاطف والتوافق في القناعة. فلم لا ينبغي على المرأة المسلمة والرجل المسلم أن لا يطبقا هذا التعليم القرآني الكبير؟ ولو لم تخليا عن هذا التعليم لما أصيبا بالانحطاط.**

**فهكذا نرى أن هذه الآية هي تعليم كبير. إنه فضل كبير قد حوله الكاتب وبعدم اهتمامه بهذا التعليم مرتين إلى عيب. وإذا لم يتم تصحيح مقارنة سيمون دوبوار غير الصحيحة مع "الأمة المؤمنة" فلا يمكن اعتبار النقاش منجزا: ما هو الفرق بينهما؟ لا يمكن للكاتب أن يكون معارضا للعبودية وفي نفس الوقت يعتبر عبودية المرأة أو الرجل سببا لتعرضهما للدونية.**

**وكان العبد في المجتمع آنذاك كما هو الحال اليوم يتسم بأدنى موقع اجتماعي. أما القرآن وبضربه العبد مثلا فهو يرفض كون الموقع الاجتماعي سببا ودافعا للزواج. وبغض النظر عن هذا الفرق الذي لا يقبله حتى المنتقد لا يبقى إلا الفرق في العلم والفن والجمال.**

**ألا يمكن أن يكون هناك عبد يفوق سيمون دوبوار من حيث الجمال والفن وحتى العلم؟ ولا ننسى أن التاريخ يذكر نساء إماء كاملات في الفلسفة والعلوم الدينية وأخرى من العلوم والفنون فلماذا يفترض جعل سيمون دوبوار اسطورة؟ كيف تم التأكد من أن سيمون دوبوار كانت تفوق "الأمة المؤمنة" في العلوم الدينية؟ لأن دوبوار نفسها لم تكن تدعي بأنها جامعة العلوم.**

**على أي حال وحسب القرآن لا يَسْتوىِ الَّذينَ يَعْلَموُنَ وَالَّذينَ لا يَعْلَموُن (1) فلذلك أن سيمون دوبوار تفوق في العلم الذي كان لديها ولم يكن لدى النساء الأخريات. إن بحثها عن العلم كان صوابا وثوابا وحسب القرآن فللعمل الصالح سواء قام بها المسلم أو غير المسلم أجر عظيم لدى الله سبحانه وتعالى (2).**

**وبعد هذه التصحيحات اتضح أن فضلا كبيرا وبنيانا مرصوصا كان قد اعتبر عيبا.**

# 2- يكتب المنتقد:

**تقول الآية 222 من سورة البقرة: «نساءكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم». وبرغم وضوح مفهوم الآية ولكن حاول السيد بني صدر جاهدا في العدد 130 لجريدته للتبرير وكما يقال قام بـ"التفسير بالرأي". فياليت كان الأمر مثلما يكتبه هو".**

**إنه لم يورد "المفهوم الواضح" ولم يبين أي تغيير وتبديل قد أدخلته أنا في الآية وأي "تفسير بالرأي" قمت به. أتذكر أنني طالعت كتاب (برتوي از قرآن) (أضواء من القرآن) لمؤلفه السيد طالقاني وكذلك رأي الإمام غزالي في معنى الآية ولكن بغض النظر عن عدم انتباهه إلى هذين المصدرين تجاهل المنتقد حقيقة أخرى وهي أن أسلوبي في العمل ليس التفسير ليكون "التفسير في الرأي" أو غيره.**

**وبفضل إيضاح الأصول الدينية والاهتمام بضرورة معرفة الأمور الواقعة في مواضيع الآيات القرآنية فهمت ما هو معنى الكلام الذي يقول ليس في البيان القرآني أي غموض واعوجاج. في الحقيقة عندما تتعرف على الأمر الواقع فسوف يكون هناك وضوح وصراحة غير مسبوقين في توافق البيان القرآني مع الأصول الإرشادية ويتخلص القرآن من التفاسير في الرأي وبدون رأي. مع ذلك ولترجمة الآية أراجع تفسيرا ثالثا وهو كتاب "تفسير نمونه" (التفسير المثالي)(3):**

**"وصفت المرأة بأنها "حرث" والحرث يعني نثر البذور ويطلق على موقعه مزرعة. ليست المرأة أداة لإطفاء الشهوة وإنما وسيلة للاحتفاظ بحياة البشر... إن الحرث مصدر ومعناه نثر البذور وأحيانا يطلق على مكان الزراعة وهو المزرعة".**

**وهكذا تطلق كلمة الحرث على عملية نثر البذور والمزرعة أي وسائل الحياة فإن المرأة هي الحرث أو مجموعة وسائل الحياة ورمز للحياة. هل الآيات القرآنية بشأن حمل مريم (4) تحتاج إلى التفسير بالرأي أو بدون رأي؟ هل معنى كلمة الحرث يحتاج إلى تفسير من مفسر؟ من البديهي أن الجواب سلبي. لأنه وإضافة إلى وضوح معنى الحرث يوضح القرآن نفسه معناها وليس فقط يوضح معنى كلمة الحرث وإنما يؤكد للإنسان أن إنبات البذور ليس من صنع من ينثر البذور: (5)**

**« أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ»**

**كما عندما يصف ألد الأعداء ألا يقول: (6)**

**« وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ »؟**

**وأخيرا ألا يقول:**

**"مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ"؟ (7)**

**ألم يكن وراء ذلك عدم تغيير فكرة منذ صدر الإسلام وحتى يومنا هذا برغم ما فعلوه بالدين من التحريف والتشويه وهو الفكرة القائلة بأن المرأة فعالة جنسيا؟ وأليس من الحق أن التمتع الجنسي يكتمل فقط عندما تستطيع المرأة عند ممارسة الجنس أن تلعب دور الحرث بنجاح وتستوعب الرجل في نفسها وأن لا يكون هناك أي منع أو فرض رقابة جنسية لا من قبل الرجل ولا من قبل المرأة – خاصة من قبل المرأة-؟**

**وإذ سنحت لي فرصة ونظرا لما جاء في الجزء الثاني من "رسالة من تويسركان" فأتناول مشكلة وأناقش حلها:**

**لماذا استخدام العنف عند ممارسة الجنس؟**

**عندما لا تعتمد العلاقات الزوجية على التعاطف والتوافق في القناعة فبالضرورة نشاهد العوامل المختلفة من القوة (المال والموقع الاجتماعي والمنصب والسلطة السياسية وغير ذلك). وتلعب هذه العوامل دورها التخريبي في ممارسة الجنس: إن العلاقة الجنسية ترافقها عمليات المنع والرقابة التي تقتضي ضرورة استخدام العنف. أليست المازوخية نتاج هذا العنف المستمر الذي أصبح على مدى التاريخ ولا يزال انعكاسا للعلاقات الجنسية؟**

**وعلى هذا الأساس لأن لا يفتح الأجيال القادمة عينيها على العالم بالعنف ولا تكون المازوخية والسادية وإلخ سواء "المعتدل" أو "المتشدد" منها طبيعتهم فهل هناك أي حل إلا ما يأتي:**

1. **أن يتم بناء علاقة المرأة بالرجل على أساس الحب والعقيدة و...**
2. **أن تتم إزالة عمليات المنع والرقابة في ممارسة الجنس و...**
3. **أن تستطيع المرأة أن تلعب دورها بالكامل في نثر البذور وتربيتها؟**

**إن الذين قاموا على مدى التاريخ بتحريف القرآن وعندما لم يتمكنوا من ذلك بتغيير معاني القرآن قاموا بقلب الحقيقة كانوا منبهرين بالسلطة معتبرين أن ذلك يأتي لصالحهم. ما هي مصلحة المنتقد الذي هو نفسه من ضحايا السلطة الشمولية؟ ولماذا يظهر الأبيض أسود وهذا الفضل الكبير عيبا؟**

**وأين تكمن مصلحة بني صدر في أن يبخل لنفسه عن آرائه الحسنة وينسبها إلى "الإسلام المشوه"؟ ألا نرى أن المليار مسلم هم ضحايا عملية تزييف المعاني؟ فلا نضع نصب عينينا ولا نعرف تجربة حصلت خلال قرن ونيف. أليس تشويه محاسن الأسلام والهجوم عليه بذريعة أنه ليس إلا المعاني المزيفة تقهقرا وانحطاطا لهذا المليار من البشر؟ ولا يزال يجب علينا أن نحلفكم بأن تصدقوا القائل بأنه إذا طهرنا الإسلام من أدناس القرون فسوف يملأ المليار مسلم وبقفزات متتابعة الفجوة التي حصلت طيلة القرون وسوف يحضرون ميعاد الزمن أي زمن التطور الكبير الذي انطلق بانتصار الورد على الرصاص في الثورة الإيرانية العظيمة.**

**على أي حال كان ولحد الآن حسنان كبيران تم تحويلهما إلى عيب ولكن:**

**المنتقد يقارن بين الآيتين 15 و16 من سورة النساء بحثا عن موضوع عقوبة "المرأة العاهرة" ويكتب قائلا:**

**«تقول الآية التالية (16): "وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا"».**

**لقد أخطأ المنتقد في ترجمته للآيتين إلى اللغة الفارسية إضافة إلى أنه قام بتفسيرهما كيفما شاءت لأن: الآية 15 تشير إلى امرأتين أو رجلين أو امرأة ورجل أعزبين. ويرى بعض المفسرين أن الآية تشير إلى الشذوذ الجنسي. إني طالعت أربع ترجمات من القرآن إلى اللغة الفارسية فوجدت الترجمة فيها متشابهة حيث لم تكن بحاجة إلى التصحيح. وفيما يلي نقل الآية 16 المفسرة حسب كتاب "تفسير نمونه" (التفسير المثالي) (المجلد الثالث الصفحة 306): "وَاللَّذَانَ (أي الرجال والنساء العزب) التي يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ (أي يرتكبون ذلك العمل الشنيع) فَآذُوهُمَا (أي أجروا عليهم الحد) أجروا فَإِن تَابَا (حقا) وَأَصْلَحَا (أي قاموا بتلافي الماضي) فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا إِنَّ اللّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا"**

**وهكذا لم تميز الآية 16 من سورة النساء بين المرأة والرجل وتؤكد الآية 15: "فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىَ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا" فيما تعتبر الآية 2 من سورة النور هذه الطريق أنها متساوية للمرأة والرجل:**

**إن عقوبة "الزنا المحصنة" للمرأة والرجل متساوية (8) وبرغم ذلك وفيما يتعلق بالزنا تعتبر شهادة أربعة شهود عدل أمرا ضروريا. فيما وحسب سنة النبي إن هذه الشهادة أمر مستحيل فعلا. كما تقول الآية 4 من سورة النور: "وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاء فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً "(9)**

**وبالتأكيد قد تم هذا التمييز لصالح المرأة بهدف تحريرها من موقعها كمستضعفة من جهة ولجعلها رمزا للحب والحياة من جهة أخرى لأن سلامة المجتمع تعتمد على عدم التطاول على حقوق المرأة ومكانتها وإن هذا الحسن يعتبر الحسن الثالث الذي تحول إلى عيب في "رسالة من تويسركان" ولكن:**

**واستطرد المنتقد قائلا:**

**"تقول الآية 19 من سورة النساء: "لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها...." بمعنى أنه حرام عليكم أن ترثوا النساء من غير رغبتهن في ذلك فيما يكون المفهوم المعاكس أنه لا جناح عليكم إذا رضين لذلك. يبدو أنه كان يعتبر حلا لتقليد كان قد تبقى من العهود السابقة للإسلام".**

**كان إرث النساء والإرث من النساء كلاهما من تقاليد العهد. وهذه المرة وبهدف تحويل الحسن إلى عيب اضطر المنتقد لاختلاق مفهوم معاكس ولم يلاحظ إطلاقا أن المفهوم المعاكس للآية هو الإكراه والإجبار بحد ذاته: فيما قد ذهب الكاتب أبعد مما ذهب إليه مؤلفو كتاب "السنوات الـ 23" الذين وفي الحقيقة اعترفوا في الصفحتين 187 و188 من الكتاب بأن حالة المرأة ومكانتها أمر لا يطاق في المجتمع العربي إلى حد كانوا يرثون النساء ويكتب قائلا:**

**"كانت المرأة كبقية تركة الميت تنتقل إلى الوارث الذي كان يحق له امتلاك زوجته من دون الحاجة إلى دفع الصداق وعندما لم تكن زوجة الميت ترضى بهذا الأمر فكان يحتجزها كأسير ولم يكن يسمح لها بالزواج المجدد حتى تتنازل عن حقها في الإرث لصالح الوارث وإلا كانت تبقى عزباء حتى تموت ويرث الرجل المالك أموالها. وقد نزلت الآية 19 من سورة النساء لتنهى عن هذا العمل اللاإنساني: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا ".**

**إن هذين الترجمتين إلى الفارسية هما نموذجان بارزتان! يظهر فيهما أنه ليس هناك غموض في بيان القرآن وأنما يأتي نتيجة الترجمة الغير دقيقة إلى الفارسية. لماذا هناك اختلاف في هاتين الترجميتن؟ لانه لم يكن لدى المترجمين معرفة تامة عن الأرضية الاجتماعية في موضوع حكم القرآن. إن الحقيقة هي أنهم كانوا يأخذون إرث النساء إضافة إلى إرث النساء أمران قد أصبحا موضوعا للحكم. تحرم هذه الآية وأخرى الآيات القرآنية هذين الأمرين. فيما لا يرى المنتقد القرآن أن يستحق هذا الحسن! وبالعناد يجعل إلغاء هذا التقليد الظالم عيبا خاصة باختلاقه ما يسمى بمفهوم المعارض!**

**ومن فرط العصبية لا ينتبه المنتقد أن مفهوم إرث النساء ووراثة النساء لا معنى لهما لانه عندما يتم إزالة القوة وتتخلص المرأة عن الإكراه فسوف تسيطر على نفسها وإرثها. ولو حكم القرآن أنه لا يجوز التزويج منها حتى بالاختيار أو لا يحق لها أن تتصرف بأموالها لما كان يفعل إلا أن يكون قد خلصت المرأة من ظلم ليصيبها بظلم آخر!**

**ولماذا هذه الدرجة من العصبية في كينونة العداء للإسلام؟ وقبل ظهور الإسلام كانوا يرثون النساء فكان الإسلام هو الذي أزال هذا التقليد فلماذا يفترض فسح المجال للعصبية حتى تجعل أي إرشاد صالح وأي حكم سليم في القرآن أمرا سيئا في غير محله؟ إن جعل هكذا عمل كبير وهكذا حسن واضح بهذه الدرجة وباختلاق مفهوم المعارض عيبا ليس لها أية نتيجة إلا الخسارة؟ ألم تكن مثل هذه العصبيات بذاتها دليلا ودافعا لعصبية نظام الملالي؟ لنترك الموضوع. هذا هو رابع حسن كبير وواضح يحوله قلم العصبية إلى العيب. ولكن:**

# ويتابع المنتقد قائلا:

**"تقول الآية 25 من السورة نفسها: "وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مِّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ". إذا كانت السيدة بعيدة المنال فلا تفوّت على نفسك فرصة أخذ الخادمة في المطبخ".**

**إنه وللمرة الثانية يجعل الكاتب الموقع الاجتماعي (العبودية) ذريعة لتحويل حسن إلى عيب ما يعود إلى تغافل الكاتب نتيجة الخلفية الذهنية الموجودة فيه وفي كل من يلتزم بالسلم الاجتماعي في لاوعيه برغم تغيير الذهنية. وحسب ما كتبه يعارض الكاتب العبودية.**

**وبرغم ذلك ينتقد الكاتب القرآن لأنه يشجع الرجال على الزواج من الأمة. لو كتب أنه كان من الأجدر أن يلغي العبودية حتى لا يضطر ليفضل الإماء على النساء لبدا الانتقاد مقبولا ومبررا. ففي هذه الحالة لكان الجواب أن الإسلام قد ألغى العبودية إلا في حالة أسرى الحرب – بشرط ألا يكون القرار على بقاء نظام تعبيد الأسير – حيث بنى الأساس على تحرير العبد فيما جعل الزواج إحدى الآليات لعملية التحرير هذه.**

**على أي حال تم في هذه الآية إلغاء أحد أهم الضوابط الطبقية وأكثرها صرامة: بينما في ذلك العهد وعهود تلته حتى عهدنا هذا كان موقع ومكانة المرأة والرجل في المجتمع هو الذي يحدد حدود دائرة الزواج فيما كان العبيد يحظي بأدنى موقع ومكانة في المجتمع. إن الإسلام ليس يلغي الموقع والمكانة الاجتماعية باعتبارهما مقياسا لتحديد حدود الزواج في المجتمع وإنما يجعل عملية الزواج آلية لإزالة الحدود الطبقية. إن الإسلام يدل إلى الطريق الصحيح:**

**لكون الزواج معيارا أو مقياسا لتحديد الحدود الطبقية فيجب تخلصها من القيود ليكون عاملا من عوامل إزالة الحدود الطبقية.**

**يا ليت كان المنتقد يعرف أنه وعند ظهور الإسلام كانت عملية الزواج تخص الطبقات العليا في المجتمعات فيما كانت الطبقات الدنيا وبسبب فقرها وحرمانها من المناصب والحقوق يتم حرمانها من الزواج. والآن في عهدنا وفي خضم الحضارة الإنسانية يعود الزواج ليتحول إلى امتياز طبقي بحيث يقنع الطبقات الأدني نفسهم بأن "العلاقات الجنسية الحرة" أفضل من الزواج بكثير! هل من ذنب الإسلام أنه يكافح هذا الامتياز الطبقي الأسوأ الذي هو في نفس الوقت امتياز سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي؟ هل كان من المفترض أن لم يكن ولا يلغى هذا الامتياز الذي هو يقف وراء أسوأ حالات المعاناة الاجتماعية؟ هل هذه نقيصة للإسلام؟**

**ولكن الشاعر هو الآخر أصبح يعزف خارج السرب وشعره انسلخ عن الذات:**

**وكان أحد الأعراف الاجتماعية الذي لا يزال قائما وشائعا برغم تغيير شكلها هي أنه وفي الطبقات الثرية وقبل الزواج كان الأبناء ومازالوا يمارسون الجنس مع الخادمات وكانت البنات ومازالوا يمارسن الجنس مع الخدام لتسديد حاجتهم وحاجتهن الجنسية وفي الوقت نفسه التدرب على أساليب المداعبة والغرام والمغازلة... إلخ!**

**وبعد الزواج كانت اقامة العلاقات مع العشيقة والعشيق للزوج والزوجة تعتبر ما يخلق التوازن في العلاقات الشخصية للسلطة. فكان الشاعر الإيراني يقصد هذا التقليد حيث قال: "إذا كانت السيدة بعيدة المنال عنك فلا تفوّت على نفسك فرصة أخذ الخادمة في المطبخ"! وعلينا أن نكون منصفين لنقول إنه وبرغم تعرض المجتمعات الإسلامية للغزو من قبل القيم الغربية المضادة ففي عصرنا يكون هذا "التقليد" أقل بكثير شيوعا في المجتمعات الإسلامية قياسا بالمجتمعات الأخرى.**

**وفي القرآن تم الغاء جميع الضوابط الزوجية عدا العقيدة والحب بحيث أنه وفي كل الآيات المتعلقة بهذا الأمر تم إلغاء ضابطة أو ضوابط مختصة.**

**وهذا هو الحسن الخامس ومن أهم المحاسن الذي يحوله المنتقد إلى عيب أو نقيصة. ولكن: لم يشر المنتقد إلى أي عيب في الآية 31 من سورة النور حتى أناقش الأمر. وأنا ناقشت هذه الآية بالتفصيل فيما يتعلق بالحجاب عند مناقشة موضوع الحجاب. ولكن: المنتقد عندما يناقش موضوع تعدد الزوجات تجعله العصبية يفقد السيطرة تماما على القلم حيث يقول:**

**"إن هذه الآية (الآية الثالثة من سورة النساء) لا تقول لأولئك الذين كانت لديهم زوجات من 6 إلى 10 إنه "لا يكن لكم أكثر من 4 زوجات" بل يبدو أنها تشجع الرجال الذين لهم زوجة وزوجتين على أن تكون لهم أربع زوجات".**

**لندقق ظاهر الآية وباطنها لنرى أي تشجيع يكمن في طيات الآية؟ وهي:**

**"وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُواْ فِي الْيَتَامَى فَانكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاء مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُواْ".**

**كما يقول في الآية 129 من نفس السورة:**

**"وَلَن تَسْتَطِيعُواْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ النِّسَاء وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا".**

**وهكذا تستند الآية الثالثة من سورة النساء في حكمها إلى أمرين اجتماعيين تعبران وبشكل مستمر عن الموقع الأدنى للنساء: 1- الزواج من البنات اليتامى لوضع يد على الإرث أو الحصول على موقع اجتماعي وسياسي أرفع و2- تعدد الزوجات.**

**كان هناك ولا يزال تعدد الزوجات. كما وعندما كان الغرب خاضعا لسلطة الكنيسة الشمولية فيه كانت الكنيسة قد شرعت للرجال من الطبقة العليا تعدد الزوجات! فيما لا توجد هناك حاجة اليوم بهذا التشريع!**

**إن استئصال هذا الأساس ونظرا للضروريات الاجتماعية والواقع الاجتماعي لم يكن وليس ما يمكن إنجازه "بين عشية وضحاها" بل كان يتطلب آلية مناسبة. إن اشتراط الزواج بالعدالة واعتبار العدالة مراعاة المساواة في ممارسة الحب ومنع الزواج من أكثر من امرأة عندما لا يمكن للرجل أن يلتزم بالعدالة هى الآلية التي يقدمها الإسلام للإنسانية.**

**فهكذا نلاحظ أنه ليس هناك تشجيع فحسب وإنما هناك منع جاد أيضا. وبرغم أن الآية 129 من سورة النساء قد عرّفت العدالة المقصودة ولكن المنع (ولا "التشجيع كما يبدو" حسب تعبير المنتقد) في الآية الثالثة من سورة النساء والتي استند إليها المنتقد قد ورد بصراحة حيث تقول الآية:**

**" فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً".**

**لو حرر المنتقد نفسه من العصبية ودقق في ما كتبه سوف يتفاجأ عندما يرى أنه قد غيّر "فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُواْ فَوَاحِدَةً " إلى "يبدو أنها تشجع الرجال الذين لهم زوجة أو زوجتان على أن تكون لهم أربع زوجات"!!.**

**ولكن وفي تعريف العدالة المتوخاة تقول الآية 129 من سورة النساء وبصراحة: "وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلاَ تَمِيلُواْ كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ" أي قوموا بممارسة الحب بكامل الرغبة دون التمييز بين أزواجكم. فهكذا ليس فقط يجب أن يكون الزواج قائما على العقيدة والعلاقة ما تتطلب العدالة وليس فقط يجب إلغاء الضوابط الأخرى لأنها لا تتلاءم مع بناء الأساس على العقيدة والحب ولذلك تعتبر ظلما‘ وإنما المرأة هي رمز للحب وعندما يبني الزواج على الحب ليس ظلما وإنما عدالة.**

**وهكذا وحسب الآيات التي استند إليها المنتقد أيضا فإن المرأة هي رمز للحياة والحب. وأسفرت التصحيحات عن نتيجتين: الأولى أن الآيات القرآنية جميعها تعكس المبادئ الإرشادية وعندما يفهم الأمر الواقع بشكل صحيح فيكون للآية معنى صريح وواضح دون أن تحتاج إلى التفسير بالرأي أو غير ذلك. والثانية أن الانتقاد وبكل ما تحمله الكلمة من معنى ليس إلا تمييز الحق عن الباطل.**

**لو لم تؤكد التصحيحات نفس الكلام الذي كان كلام القرآن – وليس رأي بني صدر وهو ينسبه إلى القرآن! – لجاءت وبمثابة اختبار للتوصيفات والتحليلات والآراء ليظهر الأخطاء في عملي دون أي شك. وحاليا بعد ان وصلنا إلى نفس البيان بإجراء التصحيحات فيا للفرح الذي ساورنا أنا والمنتقد والقراء بعد أن عدنا من الخطأ إلى الصحيح. ولكن العصبية هي أحد أسباب الوقوع في الخطأ:**

**كان هذا هو الحسن السادس الذي يحوله المنتقد إلى عيب. ولكنه عندما يناقش حالة النساء في صدر الإسلام وتصرفات النبي عند الزواج لا يزال يواصل هذا النهج.**

# المصادر والإيضاحات:

**1- القرآن سورة البقرة الآية 62**

**2- القرآن سورة الزمر الآية 9**

**3- تفسير نمونه المجلد الثاني صص 96 و 97**

**4- القرآن سورة آل عمران الآيات 42 إلى 45 وسورة النساء الآيات 156 و...**

**5- القرآن سورة الواقعة الآيتان 63 و 64. في الآية 71 من سورة البقرة، يعتبر الحرث زرعا ويعتبره بحاجة للسقاية.**

**6- القرآن سورة البقرة الآية 205**

**7- القرآن سورة الشورى الآية 20**

**8- القرآن سورة النور الآية 2**

**9- القرآن سورة النور الآية 9**

**10- القرآن سورة النساء الآية 19**

# مكانة المرأة في صدر الإسلام وعهد النبي

**انتقد المنتقد لماذا لم اقدم أي نموذج من حالة المرأة في عهد النبي محمد (ص). فإنه يعود إلى ثلاثة أسباب وهي كالتالي:**

1. **ليس المنتقد من لا يعرف إني ضحية التزييف وتزوير الحقائق. وبرغم أنني وفي مبني دائرة التلفزيون وأمام الكاميرا تحدثت وأكدت ضرورة رفع القيود وعمليات الرقابة والسماح بالحرية الجنسية الكاملة في الزواج وفيما أن هناك أفلاما وأشرطة وتقارير عن حديثي ولكنهم لفقوا وحاولوا وبتكرار الملفقات إقناع الآخرين حتى هؤلاء الذين كانوا قد استمعوا لكلامي وشاهدوني عند المناقشة سواء مباشرة أو عن طريق الفيديو بأنني قد قلت "إن شعر المرأة فيه أشعة تحرض الرجل"! والآن كيف يمكن للتعسفيين أن لا يكونوا قد استخدموا نفس الأسلوب مع النبي محمد (ص)؟ وحتى ألم يستغل المتشدقون بالإسلام الإسلام كوسيلة للسلطة وألم يدخلوا مختلقات إلى الدين بكل ما بوسعهم؟**
2. **إن القرآن هو تقرير دقيق عن منهج الرسول وسنته. وأرى من المناسب وفي حينه أن أقدم للمنتقد المحترم ومن خلاله إلى جميع المثقفين وأصحاب الأقلام نصيحة علمية وهي أن علينا أن لا نشق الطريق لتطوير مجتمعاتنا بالتمسك بالأقاويل الماضية الصحيحة أو الكاذبة منها ويجب ألا يكون لنا أي معيار للقبول أو الرفض إلا ما هو أساس اعتقادنا وهو القرآن. ولو كان المؤرخون قادرين على نقل الوقائع الحقيقية والصحيحة والشاملة من عهد النبي وجعلوا الناس يتوصلون إلى قناعة تامة بأن أفعال وتصرفات النبي كانت تخالف تعليمات القرآن لكان القرآن هو المعيار والمقياس في ذلك. لأن ما يهمنا هو الإسلام وليس كيفية أعمال وتصرفات المسلمين في الماضي. وكان النبي وأولياء الدين الآخرون ينتبهون تماما إلى حقيقة أن السلطة تنسلخ عن الذات وتنتج "السنة" و"الرواية" لتحلا محل الكتاب. فلذلك قد أكدوا مرارا وتكرارا على أصالة وأولوية الكتاب أي القرآن تماما. ولا يوجد هناك حل لتخلص المسلمين من "الإسلام المنسلخ عن الذات" إلا الرجعة إلى الكتاب. فيما باتت الأساليب الأخرى بلا نتيجة أو أسوأ من ذلك أدت إلى النتيجة العكسية. فنظرا إلى النقطتين المذكورتين يثبت بكل وضوح وجلاء أني قد ذكرت العديد من النماذج من "حالة المرأة" في تلك العهد بمفارقة أني استندت إلى القرآن.**

**3- برغم ذلك لم أكن خائفا من شهادة التاريخ ولم أكن غافلا عن شهادة الزمن. ونظرا لهذه الشهادة قد كتبت وقلت مرات إن المجتمع لن يتطور إطلاقا من دون تطور النساء في المجتمع. ويشهد التاريخ بلا شك أن المجتمع العربي تطور مع الإسلام وفي الإسلام وأكثر من ذلك تطور المجتمع الإسلامي الكبير مع الإسلام وفي الإسلام. ولم يدخل الإنسان إلى عهد الحضارة الجديدة وإنما أعطى خصوصيتين حاسمتين إلى تطور المجتمع البشري: الأولى أصالة الإنسان والأخرى هي تحويل النمو المنفصل إلى النمو المتصل. في الحقيقة أن القرآن وباعتباره نهجا لانتصار الإنسان في ملحمة الكون العظيمة هو الفريد من نوعه. ومن الفخر للإيرانيين الذين أنشدوا وعلى لسان مولانا جلال الدين الرومي قصيدة ملحمة الإنسان الخالدة التي تعتبر تفسيرا للقرآن. وفي عهد أماديح القوة الظلام إن دعوة الإنسان إلى المسئولية والحرية والنمو والملاحم العظيمة وذلك في ظلمات امتداح الجبر هو في حد ذاته أكثر من الملحمة وبل معجزة.**

**إن قراءة التاريخ أقنعتني بصحة المبدأ القائل: إن مراحل النمو في أي مجتمع تبدأ بالمزيد من الحرية للنساء وتطورهن كما تبدأ مراحل الانحطاط بالمزيد من تقييد النساء وانحطاطهن.**

**فهكذا ليست نماذج مثل خديجة وفاطمة وزينب إلخ... نماذج نادرة نشأت في الفكرة التوحيدية ولم تستطع أية فكرة أو حضارة أخرى أن تخرج بمثل هذه النماذج وإنما كانت هذه النماذج قدوات وأمثلة تحتذى ولكنها لم تكن وحيدة. ونالت المرأة الحرية والمكانة والمسؤولية بالإسلام وبالتالي تطورت وبتطورها تطورت المجتمعات الإسلامية أيضا.**

**بغض النظر عن شهادة التاريخ فإن الانتقاد على موضوع المناقشة يشهد على هذه الحقيقة، شريط أن يتم تصحيح الأمور الواقعة والمعاني التي تم الاستناد إليها.**

# حالة المرأة عند ظهور الإسلام

**جاء في المقال الانتقادي نقلا عن (وات) ما يلي:**

**"كان أساس النظام الاجتماعي في أغلب المناطق في شبه الجزيرة العربية قائما على النظام الأموي حيث كان يعرف الرجال والنساء بتعلقهم بقبيلة الأم. وكان هناك قبائل فيها الجد المشترك كانت امرأة ... وكان لبعض من النساء عدة أزواج ... وإن القرآن وبتحديد فترة الانتشار لمدة ثلاثة أشهر (العدة) قبل زواج المرأة مجددا منع فعلا الزواج من عدة أزواج كآلية لمعرفة والد الطفل وبالتالي كانت الأرضية يتم تمهيدها لعبور مرحلة سلطة الأم وصولا إلى مرحلة سلطة الأب تدريجيا. وبعد ذلك كانت المرأة تنقل إلى بيت الزوج بعد الزواج".**

**ليست لـ"نظام سلطة الأم" خصوصية عدا الخصوصيتين الأولى عدم الذهاب إلى بيت الزوج وكون تهيئة البيت ودفع نفقات البيت على عاتق عائلة الأم والثانية تعدد الأزواج وليس هناك ملك. إن العهد الذي كان فيه للنساء عدة أزواج كان من أسوأ العهود في التاريخ البشري حيث كانت النساء يعشن بمكانة أدنى. وحسب المؤرخين والعلماء الاجتماعيين اجتازت النساء هذه الفترة بعد نضال طويل. وفي المجتمع العربي وعند ظهور الإسلام كانت هذه الحالة والمكانة الدنيا أمر لا يطاق تحمله حيث كان العرب يئدون الرضيعة وأحيانا البنات الشابات. لسنا بحاجة إلى التاريخ للحصول على صورة واضحة من هذه الحالة والمكانة الدنيا. وفي جزء مهم من عالم اليوم هناك نساء يسددن نفقاتهن بأنفسهن ونفقات أولادهن إضافة إلى أنهن متزوجات من عدة أزواج! وإذا كانت هؤلاء النساء هن "الأمهات ذوات السلطة" وهن يلقين حتفهن قبل أن تبلغ أعمارهن ما يتراوح بين 30 و 35‘ فياليتهن تحررن من قيود السلطة (الملكية) ونلن الحرية في أسرع وقت ممكن.**

**إذ إني ملتزم بأن لا أتجاوز حدود مناقشة ما جاء في نص "رسالة من تويسركان" فأترك مناقشة موضوع نظام "سلطة الأم" وخصوصياته وتطابقه مع المجتمع العربي عند ظهور الإسلام. وحسب النص كان أساس النظام الاجتماعي في شبه جزيرة العربية عدا مكة قائما على نظام سلطة الأم. ولكن وقبل قليل كان الكاتب يعتبر الأمر القرآني بشأن عدم إرث النساء حلا "للتقليد الذي كان قد تبقى من العهود السابقة للإسلام". لو كانوا وبحسب كاتب "رسالة من تويسركان" يرثون النساء لما أمكن أن يكون أساس النظام السلطة الأبوية) كان الأساس هو سلطة الأم. ولو كان النظام الاجتماعي مبنيا على أساس سلطة الأم فكيف كانوا يرثون النساء – ومنهن الأمهات - وكانوا يرثون منهن والأمر كان كذلك فعلا؟. فبالتالي لم يكن أساس النظام الاجتماعي قائما على سلطة الأم وإنما كان قائما على عبودية المرأة. والحقيقة هي أنهم عندما كانوا يريدون أن يبرزوا الموقع الادنى لرجل فكانوا ينسبونه إلى أمه! فيما كان القرآن هو الذي ثمن الأم منطلقا في ذلك من الكفاح ضد هذا التقليد الدنيء وسمى عيسى المسيح باسم أمه أي "عيسى بن مريم" تكريما لأمه.**

**ولكن ما يثير الاستغراب أكثر هو الكلام القائل "إن القرآن وبتحديد فترة الانتظار لمدة ثلاثة أشهر (العدة) قبل زواج المرأة مجددا منع فعلا الزواج من عدة أزواج"؟! كيف يمكن أن تمنع (العدة) زواج المرأة من عدة أزواج؟ فيما لا معنى لـ (العدة) إلا بعد وفاة الزوج أو حدوث حالة الطلاق بينما إن تعدد الأزواج يعني زواج المرأة من عدة أزواج في آن واحد! إن هذا النوع من الاستدلال الذي يخرج به السيد (وات) يمثل غيضا من فيض ويكشف طبيعة ما يعتمد عليه كل ما يقدمه من توصيفات وتحاليل!**

**الحقيقة هي أنه وبعد أن تم تحديد (العدة) أصبحت معرفة والد الطفل أمرا ممكنا فتخلصت الأم من عبء المسؤولية عن ولاية الولد ورعايته بوحدها.**

**وهكذا وبتحريرها من "عبودية المرأة" وتخليصها من عبء المسؤوليات والاستخفافات وإعطائها صلاحيات ايجابية في الزواج فتح الإسلام أبواب الحرية والمسؤولية أمام المرأة. كما وبفضل إحداث تغييرات مهمة للغاية في الأساس الفكري والنظام الحقوقي وأكثر من ذلك في نظام الأسرة وبالتالي في النظام الاجتماعي احتلت المرأة مكانتها في الخطوط الأمامية لحركة التطور المتسارعة وخرج المجتمع اللإسلامي الصغير وبقفزة مستمرة لحد اليوم من ظلام الجاهلية حتى دخل في أضواء حضارة جديدة ليصبح إمام الإنسانية.**

**وحسبما ورد في القرآن كانت الظروف التي تعيشها النساء في المجتمع العربي كالآتي: إضافة إلى ما تقدم من الحقائق كانوا يجبرون النساء على البغاء مما كان يعتبر نوعا من كسب الدخل أو الإعاشة من قبل الرجال (1). أما الزنا فكان أمرا شائعا بين النساء كما كن يقتلن أطفالهن أو يدفعنهم إلى ارتكاب صنوف الفساد وكن ينسبن أولادهن إلى هذا الرجل أو ذاك ويلصقن بهم التهمة (2) إضافة إلى قيامهن بوأد البنات (3).**

**وكانت النساء يمثلن النسيج العنكبوتي للعلاقات الشخصية للسلطة فكانت المنافسات والصراعات والعداوات السياسية يتم حلها من خلالهن لا محالة ولذلك كانوا ومازالوا يقولون إنه لا توجد هناك جريمة إلا ولامرأة إصبع فيها!(4) ولم تكن مكانتها وحقوقها معروفة لا في الزواج ولا عند الطلاق (5).**

**وكانت النساء يعكفن على استخفاف وازدراء بعضهن البعض فيما كان العرب واحتقارا لبعضهم البعض يستخفون ويحتقرون النساء بمختلف الأساليب (6). وكانت مكانة المرأة سافلة إلى حد كانوا يصفون النبي بأنه "أبتر" لكونه والد بنت فقط ولم يكن له ابن. واستخفافا لرب محمد (ص) كانوا يقولون: إن هذا الرب ليس له ابن وإنما له بنت فقط (7).**

**وكانت الأسرة العربية تنسجم مع السكون والانحطاط من النوع الذي يسمونه بـ"أسرة بلا هدف" (8) حيث لم تقم بتربية الابن والابنة لعمل معين أو هدف محدد وكان الجنس لا محالة هو المحور لتقييم المرأة فكانت المنافسة الجنسية عن طريق التبرج والتدلل والتغنج أمرا شائعا بين النساء (9).**

**ليس النظام الاجتماعي لم يكن قائما على نظام "سلطة الأم" فحسب وإنما كان استخفاف الأم خاصة من قبل الأبناء مؤشرا عن بلوغهم سن الرشد. فلذلك يؤكد القرآن في كل مناسبة ضرورة احترام الأم (10). ولم يكن للنساء حق التدخل في السياسة ولم يكن يعتبرن صاحبة الرأي. فكان نبي الإسلام أول من بايعته النساء وكان القرآن أول كتاب اعتبر النساء والرجال "بعضهم أولياء بعض" (11).**

**لم يكن للنساء أي أمن قضائي ولإصدار أحكامه كان القاضي يعتمد على مبدأ الإجرام وليس مبدأ البراءة. وإذا كان زوج يتهم زوجته فكان يتم إصدار الحكم لصالحه. فلذلك أقر القرآن بأنه وعند توجيه تهمة الزنا إذا لم يحضر أربعة شهود أمام المحكمة فعلى الزوج أن يدلي بالشهادة ضد زوجته بدلا من أربعة شهود وللمرة الخامسة أصالة من نفسه. كما وإذا قامت المرأة بتكذيب شهادة الرجل فيبطل ادعاء الزوج ويفقد مصداقيته(12).**

**فعلى ذلك وكل مرة اعتبر القرآن توجيه التهمة إلى النساء جريمة وأقر عقوبة لذلك (13). ليس الرجل لم يكن مسؤولا عن نفقات الزوجة والأولاد فحسب وإنما كان يجبر الزوجة على البغاء ويأخذ الدخل منها. فلذلك أكد القرآن أن الرجل هو العمود الحامي للمرأة في عيشها وعفافها (14). كانوا يأخذون إرث النساء كما كانوا يرثون النساء أنفسهن (15). ولم يكونوا يعترفون بأي حق للمرأة بعد وفاة زوجها أو بعد طلاقها. وكان يعتبر المرأة والرجل نقيضان. فيما اعتبرهما القرآن وليا وصديقا لبعضهما البعض وأن يكون أساس العلاقة بينهما قائما على الحب والولاء وذهب في ذلك إلى أن اعتبر الزوج والزوجة لباسا لبعضهما البعض (هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ) (16) و....**

**إذا افترضنا أن ما تقدم من الحقائق التي يبين حالة المرأة ومكانتها في عهدنا وفي جميع المجتمعات بشكل أو بآخر ولم يكن الأمر كذلك في المجتمع الجاهلي الذي كان قائما على سلطة الأم فيجب أن نتساءل من المنتفع من نظام "سلطة الأم"؟ ألم يكن الأساس في نظام "السلطة" قائما على القوة؟ فكلا النظامين أي "سلطة الأب" و"سلطة الأم" كان قائما على القوة. بينما لم يقبل الإسلام لا سلطة الأب ولا سلطة الأم لانه قد بنى أساس العلاقات الزوجية على العقيدة والحب. أما العجب أو الإعجاز الذي تسبب في تلك القفزة التاريخية النادرة فليس إلا تخلص ساحة العلاقات الزوجية من "السلطة". أليس تشويه وقلب ذلك الواقع وهذه الحقيقة ظلما كبيرا بحق الذات الإنساني؟.**

# النبي وزوجاته

**يتبع المنتقد نفس النهج الذي أبدعه "الباحثون" و"المورخون" في الغرب في اعتبار بعض من زواجات النبي سياسيا. إنه يعتبر زواج النبي من أم سلمة سياسيا دون أن يساوره الشك ولكنه لا يقدم أي دليل يثبت هذا الزعم!**

**ويؤكد القرآن بأنه لم تكن أية من هذه الزواجات سياسيا. بشرط أن نعتبر السياسة بأنها مجموعة من التدابير واستخدام مختلف الأساليب للوصول إلى السلطة. ولكن وبموجب مبدأ الموازنة العدمية إذا اعتبرنا السياسة مجموعة من التدابير واستخدام أساليب تنسجم مع هذا المبدأ لإزالة القوة أو على الأقل تخفيف مدى القوة في العلاقات الاجتماعية وتوجيه المجتمع في مسار التنمية والحرية فتكون حتى أنفاس النبي سياسيا أيضا.**

**فلا يمكن اعتبار زواجات النبي سياسيا على أساس أي من تعاريف السياسة حول السلطة في علم السياسة. لأن احداث التغيير في النظام الاجتماعي والنسيج الذهني في المجتمع الجاهلي كان هو الأساس لرسالة النبي. ومن الأجدر أن نقول إنه كان ينوي إبعاد عفريت القوة من شكل ومضمون العلاقات الاجتماعية وما في عقول الناس. وفي هذا التغيير الشامل لا يمكن اعتبار الزواجات نوعا من المساومة السياسية لكون العوائل في دائرة السلطة الاجتماعية لم تحتفظ بموقعها الاجتماعي. وهؤلاء الذين اعتنقوا الإسلام كانوا يستقون هوياتهم من الإسلام وفي الإسلام فاعتبار الزواج من بناتهم سياسيا خال من الدليل تماما.**

**فعندما حاولت زوجاته أن يحصلن على الامتيازات التي تحظى بها زوجات الرؤساء والملوك فخيرتهن هاتان الآيتان بين البقاء كزوجة النبي على أساس العقيدة أو ترك العلاقة الزوجية (17):**

**"يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآَخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا"**

**ولو كانت هذه الزواجات "سياسيا" لبرز هناك سؤال وهو أما كانت إحدى الزوجات أو واحد من آلاف المسلمين الذين كانوا يصاحبون النبي أياما وأسابيع وأشهرا وسنوات يتساءلون عن سبب نزول هاتين الآيتين في الوقت الذي قد تمت فيه هذه الزواجات سياسيا ومن أجل تحقيق أهداف سياسية؟ ولا يختلف الاثنان على أن ضروريات السلطة تتزايد بعد استقرار السلطة ولو كان الهدف استبدال سلطة بسلطة أخرى لما نزلت هاتان الآيتان اللتان تعارضان ضروريات السلطة.**

**وبعد أن اعتبر الزواج من أم سلمة سياسيا ناقش المنتقد زواج النبي من زينب ابنة عمه قائلا:**

**".... تفاجأ بمشاهدة زينب وهي لم تكن بحجابها الكامل ورجع يبدو كأنه يقول: "تبارك الله ... ومحلو القلوب" .. فبعد ما جرى أصبحت الحياة مع زينب بالنسبة للزيد لا يحتمل فطلقها وتم ترتيب زواجها من محمد بعد انقضاء عدتها".**

**عندما يأتي دور فرويد يقوم الكاتب بتمشيط 11 مجلدا من آثار فرويد ليجد فيها جملة منه ويرى أن استخدام كلمتين "ربما" و"يبدو" كافيا حيث يضخم ما زعم الأعداء من التهمة!!!**

**يزور محمد الأمين بيت زيد حيث تلقي نظرته إلى المرأة التي هو نفسه زوجته من ربيبه برغم "إرادتها" ومن ثم ... يتم ترتيب زواجها من محمد!! وانتهى الموضوع؟!! يا له من العصبية العمياء!!**

**ويكتب المنتقد أن محمد زوج زينب من زيد رغما منها. يحق للمرأة أن تستجيب ولو لم تكن زينب راضية فكيف كان الزواج يمكن أن يتحقق؟ الكاتب لم يعرف زيدا. كان زيد عبدا حرره النبي. وفي المجتمع العربي آنذاك كان الزواج من الرقيق يعتبر عارا كبيرا. أليس الأمر لا يزال هكذا؟ أليس زواج البيض من السود في أمريكا عارا؟ على أي حال كان النبي يعتبر العقيدة والعلاقة اساسا ومنطلقا لمحاربة النسيج الذهني والاجتماعي فخطب بنت عمته لهذا العبد. وبعد الزواج كانت هناك ضغوط تفرضها البيئة الاجتماعية على هذا الزوج حيث أن موقعهما الاجتماعي غير المتكافئ جعل حياتهما الزوجية أمرا لا يحتمل. ولم تكن زيارة محمد بيت زيد ما جعل العيش مع زينب أمرا لا يطاق لزيد. فكان الأمر غير محتمل قبل ذلك ولكن زيدا لم يطلق زينب احتراما للنبي. وكان يشتكي لدى النبي مرات. وزار محمد بيت زيد ليصلح ذات بينهما. وإذ لم تتم المصالحة فجرى الطلاق وأصبحت زينب مطلقة عبد. فكانت تعتبر نفسها بائسة لانه لم يكن هناك أي من "نظرائها" يرغب في الزواج من مطلقة عبد. وكانت تحزن هي وأمها للغاية. وكانت ردود أفعال المجتمع تجاه مصير زينب قاصية إلى حد كان من المحتمل أن يفشل جهود النبي في عصره ويعود المجتمع العربي إلى التقاليد الطبقية المنكرة.**

**يؤكد المورخون والمحللون أن الهدف من زواج الرسول هو تحطيم تقليد مكروه من التقاليد أي الزواج من مطلقة الربيب. ولكن إذا تم التدقيق فيما جرى فيتبين أنه وإضافة إلى ذلك كان الهدف أيضا هو التأكيد المؤكد على أصالة الإنسان ومكافحة الأسلوب التفكير الطبقي. كما كان الغرض منه هو ازالة الضوابط الاجتماعية وغيرها من الضوابط التي وبسلطتها المشؤومة لاتزال تسيطر على العلاقات الزوجية في أيامنا هذه.**

**وأثار هذا الزواج آنذاك ضجيجا. وحسب الكاتب كان المعارضون لتحطيم تقليد منع الزواج من مطلقة الربيب يعبرون عن احتجاجهم على ذلك. ولو كان زواج زينب من زيد رغما منها وخاصة لو كانت زيارة محمد لبيت زينب وزيد هي التي دفعت الأمر إلى الطلاق لكانت هناك قضايا أهم للاحتجاج عليها. فحطمت تقاليد أكبر بكثير. وفي الحقيقة عندما وبنظرة واحدة من ولي الأمر تنتقل المرأة من فراش زوجها إلى فراشه فما كان يبقى من الضمان للأسرة؟ ولو كان النبي قد فعل مثلما يزعمه ملصقو التهمة فماذا كان يبقى من الإسلام والمجتمع الإسلامي؟ وفي المجتمع الإسلامي آنذاك لم يصدق أحد هذه التهمة الكبيرة الملصقة بمحمد لكونه لم يكن أهل القفزة. كان محمد أمينا وصادقا وكان الجميع يعرفونه ويصرح القرآن أن زيدا هو الذي لم يكن يرغب في استمرار الحياة الزوجية مع زينب. إضافة إلى أنه وحسب القرآن إن العبد المؤمن أفضل من الحر المشرك فذكر اسم زيد في القرآن كعبد محرر يؤكد أهمية هذا الزواج والطلاق من ناحية تحطيم الحدود الطبقية وتحرير المرأة والرجل والأكثر المرأة من قيود العلاقات الطبقية.**

**وتؤكد الآية 37 من سورة الأحزاب الموقع الاجتماعي لزيد باعتباره عبدا محررا وتورد قصة طلاق زيد وزينب وزواج زينب من محمد قائلة:**

**"وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا".**

**إن ابنتي (فيروزه) وبعد ما قرأت مقال "على هامش المرأة والزوجية" أكدت هذا الأمر المهم قائلة: دون اعتبار المرأة شيئا جنسيا لا يمكن اختلاق قصة زينب ومحمد بهذه الصورة. وفي هذه القصة تكون زينب شيئا جنسيا يغري محمدا ومن هنا تكون صفقة بين رجلين. وتنتقل زينب من فراش رجل إلى فراش رجل آخر. وطوال القصة تظهر زينب مرة واحدة فقط وهي عندما يراها النبي حيث ليست لها "حجاب كامل"! إن الذين اختلقوا القصة بهذه الصورة اختلقوها على أساس اسلوب تفكيرهم بشأن المرأة. حيث انهم فضحوا أمرهم. هل الكاتب يشاطرهم رأيا ويعتبر المرأة شيئا جنسيا ومغريا؟ أي نوع من الدفاع عن المرأة هذا الذي يبدأ باستخفافها؟ ولكن عندما يريد القرآن أن يحل المشكلة العالقة بين محمد وزوجاته يعطي زمام المبادرة إليهن فلهذا يخاطبهن قائلا: انتخبن. وتظهر جيدا المفارقة بين الرؤيتين وبين الأسلوبين بالمقايسة التالية: يعتبر الإسلام المرأة انسانا فيما الروائيين يعتبرونها شيئا جنسيا! فيكون التناقض اساسا لهذه القصة المختلقة: تم اختلاق هذه القصة على أساس احتقار المرأة تماما وتقليل شأنها إلى شيء جنسي.**

**فلننظر في الحقائق الاجتماعية في زمننا كعبرة: لندقق في موقع ومكانة النساء في المجتمعات الغربية اللاتي يتزوجن من غير الاوروبيين وينفصلن. للنظر في موقع النساء البيض الأمريكية اللاتي يغازلن ويتزوجن من الرجال السود وإلخ.... ونتساءل أنفسنا: هل تجدينا نحن والإنسانية نفعا هذه العصبية, العصبية العنيدة التي تقلب تغييرا بهذه الدرجة من الأهمية في اسلوب التفكير والنسيج الذهني والاجتماعي وتقوم بالدعايات؟ إن مصلحة أعداء حرية الناس واضحة ولكن ما هي مصلحتنا؟ وفي هذا الزمن الذي كانت فيه العصبيات العرقية وغيرها ولا تزال تغرق العالم في أخطر الأزمات تفاقما في لهيب العنف إذا سردنا القصة مثلما حدث فعلا وروجنا للأسلوب الذي يقدمه القرآن وإذا قمنا وبدلا من تكرار أكذوبة أعداء البشر بحق مقدم الكتاب الديني الوحيد الذي يقدر الإنسان قدرا إلهيا ويكون ملحمته، بالترويج للحق الذي يؤكد أن الإسلام يلغي الخلاف الطبقي الاجتماعي لتتزوج ابنة عمة النبي من عبد وتتزوج مطلقته من النبي, وإذا و..., فلم نعمل باتجاه إحداث التغيير في النسيج الذهني والتغيير في العلاقات الاجتماعية والحرية الحقيقية للإنسان؟ أليس هذا العمل أحسن؟ أليس من الأجدر أن نقلص من عصبياتنا؟**

# مذبحة بني قريظة

**يرى كاتب "رسالة من تويسركان" ضرورة طرح قصة "مذبحة بني قريظة" فما هي علاقة هذه القصة بنقد ما كتبه بني صدر؟ لا شيء. علي أي حال أغتنم هذا الأمر لانه اليوم واستنادا على هذه "المذبحة" يبرر "ملاتاريا" (ديكتاتورية الملالي) ما يفعله من الجرائم التي لا تعد ولا تحصى كما يقوم معارضو الإسلام بنشر الفكرة القائلة إن النبي كان سفاكا شأنه شأن هؤلاء الملالي!**

**"إن قبيلة بني قريظة اليهودية ثار الغضب والهجوم عليها بتهمة نشاطات مشبوهة ضد المدينة فاستسلموا من دون أي شرط وأية مقاومة شديدة. واقترح محمد حكم سعد بن معاذ ووافق اليهود عليه فأمر بقتل رجال بني قريظة وبيع النساء والأطفال كسبايا. وتم تنفيذ الحكم في اليوم التالي. وتبريرا لحكم كان قد أصدره قال سعد الذي كان جريحا بشدة وعلى وشك الموت في المدينة المحاصرة قال إن ما فعله كان مجرد واجبه تجاه الله والأمة الإسلامية. وتم تنفيذ أحكام الإعدام التي بلغت نحو 600 إعدام على أيدي المهاجرين ومساعدة بسيطة من قبيلة بني الخزرج".**

**لا أخفي عن القراء أنه كان في أوائل أيام الثورة حيث ولأول مرة سمعت من منتقد أن النبي "أعدم في يوم واحد 700 شخص دفعة واحدة". فقررت أن أحقق في الأمر وكشفت عن الحقيقة مثلما حدث. وكانت المرة الثانية عندما أعتقلوا العديد من الضباط بتهمة التورط في "تخطيط الانقلاب العسكري انطلاقا من معسكر نوجي". وبعد لقائه بالسيد خميني قال السيد موسوي أردبيلي: "قال الإمام إن الحكم على هؤلاء يكون مثل الحكم على بني قريظة فيجب إعدامهم جميعا"! ذهبت إليه وسألته هل هو أطلق هذا الكلام غير القابل للتصديق؟ فأجاب: نعم. سألته: ماذا لديكم من وثائق تثبت أن النبي أعدم 700 شخص دفعة واحدة؟ قال: التاريخ!! قلت له: ألم يقل النبي إذا لم تطابق الرواية نص القرآن فارموها؟ ألم تذكر قصة غزوة بني قريظة في القرآن؟ أليس عليكم أن تلتزموا بما جاء في القرآن؟ لماذا وبعملكم تؤيدون التاريخ الذي كتبوه أعداء الإسلام؟ انهم هم الذين اختلقوا مشهد "مذبحة وإعدام 700 يهودي" وإلخ.... ووقعت الحرب العراقية الإيرانية وسارعت لإنقاذ حياة هؤلاء الذين لم يتم إعدامهم.. ونجحت في ذلك!**

**منذ أن اقتبسنا فقهنا من مدرسة سكولاستيكية وبالنسبة لعلمي الكلام والسياسة واعتمدنا على أفكار أفلاطون وأرسطو فبطبيعة الحال علينا أن نتعلم تاريخنا من قلم الآخرين وعلى لسان الآخرين الذين أغلبيتهم أعداءنا!**

**على أي حال نعود إلى مناقشة ما كتبه المنتقد:**

**في البداية يكتب "بتهمة نشاطات مشبوهة ضد المدينة" ولا يذكر أن عدد المسلمين كان قليلا فيما كان أكبر قوة من الخارج قد تهاجمهم. ويكتب في النهاية: "كان سعد قد أصيب بجروح خلال تطويق المدينة"! فكانت المدينة محاصرة. ولم تكن "نشاطات مشبوهة" لبني قريظة إلا انتهاك الميثاق أوالاتقاق الذي كانوا قد عاهدوا عليه مع المسلمين. وبعد انتهاك الميثاق قاموا بتحريض أناس من المدينة ضد النبي والمسلمين فيما اتفقوا مع القوات المهاجمة أن يهاجموا على المسلمين من الداخل والخارج. فبات مصير المسلمين هشا للغاية.**

**اطلع المسلمون الذين كانوا وبرغم قلة عددهم ينشغلون بمواجهة العدو في حرب تعرف بغزوة الأحزاب على أن بني قريظة قد نكثوا الاتفاق ونساء وأطفال المسلمين معرضون لخطر الهجوم ما اتخذ منه المنافقون ذريعة ليستأذنوا "لحماية بيوتهم". فهكذا تعرض المسلمون للهجوم الشامل من الداخل ومن الخلف والمقابل حيث لم يكن هناك أحد إلا وتوقع موته وكان على يقين بأنه ما إن سينتهي النهار حتى يولي عهد الإسلام والمسلمين. وفي تلك الفترة العصبية كان عدد هؤلاء الأوفياء والصامدين والراسخين على الإسلام قليلا. وحسب القرآن تمكنوا من تحويل الهزيمة إلى الانتصار بفضل صمودهم واعتمدوا على أنفسهم فانتصروا ما كان يعتبر الدرس الأول والكبير في الانتصار وهم في تلك اليوم العصيب أنجزوا ذلك بنجاح. انتصر علي على عمر وابن عبدود فانسحبت القوات الغازية. إلا أنه كان هناك من يعتقد أنهم مستعدون للهجوم في محيط المدينة. فارتأى النبي أن يغتنم الفرصة ليطمئن من جبهتي الداخلية والخلفية. ورفض بنو قريظة طلب الاعتذار للمسلمين. ودام الحصار والمعركة 25 يوما فيما قاوم بنو قريظة بشدة ظنا منهم أن جيش مكة سوف يهاجمهم. فانهزموا أخيرا حيث لم يكن هناك من المنهزمين إلا أن ألقى اللوم على بني قريظة لنكثهم الاتفاق وإثارتهم الحرب. وأكد إبن هشام الذي قد روى القصة كاملة أن عدد القتلى من بني قريظة كان ما يتراوح بين 200 و600 قتيل. وكتب أن النبي أشفق عليهم وسمح لهم بأن يختاروا حكما. فاختاروا سعد بن معاذ الذي حكم عليهم بموجب قوانين اليهود (17).**

**ويروي القرآن قصة القتال ضد بني قريظة في الآيات 18 إلى 27 من سورة الأحزاب قائلا:**

**«قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (18) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (19) يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (20) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (21) وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا (22) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (23) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (24) وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (25) وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (26)».**

**وهكذا إن النبي حوّل المرحلة العصيبة التي تعرضت فيها ثورة كبيرة إلى دوامة الهجمات من كل حدب وصوب إلى مظهر للإيمان والإنسانية. فإنه اغتنم ذلك المشهد الرائع لاختبار صعب في الوفاء بالعهد والمثابرة بالإيمان أي الإيمان بالنصر حيث كانت مخافة الأحداث وبشاعة الضربات تخطفان قوة الإرادة واغتنم الفرصة ليلقن درسا كبيرا ويعلم قاعدة ونهجا اجتماعيا عظيما ثابتا ليقول:**

**هناك كثيرون من المنافقين الذين يختلقون ذرائع عندما يستوجب الوفاء بالعهد ويجندون الشتامين والأنذال والأوباش من هنا وهناك فيما يكون هجوم مدبر ومفاجئ من قبل الأعداء المحليين من الداخل والأعداء الأجانب من الخارج ليقطعوا مفاصل حياة أمة إلى حد لا يبقى إلا شعرة ففي الوقت المصيري الذي تكون فيه الحياة هشة فإن هؤلاء الذين يبقون راسخين على عهدهم بشرط الحزم وعدم نسيان الإنسانية والعقيدة يحولون الهزيمة إلى الانتصار.**

**أرجو أن تقرؤوا الآيات مرة أخرى بدقة لتروا كيف أشغلت العصبية الناس عن درس كبير ومهم، الدرس الذي يجب تلقيه والحزم الذي يجب إبداؤه في الوفاء بالعهد عند الظروف العصيبة وعدم فقدان الايمان بالنصر إطلاقا إطلاقا فهكذا تتحول العصبية إلى "العنف" ليتم نسيان أن عددا قليلا من المسلمين وبعد تصفية صفوفهم من المتذبذبين أقاموا منهجا لينقذوا سفينة ثورتهم العظيمة من أمواج خطيرة وإيصالها إلى بحر الأمان. إذن أليس من الخسارة أن تلوث العصبية هذا النهج المجرب وهذه الجوهرة المضيئة لليالي ليتفرغ من حقيقته ويسبب الضلال؟**

**وفي تلك الفترة العصيبة التي واجهنا فيها هجوم البعثيين على بلادنا كما كنا وفي جبهتي الداخلية والخارجية منشغلين بهذه الهجمات الثلاثية فتمكنا من أن لا نرتبك مستفيدا من دروس هذه القضية والمنهج المجرب خلال تجربة لهذه الدرجة من الخطورة. لم نكن نمتلك إلا الإيمان بالثورة واستقلال إيران بينما كانت الفكرة الرائجة في الأقوال والكتابات هي أن إيران ستسقط خلال ثلاثة أو أربعة أيام وعلى الأقصى خلال أسبوع. وكان أعداء الثورة الممهدين لهذه الحرب كانوا يبشرون أنفسهم بالانتصار و.... فيما اننا كنا نتهيأ للانتصار مستغلين نفس الأسلوب. وأخيرا صنع المؤمنون ما يفوق الملحمة أي المعجزة.**

**ومنذ انقلاب حزيران 81 (خرداد 60) لحد الآن ومع أولئك الذين أصبحت إراداتهم أقوى وازداد ولاؤهم بعد كل تجربة أصبحنا نستفيد من نفس التجربة واثقين بأن النصر قريب.**

**كما نعرف أن السلطويين لم يعاملونا أحسن مما عاملوا به النبي. ما من تهم إلا واختلقوها وقلبوا الحقائق بشأن إنقاذ الوطن وحماية استقلال إيران في أحد أخطر المهالك في تاريخها ولم تكن هناك أية أكذوبة حقيرة إلا واختلقوها. ولكن الباطل يزهق والحق يبقى. إن الشعب الذي نجا استقلاله لن ينسى هذه التجربة العظيمة. كما إن الشعوب التي تريد الحياة والعيش في الحرية والاستقلال تتعلم هذا الدرس وتنفذه كما هو.**

# وشهد شاهد من أهلها:

**كتبت في مستهل هذا الرد على الانتقاد أنهم اختلقوا قولا ونسبوه إلي زورا وبهتانا حيث قال الكذابون ومازالوا يكررون بأنني قد قلت: "إن شعر المرأة يبث أشعة أو كهرباء تثير الرجل جنسيا". ونشرت صحيفة (كيهان) اللندنية مؤخرا مقالا (19) مشحونا بالاكاذيب وتلفيق وتزوير الحقائق جملة وتفصيلا لتكون شاهدا من أهلها حيث كتبت تقول:**

**"... من المعروف أنه تعرض للاحتجاج وحتى الاستهزاء بعد أن كشف "تشعشعات جنسية" في شعر المرأة لأن هذه النظرية هي التي باتت مقدمة لفرض الحجاب الإسلامي على النساء. ويقول بني صدر: تشاهدون المرأة الإيرانية ماذا كانت تفهم قبل الثورة؟ ناهيك عن النشاطات السياسية لأشخاص قلائل كانوا قد تربوا بالنظام التربوي الغربي أما الآخرون من الناس في المجتمع ماذا كانت رؤيتهم حول النساء؟ كان المجتمع يعتبر نشاط المرأة السياسي مساويا للبغاء. أليس كذلك؟ لكن الآن ليس هكذا. فحاليا تعتبر المرأة الإيرانية نفسها أولا كائنة سياسية وثانيا مساوية للرجل".**

**من المعروف أنه وعلاوة على تزييف الموضوع يلجأ السيد بني صدر إلى نفس التهم والنماذج التي كان الملالي المتسلطون بقضهم وقضيضهم ومازالوا يستخدمونها بشأن النساء. فحاله حال بقية المسئولين في حكومة الملالي حيث يعتبر جميع نشاطات النساء السياسية والاجتماعية الواسعة والشاملة محرمة وخطيئة ويصفونها بـأنها "بغاء" ولكنه وعلى عكس ذلك يعتبر حشود النساء المحجبات المنقبات المعربدات خلال المسيرات نموذجا لـ"يقظة النساء واستعراضا لوجود النساء في الساحة السياسية ومساواة الرجل".**

**وهكذا تكمل صحيفة (كيهان) اللندنية التلفيقات السابقة وتكتب قائلة إني كشفت "أشعة جنسية في شعر النساء"! وذهبت (كيهان) في مدى التلفيق والتزوير واختلاق الأكاذيب وفي الوقاحة إلى ما قل نظيره حتى لدى أوساط المثقفين المتشدقين بالوعي لأنها وبرغم نقل جزء من المقابلة فسرعان ما تعتبر الانتقاد الذي وجهتها لطريقة تفكير حول المرأة والنشاطات السياسية للنساء بأنه شتيمة وتكتب بوقاحة محيرة أن بني صدر يصف النشاط السياسي للنساء بـ"البغاء"!!**

**إن هذا الجهد الدؤوب الذي يبذله المثقفون المتشدقون بالوعي للتلفيق والتزييف وقلب الحقائق وإلخ... ليس الغرض منه تشويه وقلب فكرة بني صدر بقدر كونه يأتي خوفا من حركة الحرية النسوية.**

**ولا يعرف حقيقة أنه وبتزويره وتزييفه وبتوجيه الشتائم للنساء "المحجبات المنقبات" يجدد الاعتراف بحقيقة وهي أن "حشودا كبيرة" للنساء اللواتي لم يكن لهن أي دور في مجتمعنا قد خرجن إلى الساحة. وإن كل ما تحظى به الثورة الإيرانية من أهمية يكمن في هذا التطور النوعي لأن المجتمع لا يكسب الاستعداد للتنمية ما لم يحدث التغيير من "الأسفل" إلى "الأعلى".**

**وقد حدث هذا التغيير العظيم في 20 بالمئة من النساء الإيرانيات اللواتي لم يؤخذوا بالحسبان قط. ففي مقال لها نشرته صحيفة (لوموند) (20) بشأن هذا التغيير المدهش كتبت شهناز نجم آبادي تقول نقلا عن استاذة جامعية:**

**"إن الرجل هو الخاسر في الانقلابات الاجتماعية التي ثارت في السنوات الأخيرة".**

**فطبعا ليس هذا التعبير صحيحا لكون الرجل ليس هو الخاسر فإنه يستفيد من حرية ونمو المرأة أكثر من غيره.**

# المرأة في نظرية فرويد

**في جانب من "رسالة من تويسركان" وبعنوان "المرأة والفلاسفة" تم مناقشة آراء الفلاسفة في الغرب من العهود البعيدة حتى العهد الحاضر ما يتطلب الشكر وليس الرد. أشكر الكاتب جزيل الشكر وأتناول موضوع "المرأة والتحليل النفسي".**

1. **في مستهل مقاله قد كتب المنتقد:**

**"إن استخفاف المدارس الأخرى بهدف تعظيم مدرسة معينة في المقالات قد ضيع القيمة الدراسية للمقالات وحولها إلى كتابات دعائية".**

**وهذا هو الرد على ذلك:**

**أ – إن ساحة العلم ليست ساحة لتعظيم مدرسة واستخفاف "المدارس الأخرى" فالهدف هو البحث عن "الخلية العقلانية" أو الحق. كما لم أكن أعمل على دمغ وإنكار آراء فرويد وغيره، بل عملت أن أجد الحق في آرائه وآراء الآخرين مبدعا بتكريمه وليس استخفافه. كما وبتصحيح الأمور الواقعة والآراء التي استند إليها كاتب "رسالة من تويسركان" أقوم بتمجيده وتكريمه.**

**ب – حتى بافتراض أن أكون قد استخففت المدارس الأخرى بهدف تعظيم الإسلام فكيف يمكن أن يضيع ذلك "القيمة الدراسية والبحثية للمقالات"؟ هل يفقد اللؤلؤ قيمته بتلطخه بالوحل؟ كل من يريد أن يمضي قدما في مسار العلم فيجب عليه أن يتجنب اتخاذ هذه الأساليب وإلغاء الآخرين فبالتأكيد هذا الإقصاء لن يقلل من مصداقية المقالات من ناحية الدراسة والبحث. وها هو نفس الختم الخاص للعصبية الذي يختم على أبواب العقل وأحيانا يقفله للأبد. فينبغي العلم بأن أية مادة دراسية وبحثية تعود وبعد نشرها إلى القراء والباحثين فيجب الانتباه وعدم فرض الرقابة عليها.**

**والآن لنرى ماذا ينسبه الكاتب لي من استخفاف للمدارس الأخرى:**

**2- اعترض الكاتب على اني قد أخذت كتاب اليزابث بادنتر بدلا من الرجوع إلى آثار فرويد مباشرة؟ بينما هذه الإشكالية تعود إليه نفسه الذي فعل ما فعله على الإسلام نقلا عن الآخرين ولا تعود لي لانني ومنذ بداية الأمر قد عرفت الكتب الذي ناقشتها. ففي الأعمال العلمية كانت تقتضي الأمانة أن ألتزم بتلك الكتب إلا إذا استدعت الضرورة أو للإيضاح أو نقد نظرية أو تصحيح أمر حقيقي.**

**إضافة إلى ذلك كنت أريد أن أستخدم نفس الأسلوب الذي أستخدمه الآن في التعامل مع "رسالة من تويسركان". على أي حال قد قمت عند الضرورة بالدراسة حول الثلاثية المازوخية والنارسيسية ونزعة المفعولية.**

**وخلافا لما هو موضوع النقاش, إنه ليس السيد بني صدر هو الذي يدعي أن فرويد وأتباعه منهم هلن دوتش يعتبرون المرأة نارسيستية ومازوخيستية ومستكينة. بل إن ما كان موضوع نقاش سيمون دوبوار واليزابث بادنتر هو رؤية فرويد وأتباع مدرسته. كما وبدوره إن هذا النقاش حول آراء فرويد وأتباع مدرسته هو الذي أصبح موضوع نقاشي وتقييمي.**

**يكتب الكاتب:**

**"يكتب السيد بني صدر: حسب التحليل النفسي الذي يطبقه (فرويد) فلمعالجة أي مريض نفسي يجب البحث عن أمه، لانها هي المسؤولة الوحيدة عن عقل اللاوعي لولدها". إني تصفحت كتب فرويد بكاملها البالغه 14 مجلدا ولم أجد فيها هكذا ادعاء وعبارة أو كلام!**

**على الكاتب أن يعرف أولا أن هناك فرقا بين القول والرأي. وإذا تصفح 14 مجلدا بحثا عن جملة ظنا منه إني نسبته إلى فرويد نقلا عن قول شخص آخر فلم يكن له أي نفع إلا قراءة أو مراجعة مجموعة آثار فرويد لان نظرية فرويد هي التي كانت موضوع النقاش.**

**ثانيا لماذا يجب على اليزابث بادنتر أن تترك الموقع العلمي وتبخل على نفسها وتقوم بقلب ما قاله فرويد لصالح النساء وتجعله ضد النساء؟ وثالثا إن فرويد لم يقل هذا الكلام مرة واحدة وإنما كرره مرات.**

**فلذلك إما لم يكن هذا الكلام في المجلدات الـ 14 التي راجعها المنتقد والكتاب الذي أخذته اليزابث بادنتر مصدرا لها أو كاتب "رسالة من تويسركان" تغافل عن قراءته. في الحقيقة وفي نصوص الكتاب باللغة الفرنسية (21) حاول فرويد أن يثبت كلامه ليس في الصفحة التي استندت بادنتر إليها وإنما في بقية الصفحات.**

**وبعد أن أظهر أنه كلام فرويد لنرى ما استنتجه الكاتب أخيرا وبعد أن تصفح كامل المجلدات الـ 14 لمؤلفات فرويد؟ إنه يكتب:**

**"1- إن السادية والمازوخية وفي مستوى معتدل جدا هما أمران طبيعيان 2- إن السادية والمازوخية وعلى حد الإفراط هما أمران شاذان 3- إن الرجال لديهم السادية أكثر 4- وبسبب الثقافة المسيطرة حاليا هناك المازوخية لدى النساء أكثر 5- لا يقول فرويد أن النساء مازوخيات أو الرجال ساديون و6- لا يقول فرويد إنه ليست هناك المرأة السادية أو الرجل المازوخية".**

**فعلى هذا يستنتج الكاتب أن فرويد يرى أن المازوخية وفي مستواها المعتدل جدا هي أمر طبيعي. هل نقل بني صدر عن اليزابث بادنتر وغيرها قولهم إن المازوخية وعلى حد الإفراط هي أمر طبيعي؟**

**فما هي المواصفات القياسية؟ وإلى أي حد تعتبر معتدلة جدا؟ وما هي المواصفات للمعتدل والمفرط؟ لو طرح الكاتب هذه الأسئلة على نفسه لكان يبحث عن آلية العلاقات بين المازوخية والنارسيسية ونزعة المفعولية بدلا من إيضاح كل واحد منها بشكل منفصل الآلية التي وحسب فرويد تجعل المازوخية لدى النساء تبقى على مستوى "طبيعي". إن المرض يصيب الإنسان عندما تتغير نسبة التفاعلات بين تلك الثلاث.**

**ولم ينتبه الكاتب إلى أن غايتي كانت الوصول إلى رأي يكون القدر المتحقق.**

**يذكر أن فرويد يعتبر وجود المازوخية لدى المرأة وعلى "قدر معتدل جدا" أمرا طبيعيا (لو افترضنا ان تكون كلام الكاتب مقبولا) فيما يؤكد معارضو هذه النظرية وجود المازوخية ولكنها لا توجد في طبيعة المرأة وإنما المرأة تتعرض لها. فالمازوخية مقبول لدى جميع العلماء كمرض أو عاهة كما إن هناك إجماعا على أن المازوخية تدعو للعنف.**

**هكذا إن المساعي للكشف عن القدر المتحقق ليس استخفافا وإنما تكريما بعينه. ولكن ودفاعا عن فرويد ينسب الكاتب إليه رأيا لو كانت حقيقية لكانت البشرية قد انقرضت قبل آلاف السنين لأنه وحسب استنباطه "إن السادية والمازوخية وعلى حد معتدل جدا هما أمران طبيعيان".**

**بعبارة أخرى ليست المرأة تحتاج للقوة "على حد معتدل جدا" فحسب وإنما الرجل أيضا يحتاج استخدامها! وهكذا استخدام القوة يصبح حاجة ثنائية. وإذا افترض أن يكون استخدام القوة حاجة ثنائية فسوف تفقد عبارة "على حد أو بقدر معتدل جدا" معناها، لأن استخدام العنف لا يبقى على ذلك الحد. في الحقيقة تكون للحاجة الثنائية حيوية خاصة بها.**

**فلذلك عندما تعتبر الحاجة إلى العنف أمرا متبادلا فإثر التأثير المتبادل يزداد استخدام العنف "على حده المتوخى" تدريجيا لا محالة. إذن لو كانت السادية والمازوخية أمرين طبيعيين على "حد معتدل جدا" لاستفحل العنف قبل آلاف السنين إلى حد كان فيه العنف قد جعل ممارسة الجنس عملية تقترن الموت لتنقرض البشرية كلها.**

**اكتمالا للإيضاح اؤكد أنه وحتى في حالة اعتبار الحاجة الثنائية إلى العنف فإن آلية التعديل التي تأتي بها المازوخية والنارسيسية ونزعة المفعولية وعن طريق التفعلات المتبادلة لتبقي المرأة متوازنة نفسيا لا تمنع من ازدياد الحاجة إلى العنف، لان هناك عاملا قويا وهو "سادية الرجل على قدر معتدل جدا" يتدخل من الخارج فيما وبالمقابل هناك "المازوخية على قدر معتدل جدا" لدى المرأة تتدخل في سادية الرجل كعامل خارجي. فهذه التدخلات المتقابلة تفقد التوازن الموجودة قبل ممارسة الجنس. وفي علاقتهما مع البعض يحول المرأة والرجل إلى جهاز لإحداث العنف ويقوم كل واحد منهما بتخريب الآخر.**

**وبرغم أنه وملتزما بجانب الحذر العلمي قد كتبت: "لم تحل المشكلة بعد. فالتطور والتطور المهم الذي قد جرى ليس إلا انكسار أسطورة العلم"، ولكني أود أن أعتبر المازوخية والسادية مرضا، لانني أعتبر طبيعة الإنسان خاليا من القوة. ومن البديهي أن المرأة قد تتعرض بالسادية والرجل قد يتعرض بالمازوخية كما يتحدث القرآن عن النشوز الذكوري أي عدم الرضوخ الجنسي لدى الرجل ويعطي الحل له (22).**

**وقد كتب الكاتب:**

**... ينقل السيد بني صدر عن نفسه ويكتب قائلا: "الآن اقرؤوا واعلموا أن القرآن هو الكتاب الديني الوحيد الذي يعتبر المازوخية مرضا بينما وبشأن ادعائه الأخير لا يذكر الآية والسورة المتعلقتين بالموضوع كأنه تعتبر جميع الكتب الدينية المازوخية أمرا ذاتيا بالنسبة للمرأة وقد أكد القرآن في مواجهتها أن الأمر ليس هكذا بل إن المازوخية مرض".**

**حتى لو لم أذكر ما قاله التوراة ولكن كاتب "رسالة من تويسركان" قد ذكر أقوال مختلف الأديان على حد سواء. ومن المستغرب منه أنه يتغافل عن الاهتمام بتلك الأقوال عند كتابة هذا النقد. وهنا أذكر بعضا من الأقوال التي نقلها الكاتب عن "اليهودية" و"المذاهب الشرقية" والتي تؤكد فيها الطبيعة الهدامة والفتاكة والداعية للعنف لدى المرأة بصراحة تامة مثل بقية الأقوال:**

**ينقل الكاتب عن نص أخلاقي يهودي موثوق يعود إلى 200 عام قبل الميلاد قائلا: "ينتج القماش الأرفية وتنتج المرأة الشرور" ويكتب نقلا عن (ماهاويرا) الذي كان معاصرا لـ(بودا) قائلا: "إن المرأة هي السبب الرئيسي لجميع الأعمال الشنيعة"، كما ينقل عن نص قديم لـ "برهمن" ين قائلا: "لا تبحث عن الصداقة لدى النساء لكون قلوبهن شبه وحشي كأبن آوى".**

**ويتذكر القارئ بأني وعند مقارنة رؤية فرويد مع هكذا أفكار مذهبية تعتبر المرأة رمزا للتهديم أو الدمار والموت، أكدت أنه وفي معرض نظرية عامة لبست نفس الأفكار رداء العلم والآن تشهد هذه الأقوال على صحة كلامي.**

**وأخيرا في قسم المصادر وتحت الرقم 21 قد أدرجت الآية والسورة المعنيتين كما أوردت شرحا هناك. إضافة إلى الآية 34 من سورة النساء يؤكد القرآن في الآية 30 من سورة الروم أن الإنسان قد خلق على الفطرة الالهية أي ليست هناك المازوخية والعنف والتهديم في الفطرة الإلهية مع أن طرح مشكلة النشوز أي عدم الرضوخ الجنسي بنفسه هو اعتبار المازوخية عاهة وليس ولم يكن بحاجة إلى ذكر المصدر والاستدلال.**

**وحاليا وبعد وصول الكلام إلى هذه النقطة فمن الضروري أن أذكر كاتب "رسالة من تويسركان" ومن خلاله الرأي العام بالحقيقة التالية:**

**إذا حررنا أنفسنا من تلك العصبية المعادية للإسلام وهذه العصبية المتمثلة في "الإعجاب بالغرب" (سواء الإعجاب بمكاتبه أو بثقافته أو بأسلوب العيش فيه) فسوف تحل مشاكل وطننا وسوف يلي ليلة الاستبداد الطويلة فجر الحرية. لماذا يعتبرون الإسلام فكرة مفعمة بالشرور وبالمقابل يعشقون بهذه الفكرة أو تلك أو هذا المفكر الغربي أو ذاك إلى حد عدم تحمل الانتقاد الذي يوجهه حتى مفكرون آخرون في الغرب ذاته إلى عشيقة هؤلاء الأشخاص؟ بينما يكون الانتقاد هو التكريم بالذات.**

**إن اليوم الذي يتحرر فيه مثقفونا وخريجو جامعاتنا من العصبيتين المتحجرتين ويكشفون أمرا واقعا وهو أن فلسفة القوة قد قلبت رسالة التوحيد والحرية على مر الزمان رأسا على عقب وأن رجال الدين في مجتمعاتنا وبنزعتهم السلطوية يعتبرون أقدم المنبهرين بالغرب وهم المنبهرون بأفلاطون وأرسطو في عالمنا الحديث‘ فهو يوم تحرر إيران.**

**وأشكر كاتب "رسالة من تويسركان" لأنه أعطاني فرصة بكتابته لأكشف عن هذه الحقائق - التي كادت أن تبقى مكتومة – ولأعري هذين العصبيتين أو العصبية الثنائية الهدامة أي العصبية التي تخفي نفسها لحين آخر لتصبح غير قابلة للعلاج. أتمنى وأكثر من ذلك أعتقد أنه لا يعاني من هذه العصبية الثنائية، وانما كما يقال إنه جعل نفسه وكيلا للشيطان لان لا يبقى أي غموض في هذا النقاش حول أحد أهم المسائل إن لم نقل أهم مسألة اجتماعية في مجتمعاتنا.**

# المصادر والإيضاحات**:**

  1**- القرآن سورة النور الآية 38**

**2- القرآن سورة الممتحنة الآية 12**

**3- القرآن سورة التكوير الآية 9**

**4- راجعوا مقال "معرفة العائلة في علم الاجتماع" في الأعداد 18 إلى 24 لنشرة "مكتب مبارز"**

**5- القرآن سورة الطلاق الآيات من 1 إلى 6**

**6- القرآن سورة البقرة الآية 205**

**7- القرآن سورة الكوثر و سورة الصافات الآيات من 149 إلى 154 و سورة النجم الآية 21 و...**

**8- الصفحات 87-86 من كتاب Siciological Theories از PITIRIM  A و SOROKIN**

**9- القرآن سورة الاحزاب الآية 33**

**10- القرآن سورة لقمان الآية 14 وسورة المجادلة الآيتان 1 و2**

**11- القرآن سورة الممتحنة الآية 12 وسورة التوبة الآية 71**

**12- القرآن سورة النور الآيات من 6 إلى 10**

**13- القرآن سورة النور الآيات 4، ومن 10 إلى 13 و 23**

**14- القرآن سورة النساء الآية 34**

**15- القرآن سورة النساء الآيات من 19 إلى 21 و سورة البقرة الآية 240**

**16- القرآن سورة البقرة الآية 187**

**17- ابن هشام، السيرة النبوية المجلد 2الصفحات 214-373**

**18- القرآن ترجمة ابوبكر إلى الفرنسية، الإيضاح في الصفحه 1337**

**19- صحيفة كيهان طبع لندن، العدد126 ليوم 4 كانون الأول (ديسمبر) 1986 الصفحة 13**

**20- لوموند الدبلوماسية – كانون الثاني (يناير) 1987 الصفحة 32**

**21- على سبيل المثال راجعوا صص 59، 60، ومن 77 إلى 79 لکتاب**

**Freud,  Nouvelles Conferences d, introduction a la psychanalyse, ED Gallimard**

**22- القرآن سورة النساء الآية 128**

# **الملحق رقم 2**

# **مناظرة حرة متضمنة لدروس**

تذكير: في البداية جرت مناظرة حرة مع سيدات جامعيات سويديات حول الآية 34 من سورة النساء ثم مع السيد آل حسين. وكتبت نقدي لما كتبه السيد جيجك بعد هذين العملين وتم نشره، ومع ذلك كان نقد ما كتبه السيد جيجك هو الذي تم نشره، لأن ذلك النقد دفع السيد كريمي إلى توجيه سؤال إلي فتم نشر المناظرة الحرة مع السيدات السوئديات باعتبارها ردا على ذلك السؤال. فعلى ذلك إذا أراد القراء أن يطلعوا على ما كتبه السيد جيجك وعلى النقد المكتوب له فيمكن لهم أن يقرؤوا أولا بأول الملحق رقم 4.

إن الرد على أحد أسئلة السيد كريمي الذي سأعود وأشير إليه لاحقا هو المناظرة الحرة التي جرت وهي مناظرة ناصحة أو متضمنة لدروس، لأنها توضح الفرق بين خطاب الاستقلال والحرية من جهة وخطاب السلطة (=القوة) من جهة أخرى عند فهم آية قرآنية وفي الوقت نفسه توضح دخول المرء واقعا لابد له أن يخضع فيه الحق أو يتهرب من المناظرة. ففي الوقت الحاضر أصبح الإسلام يعتبر في الغرب خطابا للسلطلة (= القوة) الأمر الذي صار ذريعة لدى التوجهات اليمينية وتيارات اليمين المتطرف لمعاداة الإسلام والخوف من الإسلام. فبذلك يمكن تصور حاجة إنسان اليوم إلى خطاب الاستقلال والحرية وضرورة هكذا بحوث ونقاشات ليس لتخليص المسلمين فقط من العقيدة الخاصة لتبرير السلطوية وإنما لتخليص جميع أبناء البشر منها.

ويبقی أن أذكر هنا أن الصديقين الكريمين لي وهما مينو ومجيد محقق محمدي هما كانا مدونين لهذا النقاش وقد شاركا فيه.

# **السؤال:**

سيادتك قلت ردا على الانتقادات التي وجهها السيد جيجك إلى الإسلام:

"إن السيد جيجك قد نظر إلى مبدأ التثنية الأحادية المحور في القرآن وبالتالي قد رأى الواقع معكوسا".

فأرجوك أن توضح لي ولآخرين يرون الواقع معكوسا، معنى الآية التالية ومفهومها وواقع مدلولها بكل وضوح وشفافية. وإذا كانت الترجمة من العربية إلى الفارسية خاطئة فأوضح لنا ذلك بترجمتها الصحيحة! وإذا كانت الترجمه صحيحة فأرجوك أن تبين لنا ولأولئك الذين ينظرون إلى كل شيء على أساس التثنية الأحادية المحور، معنى القوّام والفضل والإطاعة والنشوز والضرب! في الآية القرآنية التالية:

"الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا". (القرآن – سورة النساء – الآية 34).

إذا لم ننظر إلى الآية من منظار مبدأ التثنية الأحادية المحور، فكيف نفسر فضل البعض على البعض وهو الفضل أي التمييز الذي قرره الله أو كيف نفسره حتى لا يمكن الانطباع منه معنى التمييز؟

# **الجواب:**

# **مع التحية،**

كتبت المذكرة التالية حل "النشوز". ففي المقارنة مع ما جاء في كتاب "المرأة والحياة الزوجية" تتضمن المذكرة إيضاحا يجعلها شفافة ودقيقة. إذا طرحتم هذا النص القصير على الجامعيين السويديين ثم طرحتم أراءهم وأسئلتهم علي، فربما يمكن جعل النص أكثر دقة وشفافية وحل مشكلة كبيرة للمسلمين وكذلك للإنسانية جمعاء. لقد أرسلت هذا النص إلى شخص خبير وطلبت منه أن يبحث عن علاج جديد للمازوخية وأن يطلعني عليه.

كما قوموا بتذكير السيدات الجامعيات بما يأتي:

1. مع أني أنظر إلى القرآن على أساس المبادئ الدليلة القرآنية ونظرا لخواص الحق وأفسره تفسيرا خاليا من التناقض الذاتي والتناقض مع الآيات القرآنية الأخرى، فمع ذلك لا أعتقد أن انطباعي أو تفسيري خال من النقص، مع أني أعلم إلى حد ما أنه ترجمة لخطاب الاستقلال والحرية. وأنتم أيضا لا تظنوا أن كل ما تقولونه حقيقة وأنه يجب توفيق القرآن مع رأيكم وبشكل أعم مع طريقة حياة الغربيين، لأن انتشار المفاسد وخاصة استبداد الجنس (حسب تعبير ميشل فوكو) لا يبقي شكا في أنه وفي الغرب لم تجد المرأة كرامة ومنزلة كاملتين كما تتزايد الأضرار الاجتماعية بل يتم استغلال المرأة باعتبارها جنسا يعتبر قوة عاملة وكذلك باعتبارها كائنة تتولى مهمتين (وليس محبتين) وهما الأبوة والأمومة. كما لم يوجد في الغرب حل لاستقلال وحرية الإنسان وتمتعه بكرامته وحقوقه. إني بذلت جهدي لأن أقترح خطاب الاستقلال والحرية لأقترح عبره حلا للمشاكل التي أنتجتها السلطوية. والبقية تعود لأنفسكم لأن كل فرد من الناس يتولى هداية نفسه (الهداية الذاتية).

# **مذكرة حول المازوخية:**

1. في البداية أذكركم بأن هناك ثلاثة حلول أمام العنف:

1/1 – الرد على العنف بالعنف.

2/1 – اعتماد طريقة عدم استخدام العنف مقابل العنف.

3/1- إزالة العنف بإزالة العنف.

أما الحل الأول والثاني فلا يزيلان العنف وإنما يشددانه. وفي ما يتعلق بالحل الثاني أعتبر من الضروري أن أوضح أن عدم ممارسة العنف مقابل العنف هو عدم مقاومة القوة. إن عدم مقاومة السلطة (=القوة) يسمح للسلطة بالتركز والاستفحال.

إن القرآن يعارض الحلين الأول والثاني ويعلّم الإنسان الحل الثالث. لقد أوردت قواعد إزالة العنف بما فيها في "العقل الحر" و"كرامة الإنسان" وأكملتها في كتاب "أركان الديمقراطية" الذي هو في متناول الأيدي.

إذا اعتبرنا القرآن خطابا للاستغلال والحرية، فلا بد لنا أن نعلم أن عدم التغافل عن الاستقلال والحرية رهينة عدة أمور منها استخدام الأساليب أو الحلول الخاصة لإزالة العنف. فلذلك، لا يمكن أن يأمر القرآن بممارسة العنف ولا يوجد فيه أمر بها. فيحق لكم أن تسألوا: فما هي الآية 34 من سورة النساء والتي تقول: "وَاللَّاتى تخَافُونَ نُشوزَهُنَّ فَعِظوهُنَّ وَ اهْجُرُوهُنَّ فى الْمَضاجِع وَاضرِبُوهُنَّ"؟.

1. ليست المازوخية والنارسيسية والباسيوية هي التي تبني طبيعة المرأة:

في موضوع المازوخية يبدي فرويد رأيه بأن طبيعة المرأة قد جبلت على المازوخية والنارسيسية والباسيوية. فحسب هذه الطبيعة، إن ممارسة الجنس التي تتسبب في الالتذاذ التام ترافق العنف بالضرورة. إلا أن رأي فرويد قوبل بانتقادات عديدة. ولكن لو لم تكن المازوخية منتشرة لما أمكن لفرويد أن يصنع رأيه المذكور.

2/1- القرآن لا يعتبر المازوخية من طبيعة المرأة، كما لا يعتبرها ظاهرة تعم الجميع، وإنما يعتبرها عاهة. لأنه يقول في الآية 34 من سورة النساء: "وَالَّتى تخَافُونَ نُشوزَهُنَّ" فهذا يدل على أن النشوز ليس من طبيعة المرأة لأن الله سبحانه وتعالى لم يقل إن كل النساء يجب أن يخاف نشوزهن بل استخدم موصول "واللاتي" ليستثني. مع ذلك إن النقص في الالتذاذ الجنسي والناجم عن "المحظورات الجنسية" كان ولا يزال من اكثر القضايا عولمة أو شمولية. لهذا السبب تناوله القرآن.

2/2- لا يعتبر القرآن المرأة متفعلة وإنما يشبهها بالحرث أي المزرعة. إذا شبهنا العلاقة الجنسية بعلاقة البذر بالمزرعة فسوف نكشف أن: أ- إن المرأة والرجل كلاهما يجب أن يكونا نشطين ويجب أن لا يكون بينهما أيا من "المحظورات الجنسية". مع ذلك، ونظرا لما تمتلكه المرأة من الفضائل فهي التي تتولى دور التخصيب (حرث الحب أو مزرعة الحب) وتحقيق الالتذاذ الجنسي. و

2/3- كما لا يعتبر القرآن المرأة محبة نفسها لحد الجنون (النارسية) لأن ب- المرأة تثق بالرجل ثم تقيم العلاقة الجنسية ولكن الرجل ليس كذلك وج- إن المرأة لها فضل الكون معلمة للحب وبفضل التعبير عن الحب تمنع من أن تصير العلاقة الجنسية تافهة في فعل ورد فعل آليين أي ميكانيكيين. د- هذا وتمتلك المرأة فضل إثارة ثقة الرجل بنفسه.

فعلى ضوء هذه الانتقادات الثلاثة السابقة ننظر في رأي أبدي قبل قرون عدة وهو أن المازوخية عاهة من شأنها أن تحرم المرأة من فضائلها وتجعل الحياة الزوجية غير حصينة للغاية وتجعل الالتذاذ الجنسي ناقصا جدا إذا لم نقل مستحيلا، كما تجعل أجواء الحياة العائلية مشحونة بالعنف ومستعدة للانحراف والعاهات الاجتماعية.

3- ما هي الطريقة التي يجب اعتمادها في التعامل مع امرأة مازوخية؟:

3/1- من الطرق الثلاث، ليس عدم ممارسة العنف طريقة مناسبة، لأن المازوخية هي البحث عن العنف أو طلب العنف، فإن عدم ممارسة العنف يدفع المرأة إلى البحث عن علاقة جنسية ذات طابع العنف خارج العلاقات الزوجية مع ما يترتب على ذلك من عاهات اجتماعية.

3/2- مع أن العنف يخرج المرأة عن حالة النشوز، ولكن أ- إذا كان العنف يرافق الاستحقار والازدراء فربما يتسبب في اشتداد العاهة وب- حتى إذا لم تجد المرأة العنف غير استحقاري فيزيد من حاجتها إلى العنف ويعرضها للتفعل وحب النفس ومضاعفاته. وج- ليس العنف الطريقة التي يقترحها القرآن لسبب أنه "ليس في الدين العنف" وكذلك لسبب أنه لا يحل المشكلة وإنما يزيد من المشاكل ولسبب أنه يناقض الفضائل الخاصة للمرأة والتي وردت في القرآن. د- إذا كان القصد من "الضرب" إيقاع الضربة على جسد المرأة لغرض استحقارها واستخفافها وجعل المرأة خاضعة لسلطة الرجل، فيكون الرجل هو المصاب بعاهة التعسف وممارسة العنف. إذن يكون الضرب ظلما بحق الرجل والمرأة كليهما والله لا يظلم أحدا. فعلى ذلك،

3/3- إن الطريقة التي تبقى وهي متطابقة مع ما يعلمه القرآن من إزالة عامة للعنف هي إزالة العنف. إن الذين يعتبرون ضرب المرأة دليلا على الاعتراف بسلطة الرجل على المرأة يطرحون سؤال: إذا كان معنى "الضرب" في الآية القرآنية المذكورة هو ضرب المرأة جسديا، فكيف يمكن إزالة العنف بالضرب؟ وفي هذا الإطار لا نواجه العنف الذي يكون قد أغلق الطريق في الجهات الأربع ولا يمكن إحباطه إلا بالعنف وإنما نواجه طالبة عنف لا يمكن إرضاؤها جنسيا إلا بالعنف. فإذا لم يمكن إرضاء المرأة جنسيا إلا بتسديد حاجتها إلى العنف فهل لو كان طلب العنف من النوع الذي كانت المرأة ترضى فيه بممارسة العنف عليها فهل كان يجب على الزوج أن يمارس العنف؟ الجواب كالتالي:

نظرا للتعليم القرآني الذي يعتبر أن ثبات الحياة الزوجية معتمد على الالتذاذ الجنسي التام (علاقة البذر بالمزرعة) ولهذا السبب ينهى عن "المحظورات الجنسية" (1) التي يتم اتخاذها في كل المجتمعات وسيلة لاستفزاز النساء والرجال وتهديدهم ومعاقبتهم في إطار علاقات السلطة (=القوة) وهي تعتبر من أهم الحواجز أمام الالتذاذ الجنسي في العلاقات الزوجية. فلذلك تعلّم الآية القرآنية المذكورة طريقة تستخدمها المرأة لكي: أ- تتخلص من عاهة المازوخية و ب- لا تستخدم "المحظورات الجنسية" في العلاقة بزوجها و ج- تستعيد هباتها وفضائلها وتستخدمها في الحياة الزوجية.

ففي هذا السياق، إذا كان من المقرر أن لا تتناقض الآية 34 من سورة النساء مع الآيات التي تعتبر النساء والرجال أبناء البشر الذين لهم حقوق وكرامة إنسانية وتعتبر هذه الحقوق ذاتية وخاصة أن لا تؤدي الطريقة المقترحة إلى اشتداد العاهة بدلا عن معالجتها، فمن المفترض أن يوجد هناك معنى لـ "الضرب" يتوافق مع تحرير المرأة من طلب العنف وتخلصها من الشعور بالحقارة والاستسلام:

ففي الدرجة الأولى يجب التأكد من أن المازوخية هي سبب "النشوز" لأن النشوز قد ينجم عن علاقة القوى (بين العائلتين أو بين الزوج والزوجة) أو عن استخدام "المحظورات الجنسية" لدفع الزوج إلى ما تهويه الزوجة أو حتى عن أسلوب التربية والعادة أو عن خوف من صنوف المخاوف وقلق من صنوف حالات القلق. فإذا لم تؤثر الطرق أو الأساليب التي تعلّمها الآية المذكورة وتم التأكد من أن النشوز ناجم عن المازوخية، فبحكم الآية، يجب العمل على أساس ما يلي:

إن الضرب بمعنى استخدام القوة (= العنف) ضد الآخرهو واحد من المعاني العديدة لكلمة "الضرب" في اللغة العربية. ففي القرآن ورد "الضرب" بـ 14 معنى (2) فيجب الأخذ بالمعنى الذي يكون شاملا ومانعا في آن واحد. يكون شاملا أي يشمل مختلف العلاجات، كما يجب أن يكون شفافا أي يحدد الموضوع ومجال استخدامه ويميزهما عن الموضوعات والمجالات الأخرى في الحياة الزوجية. ومن معاني "الضرب" معنى مناسب للطريقة التي يعلّمها القرآن لمعالجة النشوز وهو التحريك. وهنا ينبغي الإيضاح أن أ- علاقة الإنسان مع الواقع بما في ذلك مع شريك أو شريكة الحياة هي علاقة مباشرة.. إن السبب الوحيد لأن تصبح علاقته مع الواقع علاقة غير مباشرة هو السلطة (=القوة).. ب- طلب العنف أو التحريض على العنف يعتبر مرضا وهذا المرض الذي يجعل استخدام العنف أمرا "لا مناص منه" يتسبب في استحالة العلاقة المباشرة وبدون المانع بين الزوجين.. ج- فعلى ذلك إن العلاج يكمن في رفع المانع والحاجز و جعل العلاقة مباشرة وبدون المانع. فمن هذا المنطلق وفي ما يتعلق بالنشوز الناجم عن المازوخية يكون معنى التحريك من معاني "الضرب" هو المعنى الأبلغ والأكثر شفافية، لأن أ- طلب العنف له أنواع لكل منها علاج خاص، والتحريك أوالإثارة له معنى شامل لأنه يشمل كل العلاجات.. ب- الإسلام يقيم علاقة الزوجية أو الحياة الزوجية على قاعدة الحب وليس على علاقات القوى، فلا داعي أن يجيز كون الفراش الذي هو موقع تحقق الالتذاذ التام بسبب إقامة العلاقة الجنسية في إطار حب لا يتناهى، موقعا لتحقق علاقة القوى خاصة على أساس سلطة الرجل المجهزة بجواز استخدام العنف. ج- الإسلام يحدد موقع استخدام الطريقة وهو الفراش وإقامة العلاقة الجنسية بين الزوجين و ج- يكون العلاج هو الإثارة والتحريك وفي الوقت نفسه يمنع من استغلال الفراش ليكون موقعا لإقامة علاقة القوى.

هناك في عصرنا هذا يوجد علم النفس التشريحي والطب النفسي، إذن يمكن كشف أي نوع من التحريك والإثارة يتناسب مع أي مرض نفسي. كما يمكن كشف طبيعة ذلك النوع من المازوخية الذي لا يمكن معالجته والقضاء عليه إلا باستخدام العنف ويمكن إيجاد طريقة كفيلة لمعالجة الزوجة المصابة بالمازوخية ومنع الزوج من التعود على استخدام العنف.

مع ذلك إذا ما أصبح المعنى شاملا ومانعا وحدد الطريقة بشفافية فيقوم الزوجان بالمضاجعة والمجامعة بعقلية أخرى وبالتعاون معا في البعث والانبعاث ويجدان أنفسهما بالتجربة نوع التحريك والإثارة.

فبذلك يتبين معنى "الضرب" عند النشوز وهو التحريك الجنسي. إذن يجب على الرجل أن يخلص المرأة من طلب العنف حتى تتحرر وتراح المرأة من طلب العنف وتجد حالة التوق والاشتياق إلى إقامة العلاقة الجنسية. حسبما تؤكد الآية القرأنية المذكورة فيجب أن تكون الطريقة التي يعتمدها الرجل بحد أو بحجم يتيح للمرأة إمكانية استحصال رغبتها الجنسية أو توقها الجنسي وانفتاحها للرجل، وما يتجاوز هذا الحد أو الحجم يكون ضارا، لأن التحريك يصبح غير مبرر اعتبارا من لحظة التحرك أو الانبعاث حيث أنه ليس من شأن الاستمرار فيه عندذاك إلا أن يصيب الرجل بالتفعل جنسيا ويحرم الزوج والزوجة كليهما من الالتذاذ الجنسي الكامل.

● سألوا: إذا كان الرجل مازوخيا فما العمل؟ لماذا سكت القرآن عن ذلك؟ الرد على هذا السؤال كالتالي:

1- إذ إن المرأة لها فضل إثارة الرجل وتحريكه بما في ذلك في فراش المضاجعة، فهي تقوم بتحريك وإثارة الرجل.

2- إن النساء هن اللاتي يستخدمن "المحظورات الجنسية" أكثر مما يستخدمه منها الرجال. فعندما لا يقمن باستخدامها وبل يؤدين دور مزرعة الحب، فهن يثرن الشوق والتوق الجنسي أو التحرك الجنسي في الرجل ولو كان مازوخيا.

3- حسب القرآن إذا أصيب الرجل بالسادية التي يصاب بها الرجال أكثر من النساء، فيمكن للمرأة أن تفترق عنه أي تطلقه إضافة إلى أنه يجب معالجته.

تحية للسيد بني صدر،

بعثنا بالرسالة إلى هؤلاء الأعزاء يوم الأحد الماضي وأكدنا لهم فيها إذا لم تكونوا راغبين في مواصلة هذا العمل فأخبرونا بذلك. فأجابوا: كلا، بل نحن مازلنا راغبون فيها. وطلبت السيدة أنغريد أن يرسل إليها نص بالإنجليزية عن إزالة العنف. فنحن أجبنا عليها بالرسالة التالية:

نتمنى لكم النجاح - مجيد

يسرنا كون سيادتك لا تزال تبدي رغبتك في مواصلة المناظرة، ولكن يجب أن تحددي وقتها. ونحيط السيدة أنغريد علما بأن ما كتبه السيد بني صدر حول هذا الموضوع يخضع حاليا للترجمة إلى اللغة الإنجليزية ويتعلق بالكرامة الإنسانية وإزالة العنف. وإذا كانت الترجمة منتهية وجاهزة فسوف يرسلها إلينا ونحن سنرسلها إليكم مباشرة بعد وصولها إلينا.

أما في ما يتعلق بنقاش سيادتك، فإني شخصيا أرى ثلاثة محاور:

1. أنت لا توافقين على الحل المقترح في ما يتعلق بالآية 34 من السورة الرابعة في القرآن بل لديكم حل آخر.
2. أنت لا توافقين على ترجمة الآية و(أنت آسفة من هذه الترجمة) ولديكم ترجمات أخرى. (مجيد: إنها كانت قد قالت في وقت سابق إنها أسفة للغاية من هذه الترجمة).
3. مبدئيا لماذا طرحت هذه المسألة؟

فإذا كان لديك رأي حيال هذا الحل والترجمة فأرى أنه ينبغي لسيادتك أن تناقشي الحل في البداية لنصل في ما بعد إلى النقاش حول القرآن وما يقترحه القرآن من حل.

في ما يتعلق بالمحور الثاني والثالث إذا رغبت يمكن لك الاتصال بخبراء الإسلام في السويد. فطبعا إذا كانوا راغبين في المشاركة في هذا النقاش فيمكن لهم ذلك.

# **وفي ما يلي رد السيدة إينغريد على الرسالة أعلاه:**

مع التحية،

نعم الوارد هو المحور الثاني والثالث على حد سواء. أرى أن المداعبات الجنسية ليست عيبا على الإطلاق وإنما أمر شخصي وخصوصي كما ليست مرضا شريط أن يمارسها الطرفان برغبة وطوع منهما ولا يصابا بأذى أو ضرر. كما إني أعتقد أن هذا رأي معتاد لدى نحن السويديين. علما بأنه إذا كان القرآن يقصد ذلك أي أن عليهما أن يحرك بعضهما البعض بهذه الطريقة أي باستخدام قليل من العنف إذا كان الأمر هكذا فإني موافقة على الرأي المذكور. ولكني أعتقد أنه وفي هذه الحالة كان من المفترض أن يعتبر القرآن من حق المرأة أيضا أن تضرب الرجل ومثلا أن تعض أو تخدش جسده وتشد شعره. (1)

إني أضحك بملئ فمي عندما أفكر في أنه ورد في القرآن الأمر بطريقة المداعبة الجنسية لإرضاء الجانبين.

مجيد: هنا بدأنا عنوان مقالك بالكلمة التي معناها الأول هو الضرب ومعناها الثاني وطبقا للقاموس السويدي قد يكون ضرب الطفل أيضا، علما بأننا ولإيضاح ما يدل هنا على الكناية أيضا قد جعلناها داخل القوسين. ولكن في ترجمة النص ذاتها قد تم مرارا وتكرارا استخدام كلمة التحريك ولم يتم استخدام كلمة الضرب بالمعنى الذي تقدم ولو مرة واحدة. فأخذوا علينا بذلك. فمن المقرر أن نكتب الجواب عليهم غدا في فرصة ما. وبشكل عام ليست هذه مع الأسف المرة الأولى التي يتهموننا فيها من دون أن يقرؤوا ما كتبناه. ففي المرة السابقة كانوا قد نسبوا إليك كتابا حول الحقوق الإنسانية نشره رجال دين مسلمون وكانوا يتساءلون كيف يدلي السيد بني صدر بهكذا تصريحات؟

وفي ما يلي بقية الترجمة لرسالة السيدة إينغريد:

أما المحور الثالث فهو أيضا مهم، لماذا أخذ القرآن بعين الاعتبار حاجة المرأة فقط فيما أن هناك كثيرا من الرجال أيضا لهم هكذا سلوك. علما بأن كثيرا من الرجال (وربما بعضا من النساء) لهم سلوك سادي. كما وهناك سلوكيات جنسية أخرى أيضا تختلف عن السلوك "المعتاد"، لماذا لم يشر القرآن إليها. (2)

ولكنني أعتقد أنه ومن أجل نقاشنا أو مناظرتنا من الضروري أن يقوم القرآن أولا بإعادة النظر في رأيه حيال المرأة والرجل والعلاقات بينهما ثم نجلس للمناقشة أو المناظرة. فحسب القوانين السويدية قد يدان رجل بسبب الاغتصاب حتى في إطار الحياة الزوجية حيث يقوم الزوج بممارسة الجنس مع زوجته ولكن بقوة أي بخلاف رغبتها. هذه الحرية حرية هامة بأن تتخذ المرأة القرار حيال جسدها. (ولكن إثبات هذه الجريمة صعب، إلا أن إدراجها في القانون يأتي بحد ذاته خير دليل على أن المجتمع يكره هذا العمل). (3)

أما كونه يشبه المرأة بالحرث (المزرعة) فينطبع منه كثير من المسلمين أن الرجل يحق له أن يقيم العلاقة الجنسية في أي وقت شاء ومن دون اهتمام برغبة المرأة وهذا يناقض العرف الحقوقي والعرف القانوني في السويد. (4) ولهذا السبب أعتقد أن تشبيه المرأة بالمزرعة أمر مثير للاستغراب. فيحق للمرأة أن تكون نشطا في الزرع أيضا أي الرجل والمرأة كلاهما زارع أي يحق لها أن تكون مبدعة ومنفتحة مثل الرجل. ولكن ربما أكون قد أخطأت في فهم هذا التشبيه.

كما ولهذا السبب يكون الأساس أو المسوغ القانوني للإجهاض في السويد قائما على أنه يحق للمرأة أن تتخذ القرار في ما يتعلق بجسدها. ففي السويد يجوز للمرأة أن تتخذ القرار للإجهاض في مدة أقصاها 18 أسبوعا. وبعبارة أخرى إن الجنين جزء من المرأة إلى أسبوعه الثامن عشر. (سؤال صعب لأن الجنين يمكن له اليوم أن يبقى حيا خارج جسد الأم في وقت أبكر وأبكر. وأرى أن اختيار القانون السويدي مدة 18 أسبوعا اختيار صحيح وناجع). (5)

أعتقد أنه وقبل دخول النقاش ينبغي للسيد بني صدر أن يطالع الحقوق السويدية للعائلة وإلا لن نتفاهم.

• تذكير من مجيد محقق محمدي: إني أورد هنا جانبا من القوانين الخاصة للحياة الزوجية. هذه القوانين تخص الإرث والحياة الزوجية وحقوق الأطفال وتقسيم المال وو... السيد بني صدر، إن هذه القوانين كثيرة جدا ولكني أورد هنا لسيادتك موجزا لما يخص منها موضوع النقاش. إذا كان هناك قسم تريد سيادتك أن تطلع على المزيد منه فقولوا لنا ذلك لنترجمه. ولكني لا أفهم إطلاقا طلبها هذا. لأنه يجب عليها أن تؤتي في النقاش نقاطا تتعلق بموضوع النقاش. فعلى أي حال أورد في ما يلي موجزا للقانون المذكور:

* سن الزواج 18 عاما

● بخصوص الإرث:

يتم تقسيم الإرث على الأولاد والأحفاد الذين هم أولاد ولده هو نفسه.

للمرأة حق الإرث قبل الأولاد، وهذا يعني أن حق الأولاد في الإرث يجب أن يتأخر فعلا.

بخصوص الزواج:

● الأسباب التالية تبطل الزواج:

- قلة السن

- الزواج من الأقارب

- الزواج ممن قد تزوج من شخص آخر.

- الزواج بفعل القوة.

● الزواج يكون صحيحا بتوفر الشروط التالية:

- أن يحضر كل من المرأة والرجل عند الزواج.

- أن يجيب كلاهما بنعم أمام العاقد.

- أن يصرح العاقد أن الشخصين زوجان من الآن فصاعدا.

- أن يكون للعاقد حق القيام بذلك.

● إذا توفرت الشروط التالية يمكن فسخ عقد الزواج:

- أن يموت أحد الطرفين.

- أن يطلّق بعضهما البعض.

● الطلاق:

- لا يتحقق الطلاق إلا بالشروط التالية:

- أن يطلب أحد الطرفين الطلاق

- أن يطلب كلا الطرفين الطلاق

● والمال يتم تقسيمه كالتالي:

- المال الذي لم يتم تسجيله باسم أحد الطرفين يتم تقسيمه بالتساوي.

- المال الذي تم تسجيله باسم أحد الطرفين يعود إلى نفس الطرف.

● أما الشؤون الأخرى فهي:

- إن كلا الزوجين هما المسؤولان عن كلفة البيت في مدة الحياة الزوجية.

- كل منهما له الحق التام في ماله إلا في الحالات التي يحددها القانون. والبيت هو من الأمور التي لا يجوز لأحد الطرفين أن يتخذ القرار فيها بمفرده.

كما وعبر العقد يمكن تحديد من يتم تسجيل الأموال باسمه.

أما وبعد الطلاق فكل من الزوجين مسؤول عن نفقاته.

# **رد السيد بني صدر على السيدة أنغريد:**

# **حضرة السيدة أنغريد المحترمة؛**

قرأت الإشكاليات حسب رأيك والتي أشرت سيادتك إليها وأنا أحاول الرد وحلها. في البداية ينبغي أن أذكرك بأننا لم نتفق أن نقيس التعليمات القرآنية بالقانون السويدي أو على العكس، وإنما اتفقنا على أن نجعل عقولنا مستقلة ومحررة لنرى ما هو حل المسألة؟.. هل التعليم القرآني هو حل المسألة أم لا؟ هل هذا الحل حل مناسب أم لا؟. أما أن تتخذي من سلوك السويديين والقانون السويدي محورا أو ركيزة ثم تقيسي التعليم القرآني بهما فهذا ليس نهجا صحيحا، لأنك وبذلك تتخذين التثنية (الثنوية) هي المبدأ الدليل وبهذه التثنية أو الثنوية يتصور أن السلوك السويدي والقانون السويدي هو المحور المتميز وأن التعليم القرآني هو المحورالسيئ الذي لابد له من تكييف نفسه مع السلوك السويدي والقانون السويدي إن أراد أن يتحسن. إن هذه التثنية أو الثنوية تمنع حضرتك من رؤية الواقع كما هو. فمن أدعية رسول الإسلام: اللهم ارزقني القدرة على رؤية الحقيقة كما هي.

وبعد هذا التذكير هناك التذكير الثاني المناسب: إن النهج الصحيح للنقاش هو أن ننهي النقاش حول موضوع ثم ننتقل إلى موضوع آخر. إن موضوع نقاشنا هو الآية 34 من سورة النساء وتحديدا موضوع "النشوز" والحل الذي يقترحه القرآن. فعلى ذلك أترك الإشكاليات التي طرحتها سيادتك لأتطرق إليها بعد التوصل إلى النتيجة بهذا الخصوص. فمن الإشكاليات الخمس أو التذكيرات الخمسة التي صرحت بها سيادتك، تتعلق الإشكالية الأولى بموضوع النقاش:

1. سيادتك كتبت قائلة:

" نعم الوارد هو المحور الثاني والثالث على حد سواء. أرى أن المداعبات الجنسية ليست عيبا على الإطلاق وإنما أمر شخصي وخصوصي كما ليست مرضا شريط أن يمارسها الطرفان برغبة وطوع منهما ولا يصابا بأذى أو ضرر. كما إني أعتقد أن هذا رأي معتاد لدى نحن السويديين. علما بأنه إذا كان القرآن يقصد ذلك أي أن عليهما أن يحرك بعضهما البعض بهذه الطريقة أي باستخدام قليل من العنف إذا كان الأمر هكذا فإني موافقة على الرأي المذكور. ولكني أعتقد أنه وفي هذه الحالة كان من المفترض أن يعتبر القرآن من حق المرأة أيضا أن تضرب الرجل ومثلا أن تعض أو تخدش جسده وتشد شعره. (1)

إني أضحك بملئ فمي عندما أفكر في أنه ورد في القرآن الأمر بطريقة المداعبة الجنسية لإرضاء الجانبين".

الرد:

1/1 – لكن الإسلام يرى أن العنف ليس واردا في المداعبة بين الزوجين - وهي عملية محمودة – وإنما وارد فيها إزالة العنف. إن إزالة العنف هي النهج العام، لأن العنف إن بات واردا في المداعبة أيضا فسوف يكون واردا في رقعة الحياة كلها أيضا. إن الرؤية الفلسفية الشائعة في الغرب والقائلة بأن الإنسان وحسب طبيعته له نزعة العنف وكذلك رأي شخص مثل فرويد الذي يعتبر المازوخية من طبيعة المرأة إضافة إلى التعود على العنف في مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كلها قد تسببت في أن يظهر العنف عند المداعبة مظهر عمل معتاد ومرغوب فيه بالنسبة لك؛ وعلى أساس هذا التصور الذهني أصحبت تعتقد أن القرآن يأمر بممارسة العنف عند المداعبة الجنسية ولهذا السبب ضحكت بملئ فمك. ولكن ألا تعتقدين أن تجويز العنف حتى في المداعبة أمر مثير للبكاء بشدة ولا الضحك ويجب أن يدفع كل إنسان مسؤول إلى التفكير في ضرورة خفض أعباء العنف التي تثقل وتعكر العلاقات خاصة العلاقة بين الزوجين؟

في الحقيقة،

● إن المداعبة تهدف إلى إعادة صفو العلاقات بين الزوجين إذا كان العنف قد عكرها، لتحقق الالتذاذ التام عند المضاجعة.

● إن التأثير أو الدور الأول والرئيسي للمداعبة هو منع العنف من التسوغ في العلاقات الزوجية. فعلى ذلك،

● ربما تتسبب المداعبة في معالجة أنواع خفيفة من المازوخية تدفع إلى النشوز باعتبارها حاجزا أمام المضاجعة والالتذاذ الجنسي.

2/1- إن المحظورات الجنسية (صنوف ممارسة الجنس لإقامة علاقات القوى والاستعلاء في هذه العلاقات وتصور أن صنوفا من الممارسات الجنسية مع الزوجة أو الزوج محظورة حسب العرف والعادة) التي تتسبب في العديد من العاهات الاجتماعية بما فيها البحث عن الالتذاذ الجنسي في خارج العلاقات الزوجية ومضاعفاتها، ليست موضوع هذه الآية وإنما هي موضوع الآية 223 من سورة البقرة والتي تصف المرأة بأنها حرث (مزرعة) الأمر الذي بات موضع إشكالية بالنسبة لكم. إني سوف أتناول بالتفصيل تلك الإشكالية التي تحدثت سيادتك عنها. وهنا أؤكد أن: أ- الآية المذكورة تحرر المضاجعة من أية قيد أو شرط أو مضايقة وتلغي المحظورات الجنسية وتطلق الحرية للتلاذ بين الزوجين. ب- الآية تشبه المرأة بالمزرعة. فحسب الثقافة التي تظن أن الإنسان مسيطر على الطبيعة ولكن نرى كيف يدمر الطبيعة، تعتبر المرأة كائنة سافلة. ولكن حسب الثقافة التي توحد الإنسان والطبيعة، تؤدي المزرعة الدور الرئيسي. فالمرأة مزرعة ومعلمة الحب وتحتضن الرجل كبذر لتخصبه. والدور الرئيس لا يلعبه الرجل الذي وحسب قولك يزرع البذر. فلا يزرع الرجل البذر وإنما نفسه هو البذر ويخصب في المزرعة. فهكذا تكون المزرعة هي التي تؤدي الدور الرئيسي حيث تخصب البذر. فإذا أدت المحظورات الجنسية إلى عقم المزرعة ولم تمكن للمرأة استعادة حريتها التامة في فراش المضاجعة أو كان البذر عقيما (نشوز الرجل موضوع الآية 128 من سورة النساء) فلن ينتج بذر الحب ثمرة الالتذاذ وستترتب على ذلك تبعات كثيرة من عاهات اجتماعية.

3/1- فعلى ذلك، يجب أن تكون المضاجعة حرة وطوعا حسب الرغبة لأنه إذا لم تكن المضاجعة كذلك فسيكون الالتذاذ الجنسي ناقصا وسيولي للعنف الدور الأول في علاقات الزوجين ليتسبب في عاهات وأضرار كثيرة ومنها العنف الذي يأخذ ضحاياه في الدرجة الأولى من بين النساء في المجتمع السويدي وفي المجتمعات الغربية الأخرى بل وفي كل المجتمعات.

ومن هذا المنطلق، يكسب النشوز الذي هو موضوع الآية 34 من سورة النساء جل أهميتها:

4/1- لهذا ينبغي التعبيرعن الأسف أكثر فأكثر لكون النشوز ليس واردا في الوقت الحاضر لا في قوانين الغرب ولا في سلولكيات الشعوب الغربية. إن الاقتناع بممارسة العنف في العلاقات الزوجية وإن ديكتاتورية الجنس والدور الذي بات الجنس وأعمال العنف الجنسي تلعبه في الاقتصاد الرأسمالي و"الفن" والعلاقات بين أبناء البشر، قد أدى إلى تزايد العنف يوما بعد يوما، وإذا بقي الحال على هذه المنوال فسوف تروح النساء ضحايا العنف أكثر من ذي قبل. فعلى الغرب أن يكف من اعتبار نفسه محور العالم أو مركزه وأن يكف من اتخاذ الجنس محورا للحياة في كل الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية الأربعة ويبدأ إزالة العنف من العلاقات الزوجية. ويجب على المجتمع الإنساني كله أن يفعل هكذا.

ففي هذا الإطار نلاحظ أن إزالة العنف هي التي يتم تعليمها في الآية 34 من سورة النساء وآيات قرآنية أخرى وليس نزعة العنف: فإذا كان نشوز المرأة بسبب تعكر العلاقات أو تفادي تبرير العنف أو يأتي نتيجة المحظورات الجنسية أو الأهم منهما إذا كان نتيجة إصابة المرأة بنزعة طلب العنف فتصبح المغازلة والمداعبة أولا والتحرر من المحظورات الجنسية والتحرير منها ثانيا ومعالجة المازوخية ثالثا هي الأساليب والطرق التي من شأنها جعل البيئة الزوجية سالمة وجعلها بيئة للحب بجانبيه الروحي والمادي كليهما بما في ذلك إكمال الالتذاذ الجنسي وتحييد العنف أو إسقاطه في هذه البيئة. ومع أن المرأة هي مزرعة الحب وهي التي تثير الرجل في المضاجعة – من المؤسف أنه وطبقا للتربية الخاطئة في المجتمعات وعلى أساس اعتبار المرأة كائنة سفلى، بات التفعل الجنسي عادة المرأة وقد تصور فرويد أن هذه العادة من طبيعة المرأة -، فإذا نجم نشوز المرأة من الإصابة بنزعة طلب العنف، فعلى الرجل أن يثير المرأة إلى حد أن تجد الرغبة والمیل. ومن شأن هذا التوجيه أن يتفادى العديد من العاهات الاجتماعية ويتيح الإمكانية في المجتمع لإزالة العنف.

آمل أن أكون قد تمكنت من إيضاح أهمية إزالة العنف ومن تبيين أن هناك طريق إزالة العنف أمام الإنسان ولكنه يسلك المتاهة وكما يقول القرآن: "كل حزب بما لديهم فرحون". فمن الضروري أن تكون هناك الإنسيابية الحرية للأفكار حتى تصبح العقول مستقلة وحرة وتتمكن من الوصول إلى الحقيقة.

Ingrid Karlsson to Siavoush, me, minoo, Bo

show details Dec 13 (2 days ago) Reply

Hi Sia, Majid, Minoo and Bo,

and Your Excellence Bani Sadr,

I write this in English so that it can also be understood by Your Excellence Bani Sadr,

First I want to send my Christmas and New Years Greetings to You All,

I have not been in contact during the autumn,

I was injured in my foot in the middle of the summer and after that I was silent and thinking.

This was mainly because I after many letters especially in discussion with you, Sia, was given the impression that my tries to read the suras about women in the Koran were in vain. Sia, you finally told me that I was not reading the right translation. When I asked what translation I should read, even when I asked only for the translation of only 4:34 to either Swedish or English according to your special understanding, I was not given any text to read. Is there any? I recently read one translation in English where the Swedish word "aga" was translated "beat" in English, so I still have had no other views than that it is actually a physical punishment that is described.

So I decided it was not much I could do more right now in this matter. If you cannot decide on which translation to offer me, I am given no possibility to judge for myself what could be right or wrong in relation to the UN human rights declaration. I am still waiting to hear how these verses, according to you, should be interpreted. Only, I have tried to find out the different views from different islam sides for instance through wikipedia (see http://en.wikipedia.org/wiki/An-Nisa%2C\_34#Scriptural\_text ). I have also read a few books by islamic women, for instance the book by the Iranian winner of the Nobel Peace Prize (was 2003?) Shirin Ebadi "Iran Awakening". This has increased my understanding, but then I have also so many other things to do which catch my time so I cannot continue to discuss something which is so unclear to me. And the many harsh life stories of islamic women to be read on internet give me troubles with believing in the more liberal islam. Where is it? And Why do I so seldom here and read Swedish islamic persons articulate and defend womens human rights within islam in public? Are you closed out from Swedish Newspapers or are the newspapers not receiving such articles for publishing?

Mr Bani Sadr impressed on me when saying in his lecture here in Uppsala that all people should go back to the original text for a real understanding of what the Koran says. I also wanted to do that but I could not. I am not interested in theology and a thousand and one different interpretations and values of words. God should be clear in what he means. I hope you understand my situation. I have a true will to understand religion but for the time being I let these philosophical reasoning stay in the air. It does not mean anything to me when I have no text to relate to. I am very occupied, instead, of the practical implementation of shaping a more just and fair global development.

Again, hope you have a very good christmas. I will go on christmas vacation early this year since my mother have got very ill and I want to spend extra long time with her.

Please forward this letter to His Excellence Bani Sadr.

Yours Sincerely,

Ingrid Karlsson

**السيدة إنغريد كارلسون**

أهنئك بحلول رأس السنة الجديدة. أتمنى أن تكوني قد استعدت عافيتك وتكوني على صحة جيدة وحيوية سائلا المولى الكريم أن يعيدها على جميع أبناء البشر بالسلام والنمو في الاستقلال والحرية والتمتع بحقوق الإنسان.

أما في ما يتعلق بما كتبت سيادتك، فأؤكد ما يأتي:

1. كان مقترح النقاش من قبل حضرتك وأنا طرف النقاش معك. إن ما كتبت حضرتك يعني أنك لا تجدين إشكالية في رأيي ولكنك لا ترى ما ترجم من القرآن وما قرأت منه متناسبا أو منسجما مع رأيي فتتوصلين إلى القناعة بأن الغموض كبير إلى حد لا يمكن اتخاذه قاعدة لنقاش مفيد. ولكن
2. القرآن يؤكد أن الأمر واضح ومستقيم. كما وعلى أساس القاعدة يصبح "خطاب الاستقلال والحرية" واضحا و"خطاب القوة" غامضا. فإذا أرادوا أن يجعلوا خطاب الاستقلال والحرية منسلخا عن ذاته فهم يجعلون الواضح غامضا. فهكذا فعلوا بهذه الآية أيضا. مع ذلك ليس الأمر كما تصورت سيادتك، حيث لا يمكن تفسير القرآن أو الانطباع منه بألف تفسير أو انطباع. فلا يمكن تفسيره أو الانطباع منه إلا بتفسيرين أو انطباعين: أحدهما الانطباع من القرآن باعتباره خطاب الاستقلال والحرية والآخر الانطباع من القرآن باعتباره خطاب السلطة (= القوة). وخطاب الاستقلال والحرية هو في حد ذاته واضح ومستقيم من جهة وخال من التناقض من جهة أخرى ولكن خطاب السلطة (= القوة) غامض ومليء بالتناقض. وإذا راجعت الترجمات التي أجريت للآية 34 من سورة النساء ستجدينها غامضة وفي الوقت نفسه متناقضة لأن المترجمين اتخذوا من فكرة سلطة الرجل وسيطرته على المرأة أساسا لعملهم، فيما
3. إن الطوع في اللغة العربية يعني الاختيار عن الرغبة، كما يقول: طوعا أو كرها، أي بالاختيار أو بالإجبار. فهنا إذا تم تفسير الضرب بأنه الإجبار على الإطاعة فيتناقض هذا المعنى مع "أطعنكم". إن الذين قاموا بتطبيق الإسلام مع الفلسفة الأرسطية وهي خطاب السلطة (= القوة) الذي جعل المسيحية قبل الإسلام منسلخة عن ذاتها اعتبروا الرجل هو المحور النشط والمسيطر والمرأة هي المحور المتفعل حسب رؤيتهم لأنهم اتخذوا من التثنية الأحادية المحور (المضادة للتوحيد) هي المبدأ الدليل لهم، فبالتالي أصبحوا يفسرون الضرب بأنه عنف يجرى لغرض تطويع المرأة للإجبار وليس لغرض إثارة رغبتها الجنسية، وإذ رأوا أن هذا التفسير يتناقض مع عبارة "أطعنكم" ففسروها بأنها تعني التطويع والتركيع كرها أي باللجوء إلى القوة (= العنف). فمن البديهي إنهم فسروا النشوز أولا بأنه يعني كون المرأة تخون زوجها أو فسروه بأنه يعني التمرد على الإطلاق.

فبالتالي يصبح تفسيرهم للآية متناقضا مع العديد من الآيات بما فيها مع آية "لا إكراه في الدين" وكذلك مع الآية التي تعتبر المرأة والرجل متساويين ومع الآيات التي تعتبر حقوق الإنسان أمرا ذاتيا بالنسبة لحياة أبناء البشر رجالا ونساء (بإمكانك مراجعة كتابي بعنوان "حقوق الإنسان في القرآن" الذي ترجم إلى اللغة السويدية أيضا).

إلا أن الترجمة التي قدمتها أنا لكم لا تتناقض لا مع ذاتها ولا مع أية من الآيات القرآنية. بل هي ترجمة واضحة ومستقيمة. لماذا؟ لأنها ليست متأثرة لا من الخطابات القديمة للسطلة (خاصة الفلسفة الأرسطية) ولا من الخطابات الجديد للسطلة (الإيديولوجيات المصطنعة الغربية). فإذا نظرت إلى الآيات القرآنية على أساس المبادئ الدليلة القرآنية سترى جميعها شفافة ومستقيمة وخالية من التناقض.

يذكر أنه وبعد أن علم أن النشوز يعني عدم الوفاق عند الجماع أي إقامة العلاقة الجنسية ووجدت الآية معناها الحقيقية الذاتية، فازداد عدد الذين صححوا انطباعهم. وحتى أولئك الذين يترجمون الضرب بأنه العنف (هنا يكون طبيب النفس هو الذي يتولى تجويز أي حجم من العنف لإثارة الرغبة في المضاجعة الجنسية في حالة الإصابة بالمازوخية) يوافقون على أن الآية تقصد الإثارة للجماع أو إقامة العلاقة الجنسية. ففي الحقيقة إذ تقدم الآية توجيها للزوج بأنه كيف يثير الرغبة لدى زوجته في إقامة العلاقة الجنسية، فتطلب منه الكف إذا رضخت المرأة ورغبت (3).

1. إني وافقت على مقترح المناظرة أو النقاش لكي تتبين الحقيقة لجانبي المناظرة كليهما وكذلك لكي يسهم هذا النقاش في تخلص المرأة من موقع "الجنس الثاني" (حسب تعبير سيمون دوبوار). إني لم ولا أعتقد أن النساء في المجتمعات الغربية أصبحن مستقلات حرائر وكسبن حقوقهن. ومع أن واقعهن أحسن من النساء في المجتمعات الأخرى ولكنهن مازلن ضحايا أسوأ نوع من الديكتاتورية أي "ديكتاتورية الجنس" (حسب تعبير فوكو) وكذلك الاستغلال المضاعف. وأعتقد أنه ما لم تتمكن النساء من استعادة كرامتهن وحريتهن وحقوقهن فتظل السلطة (= القوة) في المجتمعات هي محور العلاقات وتدمر المرأة والرجل والبيئة.

أتمنى لك دوام العافية والسرور والنجاح

السيدة الكريمة مينو والسيد الكريم مجيد محقق محمدي؛

السلام عليكما؛

إن النقاش مع السيدات السويديات (لأني أتذكر أنهن كن أكثر من سيدة) استمر إلى رسالة السيدة إنغريد كارلسون وردي عليها. منذ البداية تقرر أن تتم معرفة ونقد المشكلة وحلها الذي يقدمه القرآن بغض النظر عن الحلول الأخرى إذا كانت موجودة. كان الأسلوب صحيحا، لأنه ما لم تتم معرفة المشكلة وحلها لا يمكن نقدها ولا تمكن مقارنته بقياس حقيقي وليس صوري مع الحلول الأخری. وكان من المقرر أن يتم الامتناع عن تطبيق الحل أو مقارنته مع الحل الغربي للمشكلة وأكرر إذا كان هكذا حل موجودا. وأوضح أنه كان من المقرر أن يوصل عقلان مستقلان وحران وليس عقلان محترفان في التبرير مناظرة حرة إلى النتيجة. ولكني فوجئت فعلا بأن طرف المناظرة له عقل محترف في التبرير ففشل جهدي لتخليصه من قيد "المثال السويدي". إن عقله كان محترفا في التبرير لأنه كان يقارن باستمرار الحل القرآني مع "المثال السويدي" الذي كان في ذهنه. ومع أن انطباعه من "المغازلة أو المداعبة" أيضا نوع من علاقة القوى فكان يعتزم أن ينتزع مني واحدا من الاعترافين: أ– الحل القرآني ليس صحيحا فيجب إحلال الحل السويدي محله. ب- إذا كان من المقرر أن يكون هناك "تفسير" آخر للآية، فيجب أن يكون التفسير متوافقا مع "المثال السويدي". فلم يكن يمكن أن لا تصل هذه العقلية إلى الطريق المسدود.

في الحقيقة، لا يوجد في "المثال السويدي" هكذا مشكلة كما لا يوجد حل لها بالطريق الأولى. إن رد السيدة إنغريد كارلسون يبين أنه وفي المثال السويدي لا توجد المشكلة ولا حلها. فلو نبذ عقلها التبرير لتأملت وفكرت في قضية بهكذا أهمية وحلها ولاعتزمت تجربتها.

في الحقيقة إن المبدأ الدليل للعقل هو الذي يبرر التثنية، فلذلك يعتبر العلاقة الجنسية بين الزوجين أيضا علاقة القوى. فهكذا عقلية ترى هكذا علاقة بدون إشكالية متغافلا عن أنه إذا أصبحت العلاقة في الفراش أيضا علاقة القوى فسيكون استخدام "المحظورات الجنسية" أمرا لا مناص منه ليتسبب في الشعور بالحرمان الجنسي. إضافة إلى ذلك، ففي المجتمعات التي تقام فيها علاقة القوى بين الزوجين حتى في الفراش، فتجعل هذه العلاقة الإنسان أداة بيد السلطة (= القوة) وتنزع منه استقلاله وحريته، فتتزايد العيوب والعاهات الاجتماعية ويستبق مدى التدميرية مدى البناء وتصبح العقول محترفة في التبرير لتقوم وفي المأزق بتصور العيش في التدميرية "عيشا طبيعيا" وتقوم بتبريره.

أما واقع أن طرف النقاش عبر عن موافقته على إيضاحي بالتلويح ولكنه توقف عن النقاش فهو الآخر يدل على المأزق الذي يصل إليه ويبقى فيه العقل المحترف في التبرير، فيما قد تم إيضاح القضية له وكان ولا يزال فهمها سهلا للغاية وهي: إن فراش العلاقة الجنسية ليس موقعا لعلاقة القوى وإن العلاقة الجنسية بين الزوجين يجب أن تكون متحررة من كل المناهي والمحظورات الجنسية. فهذه الحرية تمكن الزوجين من إحلال الحب بمعنى التحرر من المقيدات محل علاقة القوى وذلك في الحقول الأخرى للحياة الزوجية. ولكن إذا لم تمكن الحرية في العلاقة الجنسية بسبب أمور تتعلق بالتربية أو بسبب الإصابة بالمازوخية على سبيل المثال فيقدم الفعلان الواردان في الآية وهما: "اضربوهن" و"أطعنكم"، الحل الدقيق: فمن معاني "الضرب" في القرآن هو الإثارة أو الدفع. وهذا المعنى متوافق مع "أطعنكم" لأن "الإطاعة" تعني الرغبة الحرة أي الطوع، فيما لو كان الضرب يعني هنا استخدام القوة (= العنف) لتم استخدام فعل يعني التطويع والإجبار والإكراه. فهكذا، وحتى عند إصابة الزوجة بالمازوخية بحيث لا تتلذذ جنسيا بدون استخدام العنف، فعلى الزوج أن يعتمد أسلوب إثارة الرغبة في زوجته.

ولكن لا يمكن أن تكون المشكلة أو القضية ولا حلها موضوعا للقانون السويدي أو أي بلد غربي آخر، لأنه وإضافة إلى اعتبار علاقة القوى طبيعية لا يمكن إقحام الحكومة في هذه المشكلة وحلها إلا أن يتم تأكيد أن المضاجعة ليست علاقة القوى. إن القضية وحلها موضوع للتعليم أو التوجيه الديني باعتباره خطاب الاستقلال والحرية. لم تتمكن المسيحية من تناول هذه القضية وحلها، لأن إلقاء عبء "الذنب الأول" على عاتق المرأة واستحقار العلاقة الجنسية حتى بين الزوجين وربما الترويج للمحظورات والمناهي الجنسية قد جعل المسيحية عاجزة عن حل هذه القضية الهامة.

لقد أصبح هذا النقاش تجربة مفيدة لنا لأنه اتضح أنه إذا تخلصنا من المنطق الصوري وإذا توقفنا عن القياس الصوري أو المقارنة الصورية بين ما بحوزتنا وما هو منتشر في الغرب، فيمكن لنا أن نقترح حلولا محررة لجميع أبناء البشر. فأتمنى أن يتوصل طرف النقاش إلى القناعة بأن العيش في علاقات القوى ليس عيشا مستقلا وحرا وإنما عيش في العنف. من المفترض أن يأتي خطاب الاستقلال والحرية ليزود الإنسان بأساليب تخلصه من علاقات القوى. إن أكثر علاقات القوى استنزافا وإرهاقا هي علاقة القوى في الفراش وهي تلد علاقات القوى في حياة الناس بجميع جوانبها. كل شخص يهدي نفسه، فعلى طرف النقاش أن يختار طريقه.

دمتم فرحين ناجحين.

9 نيسان (أبريل) 2008

السيدة الكريمة إنغريد كارلسون؛

السلام عليك؛

السيدة مينو والسيد مجيد محقق محمدي أطلعاني على محادثتهما حضرتك. فرأيت من الضروري أن أذكر مرة أخرى بعدة أمور كالتالي:

1. يؤكد القرآن أنه لا يوجد هناك خلاف بين أياتها فمابالك بالتناقض. فعلى ذلك من المفترض أن يكون لكل أية المعنى ذاته الذي يكون من شأنه أن لا ينشئ تناقضا وحتى خلافا بين تلك الآية والآيات الأخرى. إن الترجمات للقرآن باللغة السويدية أو غير السويدية التي بحوزتك ليستا ترجمات صحیحة لأنها تجعل الآية التي نناقشها لتتناقض مع الآيات الأخرى. فعلى سبيل المثال تنشئ تلك الترجمات تناقضا بين هذه الآية وأية "لا إكراه في الدين" والآية التي تعتبر الناس متساوين نساء ورجالا والآيات التي تؤكد للناس حقوق الإنسان. إذن تكون الترجمة الصحيحة هي الترجمة التي لا تسببب في هذا التناقض وتتطابق مع كرامة المرأة ومكانتها وحقوقها.
2. كنت حضرتك قد قررت أن تدخلي في النقاش معي ولا آخرين وكان التوصل إلى الحقيقة هو هدف النقاش. من البديهي أن حضرتك تعتبر رأيك صائبا. وأنا أيضا أعتقد أني أبحث عن خطاب الاستقلال والحرية وأن الأسلوب الذي شرحته لحضرتك متوافق مع خطاب الاستقلال والحرية. إن المناظرة لا يمكن أن تكون حرة إلا أن لا يحبس الجانبان نقاشهما في سجن رأيهما لكي يصل الرأيان عبر النقد إلى حقيقة ربما كان الجانبان كلاهما متوافقان عليها وكذلك تفيد أناسا يريدون تمتع الإنسان بكرامته وحقوقه.
3. في عصرنا هذا بدأ الإنسان يصبح وحيدا وعاجزا أمام السلطة (= القوة) التي لا تأتي إلا نتيجة العلاقات بين أبناء البشر. إن تفادي موت البيئة وتحول الإنسان إلا شيئ يتطلبان أن يتمكن أبناء البشر من رفع الحواجز لكي يجعلوا عقولهم مستقلة وحرة وترتبط عقولهم المستقلة الحرة بعضها بالبعض ويستعيد الناس خطاب الاستقلال والحرية ويجعلوه دليلا لهم وذلك بفضل الانسياب الحر للأفكار والآراء.

لي أسلوب خاص وهو أنه عندما أدخل نقاشا لا أخرج منه إلا بعد إيصاله إلى النتيجة إلا أن يتراجع طرف النقاش عن مواصلته. لقد ذكرت بالأمور الثلاثة لكي تتأكدي من فائدة النقاش. فثقي بأن المناظرة (النقاش) المجراة قريبة جدا إلى الهدف. فعلى ذلك متى ما تريدين مواصلة النقاش أو توجيه سؤال أو أسئلة، فإني مستعد.

أتمنى لك مزيدا من أوقات السرور والنجاح.

أبو الحسن بني صدر

16 تموز (يوليو) 2008

# **٭عدة إيضاحات هامة للغاية:**

1 - ردا على سؤال السيدة الطالبة: "هل الحجاب قد تقرر بسبب كون شعر المرأة تسطع منه أشعة تثير أحاسيس الرجل الجنسية؟" انتهزت الفرصة لتناول أحد أبرز القضايا في كل المجتمعات وفي كل الأزمنة فأوضحت قائلا إن الرجل والمرأة خلقا بقوة التجاذب وعليهما أن يتحلى كل منهما بقوة الجاذبية حيال الآخر وأن يستخدما هذه الجاذبية في الحياة الزوجية أيضا. إن "المحظورات الجنسية" تتسبب في انتقاص التلذذ الجنسي عند مضاجعة الزوجين، ومن مضاعفاتها أن كلا من الزوجين قد يقرر إقامة علاقة جنسية خارج الحياة الزوجية سعيا للتعويض عن هذا الانتقاص.

إن عدم استخدام الجاذبية في العلاقات الزوجية يعتبر من أكثر "المحظورات الجنسية" انتشارا وعمومية في كل المجتمعات وسببه يعود إما إلى نوع التربية وإما إلى العادة بتبرير قائل إنهما تعودا على بعضهما البعض. ويؤدي هذا الأمر إلى عدم اهتمام الزوجين بعضهما بالبعض جنسيا. ولكن لا يقتصر السبب على "المحظورات الجنسية". إن عدم التعبير عن الرغبة الجنسية وحتى عدم إجابة رغبة الزوج أو الزوجة يعتبر في مختلف المجتمعات واحدا من "المحظورات الجنسية". كما وعند المضاجعة أيضا هناك "محظورات جنسية" بالنسبة لكل من المجتمعات على حدة: أ- تجعل ظهور الهوى والحب في ما بين الزوجين مستحيلا وب- تجعل ممارسة الجنس الحرة عملا لا يتسنى، ج- تنقص الالتذاذ الجنسي.

1. معاني أو مدلولات "الضرب" في القرآن:
2. الضرب بمعنى الإتيان بشيئ: ضرب الله مثلا (القرآن: سور النحل والروم واليس و...)
3. الضرب بمعنى القيام والوقوف: إذا ضربتم في سبيل الله (الآية 94 من سورة النساء)
4. الضرب بمعنى الانشغال بعمل وقطع مسافة من الطريق وبمعنى السفر: إن أنتم ضربتم في الأرض (الآية 106 من سورة المائدة)
5. الضرب بمعنى السلب: فضربنا علی ﺁذانهم فی الکهف (الآية 11 من سورة الكهف)
6. الضرب بمنعى المقارنة والقياس أو السؤال جدلا: قالوا أآلهتنا خير أم هو؟ ما ضربوه لك إلا جدلا (الآية 58 من سورة الزخرف).
7. الضرب بمعنى البخل والادخار: أفتضرب عنكم الذكر؟ (الآية 5 من سورة الزخرف)
8. الضرب بمعنى التغطية أو التستر: وليضربن بخمرهن على جيوبهن (الآية 31 من سورة النور)
9. الضرب بمعنى الضرب لغرض المعاقبة: الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم (الآية 50 من سورة الأنفال)
10. الضرب بمعنى الإيجاد والإنشاء: فاضرب لهم طريقا في البحر الآية 77 من سورة طه)
11. الضرب بمعنى البتر والقطع: فاضربوا فوق الأعناق (الآية 12 من سورة الأنفال)
12. الضرب بمعنى الإثارة أو الضرب لغرض الإثارة والتحريك: فقلنا اضربوا به بعضها كذلك يحيي الله الموتى (الآية 72 من سورة البقرة) واضربُوهُنَّ (الآية 34 من سورة النساء).
13. الضرب بمعنى البناء والإنشاء: فضرب بينهم بسور (الآية 13 من سورة الحديد)
14. الضرب بمعنى الكسر: فراغ عليهم ضربا باليمين (الآية 93 من سورة الصافات)
15. الضرب بمعنى ضرب القدم على الأرض لغرض إظهار الزينة: ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن (الآية 31 من سورة النور).
16. علما بأنه وإضافة إلى المازوخية ينتشر هناك عدم الرغبة في إقامة العلاقة الجنسية أيضا، بحيث يعتبر علماء الطب النفسي أن امرأة واحدة من كل 10 نساء مصابة بعدم الرغبة في إقامة العلاقة الجنسية وهم يعملون على إيجاد دواء أو علاج لذلك. فبذلك يتبين أن المازوخية وعدم الرغبة في إقامة العلاقة الجنسية هما أمران واقعان مستمران وكذلك يعتبران من أهم أسباب الأضرار والعاهات الاجتماعية. وعندما نلاحظ أن 70 بالمائة من أعمال العنف في إيران أعمال عنف عائلية فنكشف أهمية هذين الأمرين الواقعين المستمرين بقدر ما يستحقانه. أفليس أنجع دواء وأكثره ملائمة لهذين المرضين أو العاهتين أن يثير الزوج الرغبة الجنسية في زوجته؟.

# **الملحق رقم 3**

# **أكثر من ضجيج حول ضرب النساء في القرآن ( من 1 إلى 4):**

# **حوار بين أحمد آل حسين وأبو الحسن بني صدر**

# **المقدمة: تعريف لموضوع النقاش**

كتبه الدكتور أحمد آل حسين (12 أبريل 2011)

في أبريل من العام الجاري دخل السيد أبو الحسن بني صدر نقاشا أو تبادلا لآراء مع مجموعة من الباحثين السويديين بخصوص الآية 34 المثيرة للجدل من سورة النساء في القرآن. وقد نشر هذا النقاش يوم 12 أبريل عام 2011 في موقع "كويا" بعنوان: "نقاش حر حول الآية 34 من سورة النساء". وقد بدا لي أن تفسيره للآية المذكورة له مشابهات وكذلك خصائص فريدة قياسا بنتائج ما قامت به حتى الآن مجموعة من المثقفين المسلمين (خاصة نساء باحثات مسلمات وفيمينيات إسلاميات في الغرب) من دراسات وأعمال ثقافية. فعلى ذلك تمت كتابة مجموعة أسئلة وآراء وموضوعات قد تفضل الدكتور محمود دلخواسته (من أعضاء مجموعة "قرآن براي امروز" (القرآن لليوم) على الفيس بوك) بنقلها إلى السيد بني صدر حيث وبدوره قام السيد بني صدر بالإجابة عليها في أسرع وقت وببذله جهدا واهتماما خاصا يستحق الشكر والامتنان ويثبت تواضع سيادته وتعهده بالنقاش الحر (بالمناظرة الحرة).

إن فهم رؤية السيد بني صدر بخصوص الآية المذكورة وتفسيره للمفردات المفصلية في الآية المذكورة يستلزم مطالعة مؤلفاته الأخرى خاصة كتابه القيم والثري المعنون بـ "المرأة والحياة الزوجية". ربما لا توجد هناك أية آية قرآنية تكون مثيرة للجدل حول رأي الإسلام والقرآن في المرأة بقدرما أثارت هذه الآية من الجدل والضجيج مما تتطلب دراسة أسبابه وما يقف وراءه من سياسة تثير الجدل حولها شرحا مفصلا لا يسعه هذا المجال، خاصة بعد أحداث 11 أيلول (سبتمبر) وبالتالي اشتداد معاداة الإسلام في الغرب. إن الذين لهم معرفة بمؤلفات إدوارد سعيد خاصة كتابه بموضوع الاستشراق يعرفون جيدا الجذور التاريخية لهذا الاستنفار الصليبي العلماني تحت يافطة تخليص المرأة المسلمة وما هي أسبابه ودوافعه الاستعمارية والاستعمارية الجديدة.

مع ذلك كلما تزداد وتشتد هذه الهجمات كلما يترکز مزيد من الاهتمامات على القرآن ويبذل مزيد من الأشخاص جهودا أعمق لفهم وإجابة أقوى لتتوفر الأرضية أكثر فأكثر لتحرير القناعات الدينية من الأوهام التقليدية الدينية العائدة إلى العصور الوسطى وفي الوقت نفسه من الأوهام المغطاة بالتجدد والأوهام الناتجة عن الانبهار بالغرب. فعلى ذلك يجب اعتبار كل نقاش في هذا المجال فرصة ويجب الترحيب بأي نوع من الحوار والتباحث مع التقليديين في صفوفنا والناقدين في خارجنا ومنوري الفكر المستقلين ومنهم السيد بني صدر.

وفي ما يتعلق بكون الآية 34 من السورة الرابعة في القرآن قد لفتت الاهتمامات يكفي أن نقوم ببحث في الإنترنت لنكشف أنه حتى الويكيبيديا فتحت دراسة متصلة ومدخلا خاصا لهذه الآية وما أثارته من مجادلات أو نقاشات جدلية. إن الكتب المقدسة للمسيحيين والزراتشتيين واليهود والهنود وحتى المصادر الفكرية للأيديولوجيات الحديثة مليئة بأضعاف مضاعفة بعبارات وأفكار كثيرة معادية للمرأة صورية أو حقيقية. ولكن بشكل عام وبتعمد أو بخطأ قلما يهتم من يسمون بمنوري الفكر أو المثقفين بهذه الأفكار الدينية أو العلمانية المعادية للمرأة وهم وعلى أساس رؤیتهم للکون المتجهة إلى الذات ومنطقهم الصوری المعارض للجدلية یعتبرون أن الدفاع الحقيقي عن حقوق المرأة ليس إلا نتيجة العقلية الحديثة العصرية من نوعها العلماني وأن كل الرؤى الدينية تفتقر إلى الأهلية الذاتية للدفاع عن حقوق المرأة، متناسين أن المؤسسات الأوليات للحركة الفمينية في الغرب (مثلما كان مؤسسو فكرة العلمانية) وكذلك العديد من الفمينيات في عصرنا هذا كن متدينات وكن يعتبرن تخلص المرأة من أسر الرجل رهين تخلص الناس من العقلية القائمة على السلطوية الذكورية والتي تعتمدها الكتب المقدسة. كما وكان للعديد من الحركات الدينية قبل عصر الحداثة مبادئ منجية للغاية للمرأة مما كان يعتبر في ظروفه الزمنبة والمكانية الخاصة له خطوات كبيرة إلى الأمام على مسار تحرر المرأة ولا تزال هذه الحركات تتضمن خطابات للإعلان عنها في عصر الجاهليات الحديثة متغافلة عن كون أولى منشئي الحركة الفمينية في الغرب (مثلما كان منشئو فكرة السيكولارية) وكذلك العديدى من الفمينييين في العصر الحديث متدينين يعتبرون أن تخلص عقلية الناس الذكورية من النصوص المقدسة هو الذي يكفل تخلص المرأة من أسر الرجل، کما وإن العديد من الحركات الدينية قبل العصر الحديث كانت تتسم بسمة تخليص النساء بامتياز مما كان يعتبر في حد ذاته وفي إطار ظروفه الزمنية والمكانية خطوات كبيرة إلى الأمام ولا تزال تتضمن هذه الحركات مواضيع قيمة للخطاب في عصر الجاهليات الحديثة. فعلى سبيل المثال إن كون كتاب المسلمين المقدس قد تضمن قبل أربعة عشر قرنا أسماء العديد من النساء واختار "النساء" اسما لإحدى أكبر سوره واتخذ خطوات أساسية في الاعتراف بالحقوق الاجتماعية والاقتصادية للمرأة في ظروف تاريخية كانت المرأة فيها تعتبر من أملاك الرجل وكذلك اعترف بالحقوق الذاتية للإنسان رجالا ونساء، مؤشر هام ككل يتحدى ما يملكه المتطرفون السيكولاريون من عالم أسود وأبيض ذا نزعة ذاتية. ولكن في الوقت نفسه يمكن تأكيد أن هذا الكتاب (القرآن) قد نظر إلى قضية حقوق الإنسان وحقوق المرأة بأسلوب أكثر جذرية من البيانات الدولية الناقصة الخاصة لحقوق الإنسان والتي كتبت ووقّعت على أساس اتفاقيات اجتماعية وسياسية مفروضة ولكن انتهكت وسحقت آلاف المرات يوميا. إن الإسلام لا يزال له أفضلية على الرؤى السيكولارية المتجددة والعصرية وهي تكمن في أنه قد جعل مكانة عميقة كونية في العلاقة بين الله والخلق لحقوق الإنسان وحقوق المرأة وحتى حقوق الطبيعة من النبات والجماد والحيوان.

من الشروط الأساسية لإنجاز تحقيق في أي موضوع أن نقوم بدراسة الرؤى البديلة المختلفة ثم النقاش حول نقاط ضعفها وقوتها وبعد ذلك أن نوضح لماذا نرى رؤيتنا ذات مكانة عليا قياسا بالرؤى والتفاسير الأخرى. وقلما يوجد هكذا شرط لدى الذين يخوضون هذا النقاش في العالم المجازي أو الحقيقي للناطقين باللغة الفارسية ولذلك وبشكل عام يستمر كل من جانبي النقاش في أصراره على أدلته وشواهده الكلامية أو التاريخية القليلة المختارة مسبقا لإثبات رأيه وذلك من دون تراجعه ولو سنتيمتر واحد عن موقفه ومن دون القيام بالتفكير ولو لثانية في عمله وتقييم شواهده. كما وفي صفوف المثقفين الدينيين أيضا وبشكل عام إذا كانت هناك مراجعة أدبياتية فهي تأتي في ما يتعلق بالتفاسير التقليدية ولكن في ما يتعلق بتفاسير المثقفين الدينيين أو غير الدينيين الآخرين يبدو هذا العمل نادرا. فعلى ذلك يبدو أنه من الضروري ملاحظة الدراسات الموجودة والأمور المماثلة الرئيسة وأنا أقوم في هذه المقدمة بتعريف بعض من أهمها أنا أعرفه.

في السنوات الأخيرة قد جرت تحقيقات واسعة وتم تأليف كتب وكتابة مقالات جامعية حول هذا الموضوع بحيث كرست الفمينيات المسلمات جانبا ملحوظا من مساعيهم لفهم هذه الآية ومنهن على سبيل المثال السيدتان فاطمة مرنيسي والبروفيسورة آمنة ودود المعروفتان لدى باحثو الإسلام وفي ما يلي كتابان ألفتهما مؤخرا السيدة ودود:

1. Qur'an and Woman: Rereading the Sacred Text from a Woman's Perspective (1999)

2. Inside the Gender Jihad: Women's Reform in Islam - Paperback (June 5, 2006)

وأنا أوصي بشدة هاوي هذه البحوث بقراءة الكتابين المذكورين.

كما وهناك كتاب دراسي آخر بخصوص أخلاق ممارسة الجنس في الإسلام للدكتورة كسيا علي (Kecia Ali) باحثة الأديان في جامعة بوستون الأمريكية بالعنوان التالي:

Sexual Ethics and Islam: Feminist Reflections on Qur'an, Hadith and Jurisprudence - Paperback (July 14, 2006)

وهناك كتاب آخر للسيدة أسماء بارلاس (فيمينية أمريكية وأستاذة مساعدة في الجامعة) بالعنوان التالي:

Believing Women" in Islam: Unreading Patriarchal Interpretations of the Qur'an (2002).

كما وفي مقال كتبه جريفين هيغن الأستاذ المساعد لبحوث الأديان في جامعة فيرجينيا تمت دراسة رأي مجموعة من الفيمينيات المسلمات في أميركا الشمالية وأسلوب دراستهم، وعنوان المقال كالتالي:

North American Islamic Feminist Interpretation: The Case of Surah 4:34 (2004)

وهناك مقال هام جدا كتبته السيدة راشل سكات أستاذة في جامعة فيرجينيا التكنولوجية وهي استخدمت فيه أسلوب كانتكستشوال (البحث في الأرضية أو الظرف) في فهم الآية المذكورة، والمقال بالعنوان التالي:

A Contextual Approach to Women's Rights in the Qur’ān: Readings of 4:34 (2009)

أما مجموعة الدراسات الابتدائية في هذا المجال فهي للكاتب أحمد آل حسين وتتضمن أربعة مقالات قصيرة ومقدماتية توجد في موقع "الإلهيات المنقذة" (باللغة الفارسية) على الرابط التالي:

<http://quranicwisdom.wordpress.com/tag/%D8%B6%D8%B1%D8%A8/>

# **وفي ما يلي ما كتبته أنا في ما يتعلق بآراء السيد بني صدر:**

أسئلة موجهة من السيد آل حسين:

مع أني أحترم آراء السيد بني صدر ودراساته حول موقع المرأة في الإسلام والحضارة الإيرانية، أعتقد أن رأيه الخاص في ما يتعلق بالآية 34 من السورة الرابعة أيضا يجدر بالتأمل والتفكير وفي الوقت نفسه يثير الجدل. إني أعتقد أن نقل الجدل بخصوص النشوز إلى قضايا علم نفس الجنس والحديث عن السادية والمازوخية يقدر بالكاد على حل لغز هذه الآية إلا أن يقوم سيادته بتقديم ونشر مزيد من الإيضاحات. فإذا كان هناك مشكلة نفسية جنسية فيجب دراسة جذور المشكلة من قبل خبراء الأسرة. وقد يكمن سبب المازوخية الجنسية للمرأة في سلوكيات الرجل الجنسية ذات الإشكالية وإن وضع الرجل في موضع المسؤول عن التعامل مع المرأة وتنظيم مشاكلها النفسية بعيد عن روح القرآن والعقل (إن كنت قد فهمت صائبا ما يقصده السيد بني صدر).

إن القرآن ليس كتاب علم النفس وعلم الحياة. فما ورد في هذه الآية لابد أن يتعلق بمشكلة أخلاقية في حياة أشخاص كانوا قد خاضوا حركة كفاح الإسلام من أجل العدالة والحرية وكانت العلاقة بين المرأة والرجل آنذاك بحاجة إلى إطارات فكرية وأخلاقية جديدة بعد ما كانت التقاليد القبلية الجاهلية هي التي تحدد العلاقة بين المرأة والرجل. فعلى سبيل المثال تكون إحدى الكلمات المجادل فيها وهي كلمة "نشوز" من جذر "نشز" لتعني التمرد والعتو والتفرد والأنانية. وقالوا في ما يتعلق بكلمة الضرب وهم على الصواب إن لها معان مختلفة في القرآن، حيث أن الضرب هنا لا يعني الجلد أو المعاقبة جسديا في أية آية قرآنية إطلاقا، بل وأصلا تعني كلمة الضرب ضرب شيء على شيء آخر مرة واحدة وليست بمعنى الجلد أو إنزال ضربات عديدة على شخص حيث يستخدم القرآن كلمة "الجلد" لهذا الأمر.

إني والسيد بني صدر ومثل عدد ملحوظ من المفكرين المسلمين الإيرانيين وغير الإيرانيين الجدد لا نتردد في أن دراسة لغوية لهذه الآية وتركيبتها المنطقية تدل كلتاهما على أن الآية لا تتحدث عن الضرب أو استخدام العنف. أما إلى ماذا تشير هذه الآية فإني أرى أن هذا يعتمد على دراسة تاريخ نزول الآية وظروف نزولها. وفي هذا المجال هناك حاجة إلى معرفة التاريخ والناس والثقافة في عهد صدر الإسلام ودراسة علاقات النساء والرجال آنذاك ولم أر حتى الآن أن يقوم أحد بهكذا دراسة إلى حد الضرورة فما بالك بحد الكفاية. فغالبيتهم يقومون بمعرفة الكلمات وبحوث كلامية ومنطقية ويعملون على تطبيق تفسيرهم للآية مع العلوم والقيم العصرية. وفي ما يتعلق بالظروف التاريخية والدافعية لنزول الآية والآيات المتعلقة بها هناك فرضيات طرحت في "مدونة الإلهيات المنقذة" وهي بحاجة إلى متابعة في معرفة التاريخ. وهذه هي الخطوة التثقيفية الأخيرة التي يجب اتخاذها ليتوضح أنه إذا لا تعني الآية استخدام العنف والجلد فماذا تعني بدقة وما هو السبب وكيف؟. وفي هذه الحالة يمكن تعميمها لتشمل الظروف المماثلة أيضا. إن عدم وجود طريقة علمية متينة في الكشف الصحيح للمعاني يقودنا إلى تأويلات فردية وتخمينات منفردة يجعل عملية النقاش الحر أمرا صعبا للغاية. وليس هذا حرية النقاش فقط وهي التي تضمن توصل النقاش إلى نتيجة. فيجب إرفاق النقاش الحر بالطريقة العلمية المتفق عليها من قبل المشاركين.

إذا وضعتم هذه الآية المثيرة للجدل بجانب الآيات الأخرى السابقة واللاحقه من الآية 25 إلى الآية 35 فتلاحظون أنها لا تتحدث عن الأمور النفسية والجنسية، وإنما القضية هي القضية المالية والقدرة الاقتصادية والتعهدات المتبادلة بين المرأة والرجل. وتقول الآيتان السابقتان للآية المذكورة: "ِللرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ"، ثم تجعل الرجل أمام واجبه المتمثل في توفير الأمن للمرأة من دون أن تعطيه الحق في التدخل في الاستيلاء على مالها سواء أن تكون قد كسبت ذلك المال بنفسها أم بالإرث. (لاحظوا الآيتان السابقتان). كما ومن الضروري الالتفات إلى الموقع التاريخي للمسلمين وأوضاعهم ليمكن فهم هذه الآية. وهنا تجد الآية لهجة عامة حيث تخاطب الرجال والنساء وليس فقط الأزواج والزوجات. فمن الناحية التاريخية كان المسلمون يعيشون ظروف النضال وإقامة مجتمع مستقل سليم وكانت الانشغالات والتصادمات في الشؤون السياسية والاجتماعية قد أثرت في شؤونهم العائلية. كما ويمكن هناك افتراض وهو أن الآية تنوي منع ضياع حقوق النساء اللواتي لسن فقط نبذوا مرافقة الرجال ومماشاتهم وإنما ينوين الإخلال في العائلة والكشف عن أسرارها. فعلى ذلك تقترح الآية وكالمرحلة الثالثة بعد التفاوض وتعليق العلاقة العاطفية الجنسية أن يتم ترك موقع العيش وقتيا أو القطع الموقت لواجب الكون قواما (أي واجب تأمين المعيشية ماليا وأمنيا كما ورد في بداية الآية أو تعليق النفقة) وهذه المراحل الثلاث هي الحوار أو التفاوض ثم القطيعة العاطفية ثم ترك البيت أو تعليق بعض من الواجبات المتبادلة كقوام العيش. وانظروا الآية اللاحقة التي تقول مباشرة بعد ذلك: "وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا" وتقول في نهاية الآية المذكورة بكل الالتزام بالحذر: " فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا" وفي حال مواصلة المرأة رفضها ونكثها للعهد تقترح الآية اللاحقة تدخل أهل الجانبين. وهذه آراء يجب نقدها ومناقشتها بكل جدية أو رفضها أو قبولها أو تصحيحها على أساس الشواهد التاريخية في نهاية الأمر.

# **رد السيد بني صدر:**

السلام عليكم،

قرأت بكل حماس ما كتبتم، وأقول ما يأتي:

1. إن القرآن كتاب لجميع العصور فلابد للآيات أن تتضمن معاني ثابتة لجميع العصور وأن تكون حلا لجميع المشاكل والأمور كـ "أمر مستمر". أي إن كل شأن وموضوع يكون موضوع حكم الحكيم في القرآن يكون شأنا وموضوعا كان يومذاك ومنذ يومذاك حتى يومنا هذا وسيكون من الآن فصاعدا لك الأيام المستقبلة في كل العصور والأزمنة. ففي عصرنا، أية قضية أو قضايا قد تكون سببا في النشوز في المجامعة والمضاجعة؟ فتلك القضية أو القضايا هي موضوع الحكم. إن الغفلة عن واقع أن القرآن لم يجعل موضوع الهداية والدلالة إلا الأمور المستمرة وممكنة الحدوث في كل الأزمنة والأمكنة (مثل الزنا والربى والقتل والنشوز و... إلخ) قد تسببت في ظهور آراء مثل رأيكم هذا أي الرأي القائم على مراجعة التاريخ. فيما أنه يجب في الحقيقة مراجعة التاريخ الحقيقي الذي هو تاريخ الأمور المستمرة وممكنة الحدوث في كل الأزمنة والأمكنة. وحتى الكلمات المستخدمة في القرآن يجب أن تتضمن معاني ثابتة، وإلا سوف نجد قرآنات بعدد الأجيال على أقل تقدير.
2. إن حكم القرآن حول الأمر المستمر قائم على مبادئ دليل تكون شفافة ومستقيمة حسب التعريف الذي يعطيه القرآن وحسب تحديد الأمر المستمر بحيث لا يخلق أي تناقض مع نفسه ومع الآيات الأخرى.
3. إن الآيات من 25 إلى 35 من سورة النساء تتناول أمورا تحدث في الحياة الزوجية. هذه القضايا توجد في مجتمعات اليوم أيضا وليس التعرف عليها صعبا وأنا تناولت هذه القضايا في كتابي "المرأة والحياة الزوجية". إن الآية 34 من سورة النساء تخص الأمور الخاصة للفراش (المضاجعة).

إن القول بأن القرآن ليس كتاب علم النفس وتحليل النفس وو... إلخ قول صائب، ولكن لا علاقة له إطلاقا بوجود هذه الأمور يومذاك واليوم. فاليوم هناك أسماء لهذه الأمور. فعلى سبيل المثال إن طلب العنف أو نزعة حب التعرض للعنف لدى بعض النساء عند المضاجعة ليس ظاهرة جديدة وعصرية. واليوم يسميها الغربيون بالمازوخية.

إن الآية لم تتخذ بعين الاعتبار حالة واحدة فقط من وهي حالة طلب العنف أو حب التعرض للعنف وإنما تنظر نظرة عامه أي تشمل جميع حالات النشوز ومنها النشوز الجنسي والمحظورات الجنسية التي ازدادت في مجتمعات اليوم أكثر مما مضى وحتى التفعل وطلب العنف أو حب التعرض للعنف. فلذلك يقدم القرآن لإنسان ذلك اليوم ولإنسان اليوم حلولا مختلفة.

1. إن الآية 34 من سورة النساء تخاطب الأزواج فقط. أما الآيات الأخرى فتخاطب آخرين أيضا غيرهم لسبب الدور الذي يمكن لهم أن يمارسوه.
2. هناك آيات أخرى تتحدث عن حالات من هذا النوع تتسبب فيها طريقة عيش الرجل وأعماله في حدوث حالات غير محمودة.
3. كتاب "التفسير الأنموذجي" للقرآن وترجمة السيد فولادفند للقرآن كلاهما قالا إن الضرب يعني الترك. أما أدق معنى للضرب في هذه الآية هو الصدمة.
4. سأشكرك أنت الصديق الكريم إذا أرسلتم إلي الدراسات التي أجريت حول معاني الضرب وتفسير هذه الآية.

وأقدم لكم جزيل شكري وتقديري على اهتمامكم بالنقاش الحر حول الآية 34 من سورة النساء.

دمتم بالعافية والموفقية.

14 نيسان (أبريل) 2011

أبو الحسن بني صدر

# **جواب وسؤال السيد آل حسين:**

6 أبريل 2011

وشكرا للسيد بني صدر عليهم على ما كتبه من رد، في وقت وجيز، على الرغم من العديد من المشاكل. ويبدو أن هناك بعض النقاط التي تحتاج إلى السيد بني صدر ليوضحها خلال مناقشته مع السيدة السويدية. كما وفي كتابه "المرأة والحياة الزوجية" لا يوجد إيضاحا لهذه النقاط، ولذلك تفسيراته تجعل المناقشة أكثر فعالية:

1 ـ إنهم اعتبروا "الضرب" بمعنى "التحريض الجنسي" وهو ما يتعارض مع مفهومه التقليدي. والسؤال هنا ما معنى هذه الكلمة في القرآن الكريم؟ وفقا للدراسة التي نشرت في مدونة "إلهيات التحرير"، في أجزاء أخرى من القرآن الكريم، لا تعني كلمة "ضرب" الجلد ولا التحريض الجنسي. فالاستعارة التي يستخدمها العرب في ما يتعلق بالناقة، تدل حسب بعض القدماء على أن الضرب يعني الجماع، قائلين إن الجماع يمكن أن يحل بعض الخلافات. حتى لو نظرنا إلى هذا المعنى المستبعد، فلماذا يسوغ القرآن قبل الآية المذكورة الامتناع عن الجماع.

2 ـ أما في ما يتعلق بكلمة نشوز فمرة طرحتم حالة من التمرد الجنسي وفي بقية الحالات طرحتم طلب العنف الجنسي أو المازوخية لدى المرأة. هذان الأمران مختلفان وغير متناسقين مع معاني النشوز في الآيات القرآنية الأخرى وفي اللغة العربية. ولا تعني هذه الكلمة في أية آية قرآنية أخرى المازوخية الجنسية. ففي الآية 259 من سورة البقرة، تأتي بمعنى المدعومية او "الدعم" حيث تقول: "انْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"، وفي الآية 11 من سورة المجادلة، بمعني "التحكم في الوضع" للآخرين من الرعية. وفي الاية 128 من سورة النساء، فقد تم سوء فهم الرجال، وبالتالي فإن الفكرة التي قلت هي أن معظم النساء يعانين من الماشوسية الجنسية. اذ قلت أن الرجال أكثر عرضة للجنس السادي. في هذه الحالة، لماذا ينسى القرآن التحيز الجنسي للرجل والطريقة التي تعامل بها المرأة، ويتناول مسألة الذكور والاعتداء الجنسي في الآية 128. فهذه الآية لم يتحدث عنها من قبل ولا من بعد، ناهيك عن الجنسية والأخلاق من العدل والمساواة وحقوق المرأة والطفل.

3 ـ معنى نشوز غير واضح ونتيجة لذلك، فإن لديها مجموعة متنوعة من السلوكيات التي لها معان مختلفة.في اللغة العربية، فيمكن ان تعني السيادة والتسلط (البلطجة). إذا لم أر كلمة الذاكرة، فهذا المصطلح يعني سوء الفهم الجنسي، ناهيك العنف الجنسي. وقال ان عدم الامتثال يمكن أن يفسر فقط في مثل هذه كلمة من الآية. ويرجى تحديد المعنى الوارد للكلمة في قاموس المازوخية الجنسية.

4 ـ وبصرف النظر عن إمكانية أو استحالة الإشارة إلى كلمة "التحفيز الجنسي" على كلمة "الضرب"، فإن هذا التحفيز الجنسي نفسه يحتاج إلى توضيح. لقد كنت تشير إلى اخصائي وعلماء النفس في القرن الحالي. فما هي أفضل طريقة للإثارة يمكن تحديدها؟. فهذا يتناقض مع مبدأ الخلود كما عرفته في أربعة عشر قرنا. فهل وضع القرآن الكريم المعنى الصحيح والعملي للإثارة الجنسية رغم تقدم القرن الحادي والعشرين؟

5 ـ إذا قبلنا أن القرآن ليس علم النفس انما هو كتاب أخلاقي (على أساس العدالة، عندما يتم تعريف الغرض من الأنبياء، وكيفية الدخول في مناقشات محددة جدا وحساسة للعلاقات الجنسية في سلسلة من الآيات والمناقشة التي لاتزل قائمة. صحيح أنك قلت هذه المشاكل، والآن لديهم اسم علمي وشعار. ولكن هناك العديد من المشاكل الجسدية والنفسية التي تم العثور عليها بالفعل واخرى لم يتم اكتشافها بعد، وينبغي أن تنتظر الغد. فلماذا جعل القرآن المازوخية الجنسية للنساء الوحيدة في دائرة الضوء؟.

6 ـ ويبدو أن كلمة "المضاجع" في هذه الآية هو تجنب المرأة من حيث الجنس. وفي الوقت نفسه، إذا نظرت إلى مكان آخر في القرآن، لم يستخدم هذا المصطلح أبدا في المصطلحات الجنسية، ولكنه يعني السلام والهدوء. فإذا كنت جنسيا صريحا، فعليك التوقف عن ممارسة الجنس. فالكلمة هنا يمكن أن تعني معنى أكثر عمومية واستعارة للقضاء على العلاقات العاطفية، على سبيل المثال، في الفارسية نقول أننا قد اختصرت أيدينا، وهذا لا يعني قطع الرأس المادي من يدها، ولكن ذلك يعني الحد من وصولها إلى الموارد والفرص.

7 ـ والنقطة الأخرى هي أن هذه الآية تتناول المرأة والرجل بشكل عام (وليس الأزواج والزوجات)، فإذا كانت المسألة هي العلاقة بين الزوج والزوجة، فالمثل في نفس الآية 128 من نفس السورة، فيما يتعلق بغياب الزوجين من عبارة " و "بعل". والسبب في ذلك ليس الجنس وبداية الآية بالرجال القوامين من أجل إدراج المرأة بالمعنى العام بما في ذلك النساء غير المتزوجات والأرامل... وغير دلك.

8ـ ما تشير إليه هذه الآية هو أن الرجال في ظل الظروف العادية يوفرون للمرأة الأمن والاستقرار المادي من خلال النفقة باستخدام النعم التي انعم الله عليهم بها وهم ملتزمون بحفض وحماية وعودهم وأسرار ضد النساء. فالرعب من إنكار المرأة الذي جاء في هذه الآية ما هو الا نتيجة لظهور أدلة على أن النساء غير ملتزمات بحفظ أسرارهن. ويستند اتساق كل أسرة إلى مجموعة من المبادئ والالتزامات المتفق عليها بصورة متبادلة من جانب أفراد تلك الأسرة، وينبغي ألا تكون المرأة هي من تنتهك هذه الالتزامات وأن لا تكون لها الأسبقية وتعرض حياة الأسرة للخطر، على عكس الرجل، فيجب على الفور المناقشة والتدخل علنا. ويرجع ذلك إلى الوضع الحساس والهش للمرأة عقليا وعاطفيا في المجتمع العام، وفي موقف الأم (سواء المحتملة والفعلية) ودورها التعليمي الذي له أهمية خاصة. ولكن في حالة الرجل فبسبب هذا الالتزام، فإن المرأة ليست ملزمة بوضع ثلاثة أطراف خاصة داخل المنزل، ووفقا للمادة 128، لا توجد عقبة إذا كانت إما تعمل على إصلاح العلاقة من خلال السعي للتداخل مع الآخرين أو مع المجتمع أو التفكير في الطلاق. ويتم توفير المساواة بين الرجل والمرأة عندما تكون لدى المرأة حساسية محددة ومكانة من خلال معاملة مختلفة. ومع ذلك، فإن الآية 128 تجعل اتخاذ ذلك اختياريا، أي أنه يمكن للمرأة، إذا كان لدى الرجل هشاشة نفسية، فيمكن أن تعتمد الخطوات الثلاثية للتسامح (المشورة، تعليق العلاقات العاطفية، ثم إنهاء الالتزامات) قبل الكشف ودعوة الآخرين للتدخل (الآية 35).

9 ـ إذا نظرتم فقط إلى منطق المكونات الموضوعية للآية، أعتقد أن الكلمات في الآية كلها مرتبطة ـ وبصرف النظر عن هذا، لا يمكن للمرء أن يتوقع الحكم المنطقي وضرورة جلب النقاش إلى عالم معقد من القضايا الجنسية والنفسية التي يجب أن تكون لتبريرها، اذ كان المسلمون ينتظرون قرونا من أجل التوصل إلى يوم بحثي لإظهار مدى مقارنة الجنس والإثارة لدى الرجال والنساء:

تبدأ الآية مع اتساق الرجال (ليس فقط الأزواج)، الذي يحدد واجب المرأة بالجماع، وبعد ذلك، إذا فشلت في القيام بذلك، تدعو الرجل إلى طاعة التسامح قبل مقاطعة المشاركة. وهذا التسامح (وليس العقاب) ينظر فيه على ثلاث مراحل: (تقديم المشورة، وتعليق العلاقة العاطفية ثم تعليق الاتساق)، كما لو كان محمد في خلاف مع زوجاته الذين نفروا من المنزل لبضعة أيام، وحتى لا يقول أي شيء لأتباعه، وبعد الكثير من الإصرارمن عمر، وجد الفرصة للتحدث معه. لأنه كان يعمل، اضطر الرجل إلى العودة إلى الالتزام، و في الآية التالية، لنشر القضية طالب بتدخل الناس المحيطين للإصلاح أو الانفصال. هذا هو بسيط وبصورة دقيقة كسلامة عناصر الكلمة. وإذا كان تضاعف التخلي الدائم، كما قال بعض المترجمين الشفويين، لن يكون قد حل، لأن حقوق المرأة سوف تضيع في التخلي الدائم، وفي الإسلام، هناك قضية الطلاق، وليس الإجازة، التي بموجبها حقوق الأطراف بعد الطلاق واضحة. فمفهوم ترك أو الكشف لا ينطبق على كلمة الضرب. ويرى أن هذا التفسير مفهوم في جميع الأوقات وليس هناك حاجة لتطوير العلم الجنسي والنفسي من المنطقي. وتعتبر المؤسسة الأخلاق القائمة على العدالة في الأسرة، هي الغرض من العمل وموضوع القرآن الكريم. فجزء من التزامات المرأة والرجل هو موضوع العرف، وبالتالي القرآن لا يدخل في تفاصيل هذه الالتزامات، ويعترف بها في العرف والأسرة المحيطة بالالتزامات. فما هو مهم في القرآن هو إقامة التوازن والتوازن في تحديد الالتزامات وكدا الالتزام بها. وبالتالي، في الآية التالية، يتحدث عن تدخل القبائل التي، وفقا لحكمتهم الجماعية، يتم تجاهلها في حياتهم اليومية، من أجل الحكم وتمهيد الطريق للتصحيح أو الطلاق.

وأعتقد أن استمرار المناقشة يحتاج إلى تبادل لمزيد من الوثائق الوثائقية والكتابات العلمية، وليس كما أن المناقشة مع السويديين يقلل من رفض الردود. ويبدو أن هناك بعض الاختلافات في الافتراضات المنهجية بين هذا الأخير وبين بني صدر أن تلك الافتراضات ينبغي توضيحها، وأن العمل قد لا يتحقق. فعلى سبيل المثال، أعتبر أن من الملح جدا أن نولي اهتماما لأحداث وقت النزول والظروف التاريخية، ولا أعتقد أن هناك أي تناقضات مع خلود القرآن. كما ينبغي أن نعرف، على سبيل المثال، ما كانت كلمة "الضرب" أو "النشوز" خلال الأيام الأولى للإسلام، وليس الآن، ء لأن المعاني من الكلمات تتغير مع مرور الوقت في أي لغة ـ ويجب أن نكون أيضا على دراية بالنص التاريخي من وقت النسب. فعندما يكون لدينا عدة أجيال من القرآن، كل جيل، بغض النظر عن معنى الوقت من أصل الكلمات العربية المستخدمة، يريد فرض المعاني المستخدمة في وقتها على تلك الكلمات من أجل فهم القرآن نفسه. هذا بالضبط ما نراه اليوم. فمنذ قرون من النبي حتى يومنا هذا نرى أن في العربية مصطلح "ضرب" تستخدم عادة لتعني الضرب. ويبدو أن الانتشار السريع للإسلام في الأراضي غير العربية قد غير معنى العديد من الكلمات العربية. في نفس اللغة الإنجليزية، ومعاني العديد من الكلمات قد تغيرت منذ بداية الاستعمار البريطاني لعولمة اللغة الإنجليزية ومن ثم إلى الحداثة. لأن الكثير من أولئك الذين يبدأون في التحدث باللغة الجديدة يختارون كلمات لغوية جديدة للتعبير عن آرائهم، ويرجع ذلك إلى تعميم اللغة الجديدة نفسها ويتم قبول أكثر من ذلك. فهذا الضرب يعني الضرب أو العقاب البدني في وقت النزول وفي أي مكان من القرآن أو العمل الأدبي (مثل الشعر الشهير للجاهليين العرب)، (بقدر ما كنت أبحث عن خادم، فإن فرض معنى هذه الكلمة اليوم هو الآية التي خلقت القرآن الجديد الذي لم يترك أي شك إلى مترجم أو جمهور أن الضرب هو نفس الضرب) حتى بين العرب اليوم، إلا إذا كنت متخصص اللغة العربية الكلاسيكية، مثل خبير اللغة الإنجليزية الكلاسيكية الذين يمكن أن نفهم آثار شكسبير، على سبيل المثال، من الكلاسيكية إلى الإنجليزية الحديثة. كلمات معانيها ليست فقط في السياق اللفظي او في السياق التاريخي من وقتهم، ولكن العديد من الآيات لا يمكن أن تفهم إذا لم تؤخذ أحداث وقت انخفاض الآية والظروف التاريخية العامة في ذلك الوقت بعين الاعتبار.وأنها لا تتعارض خلود القرآن، الذي ليس له نفس الشروط لتوريد الخلود، عندما تم تحديد معنى الآية في النص اللفظي والنص التاريخي) وكما يقول بني صدر، نظرا لاستمرارية العديد من شؤون القرآن ء بسبب استمرارية الطبيعة البشرية والأخلاق (شرط استخدام الآية هو تنظيم العلاقات الأخلاقية في عصرنا و كل يوم آخر، ولكن إذا كانت الآية والكلمة من النص اللفظي والتاريخي مجردة، فسيتم توفير السياق لاسترجاع أي معنى يؤكد تصوراتنا. ولوحظ أن العمل كان أكثر عمقا مما يبدو، وفي هذه الحالة، يحتاج خادمي بعض الوقت للنظر في مادة متماسكة في نقده لمنظوره والاستمرار من خلال نشر مواد المناقشة.

غاية الجدل الذي يحيط ضرب النساء في القرآن (2): مناظرة بين السيد بني صدر والسيد آل حسين

# **رد من السيد بني صدر**

25 أبريل 2011 الموافق ل 5 جمادى الثانية 1390

تحية

وقد سرني جدا أن السيد أحمد آل حسين رحب بالمناقشة المفتوحة. صحيح أن الأمور أعطتني فرصة صغيرة. ولكن ما هو أكثر أهمية من المساعدة على استعادة الاستقلال والحرية، رجالا ونساء، ولا سيما النساء. ولكن فيما يتعلق بمقالتي القصيرة، وجدت هذه التذكيرات مفيدة:

1 ـ الحديث مع السيدة السويدية، بالطبع كان هناك متحدث سويدي( لأنها لم تتمكن من قبول الحقيقة من السيدة السويدية، واستقالتها لم تكتمل، إن اللسان الذي يتفق مع الطريقة التي يعلمه القرآن أن يقرر بها ما إذا كان سيستمر أو لا في ذلك) لم يقرر إلا من قبلي أو بموافقة الآخرين، فمن غير المعروف لي (الاستمرار في قبول نقد بني صدر للعلاقة بين الرجال والنساء على المحور المركزي للسلطة في الغرب. لم يكن مستعدا له أو لهم. ولم تقلل المناقشة من رفض الرسالة. وفي حين أن النص ينطوي على أن الأطراف التي قد تمكنت من الوصول إلى علماء الإسلام ـ الذين طلب منهم الاشتراك فيها ولم يناقشوا ـ فإن هذا الأخير قد اختار بين قبول الكلمة الصحيحة والتهرب من المناقشة.

ولكن إذا كان المطلق من العصيان لا يتفق مع الآية، وسوف يتعارض مع الآية 128 من سورة النساء:

اـ إذا كان الغياب المطلق للعصيان ليس صحيحا، فإن فشل الإنسان يعني أيضا نفس العصيان. التناقض بين هاتين الآيتين غير قابل للحل، باستثناء معنى العصيان الجنسي. لأنه إذا كان كلاهما تحت قيادة بعضهما البعض، فإن الزواج لن يحدث، والآية ستكون غير معقولة. ولأننا لم نعد نتعامل مع علاقة القوة، فإننا نواجه المستحيل. وإذا كان الرجل تحت قيادة المرأة، فإن الآية 128 تنقض الآية المذكورة، وإذا كانت المرأة تحت قيادة الرجل، فهذه المرة الآية 34 تنقض الآية 128.

ب ـ إذا لم يكن هناك تمرد جنسي، فلن يكون هناك تناقض. إذا كان أحدهما أو كلاهما متورطين في مشكلة العصيان الجنسي، فسوف يحصلان على الحل في الآيتين.

ج ـ ولكن في هذا الجزء من الآية التي تتعامل معها، القرآن واضح وصريح: مكان حدوثه هو وقت النوم. في السرير، ليس هناك عصيان غير العصيان الجنسي. حتى لو لم يكن مكتوبا (إذا تم ذكره أو إقراره، إذا كان "النشوز" التخلي عن الوكيل أو الوكلاء غيرالجنسين، فإنه يجب أن يفهم على أنه عصيان مطلق، بغض النظر عن كونه يتعارض مع ما سبق، ففي هذه الحالة سيكون هذا الجزء من الآية غير واضح وغامض، وينقض ادعاء القرآن أنه واضح وخالي من التشويه، فمكان العصيان هو السرير ليس حلا للمشكلة. وعلاوة على ذلك، فإن أنواع أخرى من عدم التوافق لها حلول أخرى مقترحة في آيات أخرى.

د ـ ولكن لضمان صحة المعنى، لغير معرفة الواقع الفعلي وتكييف المعنى لمبادئ القرآن الكريم، هناك معياران: واحد لا يعطي التناقض والآخر هو وسيلة لتجربة ذلك. عندما يتم فهم هذه الآية واستخدامها، يتم الحصول على معنى الآية: عندما يصبح العصيان الجنسي لا معنى له، والقضاء على العنف هو حل المشكلة. ولكن إذا لم تكن معارضة مطلقة للعصيان في المجتمعات المسلمة وغير المسلمة، فإن كل معنى له يتضاعف، وينجم عن ذلك استخدام العنف.

وكلما اقتصرنا على فلسفة أرسطو، نرى أنه أسس هرمية لتكوين المجتمع، وفي هذا التسلسل الهرمي، فالمرأة خاضعة لهيمنة الرجل. اذ إن تفاسير المحللين الذين يؤمنون بفلسفة سلطة أرسطو ومنطق التسلسل الهرمي قد فسروا الآية بأنها قائلة بهيمنة الرجل على المرأة. ولكن عندما نعتبر الإسلام تعبيرا عن الحرية وأن فعل هذا التعبير هو تخلي الإنسان عن علاقات القوة والتحرر من خلال إقامة العلاقة بين الإنسان والله، فنحن نعلم أن الرجال والنساء ليسوا مهيمنين بل هم يهيمنون على بعضهم من خلال الزواج الذي هو توحيد نعمهم، وقوتهم فيصبحان غير مباليان. ففي كل مرة كل منهما يجد فيها موقعه، فإنه بقوة الإزالة التي ينبغي التخلي عنها وليس عن طريق إعطائها القدرة للذهاب إلى جانب واحد.

2 ـ يخطأ آل حسين حيث يقول بأننا لا نولي اهتماما بكرامة الآيات. وأسترعي انتباهه إلى مسألة، وهي حالة الكشف عن الآية في الآية نفسها. القرآن هو نهائي، وبالتالي اللباقة. السرد هو في شكل مضايقات مع العجز. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أنه في سورة نور، وهناك آيات حول اتهام المرأة من ملابسها. ووفقا للسرد، فإن كرامة الوحي من الآية، الوحيدة المتبقية لعائشة زوجة النبي مع شاب في الصحراء، هو البقاء. ولكن في الآية لا توجد إشارة إلى هذا الحادث. بدلا من ذلك، فموضوع الآيات هو الناجي الحقيقي، وهي أيضا وفيرة في المجتمعات اليوم. ففي جميع آيات القرآن، تم استخدام نفس الطريقة حتى النقد.

إذا كان الشيء الحقيقي الذي أدى إلى الكشف عن الآية هو العد كحادث، وينطبق الشيء نفسه: فالقرآن هو الحل لحوادث و شؤون وقته واستخدام الحوادث لمتابعة الأحداث التي لا تأتي في أوقات لاحقة. أو، لأن حالة الوحي من الآية هو الحادث، إلا أن الشيء نفسه ينطبق على التوجيه. ومع ذلك، إذا كان الشكل الفعلي لوحي الآية أو الآيات شكل ومحتوى الوقت هو حقيقة مستمرة، ونحن قد فعلنا شيئين:

 ا ـ ونحن نعترف بأن شكل ومضمون الشيء الفعلي يتغيران في مسار تغير التاريخ.

ب ـ من الأفضل تطبيق التوجيه القرآني إلى الحد الذي تقدم فيه المعرفة وتغير الواقع.

3 ـ ولكن من أجل معرفة ما هو معنى الآية في صدر الإسلام، وما هي دلالات الضرب المستخدمة، هناك طريقتان لا يمكن أن تكون أكثر من ذلك: سرد واحد وآخر. ووفقا للقاعدة، فإن السرد عبثا باطل. ولكن الحقيقة هي أن الدين هو حول تغيير علاقة الرجل مع السلطة لعلاقة الرجل مع الله. ففي علاقة الرجل مع السلطة، منظم العلاقة الإنسانية هو القوة. وفي العلاقة بين الإنسان والله، منظم العلاقة هو حق الإنسان الأصيل، بما في ذلك استقلاله وحريته وكرامته. حتى في الزواج، والشرعية، والحب ـ وهو مصطلح "المتانة" وهي "كلمة قرآنية"ـ هو الذي ينظم العلاقة. وهكذا، في القرآن ليس المبدأ هو العنف. لا اكراه في الدين، يعني أن الإحجام والإجبار في الدين ليس هو السبيل. ومع ذلك، إذا قال لنا السرد في ذلك الوقت، أنهم كانوا يتحدثون عن أي عصيان، وكان القصد منه الضرب، وهذا السرد هو انتهاك للنغمة ولا مفر منه حتما. ومع ذلك، هناك تاريخ آخر تكون فيه مصداقيته أكثر تحديدا، وأن من بين تلك الآيات آيات لا تتماشى مع فلسفة أرسطو وطريقة عمله.

ولكن في ما يتعلق بهذه الأشكال التي تتغير طوال تاريخ معنى الكلمات، وعندما قرأوا القرآن بمعاني كلمات اليوم، يجدون معاني غير صحيحة. في اشارة الى معنى الكلمة في وقت الوحي من الآية، لا يحل المشكلة. لأن تغيير المعنى هو التغيير الذي تعبر عنه الكلمة. على سبيل المثال، كلمة "ماء" تعبر عن ما نعرفه. إذا تغير هذا السائل، فإن الكلمة لن تعود تعبر عنه. ولا تتغير الكلمات التي تعبر عن الشؤون المستمرة ما لم تنجح الخلافة المستمرة. وبطبيعة الحال، فإن الكلمات المستخدمة في القرآن الكريم وفي سياق الاغتراب من الدين في التعبير عن السلطة، والتأكيد المستمر لموضوع الآية قد تغير، ونتيجة لذلك، وقد جاءت كلمة في معنى مختلف. فمشكلة عصرنا هي أن ننظر إلى المهام المستمرة والمستعادة من معنى الكلمات. فعلى سبيل المثال، تختلف أوجه عدم التوافق بين الزوج والزوجة، وكل منهما لهما معاش حقيقي. كل واحد منهما يعبر عن كلمة ولديه حل. فإذا وضعنا النساء تحت سيطرة الرجال، سيتم تعريف جميع أنواع عدم التوافق، على أساس هيمنة الذكور على المرأة، ويجدون الحلول وهذا هو معنى التغييرات المطلوبة. إن الإشارة إلى معنى العبارة خلال الكشف عن الآيات لا تدلل على طريق إذا لم تجتمع مع معرفة مبادئ التوجيه الديني وفق التعريف الذي قدمه القرآن والحقيقة المستمرة التي نريد أن نعرفها في البداية، عن ماهية القضية المستمرة للآية و عما عبرت عنه الكلمة.

هذه الطريقة تتطلب الكثير من الوقت ـ على الرغم من أن التقدم العلمي والتقني في عصرنا هذا قد قصّر الوقت - ولكن نتيجتها قريبة جدا إلى الصحة.

إضافة إلى كتابة المشاركة في أدناه فهناك سلسلة من التعليقات والأسئلة وتفسيرات النص هي إجاباتهم أيضا. ومع ذلك، سوف أكتب الجواب لكلها واحدا تلو الآخر:

* **مناقشة مع التعليقات والإجابات على الأسئلة:**

1. *فيما يتعلق بالسؤال الأول:*

أ ـ ففي الآية، كلمة الضرب تعني الإثارة. لأن الضرب هنا هو الحل لمشكلة النشوز. وليتم فهم الآية بسهولة، تمت إضافة الصفة الجنسية. ويستخدم هذا أيضا في الآية 72 من سورة البقرة. إذ قيل الجماع، لأن الضرب في هذه الآية تعطي معنى الإثارة.

ب ـ ولكن قبل ذلك لماذا، قبلت الآية الامتناع عن ممارسة الجنس،؟ فهذا على عكس التعليم في التقليد المسيحي الذي يجب فيه للمرأة أن تعطي نفسها للرجل كالميت، فيما أن الآية القرآنية المذكورة تؤكد أن المرأة هي التي تلعب الدور النشط في الجماع ولولا كذلك لما كانت الحاجة إلى إثارة المرأة على يد الرجل عند النشوز. ويعرف أولئك الذين لديهم خبرة زوجية أن بعض النساء يعبرن عن عدم الرغبة الجنسية ولكنهن يعبرن عن رغبتهن في ممارسة الجنس عندما يقرر الرجل الإقلاع عن الجماع. ولكن إذا لم يحدث ذلك، فالنشوز يـأتي من النوع الذي يحتاج إلى الإثارة.

*2 ـ وفيما يتعلق بالسؤال الثاني:*

أ ـ النشوز ليس نوعا. وأشد أنواعه هو طلب العنف أو المازوخية. لذلك، في الآية، هناك عدة طرق لعدة أنواع من التوجيه. فالدرس الرئيسي في الآية هو أن النشوز ليس من ذات المرأة ولذلك هو قابل للعلاج.

ب ـ في الآية 128 من سورة النساء، قد استخدمت كلمة النشوز في ما يتعلق بالرجل أيضا. ولذلك، فإن معنى النشوز في هاتين الآيتين هو عدم االرضوخ الجنسي. وفي ما يتعلق بالرجال، أيضا فالنشوز ليس نوعا واحدا فقط والنوع الحاد من النشوز هو السادية. ولكن هذا لا يعني أنه لا يوجد رجل مازوخي لخلق تناقض. فإذا كان رجل ساديا، فأعطت الآية 128 الحل، وإذا كان مازوخيا، فالمرأة التي لها فضل الإثارة تقوم بإثارته.

ج ـ وفي الآيات الأخرى، هناك أمور واقعة أخرى قد طرحت وهي وجدت حلولا أخرى.

*3 ـ وفيما يتعلق بالرأي والسؤال الثالث:*

إذا كنتم لم تروا فعدم رؤيتكم لا يدل على أن يكون هناك شخص قد قال إن النشوز يعني عدم الموافقة الجنسية أو عدم الرضوخ الجنسي. فعلى سبيل المثال، فسر الغزالي النشوز بأنه عدم الرضوخ الجنسي. ومن المعاصرين، فالسيدان منتظري وصانعي ومن خلال رسائل التشجيع التي كتباها إلى السيد هادي قدسي ـ قد فسرا النشوز بأنه عدم الرضوخ الجنسي ولم يريا إشكالية في تفسير النشوز بعدم الرضوخ الجنسي. كما فسر السيد طباطبائي، مؤلف تفسير الميزان، هو الآخر النشوز بأنه عدم الرضوخ الجنسي (عدم رضوخ الزوجة لرغبة الزوج في التمتع الجنسي)، وعلاوة على ذلك، في القرآن الكريم، ورد هناك الحديث عن نشوز المرأة والرجل على حد سواء. ولكن إذا تم تفسير النشوز بغير معنى التمرد وعدم الرضوخ في ممارسة الجنس فسوف تثار نفس التناقضات التي أشرت إليها في ردي على السيد أحمد آل حسين. ولكن كلمة "نشوز" تشمل مجموعة متنوعة من حالات التمرد أو عدم الرضوخ. ولذلك قدم القرآن توجيهات مختلفة. وهناك نوع من ما يسمى اليوم "بالعلاج بالصدمة" قد يكون طلب العنف أو المازوخية وهو أنسب معنى للضرب في هذه الآية.

*4 ـ في ما يتعلق بالرأي والسؤال الرابع*

استقلال وحرية الإنسان، وعلى أساس تنظيم العلاقة هذا بين المرأة والرجل، على أساس علاقة الإنسان مع الله، يمثلان من أهم القضايا. وقد أشار القرآن إلى هذا في آيات كثيرة: جميع الحالات التي تم فيها حل العلاقة بين الرجل والمرأة في جميع المجتمعات، وفقا لهيمنة الذكور، وتستند هذه العلاقة إلى وحدة فضائل المرأة مع الرجل ومشروعيتهما، باعتبارهما مهمتين متساويتين في مجال حقوق الإنسان ومسؤولياتهما. للأسف، لا يتم النظر إلى القرآن بهذه الرؤية ولا يتم اختبار توجيهاته. التعامل مع القرآن هو وجهة النظر المعارضة لهذا التعبير أو ذاك من السلطة وهذه العلاقة أو تلك السلطة بين المرأة والرجل. وإذا لم تكن هذه القضايا من أهم القضايا، فلماذا ينبغي لها أن تستقطب أكبر قدر من الاهتمام من مختلف التخصصات في التاريخ، واليوم هي واحدة من أهم القضايا، ولن تكون مسألة المناقشة الحرة قضية أخرى.

*5 ـ وفيما يتعلق بالرأي والسؤال الخامس:*

تحويل علاقة الإنسان بالسلطة (القوة) إلى علاقة الإنسان بالله وخلق مجتمع مع نظام اجتماعي قائم على الشورى والانفتاح وهو نظام يكون النبي (ص) بانيه، لا يتحقق دون إنشاء أسرة مع نظام منفتح قائم على الشورى. فالأمور المستمرة التي هي القضية والمشكلة ويكون تغيير العلاقة معتمدا عليها، لا يمكن أن لا ترد في القرآن لأنه إذا تدبرتم في القرآن، فإن كل ما يحول دون تحقيق أسرة من الأزواج الشرعيين الذين يكون زواجهم نتيجة التوحيد لنعمهم ومدى استقلالهم وحرية الزوجين وممارسة الحقوق هو أصبح في القرآن موضوعا للحكم والتوجيه. للأسف، فخلال انسلاخ الدين عن الذات في السلطة (القوة) قد تم التخلي عن القرآن كطريقة فيما أن القرآن يعني الطريقة. من الواضح أن أهم الأمور تنظيم الحقوق الجنسية والمالية، فضلا عن المساواة بين الرجل والمرأة في القانون وحقيقة أنه ينبغي ممارسة الحياة. فلو لم يكن من المهم تنظيم العلاقة الجنسية، لما كان هو موضوع النقاش على مر التاريخ وفي عصرنا، ولما اختارت النساء السويديات ـ اللاتي كان أيضا رجل من الأساتذة بينهن - هذه الآية موضوعا للمناقشة.

وهكذا، فإن المشاكل الأخرى التي ينطوي عليها تنظيم العلاقة بين الزوجين قد تم حلها في القرآن. ومع ذلك، فمختلف الأمراض والقضايا التي لا تشارك في هذا الصدد هي المسؤولة عن الأزواج؛ فهي تخضع للآيات والمبادئ التوجيهية في مسؤولية القرآن عن بعضها البعض.

*6 ـ وفيما يتعلق بالرأي السادس:*

في الآيات الأخرى، لا ترافق كلمة النشوز الفراش، والقياس الصوري هو لأرسطو وهو الذي يشغل الإنسان عن الانتباه للمضمون. ففي الآية، هناك الحديث عن أحد أهم القضايا وخطابها شفاف وصريح ومباشر.

*7 ـ وفي التعليق السابع:*

من المدهش أن نقول: نعمة الوجود هو الرجل، وقال انه لا يجد مكان العمل إلا في الزواج. وتفسر الآية أيضا أنه يتحدث عن زوج لن يضطر إلى دفع نفقة له، وأنه لن يتحدث عن صيانة السرير و ....

*8 ـ وفي التعليق الثامن:*

هذا الرأي لا يوافق الآية 35 من سورة النساء ولا الآية 128 من هذه السورة. لأنها لا تحل مشكلة تجاهل الحفاظ على عدم الراحة والتواضع عن طريق تجنب الجماع. فالقول بأن النساء هن ذوات نفوس هشة وو... إلخ قول غير صحيح وانطباع خاطئ عن المرأة (= كائنة عاطفية وبالتالي ناقصة العقل).

*9 ـ وفي الرأي التاسع:*

إن النبوة النبوية تعني تخليه عن مناهضة ثقافة السلطة التي كانت تحكم المجتمع العربي والمجتمعات الأخرى في ذلك اليوم لذلك، كلما أردنا أن ننظر إليه على أنه أمي ـ وهو أمر صعب للغاية ـ وثقافة الاستقلال والحرية، فإن الواقع المعقد للحقيقة المستمرة هو هراء ... فلا يمكننا أن نجد ولا توجد حاجة أيضا إلى الوقت والمعرفة فيما يتعلق بالجنس بين الرجل والمرأة. وإذا كان الأمر كذلك، فمن المعروف اليوم أن هذا كل ما يهم، ونصبح على أكثر ثقة بأنه لو لم يكن الإسلام هو خطاب الاستقلال والحرية، ولو لم يكن القرآن هو سبيل العيش في الاستقلال والحرية والعدالة والكرامة أيضا لما اهتم صاحب الشريعة بهذا الموضوع. كما هو اليوم، على الرغم من أن هذه القضية هي واحدة من أهم القضايا في مجال البحث في التخصصات العلمية، لا يوجد هناك أي خطاب للسلطة يقترح الطريقة التي يقترحه القرآن. فإذا لاحظ القارئ المسلم رأي السيدة السويدية أنغريد كارلسون، ورد بني صدر عليه، فسوف يكشف أنه إذا كان خطاب السلطة (القوة) هو الفكر الدليل فلا يمكن إجادة فهم الأمور الواقعة التي تكون هي المسائل الشؤون الفعلية كما لا يمكن كشف الحلول المناسبة. فخطاب السلطة (القوة) لا يمكن له الكشف عن الحل الذي يقترحه القرآن للإنسان.

ومرة أخرى، أشير إلى أن فضيلة كون الرجل قواما والنشوز وحلوله لا يمكن فهمها إلا بتجريب الحلول وهي في هذه الحالة فقط تظهر صحتها.

# **أسئلة من ”أحمد آل‌ حسين“ وتعاليقه**

**26 أبريل 2011**

مرة أخرى أشكر ما يتحمله السيد بني صدر من كلفة لتسطير الأجوبة كما أنني أعتذر من عدم مواصلة النقاش. في بادئ الأمر، أسلط الضوء على بعض النقاط بغية لإضفاء الشفافية وتوجيه النقاش إلى طريق بنّاء مبيّنا الموافقات والمخالفات من خلال سطور البحث. ومن ثم نعرض للسيد بني صدر والقراء المتحمسين، آخر نتائج التحقيق حول الآية المطروحة لكي نوفر المساحات لإبداء آرائهم المربحة.

يبدو أن السيد بني صدر استنبط تعاليقي حول الآية التي قد أدرجت في موقع ”إلهيات الخلاص“، بطريقة لا تعني بقصدي لذلك نرى أن بعض نقداته حول تعاليقي لا يولع بتعاليقي وإنما هو ينقد انطباعات تقليدية قد تنصلت منها منذ سالف الأيام برغم أنني قد أقررت ومازال أقرر بضرورة الحوار مع التقليديين. وكذلك إني أنأى عن إخفاق في تقدير دهاء النساء ولا أحتذي إلى المنطق الأرسطوي كالسيد بني صدر. وهناك مفارقة مبينة في تعليق السيد بني صدر وهي أن الكلمات المفصلية والمضمون الشامل للآية واضحة وقريبة لليقين (قلت ”قريبة“ للاحتراز بينما أن اليقين قد حصل في مضمون كلامه حيث لايمكن أخذ البدائل الأرسطوية المضادة للسطة) لكنه بالنسبة لي أن معاني الكلمات ومضامين ومقصودات الآية أضحت مزدهرة وشفافة بسبب التفاضل الموجود بين طريقة المعرفة التي أتبعها لكنه وبسبب الأجزاء المفقودة للغز هناك ضرورة للبحث الشامل لاسيما في بعد معرفة التأريخ وثقافة العرب في فترة ظهور الإسلام.

كمثلكم أعتبر ”الحصافة“ ضرورة لتقييم ”الرواية“ لكن الحصافة ليست أمرا مطلقا وإنما هي نسبية تختلف لدى أشخاص ومنوطة بالظرف والتجربة والمستوى الدراسي بينما هي أمر حركي لامجمد حيث تنشأ اعتمادا على التعامل النقدي مع الروايات التأريخية. وبالتالي أن الحصافة والرواية تقعان في سلسلة هرمنطقية ولا في صلة المجمد الأرسطوية بشكل أن حصافتي أو حصافتنا تعين أنه أي رواية تقترب إلى مقصودنا للآية. وإني لا أعتبر شأن النزول الرواية فحسب وإنما أعتبر الرواية وثيقة أثرية وشاهدا تأريخيا حيث ترتبط بمعرفة الناس والمجتمع وتساعد تسليط الضوء على ”الظروف التأريخية الاجتماعية للنزول“ (لا شأن النزول أو حدث قد تنقل للتعبير عن سبب نزول الآية). إني أوافق على أن العديد من الآيات القرآنية تفتقد شأن النزول (على سبيل المثال، لم تنزل كثير من الآيات القرآنية بسبب حدوث واقع تأريخي) لكني لاأعتقد أن هناك إمكانية نزول آية بدون العناية إلى الظروف التأريخية والاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية. برغم من أن هذا العامل ليس كافيا لكنه ضروري. وإن عدم العناية إلى هذه الضرورة قد تسبب في أن الكثير يلبس لباس فكري أيدؤلوژي شخصي على الآيات دون أن يشكلوا طريقة إدراكم حول الآية والظروف المحيطة بها. وينبغي أن نناقش أكثر حول هذا الموضوع.

ولم أجد في أي مكان أن معنى مفردة ”نشوز“مخالفة مطلقة أو حتى نسبية. أما بالنسبة لتداول نسب معنى عبارة ”عدم الإطاعة الجنسية“، اعتبارا على تعاليق من فسروا هذه المفردة وكما ورده بوضوح في مكتوباتي السابقة، إني أكدت أن هذا المعنى كان يستخدم من أدوار قديمة (القرون الوسطى- كما أشرتم إلى ”غزالي“ على سبيل المثال). ما لم أر لحد الآن وأكرره هنا هو أنه لم يستخدم أي باحث اللغات هذه المفردة في هذا المكان. إن لا تخونني الذاكرة، قد استخدم نظراء ”غزالي“ إلى ”منتظري“ و”صانعي“ عند التفسير لكنهم لم يفسروا الكلمة بصورة حديثة مبدئية منظمة أو على الأقل إني لم أشاهده حتى الآن. إن هذه الشريحة من الأسياد تمثل الثقافة المدمجة بسيطرة الذكور للقرون الماضية المصادفة بسيطرة الشعراء وبما أن أحد معاني كلمة النشز هو الطغيان وعدم الإطاعة ونظرا إلى وجود كلمة ”مضاجع“ (التي ترجمت خطأ بأنها تعني الفراش) لذلك إنهم قد فسروا الكلمة بالطغيان وعدم الإطاعة الجنسية.

وبالتالي يبدو أن معنى ”عدم الإطاعة الجنسية“ يأتي من هذه الثقافة التي تعد الرجل فاعلا من الناحية الجنسية بينما المرأة هي المفعولة المكلفة بإشباع الحاجة الجنسية للرجل الفاعل حتى في حالة لا تميل بالأمر. وإن لم تخنني الذاكرة، فقد كتب ”الغزالي“ كثيرا في ذلك أي علاقة الفاعل والمفعول- حيث يجب التعامل الكلامي مع المرأة في حال عدم الإطاعة الجنسية ومن ثم ينبغي التجنب عنها وثم يجب على الرجل أن يقوم بإثارة هذه الكائنة المفعولة المتفعلة. حتى ولو كان هذا النوع من التعامل، لينبغي دراسة جذوره ولا يمكن على الرجل أن يتعامل مع المرأة بشكل مستقل ومطلق الصلاحية – حتى إذا كان هذا التعامل بعيدا عن الصرامة ومزيجا باللطافة. وإذا ألقينا النظر في كتاب ”مفردات راغب إصفهاني“ ونظائره من باحثي اللغة الذين يميلون إلى عصر التنوير الإسلامي، لا نجد المعنى الجنسي فلذلك إن نسب عدم الإطاعة الجنسية إلى مفردة النشوز هو تفسير لا يعني علم معرفة اللغة. وعلاوة على ذلك إن تقليص معنى النشوز من ”عدم الإطاعة بشكل مطلق“ إلى ”عدم الإطاعة الجنسية“ لا يمدد حل معضلة عدم توازن القوى وإنما هو يضيق هذه العلاقة فحسب.

منذ أيام طويلة، قد رفض التنويريون المسلمون المعاصرون هذا المعنى معتبرا إياه ممهدا لتكريس سلطة الرجل الجنسية على المرأة (إني استحضرت السيد بني صدر قائمة من المقالات الدراسية لبعضهم مع روابط توصل إلى أصل المقالات). والسبب واضح. من يعيّن توقيت عدم تواجد المرأة في الفراش بمثابة عدم الإطاعة الجنسية؟ الرجل؟ وإذا كانت المازوخية هي المرحلة الأخيرة لعدم الإطاعة فما هي المراحل الأخرى؟ (لربما تحقيق قد حدد هذا الأمر!!؟) وهل تلك المراحل تشمل هذه الطريقة العقابية – العلاجية؟ وإذا فسرنا النشوز في آية بالسادية الجنسية لدى الرجل وفي هذه الآية بالمازوخية لدى المرأة فهل يمكن القول إنك ميزت بين الرجل والمرأة من الناحية المبدئية الذاتية حيث رفضت كلامك حين قلت إن هذه الأمراض ليست ذاتية للنساء؟

أية دراسة قد بينت أن السادية تخص الرجال بينما المازوخية تخص النساء؟ ألا يمكن القول إن هذه الفكرة تنبع من فكرة تعتبر الرجل فاعلا جنسيا وتعتبر المرأة مفعولة تميل إلى إيذاء الذات؟

أليست مفردة ”الإطاعة“ تحتوي على أقوى معنى السلطة والقسوة والقوة؟ وإضافة إلى ذلك، يبدو أن السيد بني صدر ابتعد عن المعنى عند البحث مع السويديين بينما أولى للمازوخية الجنسية أهمية أكثر والتي تعد ظاهرة معقدة نادرة للغاية وربما حديثة ومتوائمة بالجنسية في علم النفس بحيث أنها تماثل قبول التحريض الجنسي على وجه العموم. وما هو قصده من الإطاعة الجنسية وطلب الإطاعة الجنسية من قبل الرجل وما هو قصده من المازوخية الجنسية التي كانت تتداول في مستهل القرن الـ20 حتى السبعينات لغرض العلاج بالصدمة الذي كانت أحد أساليب علاج المرضى المصابين بالأمراض النفسية لكن الكثيرين من جملتهم ”ميشل فوكو“ قد اعتبروه بمثابة تعامل ضد البشرية ومتغطرس يخضع الآخرين ويشمل أعراضا جانبية حادة؟ (من حسن الحظ أن هذا الأسلوب قد أصبح مرفوضا مطرودا نادرا بحجة معارضات استهدفت الفكرة في الستينات والسبعينات).

ومازالت الأسئلة الأساسية بقيت بدون الإجابة. كيف يمكن تقدير المازوخية الجنسية أو عدم الإطاعة الجنسية؟ (واللتان لا أعرف صلتهما – أضفوا إليهما السادية الجنسية) كيف يمكن أن تفيد مفردة نشوز معنى كلي المازوخية والسادية – وهما مرضان يختلفان وحتى يتضاربان- (بجانب، نغض عيوننا على أن بعض خبراء علم النفس لا يعتقدون وجود هذه الأمراض فيما أنهم عبروها بتعابير وتعاريف أخرى) خاصة لأناس عاشوا في القرن السابع الميلادي حتى القرن الـ21 وفي فترة لم يكن علم النفس الجنسي يتسع ومازال هناك خلافات حول أمثل أساليب العلاج.

وفضلا عن ذلك يمكن أن ندعي بدون أي مشكلة أن هناك أمور مستمرة دينامية لم تذكر في القرآن بما أنه لا ضرورة لذكرها. وعلى سبيل المثال إن تطور ونشوء الحيوانات هو أمر مستمر لكن القرآن ليس مسؤول عن علم الأحياء وتفسير النشوء. وكانت الأمراض الجلدية والهضمية وآلاف أمراض أخرى مستمرة في التأريخ البشري بحيث أن العديد منها تمتد جذورها إلى أسباب عصبية والغضب النفسي والذي يؤثر سلبيا على الترابط الأسري فيما أن علاجه يحتاج إلى الطبيب النفساني. دعوني أن أضرب مثالا. إن التسلق إلى النخل واجتناء الثمار كان ومازال أمرا مستمرا (على الأقل طالما ثمة نخلة على الأرض وشخص بحاجة إلى التغذي منها) لكن القرآن لا يكلف تعليم طريقة تسلق الشجرة واستخدام الآلات).

لا يولي القرآن أهمية لكيفية الاجتناء من قبل الناس. ما يهتم به القرآن – وإننا نتوقع هكذا- هو أننا لا نتسلق نخلة الجار ولا نأكل التمرة دون رخصة. وهنالك معضلات نفسانية جنسية عديدة تختلف بعضها ببعض بمقدار ضئيل جدا يعمل الاختصاصيون على معالجتها وربما نجد أساليب أمثل وأكثر تداولا بتقادم الزمن لكن المازوخية الجنسية للمرأة أو عدم إطاعتها –إني قلق جدا حيال مفردة الإطاعة- لا تعني القرآن حيث يريد أن يعين لها مراحل تكنيكية. ولا أعتقد أن اللجوء إلى الأمور الجنسية سيسلط الضوء على الأمر إما كان عدم الإطاعة أو المازوخية ومن الصعب جدا أن نعرفها وهو بحاجة إلى كتابة المقالات والكتب. وسيتجلى عدم الوضوح هذا في مسألة تقديم الأسلوب. كما نسبت التحريض الجنسي والمعالجة بالصدمة إلى الضرب المبرح باليد. وإن هذا الحيز الملموم من الحلول لا يساعد إضفاء الشفافية وإنما يجعل تفسيرنا بحيث أننا يجب أن نضع المرأة المغلوبة على أمرها تحت آلة المعالجة بالصدمة بينما أن الآية المتعلقة بنشوز الرجل لا تتكلم عن الضرب المبرح باليد ولا وضع الرجل الساديّ تحت المعالجة بالصدمة.

وبات يكتنف الأمر غموضا بأنه لماذا الآية التي تستهل بالرجل القوام والمرأة القانتة سرعان ما تنتهي بالموضوع الجنسي الخاص؟ أليست مفردات ”النشوز“ و”المضاجع“ و”الضرب“ لها معان أخرى؟ أليست المعاني الأخرى التي أفادها المحققون المذكورة أسماؤهم، تعتبر الآية تعبيرا عن السلام والحرية للمرأة؟ لماذا يجب أن نغفل عن المعاني التي تنطبق على الجزء الأول من الآية؟ ما هو السبب لاستخفاف المعانى المحررة وأخذ الأولوية للتعبير الجنسي؟

وأخيرا ولعدم إطالة الكلام، أقدم لكم نص ترجمته ويجري عليه استئناف النظر ونص الترجمة النهائية للسيد بني صدر للمقارنة بينهما. ويظهر نص الترجمة الأولى أنه من الممكن ترجمة الآية بعيدة عن الطريقة الجنسية والتعامل الصارم بالقوة كما أعتقد أن ترجمة بالتعبير الجنسي سيؤدي إلى عدم المساواة والسلطة الجنسية. وهو قد جعل تعبيره عن ”الضرب“ في الآية الـ73 من سورة البقرة معيارا لتفسير الآية فيما أنه لا تفيد تلك الآية معنى التحريض الجنسي لذلك من المتوقع أن يقدم (السيد بني صدر) تفسيره عن آيات سورة البقرة (بقرة بني إسرائيل التي فسرتها باختصار وقدمتها هنا) لكي يتضح أنه كيف ذلك الضرب هو هذا الضرب أيضا؟

هناك بضع نقاط حول مختلف الترجمات والتفاسير للآية المذكورة:

1. تؤخذ مفردة ”قوّام“ من جذر ”قوّم“ وهي قد استخدمت في معان متعددة في اللغة العربية وكذلك القرآن لكنها عندما ترافق مع حرف ”على“ وهي بمعنى ”تحمل المسؤولية حيال شخص أو شيء“ (وفق القاموس العربي). فإن الرجال مسؤولون حيال النساء اتكالا على قدراتهم الذاتية النسبية مقارنة مع الآخرين وقابليتهم لإعطاء النفقة والتي وهبها الله لهم.
2. أما المسؤولية فليست بمعنى نزع حق النساء في إشراكهن في العمل خارج البيت بينما قد اعترفت الآية السابقة بحق النساء في كسب العوائد والاحتفاظ بإرثهن. كما أشارت الآية إلى نسبية المواهب التي منحها الله للرجال فيما أنهم ليسوا مسؤولين عن تمويل وتأمين النساء في كافة الظروف وإنما هذا الأمر منوط بمواهبهم الالهية وكمية عوائدهم وأموالهم. ومثل هذا الكلام في القرآن – استخدام فعل المضارع بدلا من فعل الأمر- لايفيد معنى أمريا متحكما وإنما هو يفيد معنى نسبية وفق الظروف الراهنة. ونعرف أنه في عالمنا اليوم تشكل النساء 40 بالمائة من القوى العاملة لكنه وبحسب تقرير أفاده البنك العالمي في عام 2011 أنهن يمتلكن 1 بالمائة من الأموال فحسب. وتبرز الحقيقة شيئين. هناك عدد ملحوظ من النساء يشاركن في مهمة ”القوّام“ في القرن الـ21 لكنهن بعيدات كل البعد عن الإكتفاء المالي والأمن الاقتصادي والاجتماعي ولذلك طالما لا يمحو عدم المساواة هذا فالرجال مكلفون بمهمة القوام وفق الآية المذكورة. ووفق تعريف ”قوّام“ هل هناك مهمة أكثر أهمية لدى الرجال من جهدهم من أجل تحقيق مأرب المساواة الجنسية في ظل الحركات الاجتماعية؟ وإن العديد من مشاركة النساء في الاقتصاد يأتي من الفقر وقلة عوائد الرجال بينما في المجتمعات الراقية هذه المشاركة تظهر بسبب مطالبة النساء بحصولهن على إكتفاء مالي أكثر. على أية حال أن نظرة القرآن – بحسب تعبيره الغير أمري- نظرة تعطف على الحقيقة. ولا يقول إن مهمة القوّام لدى الرجال هي ذريعة أو حجة لحصر النساء في دائرة المعاش الشخصي بل ولو كان الرجل يتحمل مسؤولية القوّام لكنه يمنعه من إعطاء الرخصة لنفسه لطرد المرأة – حتى في حالة تحاول المرأة الحصول على الهيمنة دهسا بتعهداتها- وبدلا منه يطالب القرآن الرجل بمتابعة ثلاث مراحل حتى تؤخذ المشكلة صورة علنية ومن ثم يمكنه أن يقدم على الحل الأخير. إذن ترون أن هذا النوع من الترجمة يمكنها أن تفيد جوانب محررة.
3. ولم تستهن قيمة عمل النساء في هذه الآية وإنما هن يعملن ويشاركن في طريقة العيش طوعا ولا بسبب مسؤوليتهن (القوامية). وعندما يدور الكلام حول مسؤولية الرجل (القيام على...) وهو لا يعني أن عمل النساء في داخل البيت وخارجه لا يتسم بأولوية بينما يجب أن يعطي الأولوية لعمل الرجال بصورة ذاتية لأن الآية تؤكد على الفور أن مسؤولية المرأة هي مطالبة السلام والتواضع والاحتفاظ بالأسرار ولا حضانة الأطفال ومزاولة أمور البيت.
4. ومن جملة أخطاء بارزة وقعت في ترجمة الآية، هي ترتبط بـ ”بما“ بحيث أن العديد من المترجمين قد أفادوا منه معنى ”بسبب“ أو ”بحجة“ لكي يكملوا إدراكهم الخطأ من مفردة ”قوّامون“. إنهم قد ترجموا هكذا: ”يسلط الرجال على النساء لأن الله يفضل البعض بعضا“. تلاحظون أن الترجمة ليس لها ترابط منطقي لأنه كان يجب عليهم أن يقولوا: ”بسبب أن الله يفضل الرجال على النساء“ لكن هذه الطريقة من الترجمة هي مكتنفة بالغموض. لذلك إن ”قوام“ تفيد معنى ”السلطة“ ولا ”البعض بعضا“ تعني التمييز الجنسي. وهنا يدور النقاش حول تحقيق الحقوق أدبيا وماديا ولاسيما يتحمل الرجال مسؤولية تأمين النساء بقدر مستطاعهم. وينبغي ترجمة حرف ”بما“ إلى ”مع ما“ أو”بمقدار“ أو ”بفضل“ لأن هذه المعاني تواكب سائر أجزاء الآية.
5. ويكمن سر تخليد الآية في التؤكيد على تأمين النساء وتوفير رفاهيتهن وإعطاء الأولوية للتفاهم والوفاء المتبادل والاهتمام بظروف خاصة تعيش عليها النساء في المجتمع والأسرة. ويجب استخلاص هذه المبادئ الأخلاقية وثم تدوينها خلال عملية اجتهاد حرة من أجل تعديل العلاقات اليوم بين الرجال والنساء وفق الظروف الراهنة.

وكذلك أعرب السيد بني صدر عن استغرابه عما أكده أن الآية قد أوردت ”المرأة والرجل“ في المعنى العام خلافا للآية الـ128 المرتبطة بـ”نشوز الرجل“، لم تتكلم عن ”الزوج والزوجة“. إن هذا الاستغراب لايعود لي وإنما يعود إلى الآية نفسها (هو بإمكانه أن يرى التفاضل بين الكلامات). وبما أنه قد انتخب معاني جنسية خاصة لمفردات ”النشوز“ و”الضرب“ و”المضاجع“ فهو أصيب بالاستغراب. وباتت سؤالنا بلا جواب. وإذا أفاد الجزء الثاني للآية والذي يرتبط بعدم الإطاعة الجنسية للنساء بحسبه (بني صدر) مضمونا جنسيا فلماذا لم تستخدم الآية مفردتي الأزواج والزوجات بينما استخدمت مفردتي الرجال والنساء بصورة عامة. لكن ما فسرته يبين سبب هذا السؤال لأن الآية لا ترتبط بالأمور الجنسية إطلاقا. وينبغي أن أنبه أن الأسرة النووية تعد أمرا حديثا بينما نرى أن التعايش العشائري في فترة ما قبل القرون الحديثة وحتى في عالمنا اليوم وفي الكثير من أنحاء العالم، تشكل بصورة موسعة بسبب وجود المجتمعات النامية. وكان الرجال يحمون النساء بينهن زوجاتهم أمنا ومالا حيث يحاول الإسلام أن ينوه إلى هذه المهمة. وكان الرجال في العشائر يتحملون مهمة كسب العوائد سرعان ما ثابوا إلى الرشد لكن النساء بينهن الأخوات غير المتزوجات والفتيات والأرامل قد شملن آية ”قوّام“ لأخذ النفقات. واليوم وبسبب هيمنة الأسرة النووية في بعض المجتمعات الصناعية والمدنية، قد قصرت مسؤولية الرجل على تأمين وتمويل زوجته لكنه في الأزمنة القديمة لم يكن هكذا. ومازال الكثير من الرجال يشدون من أزر بناتهم وأخواتهم وأمهاتهم الأرامل في البيت مالا وأمنا. تلاحظون أن الاهتمام بالظروف التأريخية والاجتماعية يعتبر ضروريا مائة في المائة برغم من أنه ليس كافيا.

إن الآية تشمل نساء البيت الغير متزوجات بينما كانت كافة النساء يتحملن مسؤولية الاحتفاظ بالحرم الشخصي وأسرار الأسرة كونهن قانتات كما أكدت آية أخرى على تحمل نفس المسؤولية من قبل الرجال. ووضع القرآن حجر أساس الأسرة اعتمادا على الوفاق والتعهد التبادل مبنيا على أن يكون الطرفان على قناعة تامة بالتالي أن ما ترجمته وفسرته لا يفيد معنى الهيمنة والسلطة. ولمّا استهانت المرأة تعهداتها فيدعى الرجل إلى المداراة بينما يعلق بعض تعهداته المتبادل نظير وجوده في البيت. وواضح أن هذا المعنى المفاد من الآية يوفر العدالة مع العناية بالفروق بين الرجل والمرأة ومكانتهما من الناحية النفسية. ولا داعي للقول إن بعض الفروق بين الرجل والمرأة قد اصطنعت بيد ثقافة المجتمع الخاطئة وينبغي محوها لأنها تصبح ذريعة الإجحاف ومن جملة هذه الذرائع هي تقول إن النساء هن غير داهين وإحساسيات ذاتيا. ومن المسلم أن هناك بعض الفروق ذاتية وجوهرية لا يمكن محوها وإنكارها إلا عن طريق عمليات جراحية جنسية وعلاج هورموني والخ. على سبيل المثال لا يستطيع الرجل أن يكون حاملا! ولا تنتهي عملية الحمل بعد نهاية 9أشهر بل وإن الأم تتأثر بشدة من هذه العملية جسميا وإحساسيا وعاطفيا وصحيا حيث تتوالى هذه التأثيرات لسنين.

ويتحمل أي مجتمع مسؤولية أخلاقية للاهتمام بهذه الفروق الجوهرية تمهيدا للظروف التي لا تكون فيها هذه الفروق عاملا في نشر التمييز. ويذعن القرآن بهذا الفرق معتبرا الرجل مسؤولا عن التأمين والتمويل لا بصورة مطلقة البتة طالما الشروط الآنفة تبقى مستقرة. وعقب هذا يشترط القرآن هذه المسؤولية بشروط نسبية (بمقدار ما وهبه الله للرجل). وتعطي الآية السابقة للمرأة حق امتلاك أموالها بينما يمنع الرجل المداخلة والاستملاك. ونظرا إلى هذه الخصائص ومكانة المرأة في المجتمع – ولا خصائصها الذاتية – ينبغي مراعاتها في حالة بروز الخلافات ومن الضروري أن يتأخر الرجل خلال ثلاث مراحل عن حسم موقف المرأة. وفي الآية الـ128 وفي جزء يختص بـ”نشوز“ الرجال، بما أنه هناك الكلام لا يدور حول ”قوامية“ الرجال على النساء وإنما المسألة هي ”نشوز“ (هيمنة) الزوجة فلذلك أن الآية تتكلم عن الأزواج والزوجات ولا الرجال والنساء بشكل عام. وبذلك لا حاجة للتأخير في ثلاث مراحل حيث تعمّ مسألة هيمنة الرجل دون أي تأخير. وإن كانت مفردة ”نشوز“ بمعنى المازوخية الجنسية أو عدم الإطاعة الجنسية لدى الرجل (إن الأمر أصبح في حكم نادر إلا إذا كانت معضلة صحية) لما قالت الآية: اطلبوا المساعدة دون أي تريث من أجل التصالح. وينبغي حل المعضلة الجنسية لدى الرجل خلال ثلاث مراحل سكسية نفسها، مع الاحتفاظ بالحرم الشخصي! وبالتالي نرى إمحاء الاستغراب والدهشة من التفاضل بين هاتين الآيتين.

هل من الواضح أن كافة الأجزاء والمفردات مرتبطة؟ من البداية حتى النهاية.

ومن معاني الضرب في القرآن

* الكف والبخل (مرة واحدة) (سورة الزخرف – الآية 5): "أفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ"؟
* الفصل والتفريق (مرتان) 1- سورة الرعد – الآية 17: "كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ". 2- سورة الحديد – الآية 13: "فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ".

وفيما يخص تعليق السيد بني صدر حول سورة البقرة، لا أعتقد أنه أشار إلى التحريض ولو كانت هكذا لما قصد التحريض الجنسي. ويفيد ”الضرب“ في الآية المرتبطة ببقرة بني إسرائيل، معنى الممارسة والاستخدام ولا تحريض البقرة على الإحياء. وقد رفض الأب طالقاني في تفسيره القرآن معنى إحياء البقرة. وكذلك راجعوا كتاب ”الآدم برأي القرآن“ كتبه علامة ”غروي“ والذي موجود الآن في موقع ”أرباب الحكمة“ الإلكتروني.

والمعنی الثامن من قائمة معاني الضرب في القرآن:

الإجراء أو الاستخدام (3 مرات): 1- سورة ص الآية 44: تخاطب النبي أيوب قائلة: " وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ" أي خذ مجموعة حشائش واستخدمها لمعالجة مرضك، ولكن هناك مفسرون غير محبكين ظنوا أن كلمة اضرب في هذه الآية تعني اجلد وإذ من غير المحدد في الآية من هو الذي يجب على أيوب أن يضربه بمجموعة حشائش فاقتبسوا من القصص التوراتية حول أيوب فقالوا إنه يجب على أيوب أن يضرب زوجته بحزمة حشائش فيما أن الآية لم تشر إطلاقا إلى زوجته. 2- سورة النور الآية 31: "وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ". 3- سورة البقرة الآيات من 71 إلى 73: " قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآَنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آَيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ". هذه الآية التي عرّفت واستنكرت التطرف الديني بكل هذه العبارات البليغة والجميلة وبمثال رائع ملموس راحت هي الأخرى ضحية جهل مفسرين اصطنعوا عبارة قائمة على الخرافات تقول إن الله قالت عليكم أن تضربوا قطع جسد البقرة على جسد المقتول ليعود إلى الحياة!!.

# **أبعد من الشجار حول ضرب النساء المبرح باليد في القرآن (3): حوار آل حسين وبني صدر**

**أحمد آل حسين- 25أبريل 2011**

**وفي ادامة البحث أود أن أسترعي انتباه السيد بني صدر إلى آخر نتائج تحقيقي في خصوص أدبيات موضوع هذه الآية. وهذه النتائج لأول مرة تنشر عبر هذه المناقشة. ولذلك اطلب منكم التركيز في المفاهيم عند القراءة. في هذه المقولة حاولت أن أوضح أهمية المتون التأريخية حول تكوين فكر الاسلام والقرآن مع أمثلة عليها. تم استخدام طرق متنوعة عبر العلماء المسلمين وقد صنفناها وانتخبنا الأقرب لعمل المفسرين. وقد أوضحت أن تاريخ نزول الآيات لا يرتبط فقط بعلماء الوحي والأحاديث والرواية، ولا يجب أن يرتبط بهم فقط، وإنه لا يمكن الوصول للمعنى النهائي القاطع للآية ما دام البحث التاريخي والاجتماعي حول المجتمع العربي لم ينته. وأوضحت أن خلود الرسائل القرآنية ليست محدودة بتأريخ نزول الآية بل ذلك فقط لتعزيز وتقوية التفسير. أظن أن المقولة التي تلي عبر تكميل هذه المقالة سوف تستطيع أن تساعد السيد بني صدر و كل محقق ومفسر آخر ليوضح ويعرّف القارئين على منهجيتها وميزاتها أو حتى تبين لهم طريقة الربط بين النص الكلامي والمنطقي والقيمي والتأريخي الاجتماعي.**

# **انطباعات من فهم تفسير معنى الآية الـ34 من سورة النساء:**

الاختلاف بين المعنى الظاهر للآية أمر ليس بجديد. إن أعداء الاسلام الذين أدانوا سعي المثقفين المسلمين لفهم متميز للآيات ویتهمونهم بالتمویه والتبریر وتعميم القيم الحديثة جبريا علی نص يعود إلى العصور ما قبل العصر الحديث، يظهرون عدم علمهم واطلاعهم على أمر تاريخي وهو أن هذه المحاولات ليست جديدة ومحدودة بالعصرالحديث إطلاقا. فبقيت تفاسير متعددة وترجمات عديدة ومتعارضة من أولى الأجيال للمفسرين والمتأليهن المسلمين.

”كسيا علي“ في كتابه "الاخلاق الجنسية والاسلام" يبين لنا أن أغلبية المفسرين في القرون الوسطى الميلادية (القرن الثالث حتى العاشر الهجري) اعتبروا ”النشوز“ بمعنى الاستعلاء والتمرد وعدم القيام بالالتزامات وآخرون ومنهم الطبري أكدوا أن المرأة لها مهمة لتلبية الخدمات الجنسية وفقا لرغبة الرجل إزاء مهمة الرجل لإعطاء النفقة واستنتجوا أن مفردة ”النشوز“ تفيد معنى عدم الإطاعة الجنسية. وهناك آخرون فسروا ”النشوز“ بمعنى فقدان الإيمان والاتسام بفساد الأخلاق لدى المرأة. أما فيما يخص مفردة ”الضرب“ وهي باتت محل النقاش منذ القرون الأولى. ويرى غالبية الفقهاء في هذا الخصوص أن الرجل يمكنه أن يعيق إعطاء النفقة لوقت مؤقت أو يؤجله حتى حسم الموضوع في حال كون المرأة لا تكلف نفسها في العمل الجنسي أو تترك البيت دائما بدون أخذ الرخصة من الرجل وبدون التنسيق معه.

وهناك بعض آخر يعتقدون أن مفردة ”الضرب“ التي تدل في اللغة العربية على ”جماع الجمل“ قد استخدمت بصورة مجازية. وخاصة أن المتجددين الذين اعتبروا ”النشوز“ عدم الإطاعة الجنسية لدى المرأة، أكدوا أن الآية طلبت من الرجل ألاّ يفترض نفسه على المرأة عند التلامس الجنسي حيث لا تكون الاغتصاب. وفي حال استمرار عدم الإطاعة الجنسية لدى النساء (النشوز)، تطلب الآية من الرجل أن يدخل في الحوار والبحث عن جذور عدم رغبة المرأة. ومن ثم عليهم أن يبتعدوا عن النساء لمدة ما بهدف تقوية شبقهن أي شهوة النساء للممارسة الجنس، حيث أن المرأة لا تعتبر مطالبة الرجل مفروضة حتى يعزز الشبق عندها). وإذا لم تستطع المرحلة حل المسألة فعلى الرجل أن يضرب المرأة ضربا مرنا أي بحالة المداعبة أو الربت باليد ويضاجعها (رغم رغبة المرأة)، وإذا قاومت المرأة مرة أخرى فيمكن على الرجل أن يبحث عن الحل خارج البيت مستنجدا من أفراد الأسرة. وأشار الطبري في تفسيره لـ ”النشوز“ إلى أنه عندما سئل النبي محمد (ص) عن معنى مفردة ”النشوز“ أجاب النبي قائلا: ”عندما لا تذهب المرأة إلى فراش الرجل“.

إن الرأي القائل بأن النشوز ليس إلا عدم الرضوخ الجنسي وهو ليس التمرد في الشؤون الأخرى، مع كونه غير شائع ولكنه لا يزال مقبولا لدى بعض المتأخرين. وقد اعتبرت فاطمة مرنيسي التي سوف نشرح رأيها أن النشوز هو عدم الرضوخ الجنسي، وكذلك اعتبر أبو الحسن بني صدر السياسي الفيلسوف والعالم الإيراني في الإسلام وهو معاصر لنا هو الآخر النشوز بمعنى عدم الرضوخ الجنسي ولكنه فسر الضرب أي المرحلة الثالثة بأنه التحريض الجنسي وليس الفرض الجنسي. فلذلك على الرجل أن يتحاور أولا مع المرأة ثم يبتعد عن فراشها ثم يعمل على تحريض المرأة على ممارسة الجنس. أما رقية واريس مقصود فهي رغم أنها لم تعتبر في تفسيرها النشوز بمعنى عدم الرضوخ الجنسي وإنما اعتبرته التخاصم والعداء والاستعلاء أو العتو من قبل المرأة ولكنها تفسر كلمة الضرب بالعودة إلى العلاقة الطبيعية الجنسية مع المرأة. إن الرجال ذوي الشخصية الضعيفة الذين يفشلون فيتعرضون للأذى والعتو والاستعلاء من قبل نسائهم عليهم أن يبدأوا من تقديم النصيحة للنساء ثم أن يتجنبوا الفراش والمضاجعة لمدة ما ثم يعودوا إلى العلاقة الجنسية العادية.

ويصف ابن كثير (1301 – 1373 الميلادية) مفسر القرآن في القرون الوسطى الميلادية الرجال بأنهم حماة النساء وقادتهن لأن الرجال أفضل ذاتيا من النساء في الإدارة والتدبير والهداية والإرشاد والكشف عن الانحراف. ويؤكد الطبري المؤرخ في القرن التاسع الميلادي أن الضرب يجب أن لا يؤدي إلى الجرح ومن بين المفسرين الجدد اعتبر كل من محمد عبده ورشيد رضا والسيد قطب هم الآخرون الضرب أمرا مقبولا في الوقت الذي تتعرض فيه حياة العائلة لخطر جاد ولكن شريط أن لأ تصاب المرأة بجروح. كما يرى القراداوي المتأله من المتأخرين أن الرجال جديرون بالإطاعة من قبل النساء وإذا قامت المراة بالتمرد والاستعلاء أو عدم الإطاعة فيجوز للرجل ضربها بيده في نقاط من جسدها تعتبر غير حساسة أي نقاط غير الوجه. وهناك في صفوف الناس العاميين في الجزيرة العربية من الشائع هذا المفهوم للضرب ولكنهم يسمونه بالتضريب وهو الضرب مرة واحدة فقط وبمرونة وبالأصابع كرمز أو مثال للضرب وذلك للتأديب والتنبيه كالبلاغ الأخير أي مثلما شائع في ما يتعلق بتأديب الأطفال (نقلا عن صديق عربي).

ومن المؤسف أن جميع هذه التفاسير والترجمات كانت ولا تزال لها مشاكل خاصة مع الأقسام الأخرى للآية والأيات السابقة واللاحقة لها ومعاني الكلمات في الآيات القرآنية الأخرى والأحاديث الموجودة والقيم والمبادئ الفكرية والأخلاقية للقرآن ولهذا السبب لم تتمكن قط من الحصول على الإجماع. وليس أي من هذه التفاسير قائما على "علم طرق المعرفة" بوضوح ليحدد العلاقة بين ظروف النزول (وليس شأن النزول فقط) والكلمات والمبادئ والقيم والمعاني والتاريخ وو... إلخ. وجعلت العديد منها افتراضاتها الذهنية السابقة أساسا لتفاسيرها وهي تمتنع عن التشكيك النقدي لتلك الافتراضات.

فعلى ذلك تتنصل التراجم التقليدية الشائعة سواء أكانت منها قديمة أم جديدة عن كشف وتحديد الظروف التاريخية لنزول الآية وتحليلها وهي تفرض الترجمة اللفظية بالاعتماد على علمها بالصلاحيات الذاتية لكل من المرأة والرجل على ترجمة الآية. فإنهم يرون أن أخذ الظروف التاريخية للآية يناقض خلود القرآن أي كونه لجميع العصور. ومقابلهم هناك مفسرون جدد وعصريون يأخذون الظرف التاريخي للآية وعلى ذلك يشككون في المفترضات التي تقول بحق الرجل فی ضرب النساء أو تعتبر الرجال أقوی من النساء جسديا وبالتالي تجعلهم على موقع الوصي والقيم والمتسلط على النساء ومدراء لهن. ويعتبر الزمخشري مفسر القرآن في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين الرجال راعين وأولياء للنساء لسبب فضلهم الذاتي والجسدي وربما العقلي على النساء وهكذا رأي عالم الإسلام المعروف أبو العلاء المودودي المتوفى في عام 1979. ولكن في هذه الأثناء يأتي فضل الرحمان (1988 – 1919) ليقبل واجب الرجال كرعاة أولياء معتبرا أن سبب ذلك يعود إلى كون واجب الرجال يختلف ذاتيا وهو واجب كلف الله الرجال به ووضعه على عاتقهم لأن الرجال لهم فاعلية أو تأثير إيجابي على النساء والعائلة والمجتمع.

ومن بين علماء الإسلام المتأخرين أو المعاصرين الذين اعتمدوا طريقة هرمنيوتيك ومعرفة الظروف التاريخية قد يكون أشهرهم فاطمة مرنيسي (عالمة اجتماع مغربية) ومحمد الطالبي (مؤرخ تونسي) والبروفيسورة أمينة ودود (أستاذة أمريكية للدراسات الإسلامية) ولكنهم لم يشككوا في معني الضرب في الآية القرآنية المذكورة. أما السيدة لاله بختيار وفي ترجمتها المعروفة للقرآن باللغة الفارسية ترجمت كلمة "فاضربوهن" إلى ما معناه "اتركوهن". ولكن السيدة هادية مبارك اعتمدت تحليلا قائما على علم المعاني واللغة للقرآن حيث افترضت ستة معاني للضرب واعتبرت أن أقرب المعاني من الواقع هو "التأثير على النساء".

إن أخذ الظرف التاريخي لنزول الآيات بعين الاعتبار واعتماد الطريقة الهرمينية ليس جديدا. فمنذ قرون مضت حظي الاهتمام بشأن نزول الآيات بالاعتماد على الأحاديث وحياة محمد الشخصية بكامل القبول والانتشار.

ولكن المشكلة تكمن في أنهم لم ينظروا برؤية محايدة وحكيمة وناقدة إلى هذه الروايات، وإلى ظروفها التاريخية، وتم تقييد فهم ودراسة الظروف التاريخية حول الآية المطلوبة بدراسة الوقائع المروية دون اعتبار الأساليب المنهجية والاجتماعية والإنطولوجية في زمن وخلفية ظهور الإسلام في أي شكل من الأشكال، وقد حازهذا الموضوع قدرا من الأهمية بين المثقفين المسلمين عن أصل هذه الروايات، وكثير من هؤلاء العلماء أعربوا عن عدم ثقتهم بالروايات والاحاديث كما يستخدمها المفسرون التقليديون. لانهم يترجمون ويفسرون العمل استنادا إلى افتراضاتهم النظرية والأيديولوجية (التي يعتبرونها غير قابلة للجدل).

أما بالنسبة للمفسرين التقليديين، فإن الافتراضات النظرية بشأن الفروق المتأصلة بين الرجل والمرأة هي أساس الاستمرارية وأساس التفسير والترجمة. بالنسبة للمثقفين المسلمين الذين هم جاهلون بتراجع التاريخ، فإن الافتراضات الليبرالية وحقوق الإنسان للقرن العشرين (كشؤون مستمرة) هي أساس ترجمة القرآن (كنص أبدي).

ففيما يأتي نجد تعليقات على الظرف التاريخي والاجتماعي لبعض الآيات:

1ـ المنهجية التقليدية: أولئك الذين يعتقدون أن سياق ووقت ظهور الآيات هو محدد، ولكن استخدام الآية في حياة الإنسان مستقل عن هذا المجال المحدد من الظهور ويعتقدون بالاستمرارية الأبدية. لذلك، ليست هناك حاجة إلى إيلاء اهتمام وثيق لمجال ظهور الاية، لأن أيا كانت الآية يمكن استخدامها لانها أبدية. وفي رأيهم، أنهم لا يحتاجون إلى معرفة ما هو الظرف الاقتصادي، فالقرآن يعتبر ميراث الاخوات من والديها نصف ميراث إخوتهم. ويمكن تعميم هذا الحكم على كل حالة اقتصادية واجتماعية. فتطبيق المراجعة الميدانية ضروري حقا عندما يكون هناك تناقض بين الترجمة والتفسير. في هذه الحالة، فإن الروايات تساعد على فهم المعنى الصحيح. واستنادا إلى هذه الطريقة التقليدية، فكل آية معقدة يجب ان تدرس على حدا وان تعتمد على اللاهوت من نفس الآية، بغض النظر عن المبادئ الفلسفية فلسفة القرآن الكريم، وان يتم تفسيرها باستخدام الحديث أو السرد المنقول عن الآية نفسها (مثل تفسير الطبري). لأن الكلمات في كل لغة لها معان مختلفة، بالنسبة لهم أفضل معنى هو المعنى الذي يتوافق مع الحديث الخاص بهم والمبادئ الفكرية الخاصة بهم. القرآن هو كتالوج أو أطروحة عملية لجميع الفصول، وإذا كان مجتمع اليوم يختلف عن الأمس، فإن هذا المجتمع اليوم في طريق خاطئة. على سبيل المثال، ميراث الأخوات هو نصف إخوانهم من والديهم لأنهم معيلون والمجتمع الاسلامي يجب أن يكون دائما نفسه. فالقرآن لا يريد فقط أن يكون متناسبا مع توزيع المسؤولية في الماضي، ولكن يريد أيضا أن يرى ان هدا النوع من توزيع المسؤولية بين الرجال والنساء صحيحا. لذلك وفقا لهذا الرأي، فاليوم، إذا تم إطعام النساء، فإنهن يمثلن أعراض مجتمع مريض حديث العهد،تم فيه دفع عمل الرجال إلى النساء واحتقار عمل النساء اللواتي يربين الأطفال ويكن امهات وزوجات صالحات! اذ إن ملاحظة شأن النزول هي، كما قيل، انتقائية للغاية وتستند إلى افتراضات قديمة سائدة مثل النظام الأبوي والرؤية الطبقية للمفسرين التقليديين وحتى بعض من المتجددين.

2ـ المنهجية التاريخية البحتة: أولئك الذين يعتقدون أن ظروف نزول الآية محددة واستخدام الآية يقتصر على نفس المجال والظروف، وفقط عندما يظهر نفس الحقل المحدد في وقت معين، يمكن أن تستند الآية (مثل تعدد الزوجات في القرآن، الذي كان محددا للمجتمع العربي الإسلامي الذي انخفض فيه عدد الرجال، وحرمت الأرامل من التأمين الاجتماعي والرعاية الحكومية. ولذلك، سمح للرجال بوصاية العديد من النساء، لم تعد هذه الظروف هي القاعدة، ولكن في بعض الحالات ـ أماكن مثل المناطق المتضررة بشدة في أفغانستان اليوم ـ يمكن اعتبار هذه الآية مؤقتة) إذن فالآيات ابدية، ولكن هذا لا يعني أن الآيات يجب أن تستخدم كل يوم وليلة. فيمكن للتاريخ ان يتكرر، ويجب أن تبقى الآية من أجل إعادة استخدامها في حالات التكرار.

3ـ المنهجية التوجيهية: أولئك الذين يؤمنون بأن الظروف الخاصة للآية يجب أن تؤخذ في الاعتبار وان تطبيق الآية يخص لذلك الظرف والوقت، وان الاهتمام بمجالها الخاص فقط يساعدنا على فهم الأساس المنطقي وراء بيان الآية في القرآن الكريم، حتى نعلم أن القرآن ليس مجموعة موضوعاات لا أساس لها. فعلى سبيل المثال، كان العرب يؤمنون بوجود الجن في عهد النبي محمد (ص)، فاحترم القرآن معتقداتهم وتحدث على أساس نفس المعتقدات والحكايات التي يعتقد فيها البعض بالجن وسرد القرآن قصصا حول الجن. ولكن لا توجد هده الاعتقادات في هذا اليوم لأننا نعرف بالفعل أنه لا يوجد شيء يسمى بالجن. ففي مكان آخر، يرتبط القران بقضايا مشتركة بين حياتنا اليوم وحياة العرب في شبه الجزيرة بالأمس ، وبالتالي فإن أجزاء من القرآن لم تعد تستخدم، وأجزاء منه لا يزال يمكن تطبيقها في حالات مماثلة.

4ـ المنهجية اللاهوتية التحررية (حسب تعبير آل حسين): أولئك الذين يعتقدون أنه ينبغي معرفة الظرف الزمني والمكاني للآيات وشأن نزولها لفهم الحاجة والغرض المحدد من تلك الآيات، ومن ثم فهم فلسفة الآية الحديثة في أوجه التشابه مع الحاضر في نهاية المطاف، إذ كان أسلوب البحث في القرآن الكريم معترف به من قبل المجتمع الإسلامي بطريقة ديمقراطية. لذلك، فأن أحكام القرآن ليست الا اجتهاد بهذا المعنى.

فعلى سبيل المثال، الآيات التي اعطت للأخوات نصف ما اعطت لاخوانهم نزلت في ظروف اجتماعية واقتصادية معينة، لتعزيز النشاط الجنسي (الزواج) من خلال تدعيم وضع النساء اللاتي ورثن في ذلك الوقت. إن البحت في السياق التاريخي لفهم الغرض من الآية هو ضروري ولا يتعارض مع مبدأ خلود القرآن، ولكن من الضروري التقيد بالقرآن. ففي المثال السابق (توفير العدالة بين الجنسين) المقصود هو استمرار هذا الهدف و خلوده الى اليوم، لكن في ظل ظروف جديدة، يجب أن ينظر إليه والى ما يمكن أن يوفره. إذا لم يكن هناك سياق تاريخي محدد من زمن النزول، فإنه من المستحيل مقارنته مع ملامح اليوم، ومعرفة نتائجه و كيفية تأمين النظام الالهي المقدس و خلود القرآن في الظروف الراهنة. إن خلود القرآن لم يتردد بتكرار موضوعي منذ 1400 سنة، بل في تحقيق غرضه وفقا لشروط اليوم. اذ ان القرآن الكريم اليوم يؤكد لنا تناسبه مع الهدف المتمثل في ضمان العدالة بين الرجل والمرأة بإعطاء أفضل حكم على كيفية توزيع الميراث بشكل متناسب مع الظروف السائدة اليوم، وكما يمكن فهم معنى الحديث من الكلمات والأمثلة والقصص المستخدمة. ونظرا لعدم وجود وحي آخر، فإن الاعتراف بهذا الأمر هو مسألة حكمة جماعية ديمقراطية في عملية الحوار الحر دون ترهيب ومسألة إعادة فحص مستمرة. و بما أن الفكر الجماعي، مثل الفكر الفردي، لا يعمل من فراغ ويتطلب أطرا فكرية وأخلاقية، فإن القرآن الكريم، إلى جانب مصادر فكرية أخرى، يوفر إطارا ملحوظا ومتماسكا بقوة وتجذر في الوجود البشري.

ولكن بما أن الفكر الجماعي، مثل الفكر الفردي، ليس عبثا ويتطلب أطرا فكرية وأخلاقية، فإن القرآن الكريم، إلى جانب مصادر وأفكار أخرى، يوفر إطارا متماسكا ومتجانسا بقوة في خلق البشرية.

وينبغي أن تستند هذه المحادثات والاجتهاد إلى العمل المنهجي لفهم قيم ومبادئ القرآن والإسلام الأصلي كتجربة تاريخية قيمة. إن فهم مبادئ وقيم القرآن في ظل فهم التجربة التاريخية للإسلام المبكر قد يكون الإطار ذاته لفهم معاني الآيات الفردية ولذلك، فإن معنى الآية لا ينبغي أن يتعارض مع مبادئ وقيم رسالة القرآن الكريم في مجملها. وبغض النظر عن الظروف التاريخية للإسلام المبكر، فإن فهمنا للمبادئ العامة أو المحاكمات القرآنية سيتأثر بأيديولوجياتنا وافتراضاتنا اللاواعية. على سبيل المثال، قد يدعي البعض أن التوحيد هو بالنسبة لهم الشيء الرئيسي والقيمة الأساس لفهمنا للآيات القرآنية ولكن عندما تسألهم ما تقصدون من التوحيد، يقومون بتفلسفات متأثرة من مدارس الوحدة الوجودية أو غيرها من الافتراضات الصوفية النظرية التي هي بعيدة كل البعد عن التوحيد الذي نادى إليه القرآن أو الحركة الإسلامية في عهودها الأولى فلذلك إن إدراكهم للقيم والمبادئ والمحكمات الفكرية للقرآن قد تبلور من قبل فليس موضوعا لإعادة نقده ودراسته والتأمل فيه!.

وبناء على منهج اللاهوت المثالي، يقدم القرآن مجموعة من الأطر الأخلاقية في شكل أمثلة متعددة (البقرة 26). أمثلة على الجلد (الدماغ) والأهداف والغايات التي ينبغي إزالتها. ومع ذلك، فإن الجلد يحمي الدماغ ولا يمكن الوصول إلى الدماغ دون تقسيم الجلد. ولكن إن وصل، فعليك أن تفكر في سحب الدماغ واسقاطه على الواقع والمجتمع اليوم. على الرغم من أن القرآن كان كلمة الله، والنبي محمد (ص) كان المتلقى الوحيد لهذه الكلمات، لكنه ومجتمعه كانا االبرهان والمترجم والمفسر والمجتهد والمنفذ النشط لمقصود الله. فهكذا، كانت العلاقة بين المسلمين والقرآن علاقة ثنائية منذ اليوم الأول. القرآن ليس "بيان ما ينبغي أن يكون"، وإنما عبارة عن مجموعة من الأطر الأخلاقية والاحكام التي يجب أن تستخرج من الأفعال والأمثال (الحيل والمعجزات)، وأين وكيف يمكن استخدامها من قبل البشر. على سبيل المثال، في الآية 34 من سورة المرأة، هذه الآية لا تعني أن الرجال غير ملزمين بالحفاظ على الولاء والسلوك الجيد. بل على العكس من ذلك، فإن الظروف الأساسية لضمان الرفاه الروحي للمرأة هي سلوك الرجل. ولذلك، فإن هذه الآية لا تحد من شروط وقف دعم المرأة للظروف التي تتعاون فيها ضد النظام الفاسد لازواجها. ومن عوامل العنف السلوكي الافتقار إلى الحوار والتفاهم، لذلك، يطلب من الرجال دائما بدء الحديث مع النساء ومن ثم اقامة علاقة معهن. هذا الحوار والتفاهم يمنع العنف. والنتيجة هي أن المطالبين الماديين من النساء (في أي حال) يعتقدون أن هنالك تناقض في القران. وان معنى كل الآية هو مثل الرقم على قطعة من اللغز. يظهر عندما يصبح من المعروف أننا وضعنا القطعة في مكانها مع باقي الاجزاء. حكمة اللغز التي يمكن تفسيرها من اللغز بأكمله تظهر ما ينوي المترجم تفسيره وفقا لمصالحه المجهولة.

يجب تفسير كل آية وترجمتها وفقا للنصوص الأربعة:

1. النص اللغوي واللفظي (معاني مختلفة للضرب، والقوام والنشوز) . (2) النص القرآني (الآية الأولى من السورة التي تبدأ بفكرة المساواة بين الرجل والمرأة ولا يمكن أن تتعارض مع تلك الآية، والآيات الأخرى المحيطة للآية توضح التفسير. (3) نص الخطاب (يكتشف الإسلام الخطاب الذي يتم به مناقشة النساء وضعهن الإنساني والقانوني - وهو أقدم كتاب تم تسمية أحد أطول فصوله بسورة النساء، وفي هذا الخطاب يعرف للنساء والرجال حقوقا ومسؤوليات متساوية). (4). النص الاجتماعي التاريخي (تأثير ظهور الحركة الإسلامية على العلاقات الأسرية بين النساء والرجال ومحاولة القرآن إعطاء الأولوية للحوار من أجل استعادة العلاقات).

وشرط الإنصاف في التحقيق يحكم بأن نعتبر عدم إطلاق أقوال متناقضة هو الأصل إلا أن يثبت خلافها. لذا فإن ترجمة "الضرب" بالجلد ترجمة متناقضة. إن أولئك الذين قالوا إن الإمام فلان قال يجب ضرب المرأة بفرشاة الأسنان! لا يثيرون إلا الضحك والسخرية والمزاح. في أي مكان آخر في القرآن ليست كلمة "الضرب" بمعنى الجلد وممارسة العنف الجسدي، فالضرب يعني الضرب مرة واحدة حتى في الفارسية، فإنها تستخدم في معاني مختلفة، مثل ضرب الأرقام (فلا يقول أحد: اذهب واضرب الأعداد) أو الضارب يعني الناشل إذن حتى بالفارسية ليست كلمة الضرب مجرد بمعنى الجلد، مثلا يقال في الفارسية "الله يضربه على الأرض الحارة" أي خذله الله "وو... إلخ والعديد من المعاني الأخرى.

قد يجد بعض الناس أن هذه الآيات زائفة، مثلها مثل غيرها، قد جاءت إلى العرب في وقت ومكان معين وليس لها صلاحية حالية.ولكن علينا أن نعرف كيف نتعامل مع المشكلة الاجتماعية التي تعطي الخلود للاية. فعلى مر التاريخ، كان المسلمون يتعاونون مع الأنظمة السياسية ويعارضونها، وقد شاركوا دائما في إنتاج الحركات الاجتماعية التي أثرت على علاقاتهم الإنسانية. وحتى في القرن الحادي والعشرين، حرمت النساء في معظم أنحاء العالم من كثير من حقوق الإنسان الخاصة بهن في ظروف طبيعية وفي ظل التعايش مع الرجال، ناهيك عن الوقت الذي يحتجن فيه.

ويؤكد القانون الأبدي على أمن المرأة ورفاهها ويعطي الأولوية للتفاهم المتبادل والولاء.اذ يجب استنتاج هذه المبادئ الأخلاقية من الاجتهاد الحر وتنظيم العلاقات بين الرجال والنساء تبعا لظروف اليوم. ففهم مبادئ وقيم القرآن من خلال الفهم السليم للآيات والظرف التاريخي قد يكون ممكنا وليس بالمعرفة العظيمة والحكمة، وبالتالي يجب أن تنشأ علاقة تآلفية بين المكون والقرآن كله. فالفاصل الزمني المتكرر بين المكون والكل يوصل إلى فهم أفضل وأكثروضوحا. على سبيل المثال، يعتقد فاضل الرحمن أن المرأة متعددة الأعراق كانت غير مقيدة في وقت محمد. ولكن الإسلام، من خلال الحد من عدد النساء من لرجل (في أربعة)، هو حجر الزاوية في التوجه الأخلاقي الذي يجب على المجتمعات الإسلامية ان تتحرك فيه وان توجه العمل فيه تدريجيا. فبعد هذا المرسوم الخاص، وفي وقت معين، يتم استخراج القيم الأخلاقية والعالمية للاستمرارية. وان المرأة المتعددة الأعراق لاينبغي اعتبارها عالمية، ولكن يجب التركيز على مسؤولية الزوج ونزاهة الرجل ضد زوجته، هذا هو الاستمرار. وكما هو الحال في أجزاء أخرى من القرآن، فإن شرط إقامة العدل بين الزوجين واجب، ويكاد يكون من المستحيل القيام بذلك. فالقرآن هو مجموعة من الأمثلة و النماذج، وليس مجموعة من الأوامر والجمل المعمول بها في نفس الشكل البدائي. فقد توقع محمد والمسلمين في الأيام الأولى للإسلام انه يجب أن يكون مجتمع حر يتناسب مع معايير القرن الحادي والعشرين و الوضع الاجتماعي للقبائل العربية منذ 1400 سنة، في حين لا يزال على الرغم من كل هذا التقدم العلمي و الأكاديمي والمدني فالمجتمعات البشرية لا تزال تعاني من الحرمان في الحقوق والحريات بشكل كبير.

في رأيي أن هذه الطريقة التي أشير إليها كنوع مثالي من لاهوت التحرير هي الطريقة الأكثر تقدمية وشمولا في معرفة القرآن، فالمفكرين الإسلاميين يقتربون من هذه الطريقة بدرجات متفاوتة. (ان وضع مبادئ هذا الأسلوب لا يزال يتطلب المزيد من العمل،و البحت عن الاخطاء و محاولة تصحيح ذلك)، فعلى سبيل المثال، تشير فاطمة المرنيسي، في نقد التقليدية في التعليق، إلى أجزاء من تاريخ حياة محمد ومجتمع المدينة، والتي تم إهمالها عمدا من قبل المعلقين التقليديين. وتشير إلى إحدى زوجات النبي محمد (ص)، أم سلمى، التي قادت الحركة النسائية إلى المساواة في الحقوق وفي المواطنة. وهؤلاء النساء جادلن محمد وغيره من الرجال على أدوارهن الاجتماعية، بل عارضنهم من أجل سعادتهن وتدخلن في الشؤون السياسية والحربية (العسكرية) أيضا. ففي يوم من الأيام سألت أم سلمة محمدا عن سبب قلة الآيات القرآنية التي تتناول قضايا المرأة. فنزلت الآية 35 من السورة 33 ردا عليها وهي الآية التي تعتبر الرجال والنساء متساوين ومتقارنين تماما من حيث خصائصهم وتوقعاتهم ومسؤولياتهم الأخلاقية، حيث تقول: "إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا". وتعتبر المرنيسي أن هذا الظرف الاجتماعي هو الذي يساعد في فهم أخلاقيات الإسلام.

ففي المجتمع الذي تورث المرأة نفسها فيه يأتي إرث المرأة من وجهة نظر المرنيسي بمثابة تفجير قنبلة غيرت كل شيء. إن المساواة بين النساء في المدينة المنورة التي أقرها القرآن لم تكن مقبولة من قبل القادة الرجال. وأحد هؤلاء الرجال الذين قادوا المقاومة، كان عمر ابن الخطاب حسب المرنيسي، وهي تؤكد أن النبي محمد (ص) ضعف عسكريا وجسديا على حد سواء في السنة الخامسة من الهجرة، وعانى مجتمع المدينة المنورة من أزمة سياسية واقتصادية، واستهدفت النساء المسلمات من قبل رجال القبائل الغير المؤمنة، وقد تمهدت الظروف لتعزز حركة أنصار السلطة الذكورية بقيادة عمر وكذلك آيات الحجاب التي كانت مخصصة حصرا لنساء محمد ـ لأسباب أمنية ـ تم تعميمها من قبل عمر على نساء أخريات في المدينة المنورة، وحتى الآيات التالية التي نزلت للتسامح والتراضي إحياء للنظام الإلهي، بما في ذلك الآية حول ضرب النساء والتي أنزلت لتعديل آية المساواة بين الجنسين نزولا عند رغبات مجتمعه وأتباعه، فقد عانى مجتمع المدينة المنورة كثيرا في ظل الظروف الصعبة في السنة الخامسة بعد الهجرة، وجاءت الآثار الأكثر صرامة إلى اكمال هذه المعاناة. ومن بين الأمور التي كان على محمد أن يتنازل عنها أي يتنازل عن قدر من المساواة حسب المرنيسي هو ما يتعلق بضرب المرأة. فجاءت امرأة مضروبة إلى محمد ليأخذ حقها من زوجها، قامت أم سلمة بالدفاع عن المرأة ولكن عمر دافع عن زوجها و كان عمر يشتهر بصفع زوجته ويمثل تقاليد القبائل المكية التي كانت تعارض المساواة بين الرجال والنساء. فأصدر محمد، الذي لم يكن قد ضرب زوجاته إطلاقا، الحكم بقصاص الزوج فهنا نزلت الآية التي تجيز ضرب المرأة في المرحلة الثالثة فقط بعد مرحلتين من المشورة وتجنب الجماع حتى يصبح الرجل أكثر ليونة واحيانا لا يصل إلى المرحلة الثالثة. فيدرك محمد أن هذه الآية لم تعد صالحة في ظل الظروف والثقافات المتعددة في المدينة المنورة ومن خلال الرفض المفاجئ للتقاليد الإلهية. والأسوأ من ذلك، الحد من استخدام العنف ضد المرأة في الأسرة كتقييد تعدد الزوجات واستخدام العنف ضد النساء في البيت ليؤسس بداية طريقة أخلاقية. لهذا فمن دون فهم تاريخي لشروط الكشف عن هذه الآيات في السنة الخامسة، لا يمكن للمرء أن يفهم معنى وغرض، وقيمة الآيات، وبالتالي استخدام الآية بشكل صحيح.

فكما يلاحظ، إن عمل المرنيسي قريب من من منهجية اللاهوتي التحرري، لكنها تقبل العديد من الأحاديث عن الآيات دون الكثير من النقد والموضوعية ولا تضعها تحت مجهرة معرفة الاجتماع العربي في عهد محمد (مثل قصة المرأة المضروبة) تحت راية علم الاجتماع العربي في زمن محمد (مثل قصة ضرب المراة)، كما أنها لا تدخل في حوار حر ومفتوح مع روايات أخرى وتحليلات تاريخية. في نهاية المطاف، وفي تفسيرها هناك فرق بين إرادة الله وإرادة محمد، وأن الله حسب المرنيسي، يرى الشكل النفعي، وينتهج حقوق المرأة بشكل غير كامل من أجل الحفاظ على مجتمع المدينة ، في حين ان محمد هو المدافع عن حقوق المرأة دون النظر الى النفعية ويصبح فيمينيا بشكل ذاتي! [إذن فيا ليت لم يكن هذا القرآن كلام الله، بل كان كلام محمد!!] والسؤال الآخر هو لماذا لم ينزل الله آية أخرى عند عودة الاستقرار إلى المسلمين في المدينة ليشطب أو ينسخ بها الآية التي تجيز ضرب النساء؟ فهنا يبدو أن فاطمة المرنيسي تحتاج إلى النظر عن كثب في الظروف بغض النظر عن الأحاديث. كما إن تفسير المرنيسي لا يحل التناقض بين الآيات الآمرة بالمساواة بين الجنسين والآيات المعارضة لذلك.

الدكتور محمد الطالبي الدي تخرج من جامعة سوربون بعد سنوات قليلة من تخرج الدكتور علي شريعتي هو الآخر يقف على مقربة من منهجنا اللاهوتي التحرري حيث يشرح في كتابه بعنوان "الأمة الوسطى"، منهجيته، وهي مشابهة جدا لمنهجية علي شريعتي. وهو انتقد في كتابه الاعتماد على الأحاديث ويرى أن الفهم الصحيح لمعنى القرآن وأهداف الشارع المقدس منه تعتمد على الفهم الأنثروبولوجي، والاجتماعي والتاريخي لوقت النزول. وبهذه الطريقة، يتم الحصول على الفرق بين الأسس الأخلاقية في الآيات القرآنية وتقاليد زمن النزول، ويتم توفير الظروف لاستخراج المعاني الأبدية.

فلابد من العلم بأن القرآن قد نزل في وقت ومكان محددين، ولكن فهم ما قصده الله يمكن من خلال دراسة ظروف الوقت الماضي لتصبح مفتاحا لفتح أبواب الوقت الحاضر. لذلك، فالله من خلال القرآن يحادث جميع البشر في جميع الأوقات. وهذه المحادثات تتطلب التدخل البشري النشط، اذ يصف الطالبي هذه المشاركة النشطة بأنها الاجتهاد. فخلال الثلاث سنوات من الهجرة، لم يواجه محمد آيات كثيرة عن النساء، لذلك استخدم اجتهاده الخاص و أفكاره عن النسوة. ويقدم الطالبي تفسيرا مماثلا لتفسير المرنيسي عن ظروف نزول الآية، بفارق أن من وجهة نظره لم يكن هناك تناقض بين محمد والله. فالله يريد أن ينقذ المجتمع في ظروفه الهشة بسبب تعدد الأعراق، ونتيجة لذلك، فقد حد من ضرب النساء اللواتي كن يقمن بشكل يومي بين اللاجئين ، ولكنهن أدين بالعصيان المدني، فقد كانت لدى محمد نفسه نزعات نسوية، وبالتالي تزوج أم سلمة، التي قادة النسويات في المدينة المنورة. وقد أدى زواجه ودعمه للمرأة إلى تعزيز مكانة المرأة، وقد خشي من الرجال المكيين مثل عمر، ومن الصراع الداخلي. كان الأمر بالنسبة للمسلمين الذين فهموا في السنوات التالية من الاجتهاد في الحديث و القرآن الكريم غرض الله من هو تقييد المرأة والقضاء على العنف ضد المرأة بما يتماشى مع الغرض. لسوء الحظ، مع خلافة عمر وعثمان، ثم فترة قصيرة لعهد أبو بكر وعلي، والأمويين والعباسيين، تم تعزيز السلطة الأبوية، و الحد من عدد النساء للرجال والعبودية، التي وضع الإسلام في وقت مبكر أسسا لتدميرها التدريجي. ومع ذلك استمر العنف ضد المرأة، على الرغم من خطوات الحد منه كما لو كانو في العصر الجاهلي، رغم أن الحضارة الإسلامية، من حيث الحقوق المدنية، كانت متفوقة على الحضارات الأخرى في عصرها، حيث كانت النساء من الطبقات الغنية والمتوسطة في نظام بغداد يشاركون في البحث والدراسة والتدريس مما لم يكن ممكنا للنساء الأوروبيات من الطبقات الرأسمالية حتى أواخر القرن التاسع عشر.

وبالمقارنة مع المنهج اللاهوتي التحرري، فإن عمل الطالبي لا يزال لديه بعض المشاكل. حقا ما هو المعيار والمعنى الحقيقي للاجتهاد أو المعرفة الصحيحة لما قصده الله؟ من وجهة نظر الطالبي، يبقى الاجتهاد أمرا فرديا، وعمل الحوار بين المجتهدين أمر حر، والفرق بين الفقهاء أمر طبيعي ومن المستحيل تقريبا تحقيق اليقين. ولكن في المنهج اللاهوتي التحرري، يجب أن يتم ذلك من خلال الدوائر الديمقراطية لإنتاج المعرفة. بينما في الإسلام، وخاصة الشيعة، فإن الفقهاء والمجتهدين لديهم مجلاتهم الخاصة، وبعضهم، مثل الشركات متعددة الجنسيات ذات اللعبة السياسية في دور الفقه الفائق، تنوي السيطرة على هذه السوق، بينما في المسيحية الكاثوليكية، مثل النظام السوفيتي، يوجد مركز تكافؤ هرمي، وليس اللامركزية، ولكن في المنهج اللاهوتي التحرري لدينا ليس نظام كاثوليكي مركزي بل نظام ديمقراطي شكلته دوائر العلماء المسلمين المستقلين والمجاهدين المستقلين وفي حوار مستمر مع النصوص المقدسة والتاريخ والمجتمع لإعادة كتابة المبادئ القانونية والأخلاقية ودراسة الطرق التي تطبق بها على الحالات العملية وهم يتخذون إجراأت اليوم (انظر الخلاصة 2 لهذا المؤلف). وهناك مشكلة أخرى هي استخدام المفاهيم الحديثة. ليس هناك شك في أن محمد قد اتخذ خطوات مهمة في النهوض بالمرأة، ولكن النسوية (الفيمينية) تعتبر حركة حديثة بحتة ولا يمكن أن تكون موضع شك.

الشخصية الأخرى هي الأستاذة أمينة ودود. كانت أفكارها مثيرة للجدل، ففي عام 2005 أمت صلاة مختلطة للرجال والنساء في جامع بالولايات المتحدة، ونتيجة لذلك، تعرضت للتهديد بالموت. إنها ترى أن القرآن مرن بحيث يحتضن جميع الثقافات وتؤمن بالطريقة الشاملة بمعنى أن تفسير آية واحدة يتعلق بمجمل القرآن الكريم وليس آية منفصلة، و ينبغي أن تفهم المفاهيم القرآنية في ضوء تطبيقها في آيات أخرى من القرآن الكريم. الآيات القرآنية تعبر فقط عن الأمثلة العملية لمقاصد الله في أوقات وظروف معينة، بعد اكتشاف نوايا ومبادئ أساسها، ويمكن استخدام القرآن في أوقات أخرى ايضا. فقد كان رد القرآن على بعض الأحداث في شبه الجزيرة العربية قبل 1400 سنة من اليوم بمثابة أعجوبة من حيث المرونة للتعميم. وقد كان لهذا المجتمع العديد من القيود المادية والتاريخية للقضاء على العموم والعبيد وعدم المساواة بين الجنسين. ولذلك، ينبغي ألا يكون للإسلام قبل 1400 سنة توقعات عالم عصري، فحتى اليوم نحن عاجزون عن تحقيق هذه التوقعات، على الرغم من التقدم الجذري في معظم أنحاء العالم. اد لم يستطع الإسلام أن يلغي الرق لدلك ادانه، ويتحدث بصراحة عن المساواة والعنصرية ويشجع المسلمين على تحرير الرقيق كجزء من الواجبات الدينية. وهذا العمل التدريجي للحد من الرقيق كان خطوة رئيسية نحو عولمة الميل المناهض للعبيد. والشيء نفسه هو وضع المرأة في القرآن الكريم، فالقرآن له آيات للتعبير عن المساواة بين الرجل والمرأة، ولا يقبل أي اختلافات متأصلة تؤدي إلى التفوق على بعضها البعض. ولكن في الممارسة العملية، وعلى أساس ضيق الوقت، فإن المجتمع القبلية تحاول الحد من العنف ضد المرأة. وعلى الرغم من عدم اكتمالها، فإن القيود المذكورة أعلاه تتماشى مع تنفيذ مبادئ المساواة (على الرغم من أنها غير كافية وفقا لمعايير اليوم).

إنها (أمينة ودود) تفسر آية الضرب في ظل الآيات الأخرى، وليس منفصلة عنها. وهي مثل الطالبي والمرنيسي، تمتنع عن تقديم معايير لتحديد صحة الاجتهاد الهرميني. في النهاية، عبرت أمينة ودود عن عجزها عن فهم كامل للآية ولماذا من المستحسن أن تتعرض النساء للضرب، وردا على القرآن، فالله لا يعلم الله نفسه. وبيان الله هو تفسير مفتوح لأنه ليس الله نفسه، فإن عمل هؤلاء المفكرين الحديثين، مثل التقليديين، غير موضوعي ولا يظهر الكثير من الموضوعية. فهم يفسرون الآية في ظل تصورهم وتعريفهم للعدالة. ولكن أين أصبح معروفا هذا التعريف للعدالة، الذي يتأثر إلى حد كبير بالحركات النسوية الحديثة، هل تتفق مع عدالة القرآن؟ وقد اعترفت ودود مؤخرا بالقيود المفروضة على الطريقة الهرمينية ويعتقد أنه بعد عقدين من العمل على هذه الآية لا يمكن أن يكون مؤكدا، والطريقة الوحيدة الممكنة له في نهاية المطاف هي أن يقول "لا" لمثل هذه الفكرة لكي يسمح للمرأة أن تكون سعيدة، لكن الإسلامية الأمريكية د. أسماء بارلاس، على النقيض من ذلك، ترى أنه إذا كان الله لا يظلم فيجب أن يكون قوله ظالما وقاسيا ولو بدرجة متواضعة وموقتة. ومع ذلك، وفقا لتعليق ودود والطالبي، فإن الآية المذكورة أعلاه تصدر الإذن بالضرب ولو في المرحلة الثالثة!

وقد أدى عدم مشاركة المفسرين المذكورين بجدية في الحديث عن التاريخ وغيرها من الروايات الدينية الحديثة، على الرغم من قيمة عملهم، قد حدا بهؤلاء المفسرين المتدينيين الجدد إلى افتراض معنى كلمة الضرب المفصلية أنه هو الجلد ثم تبرير ذلك وفي نهاية المطاف يكاد فهم الغرض النهائي من الحكمة يكون مستحيلا ويعتمد على ظروف الشخص المفسر. ووفقا لبعضهم، فإن القرآن قد نزل عن طريق ذهنية محمد، الذي كان يعيش في ظروف زمنية، أرضية، ولغوية معينة، لذلك، تم إنشاء القرآن وهو ليس ظاهرة علوية مائة بالمائة. فلذلك كان من المستحيل فهم المعاني االعلوية للقرآن أو مقصود الله الدقيق والنهائي، ولذلك فمن الضروري أن يجربوا إعادة خلق تلك المعاني في وقتهم. فإعادة التشريع أو الخلق هذه يمكن أن تؤدي إلى رفض بعض الآيات مثل آية ضرب النساء.

لا يمكن لأحد أن يعتبر بشكل حاسم تفسيره تفسير الله بعينه. ففي كتابها الأخير، أصبحت أمينه ودود، تعرب عن عدم ارتياحها لفعل هذا وتعتبره عمل مبكر، والمشكلة الأخرى لهؤلاء المفكرين هي أنه على الرغم من التركيز على العمل الميداني، لا أحد يركز على العمل المنهجي لدراسة المجتمع العربي و يتجاوزون الروايات والنزول لانهم لا يثقون بها. لذلك، في أعمالهم لا يخبروننا عما حدث ومايحدث حقا وما هي الظروف ، ولماذا تم الكشف عن هذه الآية، أكثر مما في كتب الحديث و التقاليد، فخيبة أمل دراسة الآيات المثيرة للجدل، بسبب عدم الاكتمال والمشاكل المنهجية، والاعتمادها على الأحاديث التقليدية والروايات واللغويات التقليدية، تجعل هؤلاء العلماء مثل عبد الكريم سروش والمجتهد شبستري هذه الدراسات تتحول إلى نظريات غريبة و يتم تعبئة وجهة النظر المتناقضة من الكلمات مع الكلمات، على سبيل المثال، فالقرآن هو كلمة محمد ويعكس تجربة الإنسان من محمد و الوحي وأنه من المستحيل أن نفهم المقصود النهائي لله.

فجميع المفكرين العرب الثلاث يدعون الى استخدام الظرف التاريخي والطريقة الهرمينية والاستفادة من منهجية اللاهوت التحرري في عملهم. والى مهمة دراسة الظروف الاجتماعية والإثنوغرافية والتاريخية لظهور الإسلام على أساس الروايات والحاجة إلى تحديد المشاريع الكبيرة ليسو وحدهم في هذه المؤسسات من خلال معاهد البحوث. ، فيجب أن تتحقق منهجية العمل بتوافق الآراء، ثم التدخل في الميدان، وجمع كل أنواع البيانات التاريخية، وحتى علم الآثار والنسب، وتمييزها عن الندرة من خلال القياس النقدي. فهناك العديد من الروايات المضيئة حول ظروف التراجع التاريخية، كل منها يفتح الظلام.

يمكن العثور على الكتب والتعليقات الحديثة بسهولة على اللغتين العربية والإنجليزية على الإنترنت (انظر شرعية المهدات ـ المبدأ التوجيهي). على سبيل المثال، في كلمة ناشز، هذه الكلمة إشكالية (يمكن العثور عليها في 45 حالة بين الكتب الكلاسيكية والحديثة والمبادئ وتقاليد الفقه، اذ يمكن تقسيم الوحي من الآية إلى فئتين:

1ـ فعند بعض المحدثين "النشوز" يعني "عصيان" النساء للرجال و "قوام" تعني "هيمنة"، وتبرر بان جوهر المرأة في ضعفها والرجل في قوته وهيمنته. وقد روى العديد منهم عن بعضهم البعض أو عن نفس الشخص. ترك "المضجع" أو الفعل الجنسي (ويرى أن التفكير الجنسي يتم تبنيه أيضا من خلال التفكير الأبوي والذكوري للعنف). "الضرب" مأخوذ بالمعنى العام إما عن طريق الضرب أو "المعاقبة"، ولكن من المثير للاهتمام أن الجميع دون استثناء، وهذا لطيف جدا دون ضرر. فالرواة المسلمين الأكثر تحفظا والمتعصبين، تجنبوا أيضا العنف الخطير. ويرتبط معظم هؤلاء الأتباع بالمعوية (بقدر ما أرى نفسي). هذه الأحاديث مقبولة بين رجال الدين والفقهاء والقادة الدينيين الرسميين لأنها تتفق مع آراءهم الذكورية والسلطة المعبأة.

1. في هذه الأثناء، أرى سطرا آخر من السرد والحديث: فسروا االقوام بمن يقوم بـ"الدعم المالي" و منح "النفقة" مما أعطي للرجال من فضيلة. ففي تعريف "االنشوز"، رووا حديثا يفسره بـ "البغض" والعداء والعنف، و "الاستعلاء أو التفوق" وفسروا "الخوف" بصراحة بأنه يعني الخوف القائم على اليقين و"العلم". ويقولون إن الغرض من الابتعاد عن المضاجع هو عدم الحديث و "عدم الاجابة" للمرأة، لفترة من الوقت (إنهم لا يفسرون المضاجع بفراش ممارسة الجنس) ومن المثير للاهتمام القول بأن "الضرب" ليس "الجلد" أو "التنبيه" وإنما هو "التأديب" [جعل الشخص ليصحو أخلاقيا أو تلقينه درسا أخلاقيا].

فيروا أن الروايات في كتب الحديث والفقه القديم قد قسمت إلى فئتين منذ بداية انتشار الإسلام في القرن الثالث الهجري. وسأستعرض هاتين الفئتين بمزيد من التفصيل لاحقا. ولكن هناك نقطة أخرى مثيرة للاهتمام جدا حول شأن نزول هذه الآية، والتي أشار إليها المفكرون الثلاثة المشار إليهم أعلاه، وهي أن هؤلاء المثقفين الحديثين الذين كتبوا كثيرا عن الحاجة إلى الظرف التاريخي((contextualization، قبلوا بسهولة هذه الرواية وجعلوها أساسا لحكمهم حول القرآن. وفي ما يلي نعود ونراجع الرواية:

روي أن امرأة جاءت إلى النبي محمد (ص) وقدمت الشكوى له بأن زوجها قد أصابها بأذى في جسدها (أعيروا الدقة التامة في هذه النقطة من الرواية). وقفت أم سلمة بجانب المرأة ولكن عمر بن الخطاب وقف بجانب الزوج. فغضب محمد قائلا للمرأة: اذهبي واقتصي من الرجل. فهنا نزلت أية (الآية في سورة طه، وليس في سورة النساء) تمنع النبي من تجاوز الوحي وإصدار الحكم. ثم هذه الآية 34 من سورة النساء تأتي وفقا لكلام الراوي وخلافا لرأي محمد (ص) قد اعتبرت الرجل كائنا مسلطا ومسيطرا وتعطي للرجل فقط الحق في ضرب المرأة بعد مرحلتي الموعظة والابتعاد عنها في المضجع. ثم يستشاط النبي محمد (ص) غضبا ويتضايق وهو يعتبر وجهة النظر هذه مناقضة للعدل ولكنه يطيعه لأنه كان أمرا من الله سبحانه وتعالى. ويقول محمد: "أردنا شيئا وأراد الله شيئا آخر".

إن الروايات المشبوهة التي لا تصدق تظهر بسرعة مع القليل من اللباقة.

أولا، كان النبي محمد (ص) قد راجع آية القصاص (عند إصداره الحكم) ولذلك لم يكن يستبق الوحي عندما طلب من المرأة التصرف بالمثل. أما القصاص فعلى جهاز القضاء أن ينفذه وليس المظلوم أو الضحية.

ثانيا، تشير الآية إلى عدم الاستباق في سورة طه، التي جاءت مجمل آياتها في أوقات وأماكن مختلفة، ويبدو أن مجيئها وسط عدة آيات متماسكة مشبوه إلى حد كبير.

ثالثا، إذا كانت الآية للرد على المرأة الفقيرة، فإنه يجب أن تأتي إلى الرجل لأنه قد الحق اذى عنيفا بها. ونجد هذا في مكان آخر في سورة النساء (الآية 128)، ولكن لماذا تتكلم الآية عن إهمال الرجل والمرأة؟

رابعا، يجب أن نهنئ الله الذي اختار النبي الذي لا يفهم معناها حتى بعد الوحي !! أو ان محمد يفضل المصلحة السياسية للمجتمع في حقوق المرأة، ومرة أخرى يجب التضحية بحقوق المرأة في الرعاية الاجتماعية!

لكن نبرتنا تقول إن هناك احتمالين: هذه السرد كاذب تماما، أو ان هذا السرد على شكل حديث من القلب لرجل في الإسلام على ما يبدو!

إذا كان لاحتمال الأول ، فينبغي أن يعاقب محمد على سرده باعتباره انتهاكا لآيات أخرى حول المساواة بين الرجل والمرأة والمعاملة على قدم المساواة في الانتقام.

ولكن لنفترض أن القصة هي نبضات القلب. الموضوع مثير جدا. لنفترض العكس صحيح، وحتى الجملة لانتقام محمد والآية السابقة قد حدتت!

لنفترض أن الرجل اتى إلى محمد يشكو من أن زوجته كانت عنيفة وأصابته أو استعلت عليه، ويطلب بآية له تمكنه أيضا من القصاص، كما يقول محمد، في اشارة الى الآية. ثم تأتي نهاية الآية، لا تبالغ فيها (إذا افترضنا أنها قد جاءت، وإذا لم تفعل ذلك، فإنها لا تحدث فرقا). والقرآن هو الكتاب الأول في تاريخ البشرية الذي يتحدث بصراحة عن القضاء بالعدل بين الرجال والنساء، و المساواة بين جانبي النزاع، والتي هي في حالات مختلفة، يتم توفيرها من خلال "التشابه"، لا تنظر إلى الجانبين في العدالة! هنا، يطلب القرآن من الرجل المداراة عندما تكون المرأة مذنبة، بل التسامح والنظر في خطوتين قبل ذلك. وهكذا تأتي الآية إلى درجة أنه من مسؤولية الرجل أن يقف أمام المرأة لتأمينه ويطلب منها أن تكون "سلمية ومتواضعة وتحمي الغيب"، ثم يقول إن كان يخشى (عدم الصلح أو العنف والإذلال وعدم السرية كما هو محدد في الآية) من قبل النساء، بدلا من اتخاذ إجراء قانوني فوري، ان يبدأ بالمشورة ثم ينتقل الى العقاب باتخاذ إجراء (الضرب).

وأهم نقطة هنا هي مراعاة العدالة في النساء، في حين أن المرأة ليست رجلا، فإنها لا تحتاج إلى اتباع هذه الخطوات، التي لا تعرف في الثقافات الشعبية التي يهيمن عليها الذكور، حتى في الغرب (أكرر حتى في الغرب) رقم حالات العنف المنزلي ضد النساء يتجاوز بكثير عن ذلك، والصدمة النفسية والجسدية والعقلية والشخصية للمرأة من العنف المنزلي هي أكثر بكثير من الغالبية المطلقة للدراسات النفسية والاجتماعية. ومع ذلك، فإن الدراسات الأنثروبولوجية تظهر بسهولة أن اغلبة النساء، حتى في المجتمعات الذكورية والأنثوية التقليدية موجودة، فيما يتعلق بالرجال الضعفاء أو الفاسدين، مع مراعاة هذه النظرة الأضيق للعدالة مع مراقبة الفرق الطبيعي "أوغير الطبيعي في المجتمع"، هذا الرجل والمرأة (ليس عندما يكونا "حقيقيين") في القرآن، قبل 1400 سنة في المجتمع القبلي العربي، هي من بين البراهين الدالة على تفرد هذا الكتاب.

يرجى ملاحظة أنه في المثال الافتراضي أعلاه، نية الاستخدام ليست بأي شكل من أشكال الرواية. ما طلبته هو أنه إذا كان هناك مثل هذا الحدث فإن الآية المذكورة أعلاه يمكن أن يكون لها مغزى. هناك حاجة إلى مزيد من البحوث التاريخية خارج السرد. على الرغم من أن السرد الافتراضي أعلاه لم يحدث.

فهناك حوادث أخرى وقعت في عهد النبي محمد (ص) تعزز تفسيرنا للآية المذكورة أعلاه كما تقدم:

السرد الأول: على سبيل المثال، يشير ابن داود (أحد أوائل علماء الحديث عند المسلمين والذي كان يعيش في أوائل القرن الثالث الهجري) إلى حركة احتجاج نسائية. والقصة هي أن النبي محمد (ص)، في إحدى خطاباته، ندد بضرب النساء وقال ان "أفضل الرجال" هم الذين لا يلجأون إلى العنف ضد المرأة. فعمر ابن الخطاب، الذي كان قد فعل ذلك، يسأل إذا كان الضرب منددا فهل هو حرام في الوقت نفسه؟. محمد لم يكن لديه الوحي آنذاك، فلم يكن يمكن له تحريم ضرب النساء. فلذلك يعود العمر إلى بيته راضيا. ولكن ذلك ليس نهاية القصة. ففي اليوم التالي، احتشدت مجموعة مكونة من 70 امرأة مسلمة سمعن المحادثة المذكورة آنفا وكن يتعرضن للمضايقة من قبل أزواجهن، احتجاجا في منزل محمد (المصدر أبو داود 880. انظر أيضا إلى كتاب "نساء المدينة" لابن سعد، المجلد 8، ص 144 ترجمة عائشة بيولي، الذي تم تسجيله استنادا إلى ما روي عن أم كلثوم، بنت أبو بكر). فغضب محمد جدا من سوء معاملة الرجال للنساء وأمر الناس بالتجمع في أحد المساجد للتحدث أمام الجمهور. في هذا الخطاب، يقول للنساء إن الرجال الذين يستخدمون العنف ضد النساء عليكن أن تفضحنهم امام الجمهور ليشعرو بالخجل. [من المثير للاهتمام أن من معاني كلمة "الضرب" هو فضح أحد في العلن، rebuke or rebate them in public] ثم يستمر محمد: "لا أستطيع أن أتسامح مع الرجل الذي يصب غضبه ضد زوجته، وتتورم عروقه في عنقه، ويتنازع مع زوجته" [فما بالك بالاعتداء عليها] ... هؤلاء الرجال لن يكون أفضل الناس لديكم." وتجدر الإشارة إلى أن العثور على أشخاص مثالیین في وقت محمد كان في غاية الأهمية، لأنه إذا كان شخص يفقد هذه الخصوصية، فلم يكن يمكن له تمثيل الشعب في المجالس لاتخاذ قرار. وفي حالة نشوز الرجال (البلطجة والفوقية والعنف)، فكان يحق للنساء أن يطرحن المشكلة على عموم الناس بلا تريث. نفس شعار الفيمينيين اليوم عن العنف العائلي وقولهم "إن العنف العائلي أمر شخصي وأمر عام أو سياسي".

السرد الثاني: الدكتور علي شريعتي في كتابه بعنوان "معرفة الإسلام" (دروسه في مدينة مشهد الإيرانية)، الذي يستعرض أساسا التاريخ المبكر للإسلام، استنادا إلى مصادر تاريخية مثل الطبري وسيرة ابن هشام، يقول حول سلوك محمد مع زوجاته (الصفحات 515ـ516):

"كان سلوكه [سلوك محمد] مع زوجاته يتميز باللطف والحنان والمرونة، بحيث كان مدهشا في مجتمعه الحافل بالعنف. وفي الوقت الذي كان فيه مظهرا من مظاهر القوة خارج المنزل ولكنه كان لينا جدا وبسيطا وحنونا في المنزل إلى حد جعل نساءه يتجاسرن عليه وكن يقمن بمشادة كلامية معه علنا ويتحدثن معه بالتجاسر ولم يكن يترددن في إيذائه، في احد الايام أصبح زعلانا متضايقا منهن بشدة خرج هو بنفسه من المنزل ـ على عكس التقليد المعتاد وهو طرد النساء، والآن أيضا المؤمنون في كثير من الأحيان يقومون بذلك ـ خرج من المنزل وأقام في مخزن كانوا قد وضعوا بجانب منه القمح. كان المخزن واقعا على تل، وكان النبي يضع جذع شجرة ليصعد منه ويصل إلى المخزن. وعندما كان يصل إلى المخزن يرفع الشجر حتى لا يزعجه أحد. إنه بات على قطيعة مع زوجاته لمدة شهر واحد، وكان متضايقا إلى حد لم يكن يأتي إلى المسجد، وكان الناس غاضبين وحزنين جدا ... فسلوك زوجاته كان واحدا من أكبر المشاكل في حياته، وهذا أمر طبيعي، لأن روح محمد وفكره كان بعيدين عنهن". "في احد الايام، راى عمر وأبو بكر محمد جالسا و زوجاته قد أحطنه وهن يشكين من ضيق معيشتهن بضجيج وصيحات وبنبرة وقحة، ويطلبن منه النفقة ولكنه يستمع إليهن صامتا حزينا وبابتسامة مريرة ... إن سلوكهم لم يكن مقبولا حتى لدى آبائهم (عمر وأبو بكر)، ولكن النبي كان يتحمل كل ذلك ليعطي الرجال المتوحشين في مجتمعه درسا جديدا ويعطي النساء المستحقرات المحرومات شخصية جديدة". لقد اشتد هذا النزاع بين النساء والنبي لدرجة دفعت الوحي ليتدخل فاقترح أن كلا منكن تطلب الدنيا فلتأخذ مهرها وتتسرح وتعيش بالاستقلال والحرية، وكل واحد منكن تريد الله والآخرة فتبقى مع محمد متكيفة مع عيشه الضيق وبيته الفقير، (عن كتاب "حياة محمد" لحسنين هيكل - المجلد الأول، ص 281).

لذلك، تلاحظون أنه في كل القصص التاريخية التي نواجهها، يبدو أن أبوابا جديدة تفتح لفهم معنى القرآن. على سبيل المثال، وفقا للروايات التي قدمها علي شريعتي، يمكن اعتبار مصطلح الضرب مفهوم الإجازة المؤقتة بدلا من طرد النساء، وهي العادة التي لا تزال شائعة في مجتمعات اليوم. وتعني ترجمة الضرب تعليق بعض الواجبات أو ترك المنزل مؤقتا كما يتطابق بالمنطق في الخطوتين السابقتين، وهو ما يتفق (ففي المحادثة، افترك المضجع، في واقع الأمر، هو استعارة لقطع العلاقات العاطفية، وليس فقط الجنسية، ومن ثم ترك المنزل لبعض الوقت لاستكمال احتجاج على أساس اللاعنف للتغلب على توقعات المرأة من القدرة المفرطة للرجل ليكون هناك وفاق ). ولذلك، فإنه لا يضع الإنسان في موقف التفوق أو سوء الاستخدام. كما أن هذا المعنى يتوافق مع المعاني السادس والسابع الموجودين في نص القرآن، وهو: المعنى السادس : عقد، مترددة (1 البند): تحديد 5 (لا تتردد أو تتخلي عن إعطاء هذا التذكير). المعنى السابع: الفصل (2 مادة): الرض 17 (يفصل الله الحق عن الباطل) ـ الحديد (13) (بين المنافقين والمؤمنين، جدار فاصل مع باب صغير بين الاثنين). هذه الروايات تشكل جزأ صغيرا جدا من السياق التاريخي لعملنا. بسبب تعقيدات فهم القرآن، (ويرجع ذلك أساسا إلى قرون من عدم المسؤولية والاعتماد على السلطة بين الحراس الرسميين للدين، وليس عدم وضوح كلمة القرآن). ومن الضروري تجنب نظرية الرتابة بالمعنى من حيث المنهجية، بطريقة منهجية وديمقراطية، وعلى أساس الحوار والتبادل، لنحاول أن نجد الحقيقة. إن شاء الله.

احمد آل حسين 5 ايار / مايو 2011

# **ما فوق الجدل حول ضرب النساء في القرآن (4): حوار بين بني صدر وآل حسين**

رد السيد بني صدر

4 يونيو 2011

السيد أحمد آل حسين المحترم،

تلقيت رسالتك المفصلة والمؤرخة بـ 26 أبريل 2011 عندما كنت في عمل آخر. انتهى ذلك العمل بالأمس، واليوم 4 يونيو / حزيران 2011، أتيحت لي الفرصة لمتابعة الموضوع معك.

في كتابك أجد 22 قضية تستحق المناقشة. ولكن انا على وشك أن نناقش معنى الآية 34 من سورة النساء. إذا لم يكن هناك اتصال نظري بالآية، فإن معناها يمكن أن يكون معنى القرآن، إنها مسألة اختلاف. والسبب هو أن آياته كثيرة جدا على الجميع، وهذا يعني. أولا، نحن بحاجة إلى فهم ما يمكننا القيام به. لذلك واستنادا إلى افتراض أنك توافق على هذا العرض، فسأدخل في مناقشات:

\* أولا أربعة تأكيدات:

1- بسبب ضيق الوقت، لم أجد الفرصة لزيارة موقعك. الأصدقاء الذين هم على بينة من العجز أرسلو لي الكثير من المداخلات الجيدة والمفيدة. صديقي العزيز، أرسلت لك رسالة شكر منهم، وشكروني على معارفك. وبالإضافة إلى ذلك، فانا اعمل على نص آخر في قراءته.

2- من بين الحالات الاثنتين والعشرين، اثنتان تتعلقان بالموضوع، وأنك تشك في أنني قد أخذت الضرب في آيتين (72 سورة البقرة و 34 سورة النساء) وهذا يعني التعلق الجنسي والتحفيز الجنسي، وهذا ليس كذلك. في هاتين الآيتين أعني الضرب والتعلق. ولكن كنت تعرف كيفية الاتصال وتحفيز ذلك مع غرض هادف. لأنه هو دائما الغرض الذي يحدد الجهاز ونوعه، ثم في الآية 72(القرآنية الآية رقم 73) فهو ربط بمعناها في سورة البقرة الآية 34، إذا نظرنا في مسألة الرفض التعسفي أو غير الطوعي، فإنه مرتبط وناجم عن الغرض من استعادة الرغبة الجنسية.

3- الحالة الثانية هي أن جميع الشؤون المتواصلة في القرآن قد قدمت، وهناك كلمة واحدة، وأن الشؤون الحقيقية التي نزلت في القرآن مستمرة، وكلمة أخرى. ان الادعاء لم يكن أن جميع الشؤون المستمرة جاءت في القرآن الكريم، بل أن الأشياء التي جاءت في القرآن هي المستمرة، فالحديث عن شؤون التقاعد التي لم نرها في القرآن. من حيث إيجاد معنى مشترك، اذن من المهم أن نتقاسم الرأي القائل بأن شؤون القرآن مستمرة.

4-أنا وزوجتي، بما في ذلك الأسرة والمرأة، قمنا بتنظيم مجموعة متنوعة من عينات من الأطفال في مجتمعات مختلفة، وقد تم تحقيق ودراسة ونشر. ، في حالة إيران، لقد كتبت في تاريخ شاهنامه وعلم الاجتماع من الأسرة وتطورها. لذلك، وأنا أعرف المزيد والمزيد عن أنواع الأسر. فكلما كانت الآية تنطبق على أسرة كبيرة، فإنها تنطبق أيضا على أسرة مكونة من زوجين.

     الآن دعونا مع معنى الآية:

\* الشروط:

1- آمل أن نتفق على أن الإسلام ليس فلسفة السلطة. إنه دين يقوم على التخلي عن علاقة الإنسان بالسلطة من خلال إقامة علاقته مع الله. وبالتالي، فإن العلاقات القائمة بين البشر، بما في ذلك الزوج والزوجة، تعكس علاقة كل واحد مع الله. وبعبارة أخرى، في الآية، فإن علاقة السلطة ماهي إلا علاقة الزوجية مع اتفاقات متكافأة لكل منهم. لذلك، تجد الآيتين الآخرتين: واحدة تفسر العلاقة بين الرجل وسلطته على المرأة، والآخرى، تعبر عن العلاقة بين الإنسان والله (= علاقة قانونية مع محام بطريقة لا تجبر القوة). اختيار الكلمات ـ فكلما كان للاية، على أساس العلاقة بين الرجل والمرأة، ـ معنى هذا أو ذاك فالشكل نفسه للعلاقة المنظمة مع السلطة، وبالتالي، سيطرة الرجل على المرأة. السبب الأول هو أن قوة الاستنباط متناقضة، ووجودها يعبر عن التناقض الذي تنبثق منه. ويقال إن هذه تناقضات المعنى لا تعني تناقض معطى للآية.

ولذلك، فإن الاتفاق الأولي، والموافقة تعني أن العلاقة بين الاثنين قانونية، دون تدخل في القوة، كمنظم للعلاقة.

2- إذا كان موضوع الحكم غير واضح، وتم تحديد الموضوع من جانب واحد، ونوع العقوبة، ، والحكم الأكثر شرا، على الأقل في مرحلة لاحقة. على سبيل المثال، إذا كان هناك زوج يعامل زوجته ببربرية وعصيان واهانة، كنوع من العقوبة حسب تقديره، الرعاية المطلقة (على أساس أرسطو فلسفة السلطة). نفس المعنى الذي تجده الآية في المجتمعات الإسلامية.

3- إن استخدام الأفعال التي يعطيها الله للرجل على المرأة والتي القسوة، وإهمال نعمة الاتساق هو أولا حرمان من النعمة وبالتالي قهرها، فإن توجيه الآية لا يمكن أن يكون قاسيا للزوجين. من ناحية أخرى، فإن المبدأ التوجيهي لحل المشكلة هو استخدام الفضيلة ليكون هناك اتساق.

4- إذا كان العقل ظالما، ينتهك توجيه القرآن الكريم (قل الحقيقة، حتى على نفسه وعلى والديه)، والحق غير قابل للارتداء، لأن المعالمه واضحة وشفافة. لذلك، لا يمكن الحفاظ على الغيب و الحفاظ على حقوق الزوج والحق في الزواج (لأن أحد اسس العلاقات الزوجية هي حفظ الزوج في غيابه).

5- ولكن الهيمنة، والتحقيق، والجدل ليس واضحة. وشرح ذلك أنه عندما تثبت الممارسة وجود علاقة يسود فيها أحد ويهيمن عليها، يجب أن يكون الفعل محددا ومقصود به إنشاء هذه العلاقة. وآمل أن نتفق مع بعضنا البعض على أن الشئ الحقيقي والمستمر في كل وقت، هو أن المرأة تستخدم الشفاعة الجنسية للسيطرة على الرجل. لذلك، واحد على الأقل من الأشياء التي يمكنها رفضه إما طوعي أو كرها وهو الامتناع عن الجماع.

6- ولكي تصبح علاقة الحب علاقة قوة، من الضروري أن يصبح "الهدف" موضوعا ذاتيا تكون دائرته السلطة (= القوة). على سبيل المثال، التمرد من الجماع، إن وجد، هو حقيقي، لذلك، هو "موضوعي". عندما يجعل الزوج هدفا لهذا الغرض، وهو ˝ البحث عن السلطة، وقال انه جعل حقيقة الشيء تتكون من عقله. وفي عقله، شكل محكمة الغياب، وخلق هذا العقل للعمل كانه امرأة اصدرت حكما. ونحن نعلم أن من الوجود المستمر للشؤون، واحدا تلو الآخر هو إعطاء بعضهم البعض معنى خاص بها وتنظيم سلوكها. عندما يفعل الرجل ذلك، حل المشكلة يصبح مستحيلا على الجانب الأيمن. إنه عمل قوي يمكن أن يكون زوجا (أحد العلاقات بين المرأة والرجل) أو اقريبا أو ... لذا فإن حل المشكلة هو أن نرى أولا رجل الواقع كما هو. ثم، السعي إلى الحل الصحيح: كلما كانت العلاقة الزوجية، و أيضا الامتناع عن الجماع مرشحا، وبما أن التحرر من الأفعال الجنسية الطوعية، بشكل غير متوقع، انه لا يريد أن يفعل أي شيء. فما هو العنصر المشترك في هذين الرفضين؟ هذا هو عنصر العنف، لذلك في كلتا الحالتين، سيتم إلغاء الحل. ولكن هذا الالتزام، في كل حالة، يجب أن يتم بطريقة مناسبة.

7- ومع ذلك، فإن معرفة اليوم تبلغنا عن أسباب علاقة المرأة مع الرجل من حيث الزواج والحب والجماع، قبل وبعد وقت النبي (ص)، وواقائع البشر تجربة تجربة:

7.1 - يجب على المرأة الأولى أن تثق اختيارها وتهتم به.

7.2 - بعد 20 دقيقة وأكثر (بسبب العمر والقدرة الجنسية)، يجد الرجل النشاط الجنسي كفعل من النشاط الجنسي، ولكن المرأة ليست كذلك. لذلك، كلما ضعف الرجل طغت، وخاصة إذا كانت امرأة تبالغ في تقدير الرجل من خلال ارضائه للمرأة، وتقول انها سوف تكون المرأة "محظوظة"، وغالبا ما تكثف النفور الجنسي.

8- الله لديه معرفة دقيقة من العلم، لذلك فهو يستخدم كل كلمة في مكانها للحصول على المعنى الدقيق والشفاف من الجملة.

9- الحصول على فضله من الممارسات الوجودية والحيوانية هو مطلوب. وهذه العلاقة، التي تلزم ممارسة كلا الأمرين، هي العلاقة الزوجية.

وفيما يتعلق بالمعايير التسعة المذكورة أعلاه، سوف أذهب إلى الترجمة الخاصة بك ووضع العبارة في مكانها، مما يعني أنه يمكن أن يكون هناك اشتراكات بحد أدنى على الأقل.

• الآية العربية هي:

الرِّجَالُ قَوَّمُونَ عَلى النِّساءِ بِمَا فَضلَ اللَّهُ بَعْضهُمْ عَلى بَعْضٍ وَ بِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَلِهِمْ فَالصلِحَت قَنِتَتٌ حَفِظتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظ اللَّهُ وَ الَّتى تخَافُونَ نُشوزَهُنَّ فَعِظوهُنَّ وَ اهْجُرُوهُنَّ فى الْمَضاجِع وَ اضرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطعْنَكمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيهِنَّ سبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيًّا كبِيراً

(الآية 34 من سورة النساء)

فترجمتك ليست:

فالرجال مسؤولون عن حماية المرأة [الأمن المادي للمرأة] إلى حد أن الله قد أعطى بعض منهم فضائل الآخرين [مقدار المسؤولية يعتمد على القدرة الحقيقية للرجال، أي من جميع الرجال، وبنفس الطريقة، في جميع الظروف المتوقعة] وإلى الحد الذي يمكن أن يبقيهم على قيد الحياة. فنساء السلام، النساء المتواضعات (لا يتصرفن في ازدراء وهيمنة)، وحراس الأسرار، الذي يطلب الله الحفاظ عليه، [لا يتضمن أسرار الجريمة أو العداء للرجال، ولكن أسرار الأنشطة المشروعة للرجال أو الأسرة]. لذلك إذا كانت المخاوف الشاغلة [قائمة على أدلة] غير ملامسة [الهيمنة والانشقاق والإذلال، وعدم وجود أسرار مشروعة إلى الحد الذي يهدد الحياة الأسرية] من قبل نساءكم، يمكنك أولا تقديم المشورة لهم، ثم [إذا كان الرد لا] يمكن التخلي عن الممارسة العاطفية [فإزالة مكافأة إيجابية أفضل من معاقبة بمكافأة سلبية،] [إذا لم يكن فعالا]، توقف عن دعمهم [13] فإذا عادوا فلا يتجاوزوا عدالة الله بفعل شيطاني.

باتباع المعايير المذكورة أعلاه، وهذا يعني أننا يمكن أن نتشاركها، فهذا يمكن أن يعني: ان الرجال محافظون على النساء. فالله فضلهم و أعطاهم ممتلكات. . لذلك على النساء الذين الصالحات، المتواضعات، حراسة الغيب، كما يريد الله ان يبقيه. فإذا لم يعطوا الجنس او علاقة جنسية، حاولوا أولا الخروج ثم ابتعدوا عن المهجع، وشجعهم، حتى لو فعلوا ذلك، ولا تفرط في ذلك. فبالتأكيد الله هو الله العظيم.

فاذا كان امتثال لواحد من المعايير التسعة، يجب أن يكون هناك معنى، وهذا ينبغي أن يكون دقيقا وشفافا. من وجهة نظرك، فالمنشور هو المنزلة العليا وآية الآية وهي أي نوع من التفوق. وبما أن الممارسة لها غرض تريده، فيمكن أن يكون عملا غير جنسي. في هذه الحالة، سوف تترجم ترجمتك، والتي سيتم الحصول عليها عن طريق وضع ما يعادل الفارسية في مكانها. إلا أنني لم أترجم كلمة قفام. لأنه إذا كانت ممتلكات المرأة موثوق بها، يصبح اتساق قدرة الحزب على الثقة. فهي كلمة عربية، والله قد استخدم قوام بدلا من ذلك. فعندما يكون ناجيا، وعندما يكون له مغزى، فإنه يدعم علاقة الكفيل وولي الأمر، ويحدد بالتالي العلاقة بين هيمنة الذكور والإناث. بالاتساق والانسجام والمتانة. ويبدو أن الرجال متهمون بفعل الأشياء (ليس بمعنى أن لديهم نفس المعنى في الماهيات، بل لأنهم يتفقون مع العلاقة بين شخصين). العقلانية، إلا أنه ينبغي أن تدفع الاشياء إذا كان الإجراء غير صحيح لا ان تنزل، ثم يتم إنفاذ القانون، إن الإنسان الشريف له الحق ليس فقط في الهيمنة، بل بالهيمنة والسيطرة. ومن دواعي سرورنا أن نأخذ الأمور في الاعتبار عندما يتعلق الأمر بحق النفقة في الإشادة بحقوق المرأة، وليس لدينا إحساس ثابت بالاستمرارية من حيث الحقوق، بمعنى أكثر دقة وأوضح، وأكثر انسجاما مع العلاقة بين المرأة و الرجل في هذا الحق، لذلك وجدنا وصلة فارغة إلى محور السلطة (= قوة).

سنراجع تعليقك بعد أن يصبح من المعروف أن هناك أدنى رأي للاشتراك.

\* من أحمد آل حسين:

5 أكتوبر 2011

أشكرك جزيل الشكر على الرد الذي قدمتموه.

أعتذر عن التأخيرات في هذه المحادثة نتيجة الظروف الشخصية والمهنية.

فدراسة النقاط القيمة الخاصة بك والاتفاق مع المبادئ الأخلاقية صحيح و جميل 100٪. فالقرآن ليس فلسفة السلطة، والعلاقة الزوجية في الإسلام من قبل، كما نعتقد ليست الهيمنة، ولكن العلاقة بين الاثنين هي الامتلاك الشرعي.

1 ـ أوافق على أنه في بعض الحالات يمكن للمرأة أن تعمل كرجل مهيمن من خلال المسائل الجنسية (مثل الاعتراض). وتقييد معنى الكلمة لا يشير إلى مثل هذه الحالات النادرة ولكن المستمرة في تاريخ تحديد الآية. ولكن غير الناضجة جنسيا، وفقا للتعريف الخاص بك، يمكن أن يكون مجرد مثال واحد من الهيمنة والسيادة، وليس كل ذلك. . وإذا قبلنا أن المرأة تستطيع، بطرق مختلفة، تحويل علاقتها الإلهية إلى علاقة هيمنة لصالحها، فإن هذا الاعتراض سيكون على القرآن، الذي يركز اهتمامه على حالة الهيمنة، وعلى الأرجح، على أمثلة أخرى. وفي كثير من الأحيان قد أهمل حالتها. فبصفة عامة، يحظى الرجال بالأولوية بسبب هيمنة الأنظمة الثقافية والاقتصادية والاجتماعية التي يهيمن عليها الرجال والتي تهيمن على العالم الحديث في العالم الغربي اليوم. غير أن العنف العائلي لا يسيطر عليه الرجال دائما ففي الدراسات الحديثة، وفي حالات كثيرة يخضع الرجال للسيطرة من بعض النساء. فقد أظهرت دراسة بريطانية نشرت في عام 2010، على سبيل المثال، أن الرجال كانوا ضحايا 40 في المائة من العنف الجسدي من قبل النساء.(بين عامي 2004 و 2009). وفي بريطانيا، كانت واحدة من كل خمس نساء، وواحد من كل ستة رجال، ضحية للعنف المنزلي من زوجه. ولكن في معظم الحالات، يعزى العنف المبلغ عنه إلى الانطباع غير المكتمل ولكن المعمم بأن الرجال أكثر قوة من النساء،اذ تعتبره الشرطة والقضاء مهملا أو لا يذكر. الإسلام هو دين التوازن في فهم الواقع، وكما أشرت إلى العلماء السويديين، يجب ألا نذهب إلى التطرف في استجابة النقد النسوي الراديكالي للقرآن.

2- وأتفق معكم على أن كلمة "الراعي" لا تعني أن الاتساق كاف، ولكن بالنسبة للقراء الفارسيين، رأيت هذه الكلمة بشكل أوثق مع الغرض من الآية. مع هذا الاعتراض، وأنا مقتنع بأن ترجمة قافم يعني "حامي"،و لا أستطيع أن أتفق على علاقة الزواج هي علاقة هيمنة. فاختيار كلمة "قوام" من قبل القرآن بدلا من كلمة "الراعي" لأهمية هذه المسؤولية (فحق على الرجل دعم المرأة في الحالات التي أدت فيها العلاقات الاجتماعية إلى صمت المرأة و تحمل مسؤولية تجاها) لإظهارها.

إن الدعم المادي والأمني للرجل لا يؤدي بالضرورة إلى "خضوع" المرأة بالمعنى السلبي الذي تتعرض له، إذا كانت الآيات المجاورة لهذه الآية تعتبر أيضا، فإن اتساق الرجل بهذا المعنى يجعل المرأة لا تتحمل المسؤولية والعبئ الاقتصادي للبيت والأسرة، مما يعطيه مزيدا من الحكم الذاتي في المكاسب الاقتصادية لأن الآية السابقة تستمد ممتلكات المرأة وتجنبها من الاستيلاء على الرجل. ومع ذلك، كما سبق أن قلت، التعبير غير النحوي ـ فعل مضارع ـ للآية ("الرجال هم الاتساق"، ليس "يجب أن يكون الرجال متسقا") اد "يميز" مسؤولية الرجل في ظل الظروف العادية، ليس "التزاما شاملا"، وبالتالي لا يحظر على المرأة المشاركة في واجب الاتساق. (3) ويحافظ على مرونته إزاء الظروف الاقتصادية التاريخية المتغيرة. ولكن لماذا لا تقول أن المرأة متماسكة بما فيه الكفاية لتغطية الظروف التي تعمل فيها النساء المهاجرات بدوام كامل أو بدوام جزئي. والسبب في ذلك هو أن القرآن بذلك يأخذ ملكية المرأة من قبل الرجل وإجبار المرأة على العمل خارج المنزل لكسب المال من الرجل. ويخضع عمل المرأة خارج المنزل لإذن من والدة الأم التي أعطيت لها بسبب حالتها البدنية، لتجد قيمة تعادل قيمة عمل الرجل خارج المنزل. إن تقليل وإذلال عمل المرأة في المنزل والمطالبة بتمكين المرأة بطردها واستغلالها في السوق والمصنع والمجتمع هو مجرد تحول للنظام الأبوي من التقليد إلى الحداثة وليس حله. فاتساق معرفة الرجل بإعطاء المرأة القدرة على تحديد نوع ومدى مشاركته خارج المنزل.

3- فيما يتعلق بمسألة "العقاب" التي اعترضت عليها، يمكن للمرء أيضا أن يفسر ذلك: لم يتم وضع رجل ضد امرأة مسلمة وتفوقه كعقاب (وفقا لترجمة وتفسير خادم)، فالأمر كاذب بل على العكس من ذلك، وضع عقوبة للمرأة، ويحث الرجل على الوعظ أولا والتحدث، وإذا لم تستجب، تعليق العلاقة العاطفية (مثل عدم وجود رسالة)، وفي الخطوة التالية، ترك المنزل مثل سرد النبي لبعض الوقت. هذا ليست عقابا "احتجاجا غير عنيف" ضد امرأة مسيطرة ومهينة. وإذا كان هذا الإجراء قد اتخذ، فإنه كان قد حذر الرجل على عدم الإفراط في الاعتماد، وإذا لم ينجح، اقترح تدخل الجانبين. وهذه الخطوات لا داعي لها من جانب المرأة لأن الإسلام يأخذ في الاعتبار المساواة بين الاختلافات القائمة في الوضع الطبيعي والاجتماعي للمرأة، وينظر في الظروف الحساسة عموما والهشة للمرأة لاتخاذ إجراأت فورية لنشر هذه القضية، تحديد الاحالة النهائية.

4- إذا كنت تنظر في سوء السلوك الجنسي كما كنت تعتقد في ذلك، إلا أن حظر الجنس من قبل امرأة، إذ كان بسبب الهيمنة، ويشمل هذه الآية، وليس بسبب الوظيفة النفسية والشخصية والجنسية، غيران تحديد جذور هذه المشكلة والتعامل مع عدم امتثال المرأة مع نفس الرجل الذي يعطى له الحق في الهيمنة الجنسية. ويبدو أن دفاع المرأة عن نقصها في الحياة الجنسية لا معنى له إذا كانت تعاني من مشكلة نفسية أو عجز جنسي. هذه هي المرحلة الثانية، أو منع القبول فمثل هذه المرأة لا تتفق رغباتها مع الرغبة الجنسية لرجل مما يضعه في موقف السيطرة على الوضع.

5-العودة إلى الجنس أو الإثارة يمكن أن يوصى الرجل به منذ البداية إذا كانت المرأة لا تريد أن تكون هناك علاقة. فإذا كانت المرأة تميل إلى ممارسة الجنس، والحكمة تحدد أن الذكور والإناث يجب أن يسشيرو أولا مستشار أو متخصص واختيار أفضل طريقة لعلاج الجذور النفسية والفسيولوجية، بدلا عن عدم الاعتراف بها. قد يكون من الواضح أن العيب من الرجل. وفي هذه الحالة، ستكون تلك الخطب وأسباب تجنب الجماع غير مجدية وغير فعالة.

6- وثمة نقطة أخرى هامة هي أن الإسلام العسكري قد قدم مبادئ فكرية وأخلاقية وقانونية في القرآن الكريم، وكلها جعلت الكتاب خالدا بسبب الصلة بالشؤون التاريخية الجارية كما قلت. ولكن القرآن ليس بيانا، مثل بيان الشيوعية، الذي يقوم على مونولوج. ففهم القرآن يتضمن إقامة علاقة بين رسائله والظروف التاريخية لكل جيل من أجل جعل خلوده في عصور مختلفة ممكنا وعمليا. المشاركة الفعالة والديمقراطية في فهم القرآن من خلال المجلس (كما ذكرت في مقالة "طريق الخلاص 2") يجعل هذا الخلود ممكنا. نشوز، مصطلح الامتياز العام، قد يعني أشياء جديدة في أي وقت وزمان.و ما يحدث اليوم هو مسؤولية اجتهادات المجالس الديمقراطية في القرآن الكريم، التي يجب التفاوض عليها والاتفاق عليها، قبل توزيعها على المجتمعات الإسلامية. وهذا يجعل القرآن يفسر ديناميكيا. ذات مرة، كانت سيطرة المالك تقتصر على حصرها في المجال الخاص بالمنزل، وكان هدفه تحويلها إلى آلة للحاضنة والرعاية، واليوم، فإن هيمنة المرأة في المجتمعات الحديثة هي على العكس فهي سلعة للاستهلاك في السوق الرأسمالي. وتختلف حالات الهيمنة من وقت لآخر، ولكن الهيمنة مستمرة، والاعتراف بحالاتها هو مسؤولية كل زمان ومكان.

وأخيرا، أشكركم جزيل الشكر على مشاركتكم في هذه المناقشة المثمرة، لأنه على الرغم من أنني ما زلت لا أستطيع التوصل إلى اتفاق كامل، تعلمت الكثير، مما أدى إلى دراسة أعمق لهذه الآية القرآنية الأكثر إثارة للجدل.

وأعتقد أن نشر المناقشة المذكورة أعلاه بالطريقة التي تم القيام بها حتى الآن مفيد جدا لقراء اللغة الفارسية. ومما لا شك فيه أن جمع المقالات المذكورة أعلاه أصبح النص الأكثر شمولية من أي وقت مضى في بيئة اللغة الفارسية على الانترنت، وأنا لا أعرف ما يعادل ذلك في بيئة الإنترنت باللغة الإنجليزية.

والأهمية الأكبر لهذه المناقشة هي أن النقاط المشتركة هي موثقة توثيقا جيدا بأن التفسيرات التقليدية والمعارضين معارضة ساذجة وتافهة. كانت هذه المناقشة فرصة لنا لإظهار مدى المعرفة المشتركة للقرآن، على الرغم من قرون قضتها الهيئات الرسمية للشيعة و السنة، كانت غير كافية وملوثة بالتناقضات والخرافات، والجدل من النقاش. ونقص في الحكمة و الانفتاح والديمقراطية، يمكن أن يثيرها فضول لا معنى له ونهج عادل يمكن أن يساعد في فهم رسالة الإسلام، وكم هو ضروري دراسة كل جملة من القرآن الكريم على أساس منهجية شاملة تأخذ في الاعتبار جميع الجوانب القانونية والأخلاقية للنظام التوحيدي.

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت و ما توفيقي إلا بالله .

*\* بعض التفسيرات حول التعليقات التي قلت:*

من أبو الحسن بني صدر ـ 22 أكتوبر / تشرين الأول 2011

الحمد لله أن النقاش يعني نقد النقد ونقده حتى تكون النتيجة ممكنة بين المسلمين. أشكركم على المشاركة في هذه المناقشة، وآمل أن تكون هذه الطريقة علنية، وعلى الأقل، في مجال الفكر، سيتم إنشاء القوة الجامحة والتدفق الحر للأفكار. وقد جمعت هذه المناقشة رأيين. ولا يزال يظهر الطريق إلى الحقيقة، وهو يحل قدرا كبيرا من المشاكل، ويشير أيضا إلى أنه لا ينظر إلى وجهة نظر فلسفة السلطة في القرآن الكريم، ليرى المشاهد وضوح القرآن.

أنا بحاجة إلى نقد نقدك. وسأنتقده. إذا كنت ترغب في نشر النتيجة، وإذا كان يمكنك انتقادي، يمكنك الاستمرار في الحديث. يمكنك أيضا نشر هذا النص مع الاستمرار والمواصلة في نشر المناقشة بطريقة مختلفة.

فإنك توافق على المعايير التسعة، ولكنك لم تلتزم بهذه المعايير في نقدك:

1- مرة واحدة، أفترض أن النشوز تعني التفوق. أنت تقر بأن الدافع الجنسي هو واحد من الأشياء. ولكن سوف تحصل على اضطراب في ماهية الأمور الأخرى التي ستفعل. أولا، عندما يتم تحديد الطريقة بهذه الكيفية، فإنه يحدد الحل لأي تفوق آخر له نفس السمة. لذلك إذا أدى التفوق إلى نوع مختلف من الاستمرارية، فإن الحل سيكون هو نفسه. شريطة أن يكون متفوق على القواعد وأن يمتثل للقواعد ولا يتناقض مع الآية. في المنهجية، فمن الشائع تقديم مثال النشوز إلى أنه في الحالات الأخرى، استخدم نفس الأسلوب.

ولكن هل النشوز يعني التفوق،

أـ ولا يزال هذا الاعتراض غير واضح لماذا لم تستخدم الكلمة المستخدمة في آيات أخرى؟ في القرآن الكريم، أربعة أضعاف الكلمة المستخدمة. مرتين كانت العلاقة بين المرأة والرجل، ومرة أخرى الزوجة ، مرة واحدة في سورة البقرة، الآية 259، ومرة أخرى في سورة المجادلة، الآية 11. في هاتين الآيتين، فمن واجب الله أن يرفع (الآية 11 من القرآن) إلىه من في القبور. في اثنين من الآيات المستخدمة لتنظيم العلاقة بين الزوجين، التخليو الترك عند الوصول إلى الحد الأقصى، يعني لا معنى أكثر ولا أكثر.

ب ـ ألا يتناقض مع الآية إذا ما دللنا على النازيين كسيطرة وهيمنة؟ لماذا تنبئ بالتناقضات؟ التفسير هو أنه إذا وضعت الهيمنة والعداء بدلا من "الخروج" أو الذهاب أو كسر الكلمة أو أكثر من ذلك، وفقا للترجمة الخاصة بك، فللمرأة غير المتزوجة يصبح آستبدادا، وعلاقة المهيمنة ـ تحت سيطرة الزوج في الآية توجه الرجل، وتضعه في مكانه. لذلك فإن بناء توجيه القرآن يعتمد على علاقة السلطة وليس العلاقة بين الإنسان والله، أو حق الزوج في حق الزوجة. الأشياء التي يجب أن يفعلها الإنسان، فهي لا تعرض اثنين من علاقة السلطة. لأن المرأة تقصر أمر الرجل، والآن أن لديك امرأة صغيرة، أنت أيضا سوف تكون حذرا. أو لا تذهب. وإذا لم يكن ذلك تقصيرا، فإن العمل سيؤدي إلى "دونية الذكور" أو العيش في صراع مستمر للسلطة أو الطلاق. وبالتالي فإن الجانبين سيكونا في نفس السلطة. اذن مساواة السلطة على جانبي الجمود والشلل من جهة، وعدم المساواة في سيطرة أحدهما من جهة أخرى.

المفارقة الأكبر والأهم من ذلك هو أن المرض لا يعالج عن طريق نشر المرض إلى آخر. الطريقة المستخدمة من قبل التفوق هي القوة والعلاقة التي تريد تأسيسها هي علاقة القوة. تطبيق نفس الطريقة في مجال الزوجية، بجعل الزوج يعدب زوجته. فتفضيل و تشجيع العقوبة لا يحل المشكلة. لأنه إذا كان مضمونها التشجيع ليس قوة، لمذا الفعل المضاعف لا يعاقب. . فالفعل، في المبدأ التوجيهي، لا يمكن أن يكون له معانيان متعارضان (تناقض هام آخر يحتاج إلى حل). وإذا كانت أعمال الإكراه في مشجعة، فقد تتعاطف مع هيمنة الزوجته. لأنه يعتبر أن طريقة الزوج غير قادرة على التصرف بهذا القبيل. هذه ليست مجرد تناقضات. أيضا، معنى تفوق الإناث لا يتناسب مع أبجدية الفعل. لأنه إذا كنت لا تريد أن تتخلى عن الزمن المحدد، لا يمكنك الذهاب إلى الهيمنة. معنى "فقدان" (بدوره) أو استرجاع المكان هو معنى آخر. ترجم وشرح مع الضرب فالفعل أيضا يتناقض . لأن الضرب لا يمكن أن يكون كميا. وبصرف النظر عن تركه، فإنه ليس المعنى الحقيقي للضرب، ولا معناها الظاهري. بالإضافة إلى ذلك، واضربوهن هي تعليمات للتفاعل مع الرجل، وليست للتفاعل مع المرأة، إذا كان هذا المصطلح هو رحيل امرأة، وقد أعطيت تفسيرا تلك الآية من قبل "اضربوهن". مرة أخرى، تتعارض الترجمة الخاصة بك مع اتساق الرجل الذي فضلته. كما جاء في الإقلاع عن التدخين، فمن القمعية. لكل من الذكور والإناث. هل يأمر الله الزوج أن يجوع زوجته؟ أم أنه يلغي ثقة الرجل في المرأة؟ وهل يترك لها الحق في المغادرة و الرحيل؟ أو ...

2- إن دعم علاقة القوة و الضعف و القدرة و غير القدرة. ليس بصحيح. فقوام هي العلاقة الشرعية من الشرع. وواجب مراقبة حقوق المرأة، حيث أن الواجب هو التصرف بالطريقة الصحيحة، والواجب الذي ليس الحق في العمل هو قوة تنتهك مبدأ العدالة، او مهمة إعطاء الحق الغير المشروط. ولذلك، إذا تم حل المشكلة وفقا لسيادة القانون، فإن اتساق الحق في الحق يستحق. وإذا كان، لا يزال، حول مسؤولية العقل، يمكنك استخدام "الاحتفاظ المستمر للحقوق" أو "الوقوف على القانون"، والتي هي، بالطبع، أكثر اعتمادا. من الواضح أن الرجل قوي قدر الإمكان مرة أخرى، ومن الواضح أن كل امرأة لها نفس النعمة كالرجل. إذا كانت النعمة في كل من الزوجين، إنهم يتشبثون بوعودهم الودية، ويسعون إلى التوحيد. لذلك المرأة، إذا كانت تريد، يمكن أن يصبح الاتساق. في الحقوق التي هي مسؤولية الرجل.

3- توجيهات الآية 35 من سورة النساء لا علاقة لها بالشقاق. إن تناقض الواقع مستمر وعامله هو إقامة علاقة قوة أو هيمنة تحت سيطرة عوامل أخرى. العديد من العوامل التي تؤدي إلى الشقاق، وهذه العوامل هي أيضا الشؤون الجارية. بعض الأمثلة:

ـ شقاق عدم الاستمرارية (من عدم التوافق مع الفصل) بسبب الاختلافات بين العائلتين. ويؤثر هذا العامل على الأسر التي ينظم فيها الزواج بعلاقات القوة.

ـ الشقاق الناجم عن هيمنة أحد الطرفين أو كليهما، فإن هذا العامل يؤثر في الغالب على الأسر التي يكون فيها الزواج من عائلتين ليستا من نفس التسلسل الاجتماعي، أو في الملكية اوالعلم، المسؤولية ... فيجد نفسه في الاسفل.

ـ شقاق الرفض من رفض الرجل التصرف نيابة عن حق او نفقة أو مكاسب مالية مفرطة للمرأة.

ـ الشقاق الناجم عن مقارنة الزوجة مع زوجات الآخرين حسدا كما هو شائع في جميع شرائح المجتمع.

ـ الشقاق الناجم عن استخدام الرجل للمرأة لكسر هرميته في التسلسل الهرمي الاجتماعي أو المرأة لرجل لتصل إلى مستوى أعلى من النساء.

ـ الشقاق الناجم عن الاعتداء الجنسي من الذكوراوالإناث، أو استخدام المرأة لجنسها او مالها، لكسرها في التسلسل الهرمي الاجتماعي ...

ـ الشقاق بسبب الخلاف الفكري بين الرجال والنساء

ـ الشقاق الناجم عن عمل الذكور والإناث. لديه أنواع مختلفة جدا.

ـ الشقاق الناجم عن اختلاف في نمط الحياة، واحدة من أشكاله الحالية، فالحياة في النمط الغربي غير متوافقة مع نمط الحياة التقليدية.

ـ الشقاق الناجم عن عدم التوافق الثقافي من العوامل الأكثر شيوعا في الزيجات التي ينشأ فيها الزوجان في بيئتين ثقافيتين غير متوافقتين مع بعضهما البعض.

ـ الشقاق الناجم عن الأمراض غير المعالجة أو المتأخرة

ـ الشقاق الناجم عن أنواع مختلفة من الإدمان

ـ الشقاق بسبب العجز الجنسي أو عدم الرغبة

ـ الشقاق الناجم عن ...

وهكذا، في الآية 35، يسترشد التناقض بالموضوع والعوامل المسببة له . حتى في حالة الشقاق، فإنه لا يسمح ببناء المبنى ـ ناهيك عن مضاعفات أكثر اعتدالا في الحياة الزوجية، واثنين من الأزواج قادرون على إزالته ـ. والحق في السلام بينهما هو، بطبيعة الحال، الحق في إقامة علاقة بين شخصين يتمتعان بالواجب. في مكان آخر، يحدد التعيين أيضا فشل الشقاق.

4- هذه هي الكلمة التي تعترف بالهيمنة، وهو أمر مثير للدهشة. في هذه الحالة، تشخيص العلم على جانب السيطرة، لا على مضاعفات الهيمنة. ما لم يصبح العلم وسيلة "للهيمنة". وكلما دلنا على هيمنة الزوجة، فهذا هو الرجل الذي يدرك أن فعل المرأة أو وعدها ينطوي على الهيمنة. وبصرف النظر عن حقيقة أن خطابكم الأخير ينتهك، وعدك السابق الذي يتعلق بمعنى كلمة نشز،فالرجل هو الذي يعترف بها وأمرها القيام بذلك. فالمقارنة الرسمية بين هذين الشكلين ليست مقارنة حقيقية. لأن الجماع أم لا، شيء واحد مؤكد: رجل مستعد للشراكة مع امرأة والمرأة على وشك. ولكن عندما يتعلق الأمر بالمبالغة الهائلة والهيمنة والعداء، حتى لو كان ذلك يعني شيئا واحدا، ان الرجل هوالذي يصمم الوعد أو تيار وعود المرأة أو الأفعال للسيطرة والتخلي عن السلطة المطلقة المعطات له. والتي، وفقا لإرادته الخاصة، قد أو ربما تشير إلى كل وعد أو حاضر، أو كلمة على أساس سيطرة المرأة والسماح له أن يتصرف بطريقة مناسبة لهيمنة المرأة. فعند تشخيص طبيب أو طبيب نفسي، هو مرة أخرى الزوج الذي نفذ، ومع الحق في أن يعاقب، أمرا لها بمرافقته. والشيء الأكثر أهمية هو أنه في الآية لم يعاقب الزوج. ويجب عليه أن يقف على حقه، وأن يبقى وفيا للزوجة لكي ينشأ الحق في احترام هذا الحق.

ولكن النشاز لا يعني أي شيء من الفجور الجنسي، وهي درجة لا توصف من اللامبالاة. الإعاقة ليست كذلك. إنها الرغبة الجنسية التي تحتاج إلى التحريض. الطريقة التي يعلمها القرآن هي طريقة تجريبية. وهذه الطريقة قابلة للتعديل، تماشيا مع الطريقة التجريبية. ويذكر القرآن أيضا خطوات الزوج. التحريض على العمل. ليس هناك سيطرة على الرجل في موقف المراقب. بالمناسبة، لأنك تدل على نشز كسيطرة، فالسيطرة على السيطرة تسيطر على المعنى.

5- لأنه ليس في الآية أن هناك حديث عن الضائقة الجنسية، هذه الرغبة، وليس في كتاباتي، فإن جزأ من كتاباتك (عدم فعالية المبادئ التوجيهية القرآنية، لأن المرأة مسيئة جنسيا) ، لا يتعلق بالموضوع.

ومرة أخرى، هناك حديث عن إمكانية وجود عيب جنسي للذكور، وليس في الآية، ولا في كتابي. الضائقة الجنسية هي حالة تتطلب العلاج ويتم معالجتها من قبل طبيب أو طبيب نفسي. لذا فإن هذا الجزء من مشاركتك ليس له صلة بالمناقشة أيضا.

6- ولكن المسألة المستمرة ان في هذا الوقت وفي ذلك الوقت نجد هذا الشكل أو ذاك صحيح. وعلاوة على ذلك، إذا رأى المرء أن المسألة المستمرة هي واحدة ونفس، ثم الحل لا يمكن العثور عليه في التعبير عن القرآن، الذي هو التعبير عن الحرية، التي يعبر عنها في السلطة. كما وجدت. الأشكال الجديدة التي يجدها المرء ثابتة (على سبيل المثال، الأرانب) هي بالطبع موضوع الاجتهاد والحديث الحر. شريطة أن تقاس الآراء دائما على حق وليس باغلاق المناقشة الحرة.

أشكال التغيير وتغيير الحقيقة مستمرة، على سبيل المثال، العلاقة المهيمنة ـ تحت السيطرة، وأنا أفضل الأمثلة، لأنها أكثر دقة. كلما تحدث عن العلاقة الطبيعية بين السلطة، يمكن العثور على أنواع بالطبع.

زادت أفراحكم ونجاحاتكم.

لقد أشار السيد بني صدر إلى النقاط القيمة والدائمة، ويرى السيد آل حسين أن بعض هذه النقاط والنقدات مثيرة للجدل، في حين يرى آخرون أنها ملحوظة في استمرار بحثه، وبالتالي فإن المناقشة المذكورة أعلاه (في المستقبل) ستستمر. . وبما أن المناقشة أعلاه كانت طويلة، فقد تم الاتفاق على نشرها في هذه المرحلة. وتشجع المحادثات أيضا مشاركة علماء آخرين في هذه المناقشة. ويؤمل أن يشجع هذا الحوار على المزيد والمزيد من الحقائق بعيدا عن السياق القرآني وكسر الاحتكارات في فهم وتفسير هذا المورد الفكري والثقافي الکبیر لصالح تعميم هذه الانطباعات الصحيحة.

# **الملحق رقم 4**

# **أضواء على الجنس في الإسلام**

# **من إعداد؛ حسن رضائي**

إن موضوع الجنس والعلاقات بين المرأة والرجل من جميع الجوانب موضوع كانت المجتمعات الإنسانية تهتم به على مر التاريخ لكونه يؤثر على الحياة اليومية إضافة إلى تبوئه في صلب المباحث الحقوقية والفلسفية والدينية والعلمية. إن المقال الذي تطالعونه يضم فصلين؛ الأول يحتوي على ما كتبه سلافوي جيجك فيلسوف إسلوواني شهير من موضوع جاد للغاية ومثير للجدل وبعنوان: "نظرة إلى موضوع الجنس في الإسلام". ففي هذا الفصل يؤكد جيجك بصراحة أن الإسلام لا يبقي إطلاقا مجالا للنظرة غير الجنسية إلى المرأة وأن هذا الدين خاصة نصه المركزي وهو القرآن عاجز بشكل عام عن تصور علاقة بين المرأة والرجل تفوق الجنس.

إن جيجك الذي تخرج في فرنسا من الدراسة في فرع الفلسفة قد تأثر من أفكار لاكان وله توجهات يسارية ماوراء الحديثة وهو يعتبر من أشهر المثقفين والفلاسفة في عصرنا هذا.

أما الفصل الثاني فهو يتضمن نص الأسئلة الموجهة إلى السيد أبو الحسن بني صدر بهذا الخصوص وأجوبة سيادته عليها. والسيد بني صدر هو الآخر من المفكرين الإيرانيين الخاصين والذي تدل مؤلفاته وكتبه على أنه كرس أكثر من خمسة عقود من حياته لفهم وتبيين الإسلام بأسلوب ديسكورسيو حسب تعبيره: الإسلام كخطاب للحرية. ومن أهم ما كتبه السيد بني صدر بهذا الخصوص والذي يعتبر من أكثر مؤلفاته من حيث عدد القراء هو كتاب "المرأة والحياة الزوجية" الذي وعلى أساس هذا النوع من الرؤية والنظرة إلى الدين أو بهذا الأسلوب قد عمل فيه على التدقيق والتحقيق في موضوع العلاقات الجنسية برؤية القرآن والإسلام الذي وحسب ادعائه ليست غايته إلا الحرية. ويبدو هنا أن التلاقي بين الفكري الديني لبني صدر وفكر جيجك العلماني ماوراء الحديث يمكن أن يكون ملفتا للنظر. فعلى ذلك بدا لي أن نص الحوار الذي كان في البداية نقاشا خاصا ربما يفيد الجميع. فأتمنى أن يمكن لهذا النوع الخاص من تلاقي الأفكار أو تضارب الآراء أن يشق الطريق أمام نحن الإيرانيين نحو نقاش أكثر انفتاحا وتجزئة في هذا الموضوع القديم الجديد ولكن اليومي.

# ***نظرة إلى الجنس***

# **كتبه سلافوي جيجك:**

# **الأول: "اتفاق" جنسي:**

هناك في الفقه الإسلامي أمر أو توجيه أخلاقي يقول: "إذا كنت أنت وأحد من الجنس المختلف بوحدكما في مكان واحد (الخلوة) فاخرج فورا من ذلك المكان" وهو أمر كما يبدو يحمي الشخص من حدوث عمل جنسي غير أخلاقي. والمعنى الظاهر لهذا الأمر المؤكد ليس إلا وقاية بسيطا لحدوث ممارسة جنس؛ ولكن المعنى الجوهري أو الباطني لهذا الأمر هو أن حدوث العمل الجنسي أو ممارسة الجنس لا مناص منه فينبغي العمل على منع وقوعه مسبقا أي أنه وفي حالة عدم مغادرة مكان الاختلاء (الخلوة) فلا توجد أية إمكانية لمنع ممارسة الجنس.

وبتعبير آخر إن الاختلاء بفرد من الجنس المختلف لا يؤدي إلا إلى ممارسة الجنس ولا يمكن تصور عدم حدوث العمل الجنسي. ولتعبير أبسط للموضوع، نفترض أنه لو تمكن الإسلام من تصور عدم ممارسة الجنس في اختلاء الشخصين، ففي هذه الحالة لكان الأمر الأخلاقي الإسلامي كالتالي: إذا اختليت بشخص من الجنس المختلف في مكان ما فلا تتبع هواك، أو ما يشابه ذلك. ففي الحقيقة لا يمكن للإسلام أن يتصور وجود شخصين من الجنسين المختلفين في الخلوة بدون ارتكاب الذنب.

فالإسلام عاجز عن تصور وجود رجل وامرأة غير محرمين في الخلوة من دون ممارسة عمل يؤدي إلى الالتذاذ الجنسي. فعلى ذلك يكون الأمر الأخلاقي بأن العمل الجنسي قد مورس دائما قبل مغادرة المكان، أي حتى إذا غادر غير المحرمين الخلوة أي مكان الاختلاء من دون أي عمل جنسي فالمراقب الإسلامي الخارجي يعتبر أن العمل الجنسي قد مورس فعلا. فوجود شخصين من الجنسين المختلفين في الخلوة لا معنى له من وجهة نظر الإسلام إلا وقوع "العمل" الجنسي فعلا.

إن القراءة الهيغلية لهذا الأمر الأخلاقي هي الأخرى تؤيد هذه القضية. فطبقا للرؤية الجدلية الهيغلية تصبح قراءة الأمر الأخلاقي كالتالي: إذا اختليت بشخص من الجنس المختلف فلا مناص لك من ممارسة العمل الجنسي! أي إن المعنى الضمني للأمر الأخلاقي الإسلامي وبخلاف غايته الظاهرية ليس إلا كون ممارسة العمل الجنسي لا مناص منها. وليس مهما إذا ما كان العمل الجنسي قد مورس فعلا أم لا، ولكن الإسلام يرى أن العمل قد مورس في حالة الخلوة حتى إذا تم مغادرة المكان امتثالا بالأمر الإسلامي الحازم أو قام الشخصان المعنيان بنفي ممارسة العمل. فعلى ذلك إن الأمر الأخلاقي الإسلامي يسقط نفسه ذاتيا أي يعلن حله أو إسقاطه مسبقا.

وهناك أوامر أخرى مماثلة للأمر المذكور ليست أقل تأكيدا منه ومنها الأمر بعدم النظر إلى جسد شخص من الجنس المختلف لكون النظر المذكور حراما تماما. أو بعبارة أخرى إن الإسلام يعتبر أن كل نظرة إلى شخص من الجنس الآخر يأتي عن المتعة الجنسية. القضية ليست أن الإسلام وفي هذا الأمر يرفض المتعة الجنسية كلذة جسدية – مادية وإنما الإسلام لا يدع مجالا للنظرة اللاجنسية إلى الجنس الآخر أي يقول جدليا، إذا كنت قادرا على مشاهدة جسد الجنس الآخرفلابد أن يتمتع بها! كما يقول القرآن في الآية 27 من سورة الأعراف: "يَا بَنِي آَدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآَتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ".

كان الحلم النهائي للشيطان عند إغرائه آدم وحواء أن يكشف عنهما عورتهما. فهكذا يكون الفعل الجنسي حدثا أي إن الإسلام وللمنع من ارتكاب الذنب لا يعتمد على فعل الفاعل وأنما يعتبر أبناء البشر فاعلين مرتكبين الذنوب المقدرة بلاإرادة أي يرى الإنسان وهو لا يختلف عن ماكنة (آلة).

في الإسلام، ليس هناك مجال لإرادة الشخص في النشاط الجنسي وتكون ممارسة الجنس للفرد بتوفر "الظروف"، أمرا لا مفر منه. فهكذا، تحاول الأخلاق الإسلامية منع نشوء "الظروف" للنشاط الجنسي غير المشروع ولا منع ذلك النشاط.

هذا وإن إنشاء أكبر فجوة بين الرجال والنساء أو الحجاب في الإسلام يعتبر من الحالات الأخرى لمنع نشوء الظروف لممارسة الفعل الجنسي. كما إن المرأة السافرة في الإسلام يعرض نفسها علنا ​​إلى النشاط الجنسي. لهذا يعتبر الإسلام أن الحدث الجنسي قد وقع مسبقا على مر الزمن على المرأة السافرة فهي كائنة لا إرادة لها يأتي انتهاكها للنظام الأخلاقي ممارسة الزنا بعينها فالكائنة بلاإرادة ليست إلا موضوعا جنسيا أي إن الشخص ليس إلا موضوعا للعمل الجنسي. لذلك وجدليا فإن الإسلام يوصي فعلا بالاستسلام أمام النشاط الجنسي غير المشروع بدلا من منعه العقلي من هذا النشاط.

# **الثاني: الوحدة الجنسية**

يقول القرآن في الآية 34 من سورة النساء: "الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا". ليس من الصعب أن نكشف المعنى الجنسي لـ "تفضيل" البعض على البعض الآخر والأسرار التي يجب على النساء أن يخفوها في غياب الرجال. ما هو معنى هذا التشديد على "غياب الرجال"؟

المعنى الأول هو أن الرجال وأمام الرجال عليهم أن يحافظوا بأنفسهم على أسرار نسائهم. ولكن المرأة لا تطرح ككائنة مختار له هوية إلا عند غياب الرجل وهي كائنة ليست لها مهمة أو واجب بصراحة إلا الحفاظ على أسرار الرجل. فبذلك يتبين أن موضوعية الشخص في الإسلام ترتبط صراحة بأفضلية الرجل على المرأة. أمام المعنى الثاني فهو أهم وهو أن المرأة هي غياب في حد ذاتها أي غياب الذكورية وغياب آلة الرجولية. فعلى ذلك إن غياب الرجل يساوي غياب الرجولية للأبد. وهذا الغياب يشترى بإنفاق الرجال بحق النساء وبهذا الشراء يتحول غياب آلة الرجولية إلى نقص جسدي. فعلى أساس الرؤية الجنسية في الإسلام لا يؤدي غياب آلة الرجولية إلى السرية وتعالي الأنوثة وإنما وبالارتباط بالاقتصاد الرجولي يتحول إلى نقص جسدي.

قبل كسر الأصنام عند فتح مكة، كانت أكثر من ثلاثمائة صنم توجد في المسجد الحرام كانت ثلاثة منها آلهة مؤنثة تحظى بتكريم واحترام كثيرين. وكانت هذه الأصنام الثلاثة يتم عبادتها على نطاق واسع يبدأ من أرض سبا بنجد والحجاز في الجنوب وينتهي إلى نبط في الأردن اليوم، وتلك الأصنام الثلاثة هي: "العزى" (من كلمة العز) و"اللات" (أي الإلهة = الإله المؤنث) و"مناة" (أي القدر). وتفيد أساطير عربية أن هذه الثلاثة كانت بنات الإله أو الله وكان آخرون يعتبرون اللات ومناة بنتي الإله (الله) والعزى التي كانت إلهة نجمة الصباح (الزهرة) وإلهة الجبل وكانت حارسة المدينة وكانوا يصورونها على هيئة فتاة عذراء وصيادة.

وكانت توجد معابد للعزى في بترا وفي النخلة وكانت ولا تزال هناك صورة منقورة لها في النخلة مع ثلاثة أشجار من نوع الأقاقي. وكانت قريش تعبد العزى وتحترمها. وكانت اللات إلهة الشمس والربيع والحنطة والأرض والولادة وكان ولا يزال معبدها واقعا وباقيا في الطائف. وكان يتم حك صورها عادة على المباخر. أما مناة فهي كانت إلهة التقدير والتجزئة والموت وحارسة الأموات وحاملة كأس الموت أو مجسدة الموت والتي كانت تصور على هيئة عجوزة أو تقدس على هيئة حجارة سوداء.

وفي عهد ظهور الإسلام كانت هذه الإلهة الثلاث تعتبر بنات الله، حيث يقول القرآن: "وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ. أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ. وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ. أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ" (الآيات من 15 إلى 18 من سورة الزخرف). ويقول: "فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ؟ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ؟. أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ؟ (الآيات من 149 إلى 153). ويتبوأ الله مكانته الحقيقية بعد كسر الأصنام والأوثان في عهد فتح مكة وتطهيرها من أية عقيدة شرك.

وهي مكانة تأتي وخلافا للتثليث في المسيحية وتقابل يهوه مع الآلهة الآخرين في اليهودية تيعنا للألوهية والوحدانية المحضة. وبهذا الصدد كتب هيجل يقول: "في الإسلام يتوسع القانون المحددة لليهودية (أي ألوهية يهوه تجاه الآلهة الآخرين) توسعا شاملا ولهذا السبب يتغلب. ويتم إدراك الله ليس كأمر ملموس دون واسطة مثل الآلهة الأسيوييين وإنما كقوة عليا فوق كثرة العالم. فهكذا يكون الإسلام دين العلو حسب أكثر معاني العالم تأكدا". فهكذا‘ أصبح الله في الإسلام خاليا من أية سمة نسوية أيضا وتم نقله إلى ساحة العلو والمحال. فإن الله وبرؤية الإسلام يتحول إلى أمر غير محدود متعال وأرفع من كل شيء وإلى أمر غائب محال المنال وبهذا الإبعاد يصبح الله قوة لا يتناهى محالة المنال ليتبرأ من كل أمر أرضي نسوي. فعلى ذلك يكون الله في الإسلام "فالوسا" غير متحقق أو لاأنثوي لا يمكن له التعين بسبب انمحاء كل ما هو نسوي أنثوي عن وجوده المتعالي  وهذا موقع متناقض للغاية وقوي للغاية بسبب هذا التناقض.

وبفعل الإسلام تصل الذكورية إلى موقع لم يسبق له مثيل طيلة التاريخ. إن هذا التأكيد على الذكورية أو الرجولة تنحدر جذوره من صورة الله الذهنية الفريدة في الإسلام. لا تعني وحدة الله إلا الوحدة الجنسية. هناك في الإسلام ومثل التفسير الفرويدي - اللكاني لا توجد إلا جنسية واحدة بفارق أنه وبرفع الأنوثة عن رقعة الواقع تفقد الذكورية أو الرجولة تعينها الذي لا يتحقق إلا بالتوحد مع الأنوثة، وهنا وبهدف استعادة وجودها كأمر واقعي تقوم الذكورية أو الرجولة باستدارة خاطئة: مزيد من الابتعاد عن الأنوثة والتقدم في رقعة التعالي. فالرجولة في الإسلام وبسبب غياب الأنوثة تكون دوما ناقصة بعيدة المنال.

# **الثالث: الإسلام ليس دين العائلة؟**

إن البحث في أرشيف الإسلام يثبت أن الإسلام لم يؤكد قط العائلة والتثنية الجنسية على شكلهما في عصرنا هذا. فلم تتحقق العائلة قط على شكلها التام والكامل لا في حياة نبي الإسلام ولا في حياة الشخصيات المفصلية لتاريخ الإسلام ولا في القرآن. فنبي الإسلام شخص يتيم. وفي قصة إسماعيل الذي هو جد العرب كلهم يوجد دور سلبي للأب حيث يطرد الأب كلا من هاجر وإسماعيل وبذلك يصبح إسماعيل هو الذي يجب أن يصبح. أما موسى فهو يكبر ويترعرع في حضن فرعون. ويولد عيسى بإذن من الله وإلخ.

كما ولا نجد أي تأكيد في السيرة الذاتية لأي من شخصيات صدر الإسلام على العائلة مع أن هناك تأكيد دائم على إرضاء الرغبة الجنسية أو إطفاء الشهوة بواسطة الزواج. هذا وإن تعدد الزوجات له وجود حاسم في تاريخ الإسلام بغض النظر عن تأكيده بصراحة في الآية الرابعة من سورة النساء. فلا توجد العائلة بمعناها الليبرالية اليمينية في عصرنا هذا في أرشيف الإسلام إطلاقا. فعلى ذلك إننا نواجه تناقضا جذريا: كيف تدعم العائلة بمعناها العصري القناعات الدينية التي لا مكان للعائلة في تعليماتها؟. إن تعدد الزوجات يتناقض تماما مع النظرة اليمينية في عصرنا هذا إلى العائلة.

فعلى ذلك‘ كيف يقوم نظام العائلة بدعم الإسلام؟ لا يكمن الرد على هذا السؤال في أن العائلة هي جهاز لإنتاج السلطوية وإعادة إنتاجها، وإنما يكمن في أن العائلة هي نظام لإنتاج التحفظ وإعادة إنتاجه أي إن السلطوية في تركيبة العائلة أو نسيجها لا تؤدي إلى التمرد على الأب السلطوي، وإنما وعلى عكس ذلك يأتي كل من الأجزاء المقهورة للعائلة ضمانا لبقاء نسيجها أو الحفاظ على تركيبتها في الوقت نفسه الذي يتحفظ فيه وهذا ليس إلا موقعا جدليا ويمثل صورة أخرى للسؤال التالي: لماذا لا تقوم الجماهير الرازحة تحت الظلم بالثورة في هذه اللحظة؟. هناك فرق أساسي بين العائلة في الإسلام والعائلة غير المسلمة وهو التأكيد على الوحدة الجنسية تجاه التثنية الجنسية.

إن العائلة في الإسلام لا يتم تشكيلها على أساس التحاب (الحب الثنائي) الذي تؤكده الليبرالية اليمينية العصرية، وإنما هي في الإسلام خاضعة تماما لسيطرة الوحدة الجنسية وهذا موضوع بقي بعيدا عن الأنظار. فهكذا، ومع أن تعدد الزوجات في الإسلام يسقط العائلة، ولكن العائلة وبدعمها الحاسم للوحدة الجنسية تقوم بإحكام أسس الإسلام. وكذلك تدعم العائلة وبإنتاجه التحفظ وإعادة إنتاجه إياه، نسيجا يسقطها مسبقا. العائلة لا تتمرد على الإسلام وإنما هي ضمان لبقائه.

# **الرابع: الجنة الجنسية:**

إن القرآن وفي توصيفه الجنة يؤكد دوما على اللذات الجنسية، ولكن هذه اللذات لها علاقة دائمة ثابتة بالوحدة الجنسية. فعلى سبيل المثال يقول القرآن في الآية 56 من سورة الرحمن: " فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ"، وفي الآية 48 من سورة الصافات: "وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ"، وفي الآيتين 21 و22 من سورة الواقعة: "وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ"، وفي الآيات من 34 إلى 37 من سورة الواقعة: " وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا". ومع أن الإسلام قد وجد مفتاح تعيين الرجولة ولكنه يحيله إلى الجنة، فليس من الصدفة كون تحقق الجنة الأرضية لدى المسلمين ممزوجا هكذا بحلم اللذات الجنسية. ولكن ما يرى في هذه الصور أكثر من كل شيء هو النظرة الجنسية المطلقة إلى المرأة كوسيلة للالتذاذ فقط التذاذا بالبكر (العذراء) وهي الكلمة التي جمعت دائما وهي الملذات التي يتم التأكيد دوما على ضرورة وفائهن لأزواجهن. ويمكن تكرار أن الإسلام لا يبقي إطلاقا مكانا للنظرة غير الجنسية إلى المرأة.

# **رد أبو الحسن بني صدر على رؤى سلافوي جيجك:**

لقد نظر السيد جيجك إلى القرآن على أساس مبدأ التثنية الأحادية المحور فبالتالي قد رأى الواقع على عكسه، لأنه:

1. لا يوجد في القرآن أمر بالخروج من الخلوة (الاختلاء) مع امرأة أجنبية. بل وعلى عكس ذلك، ورد في القرآن أن العائشة تخلفت عن الجيش واختلت مع شاب ولكن الشاب نقلها إلى المدينة وهما كانا قد بقيا وحيدين طيلة السفر ولكنهما تمكنا من مقاومة هواهما ومن تجنب ممارسة الجنس. علما بأنه ورغم القول بأنه لم تجر أية ممارسة جنس ولكن بسبب الثقافة الجنسية لعرب الحجاز فقد تعرضا للتهمة والإفك. وقد وقف القرآن في هذا الحادث بوجه هذه الثقافة ويقوم بنقدها.

فيتبين من ذلك أن العرب في تلك الأيام التي سبقت ظهور الإسلام كانوا يعتنقون الفكرة القائلة بأنه عندما يختلي الرجل والمرأة فتقع ممارسة الجنس حتما وبالضرورة. يمكن التساؤل من أين نبعت هذه الثقافة؟ ألم يكن دينا اليهود والمسيحية منتشرين آنذاك هناك؟.

إن آيات سورة النور في القرآن تغير هذه الفكرة وتعتبر الإنسان من المرأة والرجل على حد سواء قادرا على عدم الاستسلام أمام الهوى. كما وهناك في القرآن:

* في سورة يوسف تدعو زوجة عزيز مصر يوسف إلى خلوتها معبرة عن حبها ليوسف وتريد أن تمارس الجنس معه. وتقول الآية إن يوسف كان يميل إليها جنسيا وهي أيضا كانت تميل إلى يوسف جنسيا ولكن يوسف ذكر الله وامتنعت عن ممارسة الجنس. فتؤكد هذه الآيات بصراحة أن ما اختلقه ذهن كاتب المقال يتناقض تماما مع التعليم القرآني.
* ويرى القرآن أن المرأة هي الأخرى قادرة على الوقوف بوجه الهوى الجنسي. وخلافا لانطباع جيجك الجدلي تؤكد الآية 33 من سورة النساء أن من صفات المرأة أنها لا تستسلم أمام الأهواء الجنسية عند غياب زوجها. فلو لم تكن المرأة قادرة على ذلك لما كانت هذه صفة. كما إن انطباع جيجك من الآية 33 من سورة النساء أيضا انطباع خاطئ. فالآية تتحدث عن عدم رضوخ المرأة للمضاجعة وتقوم بتعليم أساليب دفعها إلى المضاجعة وممارسة الجنس، وهذا يدل على أن القرآن وبخلاف التوراة ليس لا يعتبر المرأة غارقة في الهوى فحسب وإنما يعتبرها كائنة "قادرة على ضبط النفس".
* تم في آيات أخرى أيضا تذكير الرجال بقدرة النساء على ضبط النفس: ففي الآية 23 فما بعد من سورة القصص يتناول القرآن قصة بنات النبي شعيب اللواتي ذهبن إلى الصحراء لرعي الغنم ولكنهن تمالكن أنفسهن. وفي الآية 27 فما بعد من سورة مريم يكون اليهود الراضخون للقوة هم الذين يلومون مريم بأنها ارتكبت فاحشة ولكن القرآن هو الذي يشهد هنا على طهارتها وعن لسان عيسى الوليد، أي إن القرآن لا يعتبر حتى الحمل والولادة دليلا حاسما على وقوع ممارسة الجنس وقيام المرأة بهذا العمل.

فعلى ذلك ليس القرآن لا يعتبر اختلاء الرجل مع المرأة دليلا على وقوع ممارسة الجنس فحسب وإنما يقول إن إثبات وقوع ممارسة الجنس بطريقة غير شرعية يعتمد على شهادة أربعة أشخاص عليه وذلك في غاية التشدد لأنه ولإثبات ذلك ليس لا يعتبر شهادة أقل من أربعة أشخاص عادلين كافية وإنما يعتبر شهادة الشهود الأقل عددا من النصاب مستحقة للعقاب (الآية 15 من سورة النساء). و...

1. يقول جيجك: لا توجد العائلة في الإسلام من النوع الذي يعجب الليبرالية اليمينية. نعم لا توجد من ذلك النوع، ولكن هذا لا يعني أن العائلة لا توجد في الإسلام، وإنما يعني أن هناك في الإسلام العائلة التي وصلت إلى منصب الإمامة (إمامة نمو الإنسان وإعمار الطبيعة على أساس مبدأ الموازنة العدمية) وهي العائلة التي يعتبرها الإسلام نتيجة زواج المرأة والرجل في تزاوج يتسم فيه كل منهما بفضائل مثلما كانت عائلة كل من النبي وخديجة وعلي وفاطمة. وبهذه الرؤية كان النبي يقول صائبا إن خديجة كانت نصف النبوة.

هنا يتبين أن جيجك يعاني من جهل تام في هذا المجال، لأنه لا علم له بما يأتي:

أولا، كان القرآن قد بذل قصارى جهده في ذلك العصر الذي كان يستحقر الأنثى أن يحقق المساواة بين المرأة والرجل مؤكدا لهما أنهما يمتلكان حقوقا ذاتية.

ثانيا، إن الحقوق التي وضعها القرآن للزوجين حقوق موحدة وليست منفصلة بل تأتي بسبب كون كل منهما عضوا في العائلة. ففي الحقيقة وضع القرآن حقوقا لكل من المرأة والرجل باعتبار كل منهما عضوا في العائلة.

ثالثا، جاء في القرآن: "وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ" (الآية 49 من سورة الذاريات). فيبدو أن الفيلسوف جيجك يجهل مبدأ التوحيد. إني أوردت هذه الموضوعات في كتابي "المرأة والحياة الزوجية" بكل تفاصيلها مستندا إلى كل من الآيات القرآنية المختصة على انفراد. فلذلك أحيل إليه لمزيد من التفاصيل.

1. لقد نقل جيجك آيات كيفما شاء في محاولة لتكريس ادعاء خاطئ بأن "وحدانية الله في الإسلام هي الوحدانية الجنسية". هذا المدعى الغريب مشوه لعدة أسباب:

أولا، إن نشر أفكار سيئة بواسطة فلسفة اليونان والتعاليم المنسوبة إلى التوراة كان قد خلق عقلية وسلوكا في كل من الحجاز والشام آنذاك كانا قد دفعا العرب نساء ورجالا إلى اعتبارهم المرأة كائنة دون الإنسان خلقت لالتذاذ الرجل. فهنا لا يمكن أن يطلق جيجك تصريحا لا يكون قد تأثر من فلسفة اليونان. فإذا راجعتم الأساطير اليونانية فستلاحظون أن جميع الآلهة بدءا من زئوس ومرورا بآفروديتة وبرومته وليس إنتهاء إلى هيراكليس وأوديب وإلخ وإلى الأحداث التي تعطي صورة لعلاقات الآلهة مع الإنسان كانت تمثيلات جنسية. ولكن القرآن يعطي هذه الصورة على عكسها. كما إن الآيات القرآنية لا تضفي لله صفة الذكورية، وإنما تحرره من التعين وبالتالي من الجنسية لتجعل التوحيد على صعيد العائلة توحيدا للمرأة والرجل اللذين لهما حقوقهما حيث تقول الآية 15 من سورة الزخرف والتي استند إليها الفيلسوف: "وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا". هذا الكلام لا علاقة له بالجنس وإنما له علاقة مباشرة بإزالة التعين من الله، لأن جعل الخالق جزءا من المخلوق يساوي جعل الله متعينا مما يساوي في حد ذاته حرمان الإنسان من الاستقلال والحرية. كان من المفترض أن ينظر الفيلسوف إلى هذه الآية وآيات كثيرة أخرى من منظر الاستقلال والحرية. فلو فعل ذلك لكشف أن عدم علاقة الإنسان بالله يأتي بمعنى وجود الجبر وأن وجود هذه العلاقة يعني وجود استقلاله وحريته.

كما وفي الآية 18 من سورة الزخرف يقوم القرآن مرة أخرى بإزالة التعين، حيث تصف التعين بأنه عجز وتؤكد أن القول بأن الله له ولد يساوي القول بأن الله ناقص وعاجز ولذلك يحذر الإنسان من القول بعجز الله وتعينه معتبرا القائل بذلك مشركا أو بعبارة أخرى يعتبر القرآن القائل بذلك متخذ التثنية وليس التوحيد مبدأ دليل له.

ثانيا، وجها بوجه العرب الذين كانوا يعتبرون المرأة كائنة دون الإنسان طبقا للأفكار الاجتماعية السيئة ذاتها وكانوا يعتبرون الملائكة أناثا سعيا منهم لتخطئة الله الذي كان النبي يهديهم إليه وكذلك كانوا يصفون النبي نفسه "أبتر" بسبب أنه لم يكن له ابن وبل كانت له بنت، يصف القرآن المرأة بأنها "كوثر" أي ينبوع الحياة (سورة الكوثر).

كما وفي الآيات من 149 إلى 153 من سورة الصافات، أولا يؤكد مبدأ عدم وجود ولد لله (أي نفي التعين) (الآية 152). الكلمة المستخدمة هي "ولد" التي تشمل الذكر والأنثى. وفي الآية 153 يتساءل: "أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ"؟. فيتبين أن الفيلسوف أضفى للآية ما يهويه من معنى وجعل السؤال الدليل هو اختيار الابن وإضفاء الذكورية لله، فيما أن الله لم يفضل حتى الابن على البنت، حيث يقول: "إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" (الآية 13 من سورة الحجرات). ثانيا إن توجيه السؤال إلى المدعين بأنه: "أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ"؟ (الآية 150 من سورة الصافات) يأتي بمثابة نفي الجنس المدعى أو رفعه عن الملائكة وليس تفضيل جنس الذكر، بحيث أنه لو قالوا إن الله خلق الملائكة ذكورا لسألهم نفس السؤال أيضا. فيجب أن يعلم الفيلسوف أن القرآن ينفي تماما كون عيسى ابن الله ويرفض هذا الادعاء أيضا.

ثالثا، إن تفضيل كل من جنسي الذكر والأنثى بعضهما على البعض الآخر ليس إلا انتهاكا للتوحيد وتعبيرا عن التثنية الأحادية المحور التي تناقض التوحيد تماما وهي الشرك الذي يرفضه القرآن رفضا قاطعا ويعتبره ظلما عظيما أي من كبائر الذنوب.

1. هذا ويكون جيجك مخطئا في ما كتب بخصوص الجنة أيضا:

أولا، إن النساء والرجال يدخلون الجنة معا. فهناك ليست النساء مظاهر للجنس كما ورد في التوراة. وإنما مظاهر للإنسان الشامل والكامل المتسم بأبعاد متعددة وبحقوق وفضائل. أما الأمر المهم الذي يجهله جيجك فهو أنه وفي المعاد ترفع ولاية البعض على البعض الآخر أيضا وحسبما ينص عليه القرآن فلا سلطة هناك إطلاقا لأحد على آخر. فلا يمكن هناك أبدا أن يمتلك الرجال النساء ولا النساء الرجال، وإنما الاثنان يمثلان الزوج الإمام (أي الرائد والقائد نفسهما لنفسهما).

ثانيا، من فضائل المرأة كونها فنانة، والفنانة هنا بمعنى أنها تجتاز حدود الكون الممكنة لتفتح أجواء على نفسها وعلى الرجل كان يتصور أنها مستحيلة. فعندما ولدت مريم عيسى بإعجاز كانت تريد تفهيم الإنسان أن المرأة وبمعناها الشامل الواسع تجعل المستحيل ممكنا، وبرؤيتي يمثل هذا الشمول والوسعة شمول ووسعة استقلال الإنسان وحريته أيضا. إذن تمثل المرأة رمزا لإمكان المستحيل في هذه الدنيا وفي الجنة على حد سواء. والآيات التي نقلها جيجك في هذا المجال تعتبر المرأة رمزا للجمال التام ومحققة كل المستحيلات. فعلى سبيل المثال تحدث القرآن في الآية 56 من سورة الرحمن عن "قاصرات الطرف" أي الجميلات الحرائر طهورات العين اللواتي "لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ" أي لم يلمسهن أحد جنسيا وهن لسن "أشياء جنسية" وإنما هن حرائر متمالكات أنفسهن. لو نظر جيجك إلى القرآن برؤية أن هذا الكتاب وفي ما بين دفتيها ولكلا الدارين (الدنيا والآخرة) يصف المرأة بعبارات من شأنها مسح الفكرة السائدة بأن "المرأة ليست إلا شيئا جنسيا" من أذهان الرجال والنساء ليعرّف المرأة بأنها صاحبة الفضائل ورمز الجمال الإلهي الطاهر، لكان قد كشف الواقع (= خطاب القرآن) كما هو وربما لاعتزم النضال ضد اعتبار الإنسان شيئا سواء من الرجل أم المرأة (والمرأة أكثر).

ربما كان من الضروري أن يوجه هو سؤالا إلى نفسه في ما يتعلق بالقرآن، وهو: لو اعتبر القرآن المرأة مساويا للجنس، ألم ينقض بذلك جميع تعليماته؟ لأنه كيف يمكن أن يطلب الله من مخلوقة خلقها لالتذاذ الرجل فقط أن تكون عفيفة وطاهرة الفكر وينبوع الحياة وسببا للسكن والطمأنينة وإلخ؟. فلابد للمرأة وحسب طبيعتها أن تكون إنسانة عفيفة ليمكن حمايتها من التحول إلى شيء.

أما آيات سورة الواقعة فهي أيضا تؤكد للرجال هذا المعنى ذاته ليغيروا أسلوب تفكيرهم ولا يعتبروا أنفسهم هو المحور الغالب والمسيطر والمرأة هي المحور الخاضع للسطلة وأداة لالتذاذهم.

ومرة أخرى يقوم القرآن في الآية 48 من سورة الصافات بنقد شديد لصورة المرأة في التوراة: فيبين القرآن في هذه الآية أن المرأة ليست كائنة دون الإنسان توسوس الرجل، وإنما هي زوجة الرجل ولا تستعيد زوجيتها التامة إلا في الجنة.

وهناك انطباعات خاطئة أخرى لجيجك في ما كتب، ومنها ما يتعلق بالحجاب وواقع كون موسى قد كبر وترعرع في حضن زوجة فرعون وليس فرعون وإلخ... وأنا أوردت الإيضاح لهذه الأسئلة كلا على انفراد في كتبي ومقالاتي الأخرى خاصة في كتاب "المرأة والحياة الزوجية".